مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية

دراسة تحليلية نقدية

الأستاذ الدكتور
محمد محمود عبد الحميد أبو قحف
أستاذ ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين ، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .."

وبعد :

" مقدمة الطبعة الأولى " ..

هذه مقدمة الطبعة الأولى لهذا الكتاب ، والذى نناقش من خلاله مذهب من المذاهب العقائدية والفكرية الفلسفية والسياسية ، وهو مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية ، دراسة تحليلية ونقدية وقد كان موضوع رسالتى للدكتوراه علم ١٩٨٤م بمرتبة الشرف الأولى .

ولقد بينت من خلال دراستى التحليلية النقدية لمذاهب الشيعة . مدى تأثير هذه المذاهب فى الحياة الفكرية والفلسفية والسياسية الإسلامية، فالشعية على اختلاف فرقها وطوائفها ، غلاة ، وإمامية اثنا عشرية وإسماعيلية وزيديه ، على طرفى نقيض من مذاهب أهل السنة والجماعة والسلف وربما كان لعقيدة الشيعة فى "الإمامة" وما يتعلق بها من مسائل أخرى فرعية أثر كبير فى الانشقاق بين جمهور المسلمين ، إذ بينما يعتقد أهل السنة والسلف بصحة إمامة أو خلافة الشيخين بعد النبى صلى الله عليه وسلم . إذ بالشيعة (ينكرون ذلك) ويدعون أفضلية الإمام على بن أبى طالب فى الخلافة أو ولاية الإمامة دون أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب من بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

هذا وقد حاول الشيعة جميعاً إيجاد النصوص وتأويلها على هذا المبدأ والذى يقول بالنص على خلافة على بن ابى طالب بعد وفاة الرسول

صلى الله عليه وسلم وتعاقب الخلافة فى ذريته من بعده .

واجتهد الشيعة الأمامية " اثنا عشرية وإسماعيلية " فى تخريج الأحاديث النبوية وتأويلها تأويلا باطنياً رمزياً على مبادئهم وعقائدهم فى الإمامة أيضا ولقد لعب مذهب التأويل دوراً فعالاً لدى الشيعة فى محاولات شيوخهم وعلمائهم ومفكريهم على مر العصور لإثبات صدق عقائدهم فى الإمامة ، وما ينبع هذا المبدأ من مبادئ أخرى " كالعصمة للائمة ، والمهدية ، والرجعة والبداء والغيبة . وكان لنظرية الظاهر والباطن اثر كبير فى الاستدلال على هذه العقائد ، وقد تجد تقاربا بين مناهج الشيعة فى التأويل الباطنى وبين مناهج الفلاسفة والصوفية ، إذا أن للباطن والرمز والمجاز أهمية كبيرة لدى هذه المذاهب وبلورة أفكارها مع اختلاف المقاصد والأغراض .

وقد تناولنا هذا الموضوع من عدة نواحى . استعرضنا نشأة التشيع ومظاهره ثم عرفنا المقصود بالمذاهب الباطنية والتأويل الباطنى وفلسفتهم فى ذلك ثم عرضنا لتأويلات الشيعة الأمامية "الاثنا عشرية والإسماعيلية والغلاة فى الإمامة وفى الإلهيات والعبادات وأمور الحياة الآخرة . وفرقنا بين نزعة الغلو الباطنى فى التأويل والتعسف فى تخريج النصوص والأحاديث على مذاهبهم وبين الزيدية وبعض النزعات الشيعية المعتدلة ، ودعاة الإصلاح والتوفيق بين جمهور المسلمين حديثاً والذى ظهر لدى بعض علماء الاثنا عشرية والزيدية .

ثم وضحنا الاتجاهات المضادة لمذاهب الشيعة فى هذا المجال عند علماء أهل السنة والجماعة وعلماء السلف والعصر الحديث .

وقد اتضح لنا مدى غلو الشيعة وتعسفهم فى التأويل مما يؤدى إلى

فساد مذاهبهم وعقـائدهم فـى العصـور السـابقة ونحـن نؤكـد علـى أهميـة مذاهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح ، ندعو إلى ضـرورة التقـارب بين مذاهب الشيعة المعتدلة فى العصر الحديث وبـين مذاهـب أهـل السـنة ولعل هذه دعوة علمـاء ومفكريـن عظـام مـن الشـيعة الأماميـة فـى العصـر الحديث .

وأيضا ندعو الله تعالى النصر على أعدائنا لتحقيق الوحدة وان يوفق المسلمين لما فيه الخير والسلام .

طنطا فى

٢٠ يناير ٢٠٠٢

٦ ذو العقدة سنة ١٤٢٢هـ

دكتور

محمد محمود عبد الحميد أبو قحف

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

"مقدمة عامة"

الحمد لله رب العالمين – وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنه من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادى له ، نستعين بك ربى ونستغفرك ، ونستعيذ بك من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونصلى على خير خلقك سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد ..

لا شك أن مذهب التأويل من أهم المذاهب الذى نال اهتمام كثير من العلماء والباحثين وبصفة خاصة إذا كان تتعلق موضوعاته بالنظريات والمبادئ الدينية والفلسفية وقد تناولته العديد من الفرق والمذاهب الدينية والفلسفية قديماً وحديثاً سواء فى الفلسفة اليونانية أو اليهودية أو المسيحية كذلك وجد عند بعض الفرق والطوائف الفكرية الإسلامية ، وكان لكل فرقة مذهب معين فى التأويل يتفق مع منهج أصحابه من الأصوليين والفلاسفة أو الصوفية والشيعة .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الفرق أستخدمت التأويل كوسيلة من أجل تدعيم عقائدها ومناهجها وخدمة أغراضها المذهبية بغض النظر قليلاً عن محتملات الألفاظ ودلالتها اللغوية والفنية ومن ناحية أخرى استخدمت بعض الفرق هذا المذهب من اجل التوفيق بين الآراء .. والمصطلحات الفلسفية وبين الآراء والمبادئ الدينية كذلك شرح النصوص الدينية فى ضوء العناصر

والنظريات الفلسفية وهكذا .

وإذا كان موضوع البحث يتعلق بمذهب التأويل عند الشيعة الباطنية فمما لا شك فيه أنهم استخدموا هذا المذهب أسوأ أستخدام كما سنجد أنهم حاولوا بكل الوسائل أستخراج النصوص الدينية وتأويلها طبقاً لنظرياتهم فى الإمامة وما يتعلق بها من أمور أخرى ، بالإضافة إلى الاستعانة بالمبادئ والنظريات الفلسفية لتدعم نظرياتهم ومحاولتهم تأويل النصوص والقضايا الدينية طبقا لمضامينها الأمر الذى أدى إلى إدخال الكثير من النظريات الفلسفية والآراء المذهبية فى أحضان العقيدة الإسلامية بما يخالف مذهب جمهور أهل السنة والجماعة . لذلك كان لزاماً علينا الكشف عن هذه المذاهب والنوايا الخاطئة أو الخبيثة وإظهار بطلانها والرد على منتحليها وإفحامهم .

موضوع الكتاب .

وفيما يتعلق بموضوع هذا الكتاب فقد تناول" مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية كدراسة تحليلية نقدية " ومن غير أن ندخل فى بعض التفاصيل التاريخية الخاصة بمذهب الشيعة بطوائفها المتعددة فلا شك أنها من اكبر الفرق الإسلامية وأكثرها ثباتاً وأثراً فى التاريخ الحضارى الإسلامى فى القرون الوسطى وحتى العصور الحديثة ، كذلك فإن مذهب الشيعة يختلف أختلافاً كبيراً عن مذهب جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة ويرجع السبب فى ذلك إلى الاختلاف الواسع حول مسألة " الإمامة " وما يتعلق بها من أمور أخرى ، إذ بينما يرى جمهور المسلمين وعلماء السنة والسلف منذ الرعيل الأول أن تولية

الإمامة أو الخلافة تتعلق بالأمور المصلحية التى تخص مصلحة الأمة ، ومن ثم تعقد عن طريق البيعة والاختيار ، فإن فرق الشيعة بطوائفهم المختلفة يرون غير ذلك ، فتولية الإمامة عندهم تكون عن طريق النص أو الوصاية – أو التعيين – وعلى ذلك قالوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى إلى على بن أبى طالب بتوليتة إمامة أو خلافة المسلمين من بعده ، وأن خروجها من بين يديه إلى أبى بكر ثم عمر وعثمان كان أغتصاباً دون وجه حق ، ومن هنا بدأت الفرق والطوائف الشيعية تتنازع الأمر فحدثت الفرقة وحدث الأختلاف بين المسلمين ، يضاف إلى ذلك أن الشيعة غالت غلواً كبيراً فى أستخراج وتأويل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لتدعيم نظرياتهم الأمر الذى أدى إلى دخول العديد من العناصر والنظريات الفلسفية الأجنبية فى أحضان العقيدة الدينية الإسلامية وقد أخترع مدعى الشيع ، وغلاتهم نظريات وآراء فاسدة أثرت تأثيراً واضحاً فى مذاهب الشيعة الأمامية ، "إثنا عشرية وإسماعيلية" وإذا كان التشيع تكون من بعض الطوائف التى ترى أحقية الأمام على بن أبى طالب فى تولية الخلافة فقد أحاط هؤلاء الشيعة آل البيت بالغلو من كل ناحية ، وهذا الغلو استتبع ألا سطوره – فظهر كثير من الأفكار الأسطورية والفلكلورية التى أطلقها غلاة ومدعى التشيع على أئمة آل البيت بدأ ذلك من طوائف السبئية ، والكيسانية " من الشيعة الحنفية " ثم توالت هذه الآراء والأفكار الأسطورية من فرقة إلى أخرى حتى ذابت وتوارت فى فرقتين كبيرتين هما بعض الغلاة من الأثنا عشرية والإسماعيلية– أو الباطنية .

ومن الجدير بـالذكر أن هـذه الأنمـاط والنظريـات الأسـطورية والخرافيـة أثرت فى نظريات ومبادئ الشيعة خاصة فى مسالة الإمامــة ومـا يتعلـق بـهـا مـن أمور أخرى مثل قولهم بفكرة الوصايا والنص والقداسة والغيبة والرجعة والمهدية والعلوم السرية أو الباطنية وتطبيق عالم الآفاق على عالم الأنفس وغير ذلك – مما ذكرناه بالتفصيل فى سياق البحث .

ويمكن أن نذكر بعض الدعـائم التـى تأسـس عليـها مذهـب التـأويل عنـد الشيعة الباطنية :-

أولا :- كانت هناك الكثير مـن الأفكـار والنظريـات الغريبـة عـن منـهج الإسـلام دخلت فى أحضان العقـائد الأماميـة اثنـا عشـرية وإسماعيليـة عـن طريـق دخـول عناصر الشيعة الغالية من السبئية والكيسانية والخطابية والقداحية ....وغيرهم.

ثانياً :- امتزجت الآراء الفلسـفية والغنوصيـة بالعقـائد الشـيعية فكـان لنظريـة العقول الأفلاطونية كذلك نظريـة الأعـداد الفيتاغوريـة آثـار كبـيرة وخطـيرة فـى العقائد الإسماعيلية كذلك تغلغلت أفكار اليـهود والنصـارى فـى أحضـان الشـيعة الإسماعيلية الباطنية وحاولوا مـزج هـذه الأفكـار والنظريـات الفلسـفية والدينيـة بالمبادئ الدينية الإسلامية مستغلين فى ذلك التأويل البـاطنى والرمـزى للنصـوص الدينية .

ثالثاً :- ظهور نظرية الظاهر والبـاطن – تلـك النظريـة التـى كـانت سـائدة فـى عقائد الشيعة وغير الشيعة من الفلاسفة وغلاة الصوفية ممن يعتقدون جميعـاً بـأن ما من شيء ظاهر إلا وله باطن والنصوص الدينيـة الظـاهرة لهـا تـأويلات باطنيـة

وبذلك جعلوا ظواهر النصوص موقوفة على العامة – أما البواطن فإنها خاصة بالحكماء والعلماء الراسخون والأئمة ذوى العصمة والقداسة وعلى ذلك فقد نظر الشيعة الباطنية إلى النصوص فجعلوا لها وجه ظاهر وهو التنزيل ووجه آخر باطن وهو الخاص بالتأويل وقالوا أن الناطق النبى صلى الله عليه وسلم أرسل بالتنزيل الظاهر وأن الوصى أو الأمام " على بن أبى طالب " يختص بالتأويل .

ومن هنا فتحوا المجال أمام المتأولين لكى يتأولوا النصوص والأحاديث طبقا لنظرياتهم وعقائدهم الفاسدة بما لا يتفق مع منهج جمهور المسلمين فقالوا " أن الجنة والنار والصراط وغير ذلك إشارات لها معانى باطنية .

رابعا :– دخلت العقائد الشيعية الإسماعيلية فى دورها السرى الباطنى بعد وفاة الإمام محمد بن إسماعيل وادعى الشيعة الإسماعيلية أنه من أولى العزم وانه المهدى وغالى فيه الشيعة غلوا كبيرا ومن ثم ظهرت نظرية الإمام المستودع والإمام المستقر أو عقيدة التبنى الروحية – بذلك تولى دعاة الإمام من القداحين والقرامطة ممارسة الدعوة للأمام المستتر فى دور الستر لحين ظهوره ، وفى دور الظهور الأخير بالمغرب وتأسيسه للدولة الشيعية التى كان من آثارها تأسيس الدولة الفاطمية العتيدة فى مصر وقد جعلوا للدعوة وسائل ومراتب عديدة منها النفوس – والتأنيس والتشكيك والتدليس والخلع والانسلاخ وغير ذلك .

خامسا :– لقد رفع الشيعة الباطنية مرتبة الأئمة فوق مرتبة البشر وأعلنوا أن الأمام محمد بن إسماعيل هو القائم الذى أتى لكى يؤول القرآن تأويلا باطنيا ثم أمنوا بنظرية الأدوار فالإمامة نظام دورى سباعى– كل دورة تكتمل بسبعة أئمة

آخرهم قائمهم وأستخدموا فكرة العقول الأفلاطونية ومزجزا بينها وبين أفكارهم في الإمامة إذ أن هذه العقول الروحانية مُثلّ (علوية إبداعيه) لمثولات أرضية - فالعقل الأول الكلى "السابق" مثال للناطق أو النبى - العقل الثانى- النفس الكلية "التالى" مثال الوصى أو الإمام وهكذا غير أنهم إذا كانوا قد آمنوا بنظرية الفيض الأفلاطونية غير أنهم قالوا بفكرة الإيداع الإلهى .

سادساً :- أستخدم غلاة الشيعة "بعض الاثنا عشرية "والإسماعيلية أسلوب التأويل الرمزى الباطنى فى تأويل الإلهيات والنبوات وأمور الشريعة والعبادات والحياة الأخرى وتأولوا ما ورد فى ذلك من نصوص قرآنية وبعض الأحاديث التى أسندوها إلى أئمتهم موقوفة عليهم ، فالإسماعيلية الباطنية غالوا فى تأويل الإلهيات وجانبوا الصواب فى التنزيه الإلهى فنفوا الصفات الإلهية وحملوها على العقول الإبداعية بدعوى أن الذات الإلهية تنأى عن أن توصف بصفات حسية لذلك خالفوا الشريعة وخالفوا مذهب جمهور أهل السنة فالله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه صفاتاً وأسماء ونزه ذاته عن المشابهة أو المماثلة بحكم النص القرآنى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " أما فى النبوات فقد أنكروا المعجزات الإلهية للأنبياء إذ يعتقدون أن ما روى منها لا يعرفه أهل الظاهرة فثعبان موسى هو حجته ومعنى أن المسيح لا أب له أى لم يأخذ العلم عن أمام وأنما كان تقياً من اتقاء ذلك الزمان وأن نبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم إشارة إلى كثرة علمه كذلك أنكروا الوحى الإلهى فالنبوة هى مادة من السابق " العقل الكلى " على قلب من وقعت " للتالى النفس الكلية " به عناية مهيأة الهيئة التى تصلح

لورود تلك المادة عليه فإذا وردت المادة وقعت علــى حقـائق الأشـياء كذلـك تـأولوا القيامة على الباطن بمعناها قيام القائم ، وقالوا باســتحالة أعـاده الأجسـام كذلـك تأول غلاة الشيعة إثنا عشرية وإسماعيلية أمور الشريعة والعبادات تأويلاً رمزياً من حيث أن دلالة الألفاظ ترمز إلى عقـائدهم فـى الإمامـة وقـد تـرك الشـيعة اثنـا عشرية وإسماعيلية الكثير من الكتب والمقالات التى تـدل علـى حقيقـة مذاهبـهم وتأويلاتهم الغالية وعلى سبيل المثال نجد أن مؤرخى التشيع جمعوا لنا كل الآراء والأفكار التى شاعت فى أوساط غلاة التشيع بطوائفهم المختلفة والتى كان لها أثــر كبير فى بعض غلاة الأثنـا عشـرية والإسماعيليـة الباطنيـة ، أمـا الشـيعة الاثنـا عشرية فعلى الرغم من كونهم أكثر الفرق الشيعية اعتـدالا غـير أن ظـاهرة الغلـو والتأويل الرمـزى والبـاطن انتشـرت فـى أوسـاط بعضـهم مثـل طوائـف النصيريـة والبابية والبهائية .

كما أننا نلتمس نزعة الغلو فى تفسـير أبـى الفضـل الطبرسـى فـى كتابـه جامع البيان " كذلك أبن المطهر الحلبى كمتكلم إثنى عشـرى– أمـا الكُلينـى فـى " أصول الكافى " فقد أورد ، الكثير من الروايـات المـأثورة وشـرحها شـرحاً باطنيـاً أسطورياً – ولكن بعض علمائهم المحدثين يحاولون تنقيـة الـتراث الأثنـا عشـرى مما علق به من شذرات باطنية أو أسطورية للتقريب بينه وبــين مذهـب جمـهور أهل السنة أما الإسماعيلية فقـد أحـاط بـهم الغلـو مـن كـل جـانب فـى الإلهيـات والنبوات والأمور الفقهية والعبادات – وقد ظفرنا بالعديد من الرســائل الفلسـفية والكتب الفقهية لكبار علمائهم وفلاسـفتهم قديمـاً وحديثـاً والتـى قـام بتحقيقـها

وتقديمها عارف تامر وغيره كما أن رسائل أخوان الصفاء خير دليل على ما ذهبنا إليه .

وقد يكون الكتاب فى ثلاثة أبواب تضم عشرة فصول وخاتمة هى نتائج البحث ثم قائمة بأسماء المراجع والمصادر العربية والأجنبية مرتبة ترتيباً أبجدياً على النحو التالى :

الباب الأول (الشيعة الباطنية وظهورهم) :-

تناولت من خلاله ظاهرة التشييع بإيجاز ثم ركزت على إبراز مذهب التشيع الباطنى وخصائصه المميزة والفرق التى ينطبق عليها مصطلح "الباطنية ".

ففى الفصل الأول: تناولت ظاهرة التشيع وأستطعت أن أبين أن كلمة الشيعة لم تكن من إبتداع الشيعة أنفسهم بل كانت كلمة رائجة فى اللغة والتاريخ ولكن هؤلاء أستطاعوا أن يستغلوها أستغلالاً فنياً وأصطلاحياً لكى تدل على جماعتهم فى مقابل كلمات أخرى مثل المهاجرين والأنصار وأهل السنة وغير ذلك كما استطعت أن أبين أن فرق الشيعة تكونت عندما أمتزجت أفكارهم السياسية بالآراء والمبادئ العقائدية وتأولوا النصوص عليها أما النظريات الشيعية التى تقول بأن التشيع يرجع إلى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم أو عهد الصحابة الأوائل فهى نظريات غير صحيحة .

وفى الفصل الثانى : ظهور التشيع الباطنى عند الغلاة وبعض الاثنا عشرية فقد ركزت تركيزاً قوياً على إبراز المثلين الحقيقيين لمذهب الباطن ومناهجهم ورأيت أن هذا المصطلح الباطنية ينطبق على كل فرقة شيعية تؤمن بأن

النصوص الظاهرة ، حقائق باطنية – وأن لكل تنزيل ظاهرى تأويلاً باطنياً أو رمزياً. وقد وجدت عند الغلاة وبعض غلاة الاثنا عشرية دلائل تشير إلى ذلك لذلك أبرزت هذه الجوانب فى مناهجهم .

وفى الفصل الثالث : طوائف الإسماعيلية الباطنية وتطورهم أعطيت فكرة موجزة عن الإسماعيلية ونشأتها ثم تتبعت تكوينها الطائفى والعقائدى بشىء من التفصيل وذلك من اجُل إبراز الجوانب الفكرية والمنهجية لأولئك الأشخاص الذين تولوا الدعوة ونشرها فى دور الستر وحتى ظهور الأئمة بالمغرب فى عهد الظهور وقد ركزت على الطوائف القداحية والقرامطة والخطابية ثم انتشار المذهب فى اليمن ثم المغرب ثم مصر ثم أشرت بعد ذلك إلى عهد الأضمحلال الذى أصاب الدولة الفاطمية فى مصر وانقسامها إلى طائفتين إسماعيلية شرقية "النزارية" ثم الإسماعيلية الغربية "المستعلية " ثم أشرت إلى طوائف البهرة والاغلخانية فى العصر الحديث وبعد ذلك أبرزت حقيقة أخوان الصفاء ومنهجهم فى التأويل كامتداد حقيقى لمذهب التأويل الباطنى الإسماعيلى وقد استعطت أن أثبت بالأدلة القاطعة وبالاستناد إلى النصوص والوثائق المحققة أنهم ينتمون إلى الشيعة الإسماعيلية .

وفيما يتعلق بالباب الثانى "التأويل عند الشيعة الباطنية :-

تناولت من خلاله منهج التأويل عند الفرق الشيعية الباطنية تلك الفرق والطوائف التى استخدمت الأسلوب الرمزى حيث أدعت بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل – وحاولت استخراج النصوص والأحاديث الدينية وتأويلها

طبقاً لعقائدهم المذهبية والفلسفية ومزج المبادئ والمصطلحات الدينية بالآراء الفلسفية والغنوصية وما ورد من شذرات يهودية ونصرانية – وقد أتضح لنا أن غلاة التشيع وبعض غلاة الاثنا عشرية والإسماعيلية أو لغوا في هذا الباب إيغالاً شديداً وواضحاً .

ففي الفصل الأول : التحليل النقدى لفلسفة التأويل عند الباطنية عرضت بإيجاز لفلسفتهم الباطنية ومظاهرها وموضوعاتها ثم تتبعت ذلك بالتحليل والنقد بالاستناد إلى آراء وتحليلات علماء أهل السنة وبعض الأصوليين من علماء الكلام .

وفي الفصل الثاني : منهج التأويل عند الغلاة وبعض الاثنا عشرية تحدثنا عن طبيعة المنهج عند الشيعة وبعض الفرق والمذاهب الأخرى ثم تتبعت ذلك بالتحليل والمقارنة لإبراز أوجه الاتفاق أو الاختلاف بينهم وأصالة هذا المنهج في الفكر الفلسفي والإسلامي .

وقد أتضح لنا أن هناك فروق شاسعة بين منهج الشيعة الباطنية وبين مناهج الفلاسفة والصوفية وأهل السنة وبعد ذلك ركزنا على منهج التأويل عند غلاة التشيع من السبئية والكيسانية والطوائف الغالية الأخرى وأتضح لنا أن هؤلاء لا يمثلون المنهج الإسلامي الصحيح لما في ذلك من تطرف وخروج عن نطاق العقيدة الإسلامية .

أما بعض غلاة الاثنا عشرية – فقد أتضح لنا انهم تأولوا النصوص القرآنية والأحاديث على عقائدهم في الإمامة وما يتعلق بها من مسائل أخرى كفكرة النص أو الوصاية والتقية والعصمة والغيبة والمهدية ... الخ وقد وجدت أن

بعض فقهائهم ومفسر يهم ومتكلميهم غالوا غلواً كبيراً فى تـأويل النصـوص مـن أمثال الكلينى والطبرسى وأبن المطهر الحلى بالإضافة إلى متأخريهم من الشـيخية الذين تخلف عنهم طوائف البابية والبهائية والذين انسلخوا عن مذهـب التشـيع المعتدل وعن الإسلام انسلاخاً كاملاً وكانت لهم آراء وعقائد باطلة وفاسـدة يجـب لفظها من دائرة الشيعة والإسلام وعقائدهم نهائياً غير أننا أبرزنا فيما بعـد مـدى أصالة المذهب الأثنى عشـرى واعتدالـه عنـد علمائـهم المحدثـين الذيـن يريـدون التقريب بين الشيعة وأهل السنة .

وفى الفصل الثالث : ظاهرة التأويل الباطن فـى مذهـب الإسماعيليـة فقـد ركزنا على إبراز الهيكل المذهبى للشـيعة الإسماعيليـة والـذى ينطـوى تحـت مـا يسـمى بفلسـفة البـاطن فبينـا نظريـة الإسماعيليـة فـى فكـرة الظـاهر والبـاطن – واختصاص أئمتهم بالتأويل الباطنى والرمزى للنصوص والقضايا الدينية ثم منـهج الدعوة الإسماعيلية وفن الدعاية التى كانت تمثل الدعامة القوية لنشر المذهب بين الطوائف المختلفة .

أما الفصل الرابع : منهج التأويل فى الإمامة عند الإسماعيلية عرضنا فـى هذا الفصل لأهم جوانب الفلسفة الباطنيـة والتـى قـامت أسسـها وقواعدهـا علـى منهج التأويل فمن ناحية حاول الإسماعيليون تأويل النصـوص والقضايـا الدينيـة تأويلاً رمزياً من حيث استخراج الـدلالات الرمزيـة مـن النصـوص علـى أشـخاص الأئمة واستخراج مدلول الإمامة وما يتعلق بها مـن مسـائل أخـرى مـن النصـوص القرآنية بطريقة متطرفة لا تثير إلا العجب ومـن ناحيـة أخـرى نجدهـم حـاولوا

إدخال المصطلحات والمبادئ الفلسفية ومزجها بالنصوص الدينية وذلك من خلال التأويل الفلسفى فى الإمامة فقد استخدم الإسماعيلية فكرة العقول الأفلاطونية المحدثة وفكرة الأدوار السباعية واستخدموا الأعداد الفيثاغورية وغير ذلك مما يحاولون إيجاد مدلولاته فى نظرية الإمامة الباطنية ثم وضحنا فكرة المطابقة بين عالم الدين وعالم الإيداع الإلهى أو بين عالم "الدين الأئمة " وبين العقول الإبداعية.

ثم أوضحنا كذلك نظرية الإمام القائم أو الإنسان الكامل والعلاقة بين هذه النظرية وبين نظرية فكرة النور المحمدية عند الاثنا عشرية والقطبية عند الصوفية – وظهر لنا مدى امتزاج الفلسفة الباطنية الإسماعيلية بالفلسفة اليونانية والأفكار الغنوصية .

وبعد ذلك أبرزنا الصلة بين مرتبة الإمام ومرتبة النبى فى العقائد الإسماعيلية حيث أتضح أن الإمام مستودع التأويل والباطن للشريعة الإلهية فالنبى يودع وصيه معانى شريعته ثم أظهرنا بعد ذلك طريقة التأويل التمثيلى عند الإسماعيلية متأثرين فى ذلك بالأفكار والنظريات اليهودية والمسيحية إذ أن الإسماعيلية تأولوا ما حدث من أمور فى الدور "المحمدى" بما حدث من أمور فى أدوار الأنبياء السابقين على دوره ..وفى نهاية هذا الفصل حاولنا عقد مقارنة بين مذهب الشيعة الباطنية واستغلالهم للنظريات العددية والحروفية وبين مذهب الصوفية وأتضح أن هناك تقارب بين المذهبين فى استخدام الحروف العددية والتدرج الروحانى وسلمها العلوى .

وفى الفصل الخامس : منهج الشيعة الإسماعيلية فى تأويل الإلهيات والعبادات وأمور الآخرة تناولت موقفهم من التوحيد وتأويلهم للصفات الإلهية ونفيها مطلقا ثم أظهرنا منهجهم فى تأويل الصفات الإلهية وحملها على فكرة العقول الإبداعية ..ومدى استخدامهم للوحدة العددية لإثبات نظريتهم فى التوحيد الإلهى واستخدامهم لجدل الأضداد ثم حاولنا بعد ذلك مقارنة بين منهج الإسماعيلية وبين منهج الفرق والمذاهب الفلسفية والإسلامية فى التأويل الفلسفى لعالم الإبداع الإلهى وما أدى ذلك إلى ظهور نظرية إسلامية فى الكلمة أو اللوجس Logas فقارنت بين فكرة الإسماعيلية فى تأويل كلمة " كن" وبين تأويل متكلمى ألا شاعرة فى فكرة الأمر الإلهى ثم قارنت بين هؤلاء وبين ما ورد من أفكار يونانية ويهودية ومسيحية فى هذا المجال وفى نهاية هذا الفصل تناولت طريقة الإسماعيلية فى التأويل الرمزى والباطنى لأمور الشريعة فى العبادات والحياة الأخرى .

وأتضح أن فلاسفتهم وفقهائهم وان كانوا يؤمنون بالأدلة الظاهرية ويؤكدون على ذلك غير أنهم ينزلونها على معانى ومدلولات رمزية وباطنية تخالف قواعد الإسلام عند جمهور المسلمين من أهل السنة والأصوليين .

الباب الثالث : التشيع المعتدل وموقف علماء السنة والعصر الحديث من الشيعة الباطنية :-

تناولت من خلال هذا الباب مذهب الشيعة المعتدلة والذى يمثل أصالة المذهب الشيعى عند الزيدية والمعتدلين من الاثنا عشرية متكلمين وفقهاء ثم

أوضحت بطريقة منهجية مركزة موقف علماء العصر الحديث وأهل السنة من تيارات الغلو الباطنى عند الشيعة وتفنيدهم لمزاعمهم ورفضها نهائياً .

ففى الفصل الأول : التشيع المعتدل : أظهرت مدى الأصالة الفكرية والفقهية والعقائدية عند أئمة آل البيت الشريف وقد ركزت على ثلاثة من هؤلاء الأئمة لمعاصرتهم لهذه التيارات الغالية ورفضهم الشديد لآرائهم وتبرئهم مما نسبه إليهم الغلاة من آراء وأفكار تخالف منهج أهل السنة وجمهور السلف الصالح فتناولت مذهب الإمام على زين العابدين ثم الإمام محمد الباقر وكذلك الإمام جعفر الصادق ثم أشرنا بعد ذلك إلى مذهب الشيعة الزيدية واتضح لنا أنهم لا يكادون يختلفون عن مذهب أهل السنة وجمهور المسلمين خاصة فى القضايا الأصولية ، ولا شك أن آرائهم فى مسألة الإمامة وقولهم بتوليه المفضول مع وجود الأفضل خير دليل على عدم التعصب المذهبى أو الغلو الذى وجدناه عند غلاة الشيعة والإسماعيلية وبعض الاثنا عشرية .

وبعد ذلك أردنا أن نظهر مدى أصالة الفكر الاثنا عشرى وجوانبه المعتدلة واتضح لنا أن الاثنا عشرية يمثلون أعدل فرق الشيعة الأماميةبغض النظر قليلاً عما ظهر عند بعضهم من أفكار غالية فى مسألة الإمامة .

كذلك فإن هناك الكثيرين من علمائهم يحاولون التقريب بين مذاهبهم وبين مذاهب الجمهور ونسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين إلى ذلك من أجل رأب الصدع الذى حدث فى الوحدة الإسلامية .

وفى الفصل الثانى : موقف علماء السنة والعصر الحديث من الشيعة

الباطنية فقد ركزنا على موقف بعض الشخصيات البارزة والهامة والتى وقفت بشدة أمام تيارات الباطن ووجهت إليها سهام النقد - فأوضحت موقف الإمام الغزالى كممثل للاتجاه ألا شعرى عند المتكلمين - ثم بينت موقف الإمام السلفى أبن تيميه كممثل للاتجاه السلفى ثم أظهرت موقف العلماء والباحثين فى العصر الحديث من هذه التيارات الباطنية والفلسفية وخطورتها على الفكر الإسلامى وقضاياه الفقهية والأصولية - وركزت على مدرسة الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغانى ومحمد رشيد رضا - وفى النهاية نسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين الى تحقيق الوحدة والتصدى لتيارات الإلحاد والتشكيك وإبراز الأضالة الإسلامية وأهمية الإسلام فى إصلاح الشئون الدنيوية والأخروية .

منهج البحث وأهدافه :-

استخدمنا المنهج التاريخى التحليلى المقارن من حيث التتبع التاريخى للطوائف والفرق الشيعية بقدر ما يخدم أغراض البحث والدراسة ثم قمنا بتناول آرائهم المذهبية وتأويلاتهم الباطنية والرمزية المجازية للنصوص والقضايا الدينية بالتحليل والنقد ومقارنتها بغيرها من المذاهب الفلسفية والدينية حتى يتثنى لنا الخروج بنتائج لها أهميتها ودلالتها فى الكشف عن مضمون هذا الذهب وخطورته فى مجال الفكر الفلسفى والإسلامى وقد واجهت الباحث صعوبات كثيرة أهمها صعوبة الحصول على المصادر الأساسية وغموض النظريات الباطنية ، أما من حيث الأهداف التى دفعت الباحث الى تناول هذا الموضوع فيتضح ذلك بإيجاز فيما يلى :-

أولاً :- أن هناك موضوعات كثيرة تتعلق بالفلسفة الإسلامية ثم بحثها ودراستها وان الخوض فيها يكون مضيعة للوقت دون فائدة - ونحن بحاجة شديدة إلى أبحاث تخدم أغراض الفكر الإسلامى فى نواحيه المختلفة وبصفة خاصة ونحن نمر بمنعطف خطير أختلط فيه الحابل بالنابل دون تمييز الفكر الغث من الثمين - فإذا كان فقهاء السنة وعلماء الأصول قد كونوا جبهة قوية متماسكة دافعت عن الإسلام وأبرزت أصالة الفكر الإسلامى على مر العصور فلا شك أننا بحاجة شديدة ليس إلى إبراز هذه الأصالة وحسب بل يجب الكشف عن التيارات الضالة والمضلة التى تريد القضاء على العقيدة والتى تغذيها أفكار أو فلسفات الحادية وأجنبية ثم تتخير المنهج الفلسفى والعلمى فى مناقشتها وتفنيد مزاعم أصحابها مستندين فى ذلك إلى منهج الكتاب والسنة والسلف الصالح .

ثانياً :- نحن فى حاجة شديدة الى تحقيق الوحدة الإسلامية والعربية وذلك عن طريق رأب الصدع الذى أدى إلى تفكك المسلمين وذلك عن طريق التقريب بين وجهات النظر والمناهج الفكرية وتنقية التراث الإسلامى مما علق به من عناصر وتأويلات غريبة بعيدة عن منهج أهل السنة والمعتدلين من الشيعة ما دامت الأصول الإسلامية واحدة فلا فرقة ولا اختلاف ولا بدعة ولا ابتداع - ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً .

ثالثاً : لقد لاحظ الباحث أن الكثير من علماء الاستشراق قد يهتمون أهتماماً بالغاً بدراسة هذه التيارات الفلسفية والدينية المتطرفة خاصة فى مجال

الدراسات الإسلامية وعلى سبيل المثال نلاحظ أن نيكلسون Nicholson ولويس ماسينيون Leuies Massignon اهتم اهتماماً كبيراً بدراسة الصوفية والمذاهب الإشراقية وعلاقتها بمناهج الشيعة الباطنية والملل والنحل الأخرى كاليهودية والغنوضية - وكذلك نجد العالم اليهودية اجناتس جولد تسهير Goldzehar أهتم بدراسة مذاهب التفسير الإسلامى وبصفة خاصة فرق وطوائف الصوفية والشيعة على اختلاف طوائفهم فما هو السر وراء تعلق هؤلاء الباحثين المستشرقين بدراسة الحركات الغالية والمتطرفة والتى سادت فترات من الزمن فى الفكر الإسلامى بينما نجدهم يغضون النظر عن مذاهب الجمهور من المسلمين ومعتدلى التشيع ؟ لا شك أن هؤلاء ، تنبهوا الى خطورة هذه المذاهب فى الإسلام ومدى عدائهم الشديد لمذهب الجمهور وبالتالى يحاولون بعثها من جديد من اجل الكيد والتحطيم الداخلى للإسلام وأثاره لفتن والدسائس بين المسلمين فإذا كان ذلك كذلك فنحن المسلمون أولى أن نتناول هذه الطوائف بالدراسة والبحث ومحاولة تنقية التراث الإسلامى ما يخالف العقائد الصحيحة للتقريب والتوفيق بين المسلمين ومن ناحية أخرى تحاول إظهار الجوانب العلمية الإسلامية الصحيحة فى المذاهب الإسلامية للرد على المستشرقين الذين يحاولون تقديم المذاهب الإسلامية الى العالم بصورة مشوهة ناظرين إليها بالعين العوراء فقط .

وبعد

فأنني أشهد الله أنني لم أدخر وسعاً فى خدمة هذا البحث من خلال هذا الكتاب وإنما بذلت فيه قصارى جهدى ولا أدعى أننى وصلت به حد الكمال فإنما الكمال لله تعالى وحده ، ولكنها محاولة أقدمها عسى أن تنال القبول لدى علمائنا وباحثينا فى مجال الدراسات الفلسفية الإسلامية وما زالت الرغبة الصادقة قائمة فى نفسى على مواصلة البحث والدراسة راجياً من الله تعالى التوفيق والسداد .

" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة

أنك أنت الوهاب "

صدق الله العظيم

" سورة آل عمران (٨)"

"وأخيرا دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

طنطا فى يوم الجمعة الموافق :

٢٧ – / يناير ١٤٢٢هـ

١١ – / يناير ٢٠٠٢م

دكتور

محمد محمود عبد الحميد أبو قحف

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الباب الأول

الشيعة الباطنية وتطورهم

محتويات الباب الأول :-

الفصل الأول

ظاهرة التشيع

تمهيد :

الشيعة من اكبر الفرق والمذاهب الإسلامية وأكثرها ثباتاً فى تاريخ الإسلام الدينى والسياسى والحضارى والتى تقابل مذهب أهل السنة والجماعة الذين يمثلون جمهور المسلمين وقد كانت الشيعة مثار قلق واضطراب منذ أن تبلورت عقائدها فى تاريخ الحضارة الإسلامية على مر العصور وربما كانت الإمامة أو "الخلافة " من أهم المسائل التى ثار حولها الجدل واحتدم النقاش بين الشيعة على اختلاف طوائفهم وبين جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة .

تلك المسألة " الإمامة – الخلافة " التى وقى الله تعالى المؤمنين شر فتنتها منذ انتقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى عندما قام عمر بن الخطاب وأبو عبيده طالبين من أبى بكر أن يبسط يده ليبايعانه لأنه أفضل المهاجرين وثانى اثنين فى الغار وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين(١).

وإذا كان هذا أول اختلاف يحدث بين المسلمين عقب انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وهو كما يصفه الإمام أبو الحسن الأشعرى (٣٣٠ – ٩٤١) (بأنه أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم اختلافهم فى الإمامة(٢)ولكن الاختلاف هنا كان سياسياً محضاً وليس دينياً ولم يتسع لأكثر مما حدث .

---

(١) الدكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، ص ٢٧ ط دار الأنصار سنة ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧.
(٢) نفس المصدر السابق ، ص٢٨ كذلك نظرنا : الاشعرى مقالات الإسلاميين حـ١ ص ٣٩ تحقيق هريتر، ط أستا نبول ١٩٢٩.

غير أن الشيعة قد حوا فى مبايعة أبى بكر للخلافة فيما بعد مستندين الى حجج ومعتقدات واهية ليس لها ما يؤيدها تأييداً قاطعاً .. والتى سوف نفندها فيما بعد وخاصة نظريات النص والتنصيص – والعصمة – والمهدية – والتقية – وعلم الجفر – والعلوم الباطنية أو السرية .

ومن الجدير بالذكر أن الشيعة باستثناء بعض المعتدلين منهم قد اصطنعوا منهج التأويل كطريقة علمية وفنية من أجل استخراج النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والمأثورات وتأويلها طبقاً لمذهبهم فى مسألة "الإمامة – الخلافة " .

وكما سنرى أن الشيعة استطاعوا تأويل النصوص والأحاديث طبقاً لمذهبهم واعتقادهم بأن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه هو الأحق بتوليه الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأردوا بمثل هذه التأويلات إثبات أن توليه الإمامة عند المسلمين تكون بالنص أو التعيين وأنها تتوارث فى ذرية الرسول وآل بيته عليهم السلام .

ولما كان موضوع هذه الرسالة يختص ببحث " مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية كدراسة تحليلية نقدية " لذلك فإن الجانب الأكبر سوف يتناول النظريات الشيعية والباطنية التى تدور حول مسألة "الإمامة " عند غلاة الشيعة وبعض غلاة الاثنا عشرية والإسماعيلية . وردود أهل السنة والسلف على هؤلاء الغلاة والمتطرفين وموقف أهل الشيعة المعتدلة من ذلك .

وقبل أن نتعمق فى موضوع البحث أرى من واجبى أن استهل بحثى باستقصاء بداية التشيع الباطنى الذى يدور حوله البحث بطريقة موجزة ومختصرة ذلك كأمر ضرورى لكى نخطو بعد هذه الخطوة فى طرح النقاش الواسع حول مذهب

التأويل عند الشيعة الباطنية والاختلاف الكبير بينهم وبين المذاهب والفرق الأخرى.

وفى هذا الباب نتناول بإيجاز : أصل كلمة الشيعة - ثم ظاهرة التشيع سياسياً وعقائدياً - وبعد ذلك فرق الباطنية من الشيعة وتكوينهم المذهبى وهم غلاة الشيعة وبعض غلاة الاثنا عشرية والإسماعيلية وذلك كتحديد تاريخى ومنهجى نتناول من خلاله تحليل ونقد المذهب الشيعى الباطنى فى التأويل .

أولاً : كلمة الشيعة لغوياً واصطلاحياً :-

لا نريد أن نتوسع كثيراً فى هذه الناحية سوى أن نثبت أن كلمة الشيعة ليست من اصطناع الشيعة أنفسهم كاصطلاح فنى يحددهم كمذهب متميز عن غيرهم من المذاهب الأخرى بقدر ما نريد أن نبرز أن له أصولاً وجذوراً عميقة فى اللغة والتاريخ الحضارى - الإسلامى .

وبذلك يمكن التدليل على بطلان دعواهم فى أنهم حزب سياسى أو عقائدى ظهر وتكون فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أو خلفائه الراشدين .

١- أصل الكلمة فى اللغة :-

كلمة " الشيعة " أصيلة فى اللغة العربية وفى الشعر العربى وفى القرآن الكريم - وقد اهتم أصحاب المعاجم اللغوية بتخريج معانيها على الأسس التى تتفرع منها هذه المعانى . فقد ذكر ابن فارس (أبو الحسين أحمد ت ٣٩٥هـ) بأن الشين والياء والعين جذر له أتصلان : يدل أحدهما على معاضدة ومساعدة ، والأخر : على بث وإشادة[1] وذكر مجد الدين بن الأثير الجزرى (أبو السعادات المبارك بن محمد

---

(١) ابن فارس (أبو الحسين أحمد) مقاييس اللغة ، جـ٣ ص٣٥ تحقيق عبد السلام هارون ، ط مصر ١٣٦٦هـ .

الشيبانى ت ٦٠٦ هـ) أن أصل الشيعة من : المشايعة" وهى المتابعة والمطاوعة[١].

وإذا تتبعنا اشتقاقاتها نجدها تدل على معانى الظهور والانتشار والموالاة والنصرة ... الخ . وشيعة الرجل : اتباعه . وشيع : أى كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض[٢].

وقد اكتسبت هذه الكلمة بحكم سريانها على الطائفة والولاء الدينى مرونة إذ أنها تصدق على المذكر والمؤنث والمفرد والجمع فكلهم شيعة ، ويغلب عليها جمع المتشابهات دون مراعاة المنع ووضع الحدود الفاصلة[٣].

ولا شك أن مرونة كلمة " الشيعة " تبين أصالتها فى الدلالة على خصيصة الأقوام الذين دانوا بهذا المذهب ، وعلى طابعهم المزجى فى التقائهم فى نقطة البدء التى جمعتهم على القول بفضل على بن أبى طالب كذلك فإن رسوخ هذه الكلمة فى الدلالة على حملة هذه العقيدة يعد نموذجا من عبقرية الظروف التى فرضت هذا اللفظ وحدة ليعبر عن حقيقة الأمر فعلا...[٤].

وقد ورد استعمال هذه الكلمة فى الشعر العربى القديم فى قصيدة "الكعب بن زهير (ت ٢٦ هـ) قال فى وصف الذئب حين سأله حيان بن عوف، يا كعب لم لا تشترى الغنما قال:

إن يغدو فى شيعة لا ثينه نهر .. وإن غدا واحدا لا يتقى الذئب[٥].

---

(١) مجد الدين بن الأثير ، النهاية فى غريب الحديث والأثر جـ ٢ ص ٥٢ تحقيق طاهر الزواوى ، ط مصر ١٩٦٣.

(٢) بطرى البستانى ، محيط المحيط (المجلد الأول) ص ١١٤٩، ط ١٨٦٧م.

(٣) ابن منظور (أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصرى ت ٦٣٠هـ) لسان العرب حـ ٩ ، ص٥٤ ، ط بولاق ، ١٣٠١هـ

(٤) دكتور كامل مصطفى الشيبى ، كلمة شيعة فى اللغة والتاريخ ، مجلة كلية التربية عدد "٣" الجامعة الليبية ص ١٨١ . ط ١٩٧٢م.

(٥) المصدر السابق .

ووردت فى آيـات كثـيرة مـن القـرآن الكريـم منـها قولـه تعـالى فـى سـورة القصص آية(١٥).. " فأستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه " .

٢- الأصل الاصطلاحى :-

وكمـا كـان لكلمـة الشـيعة أصـلاً لغويـاً فكذلـك كـان لهـا أصـلاً واسـتخداماً اصطلاحياً وذلك قبل أن تتكون فرقة الشيعة كمذهب عقائدى أو سياسـى يجـادل فـى توليه الإمامة "الخلافة " . من ذلك وردت فى الأخبار والتواريخ منها قول عمر ابن الخطاب فى الهرمزان عندما آتو به أسيراً ومعه اثنى عشـر مـن رجالـه إلى المدينـة " الحمد لله الذى أذل هذا وشيعته بالإسلام " وقد تكرر الاستخدام الاصطلاحى للكلمـة فى صك التحكيم بصفين " سنة ٣٧هـ" بالعبارة التالية " هذا ما تقاضى عليه على بـن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وشيعتهما فيما تراضيا من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم [(١)]".

ومن الواضح أن استخدام كلمـة الشـيعة لم تكـن مـن إخـتراع حملـة مذهـب الشيعة فيما بعد وإنما كانت كلمة رائجة فى اللغة والأخبار فى الجاهلية والإسلام، وقد استغلها أنصار على بن أبى طالب استغلالاً فنياً لكى تدل علـى مذهبـهم وثبتـت بقوتها الذاتية الى جانب كلمتى المهاجرين والأنصار .

ثانياً : ظاهرة التشيع سياسياً وعقائدياً :-

بدأ التشيع كحزب سياسى وعقائدى له معاملة الواضحة عندما أشتد الجـدل والنقاش حول "الإمامـة" كمسـألة أعتقاديـه حمـل لـواء المواجهـة فيـها أهـل السـنة والجماعة فى مقابل الشيعة .

ولم تتبلور عقائد الشيعة فى وقت مبكر كما يدعى أهل التشيع ولكن كانت

---

(١) أبن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ ٥ ، ص٦٤ ط ليدن سنة ١٣٣٣ هـ كذلك دكتور كامل الشيبى ، كلمة شيعة فى اللغة والتاريخ ، ص ١٨٨ .

هناك بوادر الانقسام وظهور الفرقة بين المسلمين بعد مقتل الخليفة الثالث " عثمان رضى الله عنه " " فينما بايع الصحابة علياً رضى الله عنه ، رأى معاوية الاقتصاص أولاً من قتلة عثمان ثم اقتتل الفريقان وظهر التحكيم.. وألح أصحاب على على التحكم بالرغم من معارضته ولما أطاعهم كارهاً عاد اتباعه فأعلنوا أنه لا حكم إلا لله وخرجوا عليه وكفروه وأستتبع ذلك انقسام المسلمين : فظهر فريق يؤيد على بن أبن طالب ، وفريق آبى الخوض فى النزاع ومن ثم ظهر التشيع فى بدايته لتأييد على ثم تحول إلى عقائد كلامية عند مقتل الحسين بن على فى موقعة كربلاء[١]".

وقد زعم علماء الشيعة أن التشيع ظهر فى عهد مبكر يرجع الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ذهب مؤرخوهم " إلى أن الشيعة ظهرت منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم وان الرسول بنفسه هو الغارس لبذرة التشيع[٢] ".

ويروى بعض الشيعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لأعرابى حين سأله عن ولاية علىّ بن أبى طالب قال " أنه إذا كان يوم القيامة يؤتى بمنبر فينصب بين منيرين " منير إبراهيم عليه السلام ومنير محمد صلى الله عليه وسلم " وعلى علىّ كرسى الكرامة ... وما هبط جبريل إلا وسألنى عن علىّ وشيعته ..إلى آخر الحديث[٣].

وهناك آراء كثيرة ومختلفة يرويها بعض المؤرخين أو علماء الشيعة أنفسهم " منها ما يرجع بدء التشيع إلى فرق الصحابة الذين أخلصوا الحب لعلىّ ورأوه الأحق بتولى الخلافة بما له من صفات ومن أشهرهم ، سلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى ، والمقداد بن الأسود[٤] وقد أطلق عليهم شيعة على ALIDS لتأخرهم عن

---

(١) دكتور مصطفى حلمى ، قواعد المنهج السلفى ، ص ٦٣ ، ص ٦٤ طـ دار الأنصار ١٩٧٦ .
(٢) محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، ص٧٠ طـ مكتبة العرفان بيروت بدون تاريخ
(٣) الداعى الإسماعيلى ، ثقة الإمام علم الإسلام المجالس المستنصرية ص٩٣ تحقيق دكتور محمد كامل حسين ، ط دار الفكر العربى بمصر بدون تاريخ .
(٤) أحمد أمين ضحى الإسلام جـ٣ ص ٢٠٩ طـ مكتبة النهضة المصرية بنسبة ١٩٧٨ .

البيعة[1].

ومن غير أن نستطرد فى ذكر العديد من الآراء والنظريات التى ترجع بدء التشيع الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو إلى عهد الصحابة الأوائل سواء من مؤرخى التشيع أنفسهم أو من غيرهم[2] فإننا يمكن أن نرد على هذه الآراء الخالية من الثقة والعارية عن الصحة والتى لا تثبت أمام النقد التاريخى والتحليل العلمى طبقا للمنهج الموضوعى فإننا نعطى بعض النظريات أو الآراء القريبة من المصادر الأساسية والأصول التاريخية .

فمن الخطأ أن نأخذ بمثل هذه النظريات الشيعية بل يجب التحرى والدقة حيث أن مذهب التشيع يتسم بالتطرف والغلو سواء فى تناول الشيعة للنصوص القرآنية والأحاديث بالتأويل أو فى محاولتهم أستنباط ما يدل على نظرياتهم طبقا لاتجاههم المذهبى ..وعلى ذلك يمكن أن نرد على أدعاءات الشيعة بان الرسول صلى الله عليه وسلم جاء ليعلن كلمة التوحيد الكبرى ، ويعلن فى الجانب الأخر أنه لا فرق بين عربى أو أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وأن التفاضل بين الناس إنما يكون فى الدرجات الإيمانية ، وأن الولاء لا يكون إلا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأن الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة نبيه فرض واجب فى الإسلام " لم يكن بين يدى "الرسول صلى الله عليه وسلم شيعة ولا سنة ، ولقد أعلن القرآن الكريم أن الدين عند الله الإسلام لا التشيع ولا التسنين أتى الإسلام ليرفع الحجز بين الناس ويهاجم الفرقة والخلاف " لم يكن هناك شيعة روحية ولا سياسية بين

---

(١) Encyclopeadia of A slam, p,325-Leden, London, 1927.

(٢) يرجع فى ذلك إلى: أبن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٣ ط ليبسك سنة ١٨٧١م، كذلك السيد محمد الأمين الحسينى العاملى ، أعيان الشيعة ، جـ ١ ص١٤ ، ص١٩ مطبعة ابن زيدون بدمشق ، ١٩٣٥م.

النبوة ، ولم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح على الإطلاق أيان ذلك الوقت ولا فى ولاية أبى بكر ، ولا نرى كذلك الشيعة تلتف حول على بن أبى طالب بالمعنى المفهوم الآن من مصطلح الشيعة[١]".

ذكر اليعقوبى وهو مؤرخ قديم ت (٢٨٢هـ) أنه لما تم الأمر فى غيبه بنى هاشم وقف عتبة ينشد شعراً فبعث علىّ بن أبى طالب إليه فنهاه .. كذلك لم تذكر كلمة الشيعة فى هذا الوقت المتقدم لتدل على الحزب السياسى أو العقائدى ..[٢]وإذا كانت كلمة الشيعة قد ظهرت أيام علىّ بن أبى طالب غير أنها كمصطلح أطلق على أنصار معاوية أثناء صك التحكيم كما ذكرنا سابقاً كذلك استخدم معاوية هذا المصطلح فقال ليسر أبن أر طأه حين وجهه إلى اليمن " أمعن حتى تأتى صنعاء فإن لنا بها شيعة[٣]" يضاف إلى ذلك أن إطلاق كلمة الشيعة على أصحاب علىّ بن أبى طالب كانت تطلق إطلاقاً عاماً موازياً للعبارات المستخدمة فى ذلك الوقت مثل ، صحابة أنصار مهاجرين .. وعلى ذلك فقد أستعلمت بهذا المعنى العام دون تخصيص بالحزب العلوى[٤]ومن الواضح أن هناك اختلاف بين المؤرخين من الشيعة وأهل السنة حول بداية التشيع كظاهرة عقائدية أو سياسية ولكن "اختلاف الرأى فى مثل هذه الحالة لا ينبغى أن يؤخذ كدليل على بداية التشيع لأن الملتفين حول علىّ بن أبى طالب حينئذ لم يكن يجمعهم ألا حبهم له وتفضيله على غيره لا على أساس النظرية الشيعية التى وضعت معالمها وفق منهج كلامى لم يكن الصحابة الإجلاء

---

(١) دكتور على سامى النشار ، نشأ الفكر الفلسفى فى الإسلام ،جـ٢ ، ص١٥ (نشأة التشيع وتطوره) طـ دار المعارف ، ١٩٦٥م.

(٢) رجعنا الى اليعقونى ، تاريخ اليعقونى ، جـ ٤ ، ص٢٠٦ ، طـ النجف ١٣٥٨هـ .

(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ٢ ، ص١٩.

(٤) دكتور كامل الشيبى ، الفكر الشيعى والنزعات الصوفية (حتى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى) ص١٥ طـ النهضة ببغداد سنة ١٩٦٦م.

على علم به[1]".

وإذا كان هناك استعداد وتهيؤ لظهور التشيع فى البيئة الإسلامية فان ذلك يرجع " فيما يميل إليه فقهاء أهل السنة وكتاب الفرق وعلماء الكلام منهم إلى إرجاع نشأة الشيعة إلى عبد الله بن سبأ اليهودى الذى اسلم تظاهرا بغرض الكيد للإسلام وتقويض دعائمه من الداخل – ورغم وجود معارضين ومؤيدين لهذا الرأى من المؤرخين والعلماء – غير أنه من الثابت تاريخياً وجود أثر لهذا اليهودى فى إثارة نار الفتنة بين المسلمين – وهو صاحب نظرية – أن لكل نبى وصى وان علياً كان وصياً للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما أن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، فإن على هو خاتم الأوصياء كذلك يرجع المؤرخون وعلماء المذاهب الأفكار والعقائد الغالية والمتطرفة إلى دعواه بأن فى على جانبا إلهيا[2]وغير ذلك مما سوف نكشف عنه النقاب فى الفصول . القادمة بطريقة أكثر استفاضة وتحليلا ونقدا – حيث أن هذه الحركات الغالية سيكون لها أثر كبير فى تدعيم وإثراء المذهب الشيعى الباطنى فى التأويل للنصوص والعقائد الإسلامية.

وإذا كانت ظاهرة التشيع بدأت بذورها الأولى فى صورة آراء متطرفة لنظريات غاليه تنادى بأحقية على بن أبى طالب فى توليه الإمامة " فإنها مجرد إجراءات سياسية أكثر منها عقائدية أو دينية فالخلاف سياسى ولكن المتطرفين والغلاة " مثل السبأية " أخذت فى بث الآراء الغالية مثل إضفاء صفة الألوهية أو الوصاية على على بن أبى طالب من أجل إيجاد الأسانيد بالتأويل المنحرف للطعن فى خلافة الشيخين وعثمان وكذلك الطعن فى نظام الأختيار والبيعة – ومنذ ظهور هذه

---

(١) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، ص١٩٦.

(٢) المصدر السابق ، ص١٩٦،ص١٩٧، وللمزيد من ص١٩٧، ص٢٠٥ ، كذلك المقريزى الخطط والآثار، جـ٤ ص١٤١ ، طـ النيل بمصر ، سنة ١٣٢٦ هـ

التيارات الغالية بدأت تتبلور عقائد وأتجاهات مذهب التشيع .

ولكن المذهب الشيعى ظهر بصورة أكثر من الناحية السياسية والعقائدية بظهور فرق الشيعة وتكوينها وذلك بعد مقتل الإمام الحسين بن على شهيد كر بلاء العظيم عام "٦١هـ" وبعد فشل حركة "التوابين" عام ٦٥هـ.

وباختصار فقد قامت حركة التوابين بقيادة "سليمان بن صرد الخزاعى" الملقب بشيع الشيعة من أجل طلب الثأر لمقتل الإمام الحسين بن علّى ضد الأمويين .. غير أنها فشلت وقتلوا فى هذه المعركة .. وقد استندوا فى تلك الثورة ضد الأمويين إلى قوله تعالى " فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم أنه هو التواب الرحيم " " سورة البقرة(٥٤)[(١)]".

والذى يمكن أن نستخلصه من ذلك هو أن "ميتة الشهداء التى ماتها الحسين بن على قد عجلت فى التطور الدينى للشيعة حزب الإمام على بن أبى طالب والذى أصبح فيما بعد ملتقى جميع النزعات المناوئه للعرب "الشعوبية[(٢)]".

تكونت الشيعة إذا بعد مقتل الإمام الحسين بن علىّ وليس قبل ذلك لأنه من المستبعد أن يلقى الحسين هذا المصير وهو فى منعه من المؤيدين والأتباع ، فالعدد الذى التف حوله كان ضئيلاً ، وقد يرجع السبب الأول فى استشهاده إلى خزلانه والتخلى عنه بعد أن كاتبوه ودعوه لينصرونه[(٣)].

وإذا كانت الشيعة قد ظهرت على أثر مقتل الحسين فيجب أن نذكر أن ظهورها تم فى إطار المحبة لآل البيت النبوى ، ولم تظهر فى إطار كلامى فلسفى

---

(١) رجعنا الى : دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، جـ٢ ص٢١ .
- كذلك دكتور كامل الشيبى ، كلمة الشيعة فى اللغة والتاريخ ، ص١٩٩ .
- كذلك دكتور كامل الشيبى ، الفكر الشيعى ، ص ١٥ .

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص١٢٨ ، ترجمة نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكى، طـ دار العلم للملايين طـ بيروت ، سنة ١٩٦٨م.

(٣) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، ص٢٠٢ .

فالتشيع إذن فى بداية مرحلته كان عنواناً على الالتفاقات حول أهل البيت ومحبتهم ولهذا تكونت الشيعة حقاً بعد مقتل الحسين عليه السلام فرقة دينية تتدبر الأمر[١].

وعلى ذلك ظهرت كلمة الشيعة الحسينية على يد " المختار بن أبى عبيد الثقفى " والتى عرفت بفرقة الشيعة المختارية أو الحنفية أو الكيسائية" فيما بعد وانتسبت هذه الفرقة إلى الإمام محمد بن الحنفية بن الإمام علىّ بن أبى طالب وقد اجتمعت عليه الشيعة فى الكوفة بعد مقتل المختار بن أبى عبيد – أخذت الشيعة تتكون كفرقة دينية كلامية تضع أصول التشيع ولكن لم تصل الشيعة إلى وضع مذهبها النهائى إلا فى عهد أمامه جعفر الصادق[٢].

وباختصار شديد فإن التشيع فى إرهاصاته الأولية كان يتخذ المظهر السياسى والذى يؤدى إلى نشوب الحرب والاقتتال وبعد ذلك أخذ يمتزج بالطابع الدينى والعقائدى بعدان فشلت الحركات الثورية والحربية : وبدأت تتكون الفرق والطوائف الشيعية ويجتهد أصحابها فى استخلاص ما يؤيد مواقفهم الحزبية والسياسية من نصوص القرآن الكريم أو باستحداث روايات ومأثورات غير صحيحة ويؤولونها تأويلا متطرفا بحيث توافق مذاهبهم .

ومن هنا بدأت تظهر الآراء والنظريات الغالية فى حق أئمة آل البيت الشريف ، وبدأ منهج التأويل يعمل أثره فى هذه الفترات المتعاقبة " وعلى مدى الأحداث المتكررة والتى تكاد تتشابه أخذت الفرق تتشكل وتتضارب فى الآراء والمعتقدات ويصطدم الباحث بالفرق المتباينة الكثيرة العدد[٣].

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٠٤ ، دكتور النشار ، نشأة الفكر جـ٢ ص٣١.
(٢) دكتور النشار ، نشأة الفكر جـ٢ ص ٢١ .
(٣) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص٣٠٦.

ومن الجدير بالذكر أن الشهرستانى قد جمعهم فى تعريف يضعهم فى الخطوط السياسية والعقائدية لمعتقداتهم " فهم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية أما جلياً وأما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وأن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده . وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحيه تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بتنصبهم .

بل هى قضية أصولية ، وهى ركن الدين ، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله .. ولا تفويضه إلى العامة وإرساله . ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى والتبرى قولاً ، وفعلاً وعقداً ، إلا فى حالة التقية..."[1].

ثالثاً : ظهور فرق الشيعة :-

منذ البداية يجب أن نعرف " أن نقطة البدء فى ظهور آية فرقة إسلامية لا بد أن نتلمسها فى البيئة الإسلامية ذاتها ، وفى حياة المسلمين فكرياً وعقائدياً وسياسياً واجتماعياً ..وان التأثر بالمصادر الأجنبية لا يكون أما لدى الغلاة أو فى مرحلة متأخرة من تاريخ الفرقة . وهذا يعنى أن الأصول الأجنبية لا تشكل جوهر العقيدة وستظل غريبة ولا تعبر عن أنبعاث فكرى داخلى فى الروح الحضارية[2]الإسلامية وعلى ذلك فإن التشيع منذ بدايته الأولى كان تعبيراً عن آراء بسيطة ترى وجوب أن تكون الإمامة فى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم متمثلاً ذلك فى على بن أبى طالب ولكن عندما تمت البيعة لأبى بكر وسارت فيما بعد إلى عمر وعثمان لم يعترض أحد من الصحابة أو المسلمين " وكانت فى عهدها الأول

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ١ ص ١٤٦ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، طـ الحلبى ، القاهرة الحديثة بدون تاريخ .

(٢) دكتور أحمد محمود صبحى فى علم الكلام ، ص ٢٩٦، طـ دار الكتب الجامعية ١٩٦٩ .

عربية تفصح عن مطامح شرعية ولم تتأثر بأفكار اجتماعية دينية[١].

ولكن بعد مقتل عثمان رضى الله عنه زادت فكرة تكوين حزب علوى يشايع على بن أبى طالب فى توليه الخلافة تأصيلاً لدى القائلين بأولويته "وفى الجمعيات السرية التى كانت منتشرة فى أواخر عهد عثمان تدعوا إلى خلعة وتوليه على[٢] وقد كان المسلمون فى ذلك العهد على ولاء وحب لآل البيت وقد كان على بن أبى طالب يدافع عن الحق وتوحيد كلمة المسلمين ، ولم يكن له مطمع فى سلطة ومما يدل على ذلك ما ورد عن على بن أبى طالب فيما ذكره أبن عباس قال " دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب "بذى قار" وهو يخصف نعله فقال له ما قيمة هذا النعل، فقال ابن عباس : لا قيمة لها ، فقال عليه السلام والله لهى أحب إلى من آمرتكم - إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً[٣].

وأريد مما سبق أن أقول أن النظريات الشيعية الغالية والتى ظهرت فيما بعد لم تكن موجودة فى هذه الفترة المتقدمة ، وبذلك لم يكن هناك إطار نظرى يمتزج فى داخله المعتقدات السياسية بالمعتقدات الدينية والعقائدية . التى استغلتها فيما بعد فرق الشيعة بعد تكوينها مذهبياً . والمعروف أن الإمام على بن أبى طالب وأئمة آل البيت جميعاً حاربوا هذه النظريات الغالية والمتطرفة التى لجأ إليها الغلاة وحاولوا تخريجها من النصوص القرآنية والمأثورات سواء بالتأويل أو بإدخالها فى أحضان العقيدة بقصد التخريب الداخلى لها .

وإذا كانت كل فرقة تحاول أن تثبت مكانتها بين الفرق الأخرى ، وتحاول

---

(١) دكتور برنارد لويس ، أصول الاسماعلية " بحث تاريخى فى نشأة الخلافة الفاطمية " ص٨٣ ، ترجمة خليل جلو ، جاسم الرجب ، ط دار الكتاب العربى بدون تاريخ .
(٢) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص٢٥٣ ، ط مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٨ م.
(٣) الشريف أبو الحسن محمد الرضى ، نهج البلاغة ، جـ١ ، ص٧٦ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ط، الاستقامة بمصر بدون تاريخ .

تدعيم أصولها ونظرياتها بكل الوسائل المتاحة لها . فلا شك أن فرق الشيعة حاولت ذلك منذ البداية مما أدى إلى إلحاق الأضرار الخطيرة بالإسلام . وتشويه معالم المذهب الشيعي فيما بعد ، خاصة إذا أدى الأمر الى دخول عناصر خارجية بقصد الحقد على الإسلام ، وهذا ما تنبه إليه عليّ بن أبى طالب حين أمر بإحراق غلاة السبأية الذين قالوا بألوهيته وطرد زعيمهم عبد الله بن سبأ اليهود الملقب " بابن السوداء[١]".

بدأت الفرقة الشيعية فى الظهور والتكوين منذ أن بدأت تتحدد النظريات فى إطار نظرى وعملى تنصهر من خلاله الآراء وتظهر المبادئ وتصدر الأوامر وتلقن التعليمات .

وباختصار شديد فإن فرق الشيعة كثيرة مختلفة ومتشابكة فيما بينها ، ولكن نحددها فى خطوط عريضة ومجملة بما يفيد بحثنا دون الدخول فى التفاصيل حيث أن ذلك منوط بالدراسات التاريخية . وسوف نعطى فكرة موجزة كذلك عن هذه الفرق فيما بعد عندما تتناول مذاهبهم فى التأويل .

يذهب الشهرستانى الى تقسيم فرق الشيعة إلى خمس فرق كبيرة تضم طوائف وفروع كثيرة تختلف وتتضارب فيما بينها وبين الطوائف الأخرى ولكن جميعها تتفق فى عقائدها الأصولية وإن اختلفت فى الفروع التفصيلية وكلها كذلك يحيط بها الغلو من كل اتجاه بغض النظر قليلاً عن معتدلى الزيدية.

ومن هذه الفرق الكبيرة كما وضحها الشهرستانى[٢]:-

---

(١) القريزى ، الخطط والآثار ، جـ٤ ، ص١٨٤.

(٢) الشهرستانى ، الملل والنحل ط ١ ص ١٤٦ ،١٩٨ -كذلك البغدادى ، الفرق بين الرفق ص١٦ وما بعدها - كذلك فخر الدين الرازى، أعتقادات فرق المسلمين والمشركين ،ص٩٠ وما بعدها - تحقيق طه عبد الرازق سعد وآخرون ، ط المكتبة الأزهرية عام ١٩٧٨م -كذلك الأشعرى ، مقالات الإسلاميين حـ١ ،ص٦٥ تحقيق محى محى الدين عبد الحميد ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠ ، - كذلك المطهر بن طاهر المقدس ، البدء والتاريخ حـ٥ ،ص١٢٤ طهران ،١٩٦٢م.

١- الكيسانية : وهى تضم (المختارية - الهاشمية - البيانية - الرزامية).

٢- الزيدية : وهى تضم (الجارودية - السلمانية - الصالحية- والبترية).

٣- الأمامية : وهى تضم (الباقرية والجعفرية والواقفة - الأفطحية - الشميطية - الإسماعيلية الواقفة - الناويسية - الموسوية - المفضلية - الاثنا عشرية .

٤- الغالية : وهى تضم السبأية - الكاملية - العليائية - المغيرية - المنصورية - الخطابية - الكيالية الهشامية - النعمائية - اليونيسية - النصيرية والاسحاقية).

٥- الإسماعيلية : وهى من أكبر الفرق الباطنية وأشدها عوداً فى حق الأئمة ولهم فلسفة ومنهج عميق فى التأويل الباطنى الرمزى ولهم ألقاب كثيرة منها (الباطنية والقرامطة والمزدكية والتعليمية والملحدة) أو تعتبر من أكثر الفرق الشيعية ثباتاً وتطوراً عبر التاريخ الحضارى الإسلامى وذابت فى أحضانها معظم الفرق الشيعية التى انقرضت وكونت دولاً ود ويلات صغيرة عبر التاريخ من أهمها دولة الفاطميين فى مصر .

ومن الجدير بالذكر أن مؤرخى الفرق وعلماء المذاهب من أهل السنة والمعتزلة يطلقون على هذه الفرقة الشيعية أسم "الروافض" فالبغدادى يسميهم بالروافض ويعتبر السبأية منهم ، وبقسم الرافضة بعد زمان على بن أبن طالب إلى أربعة فرقة هى : الزيدية والأمامية ، والغلاة - وقد اخرج فرق الغلاة من دائرة الإسلام ، أما فرق الزيدية ، وفرق الأمامية فمعدودون فى فرق الأمة[1]. كذلك يطلق

(١) البغدادى الفرق بين الفرق ، ص١٦.

الخياط المعتزلى على الشيعة اسم الرافضة ، ولا يفرق بينها وإنمـا تدخـل عنـده فـى دائرة واحدة من زعم أن أبا بكر وعمر وعثمان وأبا عبيده بن الجراح وجله المهاجرين والأنصار كانوا منافقين أيام النبى صلى الله عليه وسلم يضمرون العداوة ويظهرون الحب له. كذلك يطلق الملطى عليهم اسم الرافضة(١).

وقد أطلق الإمام السلفى أبن تيميه على الشـيعة اسم الرافضـة أيضـاً بصفـة خاصة فى رده على ابن المطـهر الحلـى . فـلا يذكـر الشيعة فـى رده عليـهم وتفنيـد مبادئهم ألا باسم الروافض وكأنه يغلف به مـا يبطنـه لهـم مـن ازدراء(٢) والحـق أن إطلاق اسم الرافضة على كافة الشيعة لا يتفق مع الدقة اللازمة للتفرقة بين مذاهبهم وعقائدهم فهو يمكن قصره فقط على بعض اتباع زيد بن على حين خرج على هشام بن عبد الملك ودارت المناقشة بينه وبينهم عن خلافة الصاحبين فلما "عرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسمت هذه الفرقة رافضة(٣) ".

ولكننا سوف نقتصر على الفرقة الشيعية الباطنسـية التـى تتفـق مـع سـياق البحث فقط على أن نبين الوجه الصحيح للتشـيع المعتـدل فـى نهايتـه وموقـف أهـل السنة والسلف من مذهب التأويل عند الباطنية كرد فعل حاسم لهذه المذاهب الغاليـة المتطرفة فى الفكر الإسلامى .

---

(١) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص٣٠٧ .
(٢) أبن تيميه ، منهاج السنة ، تحقيق دكتور رشاد سالم ، ط القاهرة سنة ١٩٦١م.
(٣) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ، ص١٥٥.

الفصل الثانى

" ظهور التشيع الباطنى عند الغلاة وبعض الاثنا عشرية "

تمهيد :

رأينا فى الفصل السابق ظاهرة التشيع ذات مغزى سياسى وعقائدى فى تاريخ الإسلام الدينى والحضارى – وان الاختلاف حول مسألة الإمامة أو توليه الخلافة والحكم فى الإسلام بين الشيعة وأهل السنة دفع الشيعة إلى محاولة إيجاد الأدلة والأسانيد من النصوص القرآنية أو بعض الأحاديث التى قد تكون غير موثقة بالسند الصحيح عند جمهور المسلمين لتدعيم نظرياتهم فى الإمامة– وسوف يحاول هؤلاء الشيعة غلاة وبعض غلاة الاثنا عشرية بالإضافة إلى الأسماعلية وطوائفهم تأويل النصوص والأحاديث على مذهب الباطن بطريقة منعسفة ومتطرفة .

ونحن بهذا الصدد نود أن نعطى صورة موجزة وواضحة ومحددة عن تيار التشيع والتأويل الباطنى عند غلاة ومدعى التشيع وكذلك عند بعض غلاة الاثنا عشرية وإن كان معظم الشيعة من الأمامية الاثنا عشرية يمثلون اتجاهاً معتدلاً عن غيرهم من الغلاة أو الاسماعلية وقد ظهرت بعض الاتجاهات الحديثة عند علمائهم لتطوير المذهب والارتفاع به إلى مستوى الاعتدال الملائم للتقريب بينه وبين مذهب الجمهور من المسلمين – غير أن هناك بعض الغلاة من الأثنى عشرية تمثلوا تيار الباطن فى التأويل الرمزى أو تأويل الأحاديث والروايات والنصوص القرآنية فى ضوء المذاهب الباطنية والفلسفية وإدخال بعض أراء المذاهب الأخرى فى أحضان عقيدتهم وإحاطة الأئمة بهالة من الأفكار الأسطورية والفلكورية من هؤلاء الطوائف بعض المفسرين كالطبرسى فى كتابه " جامع البيان " والنصيرية " العلويون " والشيخيه البابيه والبهائية كذلك بعض متكلميهم أمثال ابن المطهر الحلى حيث

كان يكثر من ذم الصحابة وعلماء الفقه والقياس من أهل السنة وغيرهم كما سنرى.

ونود أن نعطى فكرة موجزة عن كلمة "الباطنية" ومدلولها حتى يمكن أن نتأكد من مدى انطباقها على هؤلاء .

أولاً : مدلول كلمة الباطنية :-

تدل كلمة "الباطنية " على أولئك الذين يأخذون المعنى الباطن للكتاب ويجعلون لكل تنزيل تأويلاً وان لكل ظاهر باطناً وهذه الكلمة مشتقة من كلمة "الباطن" كما يدل على ذلك اسمها[1].

أما المدلول اللغوى لهذه الكلمة " فيعنى – الخفى – وداخل كل شيء أو خلاف الظاهر[2]".

أما المدلول الاصطلاحى لهذه الكلمة كما جاء فى المعاجم اللغوية فأنها تدل على الشيعة – ففى "محيط المحيط" الباطنية هم الشيعة من الإسلام تعرف .. بالسبعية ، وتذهب مذهب الإسماعيلية والقرامطة[3].

وعلى ذلك فإن هذه الكلمة تطلق ويراد بها الطوائف والمذاهب التى يعول أصحابها على المعنى الباطن للنصوص الدينية – أو يجعلون لكل ظاهر محسوس معناً باطنياً معتقدين أن الظواهر مجرد قشور – أما البواطن فهى اللب أو المعانى المراده من الأشياء .

وقد أطلق هذا المصطلح فى تاريخ الفكر الفلسفى والدراسات الإسلامية على فرق الشيعة الذين يصطنعون منهجاً باطنياً – أو الذين يبحثون وراء المعانى الظاهرة

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية . جـ٦ ، مادة الباطنية " ص٦ ترجمة محمد زكى خورشيد وآخرون ، ط دار الشعب ، بدون تاريخ.

(٢) بطرس البستانى ، محيط المحيط ،" مادة بطن" ص١٠٣.

(٣) المصدر السابق ، ص١٠٣ .

للنصوص الدينية من اجل تدعيم عقائدهم ونظرياتهم – عن طريق التأويل الباطنى للنصوص والأحاديث باستخدام الأساليب الرمزية .

إذ أن الباطنية من الشيعة قالوا أن أحداً لم يفهم القرآن فى زمن التنزيل ولا بعده وأن الله وعد بتأويله فلا بد من انتظار من يبعثه الله تعالى بهذا التأويل[1]وقالوا كذلك " أن التأويل الباطن من عند الله خص به على بن أبى طالب كما أن الرسول صلى الله علية وسلم خص بالتنزيل فكذلك على قد خص بالتأويل ، لذلك قالوا بوجوب التأويل الباطن وضرورته[2].

ولا شك أن مدلول كلمة "الباطنية " ينطبق بصورة واضحة على بعض الشيعة أكثر من غيرهم من الفرق والطوائف الإسلامية الأخرى خاصة فلاسفة الصوفية كما سنشير إليه بعد قليل وذلك لأنه يوجد لدى الشيعة نظرية فلسفية دينية تتلخص عندهم فى أن " الله تعالى جعل كل معانى الدين فى المخلوقات " التى تحيط بالإنسان فيجب أن يُستدل بما فى الطبيعة على فهم حقيقة الدين وجعلوا المخلوقات على قسمين قسماً ظاهراً للعيان .. " يدل على الباطن " فجسم الإنسان ظاهر – باطنه النفسى .. وقسماً باطناً خفياً فما ظهر من أمور الدين من العيادة العملية وظاهر القرآن هى معان يعرفها العامة لكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطناً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار دعاتهم[3].

ولكن هل يمكن أن يطلق هذا المصطلح على طوائف وفرق أخرى غير الشيعة الباطنية مما يصلح أن يكون مادة للمقارنة بينهم وبين ما نريد بحثه فى مذهب التأويل .؟

---

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، جـ٣ ، ص١٧٥ ، طـ المنار ، ١٣٢٥هـ.
(٢) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص١٦٢ ، طـ مكتبة النهضة المصرية بمصر سنة ١٩٥٩م.
(٣) عارف تامر مقدمة كتاب " أساس التأويل للنعمان بن حيون قاض قضاه الدولة الفاطمية "، ص١٨ ، طـ بيروت سنة ١٩٦٠ م.

لقد حاول بعض علماء السلف والمذاهب أن يطلق هذا اللقب على بعض الفرق غير الشيعية لدرجة أنهم لم يكونوا يفرقوا كثيرا بين منهج هؤلاء وأولئك .. لمجـر أن كل من يركز على المعنى الباطنى من الفلاسفة أو الصوفية أو غيرهم يمكن أن يطلق عليه هذا اللقب .

وعلى سبيل المثال " فقد استخدم الكتاب السنيون فيما بعد مصطلح "باطنية" فى جدلهم ليخرجوا أى كتاب يرون أنهم قد جاوزا التسليم بالمعنى الباطنى للتـنزيل إلى إنكار المعنى الظاهر مقتصرين فى ذلك على المعنى الباطن، وعلى هـذا النحـو فـان أبن تيميه لم يرم بالباطنية الشيعة الباطنية فحسب بـل رمـى أيضـا بعـض الصوفيـة بهذا اللقب وكذلك بعض الفلاسفة مثل ابن الرشد وغيره[١]وشيخ الإسـلام بـن تيميـه يطلق لقب "الباطنية" فى معظم رسائله على "الصوفية" والشيعة "أيضا فيقول " وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية باطنية الشيعة وباطنية الصوفية[٢].

وعلى الرغم من إطلاق هذا اللقب على الشيعة الإسماعيلية بصفة خاصـة كمـا نجده عند الإمام الغزالى[٣] وبعض علماء العصر الحديث كالإمام محمد عبده وتلميـذه محمد رشيد رضا[٤]غير أن بعض مؤرخى الفرق وعلماء المذاهب أطلقوه على الطوائـف غير إسلامية مثل المزدكيـة والخراميـة ، والمانويـة ، وغـيرهم ويبـدوا أن مثـل هـذه الألقاب أطلقت على الإسماعيليـة وطوائفـهم مـن الـدروز[٥]والغـلاة أيضـا مـن جـانب مؤرخى أهل السنة والمتكلمـين ، المدافعـين عـن حرمـة الإسـلام ومنـهج أهـل السـنة

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٦ مادة الباطنية ص ٩٠.

(٢) نظرنا : بن تيميـه ، الفتـوى الحمويـة الكـبرى ، "ضمـن كتـاب نفـائس" ص ١٠٦ كذلـك الرسـالة التدمرية ص٢١، ص٢٢ ، تحقيق محمد حامد الفقى – ط مكتبة السنة المحمدية ط حديثة بدون تاريخ .

(٣) الغزالى ، فضائح الباطنية تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى ط الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م.

(٤) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، جـ٣ ، ص١٧٥.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٦ ، ص٨٦.

والجماعة يضاف إلى ذلك لقب "الباطنية" قد يطلق على بعض غلاة الشيعة الاثنا عشرية من المفسرين والطوائف التى تصطنع التشيع الباطنى فى عقائدها والمتأخرين منهم " كالاسحاقية والنصيرية " أو " كما يسمون أنفسهم بالعلويين " هؤلاء الذين يتفاخر علماؤهم المحدثين بأنهم مخصصون بعلم الباطن . وقد اتضح من الأبحاث الحديثة أن الطريقة المشابهة للإسماعيلية توجد عند " النصيرية" وقد لوحظ أن التأويل الرمزى عند الأمامية من الشيعة الاثنا عشرية فيه سمة رمزية وفرقيه وفيه شيئاً من السرية[1].

ومما سبق نستخلص الحقائق التالية :-

١- أن لقب أو كلمة الباطنية " تطلق على الشيعة الإسماعيلية وطوائفهم كذلك يمكن أن تشمل غلاة التشيع وبعض الاثنا عشرية حيث أن هؤلاء قد ركزوا على المعانى الباطنية وأغفلوا ظواهر النصوص القرآنية - بدعوى أن لكل شىء ظاهر محسوس باطناً ولكل تنزيل تأويلاً والباطن يساوى التأويل - واصطنعوا لذلك مذهب التأويل لكى يستطيعوا أن يصلوا إلى مآربهم وتدعيم نظرياتهم العقائدية والفلسفية وغير ذلك ما أدى إلى إلحاقهم الضرر بالإسلام أكثر مما أفادوه.

٢- وإذا كان بعض المؤرخين وعلماء المذاهب من أهل السنة والمتكلمين وغيرهم قد حيذوا إطلاق أصطلاح الباطنية بصفة عامة حتى شمل بعض الطوائف الأخرى مثل الصوفية أو الفلاسفة فلا شك أن ذلك قد يدفعنا فيما بعد إلى المقارنة بينهم فى النواحى المتشابهة غير أنها لا تشكل مادة البحث بصفة عامة لذلك يجب أن نمسهم مسا خفيفاً بين الحين والأخر.

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٨٧.

ثانياً : فرق الباطنية من الغلاة وبعض الاثنا عشرية :-

رأينا فيما سبق أن كلمة "الباطنية" تطلق على المذاهب والطوائف التى تجعل لكل شيء ظاهر باطناً هو المراد والحقيقة المقصودة منه ، وأن كان قد أطلق على بعض الطوائف مثل الصوفية أو الفلاسفة أو غيرهم من الملل الأخرى من جانب علماء السنة وأهل السلف ، غير أنها تنطبق تماماً على فرق الشيعة بصفة خاصة . حيث أن بعض الشيعة كما سنرى تمسكوا بدعوى الباطن فى النصوص والأحاديث الأمر الذى دفعهم إلى تأويلها تأويلاً متطرفاً طبقاً لعقائدهم خاصة فى الإمامة.

وبحق لنا أن نستعرض موجزه لبعض هؤلاء الشيعة الذين يطلق عليهم أصحاب منهج الباطن وتطورهم – حتى يتسنى لنا بعد ذلك أن نبحث مذاهبهم فى التأويل الباطنى للعقائد الدينية .

وقبل أن نبحث عن كل فرقة بصورة موجزة حيث أن هذه النواحى التاريخية قد تم بحثها قبل ذلك وسوف نعطى أفكاراً عن كل فرقة وأصولها العقائدية وتشير الى المصادر والمراجع التى رجعنا إليها التى يمكن أن يرجع إليها غيرنا إذ أن – الاستطراد فى هذه الناحية لا يفيد بحثنا كثيراً وقد يخرجنا عن الموضوع الأساسى الذى ينصب عليه البحث وهو "مذهب التأويل".

ويضاف إلى ذلك وهو ما أريد أن أثبته هنا " أن أصول مذهب الغلاة والمفوضة والإسماعيلية والأمامية والاثنا عشرية مختلطة بعضها ببعض فى كثير من المسائل[1]وسوف نتناول هنا : غلاة التشيع : حيث أن الأفكار الباطنية انتشرت بين طوائفهم المختلفة منذ البدايات الأولى لظهور التشيع كمذهب دينى وسياسى ومن ثم

---

(١) محمد بن الحسين ألد يملى ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، ص٢ ، تحقيق د. شدوطمان ، طـ أستا نبول سنة ١٩٣٨.

سيكون لها تأثير على الفرق الشيعية التى ستأتى بعدها أو المعاصرة لها والتى ذابت فيها مثل غلاة الأمامية والإسماعيلية . ثم نتناول غلاة التشيع الاثنا عشرية - وبعد ذلك نتناول طوائف الإسماعيلية .

١- غلاة التشيع وتطورهم :

اجمع مؤرخو الشيعة وعلماء المذاهب من أهل السنة على أن غلاة المذاهب الشيعية أو "مدعى التشيع" إذا جاز لنا أن نطلق عليهم ذلك - كانوا قد حملوا آراء وثنية معارضة للإسلام مثل آراء المزدكية والحرانية والنصرانية وغير ذلك من الآثار الغنوصية . ويتضح ذلك من خلال دراسة مذاهبهم العقائدية وطوائفهم المختلفة . وقد حاولوا مزج هذه الآراء الغريبة عن البيئة الإسلامية بالعقيدة الإسلامية عن طريق التأويل الباطنى للنصوص الدينية - كما سنرى ذلك عندما نتناول مذهبهم فى التأويل .

ويجب علينا أن نتعرف على هذه الطوائف الغالية بإيجاز حيث تكوينهم الفكرى والطائفى .

فالمعروف أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من اليهودية والنصرانية والزراد شتية فاتخذوا حب آل البيت ستارا يضعون ورائه كل ما شاءت أهوائهم[1].

كذلك يذهب برنا رد لويس إلى أن انضمام عدد كبير ممن لم يصح إسلامهم ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم من الفرس والأرمن ..وغيرهم كان لزاما أن يؤدى إلى تغيير جوهرى من حيث العقائد والأغراض وسرعان ما أخذت معتقداتهم الغريبة

---

(١) دكتور أحمد شلبى ، التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، جـ٥، ص ١٤٥ طـ مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦م ، كذلك أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، جـ٣ ص٢٠٩ ،ص٢١٠.

طريقها إلى المذهب الشيعى متسللة من المسيحية والإيرانية وهراطقة بابل القديمة[١].

وهناك نظرية أخرى تقول " أنه لما قتل الإمام على بن أبى طالب ولمس الكوفيون الفراغ الذى أحدثه ، وطغيان بنى أمية عليهم ، ثم تنازل الحسن بن على لمعاوية وقُتِلْ الحسين عليه السلام ونكوص محمد بن الحنفية بن علىّ عن الصراع السياسى ، وخلو مركز الزعامة من إمام يمارس القيادة بنفسه ، بدأت الأفكار الغالية فى الظهور ، ومن هنا ظهر للشيعة أسماء مختلفة[٢].

وهناك دراسات ونظريات كثيرة تحدثت عن ظهور الشيعة الغالية وحاولت تأصيل معتقداتهم[٣]غير أننا نقول أن أهم المبادئ التى اجمع عليها الشيعة قولهم : بإمامة على بن أبى طالب على الخصوص وخلافته نصا ووصية ، أما جليا واما خفياً وإن الإمامة لا تخرج من أولاده وأن خرجت فبظلم أو بتقية من عنده كذلك فإن الإمامة ليست قضية مصلحيه ، بل هى قضية أصولية ، ولا يجوز للرسل إغفاله كذلك يجمعهم القول بالتنصيص وثبوت العصمة للأنبياء والأئمة[٤]وقد حاول غلاة التشيع تأصيل هذه المبادئ بشتى الوسائل ومحاولة تخريجها من نصوص الدين وإدخال نظريات أخرى مستمدة من الملل غير الإسلامية – يضاف إلى ذلك ظهور نزعات التشبيه والتجسيم عند بعض طوائفهم كما سنرى الآن من خلال استعراض تكوينهم الطائفى .

يذكر الأشعرى : أن الشيعة ثلاثة أصناف – الصنف الأول منه الشيعة

---

(١) دكتور برنا رد لويس أصول الإسماعيلية ، ص٨٤ ص ٨٥.
(٢) دكتور كامل الشيبى ، الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ، ص٢١ .
(٣) للمزيد ، دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ ٢ .
(٤) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٤٦.

"الغالية" .. ويسموا غالية لأنهم غالوا فى " على" وقالوا فيه قولاً عظيماً . وهم خمس عشرة فرقة[١].

بينما يذكر الشهرستانى فى تعريفة بالشيعة الغالية " بأن هؤلاء هم الذين غالوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة وحكموا فيهم بأحكام إلهيه فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق ، وهم على طرفى الغلو والتقصير وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية . ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهودية والنصارى إذ شبهت الخلق بالخالق ، فسارت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغالية ،حتى حكمت بأحكام إلهيه فى حق بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة[٢].

ومن الجدير بالذكر أن مقدمة الغلو فى التشيع وعقائدهم الشيعة كان غلواً فى حب آل البيت والحب يستتبع الأسطورة و الأسطورة تحيط المحبوب بكل غال[٣].

ومن هؤلاء الغلاة من الشيعة الفرق أو الطوائف الآتية :

أ- **السبأية** :

يقول المقدس : أنها فرقة تغلوا غلواً شديداً وتقول قولاً عظيماً - وهم أصحاب عبد الله بن سبأ يقال لهم السبأية[٤].

وتنتسب هذه الفرقة إلى عبد الله سبأ الذى قال بالرجعة فى حق محمد صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب . وينسب إليه أنه قال : أنه كان لكل نبى وصى وعلى بن أبى طالب وصى محمد صلى الله عليه وسلم. وقوله " اعلموا أن عثمان أخذ

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ص٦٥.
(٢) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ، ص١٧٣.
(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ٢ ، ص٦٨.
(٤) المقدس ، البدء والتاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٢٤.

الخلافة بغير حق فانهضوا فـي هـذا الأمـر ، وأبـدوا بـالطعن علـى أمرائكـم وهكـذا صارت فتنة بين المسلمين وأنتهت بمقتل عثمان رضى الله عنه[١] وذكـر البغـدادى ، ، (ت ٤٢٩) أن أبن السوداء " عبد الله بن سبأ " وجد فى التوراة أن لكل نبى وصيا وأن عليا وصيا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء كمـا أن محمـد صلـى الله عليه وسلم خير الأنبياء وقال أيضا أن على بن أبـى طـالب لم يمت ولا يمـوت حتـى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها وتزعم هـذه الطائفـة أن عليـا هـو المـهدى المنتظر دون غيره[٢]. وهكذا فإن عقائد الوصاية والرجعة وكذلك المعـراج الروحـى إلى السماء وتناسخ الجزء الإلهى فى على بن أبى طالب وجدت فى عقائد السبأية وتأولوا عليها النصوص الدينية كما سنرى فيما بعد . ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين تشككوا فى وجود عبد الله بن سبأ[٣]إلا أنه من الثابت تاريخيا عند مؤرخـى المذاهـب دوره الكبير فى الفتنة والتحريض على الثورة ومحاولة تحطيم العقيدة الإسلامية .

ب- **غلاة الشيعة الكيسائية :-**

تنتسب هذه الطائفة كما ورد عند المؤرخين وعلمـاء المذاهـب الى المختـار بـن عبيد الثقفى - الذى دعا إلى محمد بن الحنفية بـن علـى وكـان يقـال لـه "كيسـانه" ويقال أنه مولى لعلى بن أبى طالب[٤]قـد كـان يدعـى أنـه يوحـى إليـه ويعلـم الغيـب ويقـول بإمامـة محمـد بـن الحنفيـة بـن علـى[٥] بينمـا يذهـب آخـرون إلى القـــول " الكيسانية " هم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علـى بـن أبـى طـالب وقيـل تلميـذ

---

(١) المقريزى ، الخطط الآثار ، جـ٤ ، ص١٤١ ، الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ، ص١٧٤.
(٢) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ٢ص٢٢٣ ، ص٢٢٤.
(٣) نظرنـا دكتـور طـه حسـين ، الفتنـة الكـبرى فـى عـهد عثمـان ، ص١٣١ ، ص١٣٥ دار المعـارف بالقاهرة، ١٩٧٢م، دكتور أحمد صبحى ، فى علم الكلام ، ص٣٠١ ، ص٣٠٢ .
(٤) الأشعرى . مقالات الإسلاميين . جـ١ . ص٩٠.
(٥) المقدس ، البدء ، والتاريخ ، جـ٥ ، ص٣٠، كذلك العاملى ، أعيان الشيعة جـ١ ص٢١ البغـدادى، الفرق بين الفرق ص٢٧.

للسيد محمد بن الحنفية ، ويعتقدون فيه اعتقاداً فوق حدة ودرجته من أحاطته بالعلوم كلها ، واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل ، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية . وأن من فرق الكيسانية " المختار يه" أصحاب المختار بن أبى عبيد الثقفى وكان خارجياً ثم زيديا ثم صار شيعياً وكيسا نيا وقال بإمامة محمد بن حنفية[1].

وسواء اختلفت الآراء أو اتفقت الأخرى فيما يتعلق بانتساب هذه الطائفة الغالية من الشيعة الى كيسان أو إلى المختار أو أن كلا اللقبين ينطبقان على شخص واحد[2] فإنه ثبت تاريخياً وعقائدياً أن هذه الطائفة من أولى الغلاة الذين ابتدعوا منهجاً فى التأويل الرمزى والباطنى – وساعدوا على إدخال نظريات ومبادئ غالية سواء فى العقيدة أو فى حق الأئمة . وكما سنرى فى بحث طريقة التأويل عند التشيع فيما بعد كما أن عقائدهم نشمل فكرة "الوصية – والمهدية – والغيبة والرجعة – والبدء – والعلوم السرية وكذلك ترجع إليهم فكرة السبطية " وهذه النظريات والأفكار الغالية – كان لها أثر كبير فى فرق الشيعة الكبيرة الأمامية الإسماعيلية كذلك بعض غلاة الاثنى عشرية وتأولوا النصوص الدينية طبقاً لهذه الأفكار الغريبة عن البيئة والعقيدة الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أن منهج غلاة التشيع الكيسانى يقوم على التأويل الباطن للنصوص الدينية إذ أنهم مثلما سنرى عند الإسماعيلية وبعض غلاة الاثنا عشرية فيما بعد قالوا أن الدين طاعة رجل – حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ، ص١٤٧. كذلك فخر الدين الرازى .. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩٣،ص٩٤ .

(٢) للمزيد يرجع إلى ، دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى جـ٢ ، ص٤٤،ص٤٥.

الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك علــى رجـال . فحمـل بعضـهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل " وهذا الرجل هـو الإمـام " وحمـل بعضـهم علـى ضعـف الاعتقـاد بالقيامـة وحمـل بعضـهم القــول بالتناســخ والحلول..وهكذا[١].

ومما يثير العجب من هؤلاء الغلاة أن الكيسانى أو المختار زعيم هذه الطائفة طفق يبشر بوحى من جبريل ونثر غامض مسجوع يطبـع علـى غـرار القـرآن بظـهور المهدى فجأة عند انتهاء العالم ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت الأرض جـوراً[٢]ولعـل هـذه أول فكـرة غاليـة يعـرف بـها الكيسـانية فـى المحيـط الإسـلامى ..و قـد كـان الكيسانية يقولون بالإمامة لعلى بن أبى طـالب ثـم الحسـن فالحسـين ثـم محمـد بـن الحنفية الدليل على ذلك قول شاعر هم كثير عزة ت(١٠٥هـ)

إلا إن الأئمة من قريش ∴ ولاة الحق أربعة سواء

عليٌ والثلاثةُ من بنيه ∴ هم الأسباط ليس بهم خفاءُ[٣]

وهكذا فقد أحاط غلاة الكيسانية الإمام محمد بن الحنفية بهالة من التقديس ونسبوا إليه علوماً سرية وقالوا " انه كان مستودعاً علم الإمام حتـى سلم الأمانـة إلى أهلها وما فارق الدنيا إلا وقد أقرها فى مستقرها[٤]".

وتطورت الشيعة الكيسانية عندما انتقلت الإمامة من محمد بن الحنفية إلى أبنة أبى هاشم فظـهرت طائفـة " الهاشميـة " امتـداداً لغلـو الكيسـانية فـى العقـائد والأفكار الدينية " والإمامة " قالت "الهاشمية" أن الإمام محمد بن الحنفية أفضى إلى

(١) الشهرستانى ، الملل جـ١ ، ص١٤٧.
(٢) نظرنا : بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص١٣٢ ، البغدادى الفرق بـين الفرق – ص٣٣ ، برنارد لويس ، أصول الإسماعلية ، ص ٨٨ .
(٣) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ١ . ص٩١ . الشهرستانى الملل والنحل ط ص ١٥ .
(٤) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ص ١٥٠ .

إبنه هاشم بأسرار العلوم وأطلعه علـى تطبيـق منـاهج تطبيـق الأفـاق علـى الأنفـس وتقدير التنزيل على التأويل ، وتصوير الظاهر علـى البـاطن ، وقـالوا أن لكـل ظـاهر باطنا ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويلا ولكل مثال فـى هـذا العـالم حقيقـة فـى ذلك العالم ، والمنتشر فى الأفاق من الحكم والأسرار مجتمع فى الشخص الإنسـانى ، وهو العلم الذى أستأثر به على عليه السلام به ابنه محمد بن الحنفية ، وهو أفضـى بذلك السر إلى ابنة أبى هاشم ، وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقا[1].

ومما لا شك فيه أن مثل هذه العقائد يكتنفها غلوا وتطرفـا شـديدين ، ولقـد تطور المذهب الباطنى ودخلت به النظريات الفلسفية الكونية . والتـى سـوف تظـهر فى آراء ونظريات الشيعة الإسماعيلية وفى التكوين الفلسفى لنظريتهم فـى الإمـام، الذى يمثل العقل الأول ، أو الشخص الكونى الذى به يقوم العالم وتقوم القيامة أو به نهاية العالم.. الخ .

ظهرت طائفة تنتسب لغلاة الكيسانية متمثلة فى أتباع " بيـان بـن سمعـان" التميمـى " وهـى " البيانيـة" وظـهرت الآراء الغاليـة بطريقـة سـافرة حيـث أعتقـد البيانية أن جزء إلهيا حل فى على بن أبى طالب – وبه كـان يعلـم الغيـب وبـه كـان يحارب الكفار . ثم تأول على ذلك ما ورد عن على بن أبى طالب فى قلع باب خيـبر بقوله " والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانيه ولا بحركة عدائية ولكن قلعته بقوة رحمانيه ملكوتيه بنور ربها مضيئة ثم بقوله فألقوة .. الملكوتيه فى نفسـه كالمصبـاح فى المشكاة والنور الإلهى فى المصبـاح .. قـالت البيانيـة بعقـائد التشـبيه والتجسـيم وتأولوا قوله تعالى " كل شيء هالك إلا وجهه " سـورة القصـص (٨٩) علـى معنـى أن الإله الأزلى رجل من نور[2]وغير ذلك من التأويل المتطرف والمنحرف الذى لا يمكن

(١) المصدر السابق ، ص١٥٠ ، ص١٥١.
(٢) المصدر السابق ، ص١٥٢ ، ص١٥٣.

ذكره لما فيه من إلحاد وإضرار بالإسلام وقد أدعى أنتقال الإمامة إليه بوصية من أبى هاشم[1].

وهناك طوائف وفروع أخرى مثل "الحربية " أصحاب عبد الله بن عمرو بن حرب قالوا " بان الأرواح تتناسخ " وكفروا بالقيامة[2] وسنرى تأويلاتهم فيما بعد ويمكن أن نعطى فكرة أكثر إيضاحا عن تطور الشيعة الكيسانية فى مراحلها المتأخرة حيث كان لذلك أثر كبير فى قيام الدولة العباسية .

فقد تطورت الشيعة الكيسانية فى مراحلها الأخيرة وتبلورت فى طائفتين هما : الرزاميه والراوندية ..و لما كان كل من العلويين والحنفيين والعباسيين يجمعون على فكرة ومبدأ واحد هو .. الدعوة للرضا من أل محمد " كمبدأ عقائدى وسياسى أيضا " لذلك ظهرت " فكرة التفويض " فى محيط الرزامية : وهذه الفكرة تمكن صاحب الحق من أن يتنازل عن هذا الحق لغيره .. وقد حدث ذلك عندما تنازل العلويون الحنفيون عن حقهم فى الخلافة لأبناء عمومتهم من العباسيين عن طريق "التفويض[3]".

قالت الرزامية : اتباع رزام بن رؤم بانتقال الإمامة من على إلى ابنة محمد بن الحنفية ثم آلت إلى ابنة هاشم ، ثم منه إلى على بن عبد الله بن عباس بالوصية . ثم ساقوها إلى محمد بن على وأوصى محمد بن على إلى ابنة إبراهيم الإمام ، وهو صاحب أبى مسلم الخرسانى الذى دعا إليه وقال بإمامته[4] وكان هؤلاء على جانب كبير من التطرف والغلو فى العقائد الدينية. وتأولا عقائد الدين على مذاهبهم وآرائهم الغالية والمتطرفة وهناك طوائف أخرى كثيرة لا داعى للاستطراد فى تتبع

---

(١) الأشعرى ، مقالات جـ ١ ، ص ٥٦.
(٢) الشهرستانى ، الملل ، جـ١، ص١٥٢.
(٣) للمزيد من التفاصيل ، دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى جـ٢ ص٣٣٢ وما بعدها .
 - الأشعرى ، مقالات ، جـ١ ، ص٩٣.
(٤) الشهرستانى ، الملل ، جـ١،ص١٥٣.

أخبارها حيث أن مثل هذه النواحى تناولتها الأبحاث السابقة وأن كنا سوف نركز فيما بعد على تتبع الجوانب العقائدية وطرقهم فى التأويل - أمثال - طوائف الخرامية - والحربانبة والأبى مسلميه كما أن هناك صلة قوية بين الجوانب العقائدية وطريقة التأويل الباطنى أو الرمزى عند الكيسانية وبين الشيعة الإسماعيلية فيما بعد، وذلك كما يثبته معظم الباحثين فى الدراسات الفلسفية والإسلامية[1] كذلك وجد بعض الباحثين صلات بين مذهب الزيدية والاعتزال...، وبين الكيسانية وحاولوا تحليل ذلك وبيانه غير أن ذلك بعيد عن مدار بحثنا الآن[2].. وسوف نوضح مثل هذه الصلات بين الأفكار الكيسانية والتأويلات الباطنية والعقائدية الأخرى عند الشيعة الأمامية إثنا عشرية وإسماعيلية عندما نتناول مذاهبهم فى التأويل .

جـ - غلاة التشيع من الطوائف الأخرى :-

هناك شرازم أخرى متعددة من غلاة التشيع ذكرها مؤرخوا المذاهب الدينية ولا نريد أن نستفيض فى ذكر هؤلاء حتى لا يخرج بنا عن نطاق البحث ، ولكن نعطى فكرة بسيطة وموجزة عن هؤلاء الغلاة لما سوف يكون لآرائهم من آثار سيئة على بعض غلاة الاثنا عشرية وباطنية الإسماعيلية . فمن هؤلاء الغلاة من لا ينتسبون الى العقيدة الإسلامية الصحيحة مثل "المغيرية " وهم أصحاب " المغيرة بن سعيد العجلى قتله خالد بن عبد الله القسرى (١١٩هـ) أدعى أن الإمامة بعد محمد بن على فى محمد "النفس الزكية" بن عبد الله بن الحسن بن الحسن الخارج بالمدينة وزعم انه حى لم يمت - ثم أدعى الإمامة لنفسه . ثم أدعى النبوة لنفسه وغلا فى

(١) دكتور النشار . نشأة الفكر الفلسفى . جـ٢، ص٦٠، ص٦١ .
(٢) دكتورة وداد القاضى ، الكيسانية فى التاريخ والأدب ، ص٣٠١ ، ص٣٠٤ ط دار الثقافة بيروت، ١٩٧٤م . المقريزى ، الخطط والآثار ، جـ٢ ، ص٣٤٨.

حق على بن أبى طالب.. واستحل المحارم وقال بالتشبيه ، فى حق الله تعالى فقال " أن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف .. الهجاء وصورته مثل صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تبع منه الحكمة .. وقال بإلهية الباقر فتبرأ منه الباقر ولعنه لكنه وعد أصحابه بانتظاره[١] .

أما الطائفة الأخرى فهى " المنصورية " نسبة إلى " أبى منصور العجلى " قال بإمامة محمد الباقر فلما تبرأ منه الباقر وطرده أدعى الإمامة لنفسه وقد قتل عام (١٢١هـ) وقد زعم أن عليا هو الكسف الساقط من السماء، وربما قال أن الكسف هو الله تعالى ، وزعم أنه عرج به إلى السماء .. ثم هبط إلى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء وقال أن آل محمد صلى الله عليه وسلم هم السماء ، والشيعة هم الأرض وأنه هو الكسف الساقط من بنى هاشم وله عقائد غالية أخرى وتأويلات متطرفة للنصوص الدينية لا داعى لذكرها الآن[٢]وقد تفرعت عنه طائفة : الحسينيه حيث نقلوا الوصاية منه إلى أبنه: الحسن بن منصور " ثم طائفة : المحمدية مالت الى تثبيت محمد بن عبد الله بن الحسن إماما[٣] .

وظهرت طائفة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها من الغلاة وهى "الجناحية " .. ينتسبون إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبن طالب ذى الجناحين كان يدعوا للرضا من آل محمد غير أنه أدعى الإمامة لنفسه وقد تابعة " عبد الله بن الحارث الذى أدعى أن الله نور وهو عبد الله بن معاوية .. وقتل عام (١٢٩هـ) وقد سميت بطائفة الحارثيه " قالوا بتناسخ الأرواح .. وادعوا الألوهية

(١) الشهرستانى ، الملل ، جـ١ ، ص١٧٦، ص١٨٧ . وكذلك الأشعرى مقالات جـ١ ، ص٦٦ .
(٢) الشهرستانى ، نفس المصدر ، ص١٧٨ ، ص ١٧٩والمقدس – البدء والتاريخ جـ٥ ، ص١٣١ الأشعرى، مقالات جـ١ ، ص٧٦.
(٣) الأشعرى ، مقالات جـ١ – ص٩٧.

والنبوة فى عبد الله بن معاوية – وتأولوا الثواب والعقاب على الأشخاص ..وقد كانت تنتسب هذه الطائفة إلى غلاة
الكيسانية . الا أنها حادت عنها بعد أن أدعى أصحابها الإمامة لعبد الله بن معاوية[١]..

ومن هذه الطوائف الغالية أيضا .. " الخطابية" وهم أصحاب أبـى الخطـاب محمد بن أبى زينب الأسدى الأجدع مولى بنى أسد . وهو الذى عـز نفسـه إلى جعفـر الصادق فلما وقف الصادق على غلوه الباطل فى حقه تـبرأ منـه ولعنـه .. وقـد أدعـى الإمامة لنفسه وقتل عام (١٣٨هـ) وللخطابية آراء شديدة فى الغلو كـأمتداد لتيـارات الكوفة الغالية فقد زعم الخطابية أن الأئمـة أنبيـاء ثـم آلهـة.. قـالوا بإلهيـة جعفـر الصادق وان الإلهية نور فى النبوة .. والنبوة نور فى الإمامة ولا يخلو العالم من هذه الأنوار[٢]وهذا يدلنا على ظهور نظرية الحلول والنور المحمدى والتـى سـوف تتـابع بعـد ذلـك عنـد غـلاة الاثنـا عشـرية ثـم الإسماعيليـة كذلـك فكرتـى الإمـام النــاطق والصامت.

وكان من هذه الطائفة "المعمريه" قـالوا بالتناسـخ ثـم " البزيغيـه" أصحـاب بزيغ بن موسى " زعمـوا أن جعفـر هـو إلا لـه وظـهر للخلـق بصورتـه وتـأول آيـات قرآنية على ذلك مثل قوله تعالى " وما كان لنفـس أن تمـوت إلا بـأذن الله " سـورة آل عمران أية (١٤٥) أى بوحى من الله تعـالى – إذا أن كـل مؤمـن يوحـى إليـه .. كذلـك زعمت طوائف أخرى مثل "العمريه" وطائفة "المفضليه"[٣]فقد كانت لهم آراء وعقائد يعيده عن الإسلام وتـأولوا النصـوص الدينيـة عليـها ، بمـا يخـالف عقيـدة الإسـلام الصحيحة .

---

(١) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ، جـ٢ ، ص١٠٩، كذلك البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٣٥ ، ص٢٣٧.
(٢) الشهرستانى ، الملل جـ١ ص١٧٩، الرازى ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٧ .
(٣) الأشعرى ، مقالات ، جـ١ ، ص٧٧ ، ٧٨،السهرستانى ، الملل جـ١، ص١٨٠ .

ومن الجدير بالذكر أن طوائف أخرى ظهرت فى هذه الفترة المتقدمة من التشيع وكانت تهدف إلى التحطيم الداخلى للعقيدة الإسلامية وتشويه النصوص الدينية وإدخال المبادئ والنظريات الغنوصية والفلسفية التى كانت منتشرة ومعروفه عند الحرانيه والخراميه والصابئة ومجوس فارس كذلك عقائد اليهود والنصارى .

ومن هذه الطوائف الغالية فى التشيع أيضا بإيجاز .. " الميمية والعينية – والسينية – كذلك المخمسه – والأسحاقيه والنصيريه ".

نعطى فكرة موجزة عن هذه الطوائف .. " فطائفة الميمية قالت بألوهية النبى صلى الله عليه وسلم وان روح القدس هو الله عز وجل كانت فى الرسول ثم فى على رضى الله عنه ثم فى الحسن ثم فى الحسين ..و هكذا حتى الإمام الثانى عشر . وكل واحد من هؤلاء الأئمة اله على التناسخ وإلا له عندهم يدخل فى الهياكل، وتابعهم طائفة "الكامليه" وكذلك "المفوضه" حيث زعموا أن الله خلق محمد صلى الله عليه وسلم . وكل الأمور وفوضها إليه وأن الله تعالى أقدره على خلق الدنيا فخلقها . وان محمد صلى الله عليه وسلم فوض تدبير العالم إلى على بن أبى طالب . وبذلك يكون النبى المدبر الأول وعلى وهو المدبر الثانى . وتأولوا على ذلك نصوص الدين أما طائفة "العينية" تنسب إلى "العلياء بن ذراع الدوس " وتسمى العليائيه أيضا قالوا أن روح إلا له حل فى على بن أبو طالب وأنه بعث محمدا رسولا فدعا إلى نفسه . وتسمى " بالزميه" أو الغرابيه حيث ادعوا أن جبريل أخطأ وأزاغ الرسالة من على إلى محمد صلى الله عليه وسلم . طائفة "السينية " قالوا بألوهية سلمان القارسى . وأنه هو الرب وأن محمد صلى الله عليه وسلم داع إليه .. ولهم تأويلات كثيرة فى ذلك لا داعى لذكرها الآن(١).

---

(١) رجعنا إلى : المصدر السابق ، ص٨٦ . دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ، جـ٢ ، ص٣٢٩، ص٣٣١، بغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٣٩ الشهرستانى الملل ،جـ١ ،ص١٧٤ ،ص١٧٥.

أما طائفة "المخمسه" فقد صنفها مؤرخوا الفرق والمذاهب ضمن الخطابية كذلك فقد ضمت عقائد الحلول والفلسفة الباطنية فى عقائدها وكان لهذه الطوائف السابقة كذلك "المخمسه" آثار كبيرة فى طائفتى الاسحاقيه والنصيريه فيما بعد. وهذه الطائفة تنتسب إلى رجل يدعى "الشريعى" زعم أن الله حل فى خمسة أشخاص هم النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام ومنهم طائفة "النميرية " أيضا . ويذكر الأشعرى أن المخمسه زعمت أن هؤلاء .. الخمسة لهم أضداد هم : أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص ويضعهم الشهرستانى ضمن طائفة "العليائية" حيث قال شاعر هم :

توليت بعد الله فى الدين خمسة ∴ نبيا وسبطية وشيخا وفاطما[1]

ولا شك أن لهذه الطائفة فلسفة باطنية غنوصية عميقة مكونة من خليط من المذاهب الوثينية والمجوسية واليونانية وتأولوا النصوص والعقائد الدينية على هذه العقائد الغريبة عن الإسلام .

أما عن الطائفتين الأخيرتين كما نرى فى بحثنا بإيجاز عن التشيع الغالى فيتمثلان فى طائفتى "الاسحاقية والنصيريه " فقد ظهرتا لكى يضيفا إلى قائمة التشيع الغالى مجموعة من الأفكار الغالية منها تخصيص على بن أبى طالب " بالتأويل" وتخصيص محمد صلى الله عليه وسلم " بالتنزيل" وتنتسب الاسحاقية إلى إسحاق سبن زيد بن الحارث من أصحاب عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبى طالب، والنصيريه تنتسب إلى محمد بن نصير النميرى – وقد زعموا أن الله عز وجل حل فى على فى بعض الأوقات ..وقالوا بظهور الروحانى بالجسمانى ودانوا بأفكار المخمسة

---

(١) رجعنا فى ذلك إلى : البغدادى الفرق بين الفرق ، ص٢٣٩، ص٢٤٣، الأشعرى مقالات جـ١، ص٨٦. الشهرستانى ، الملل جـ١ ،ص١٧٦.

أيضا ، وقد تأولوا النصوص الدينية والعقائدية على أفكارهم الغالية[١].

وبعد هذا العرض الموجز لفرق الشيعة الغالية يتضح لنا أن التشيع الغالى بعيد كل البعد عن الشيعة الحقيقية كذلك سيكون لأفكارهم وتاويلهم آثار فيما يأتى بعدهم من فرق شيعية . وقصدنا هو كشف وتعريف هؤلاء وتفنيد مزاعمهم حتى لا تتسرب هذه العقائد الباطلة إلى الدين الإسلامى ومازالت هذه الطوائف فى حلب ونواحى الشام حتى الآن[٢].

٢- بعض غلاة الاثنا عشرية :-

الاثنا عشرية من أهم فرق الشيعة حيث أنهم أكثر فرق الشيعة عددا ولديهم الحرص الشديد على ترسيخ تعاليم التشيع ووضع حدوده وضوابطه . سواء فى الفقه ، او فى ممارسة الشعائر الدينية ، وقد يلاحظ الباحث فى التراث الاثنا عشرى أنهم يحيطون عقائدهم بهالة من الحزن ، من لا حزن والعادات والتقاليد التى تتخللها تأثيرات أسطورية مستمدة من البيئة التى نشأت فيها طوائف الصابئة والزراد شتية والغنوصية ، كما أن التراث لديهم يحفل بجملة من الأساطير التى يرددها العامة جيلا بعد جيل مما يهددهم بخطورة الانزلاق إلى الغلو[٣].

ومن الجدير بالذكر أن بعض المحدثون من علماء الاثنا عشرية حاولوا ويحاولون أيضا تنقية التراث الاثنا عشرى مما علق به من المأثورات الأسطورية او دعاوى الفرقة والاختلاف بين معتدلى الاثنا عشرية وبين مذاهب أهل السنة وغيرهم من المسلمين ،ولا شك أن هذه النزعة الحديثة بحاجة إلى تجديد وتطوير بحيث

---

(١) رجعنا إلى المصدر السابق ، ص٢٤٣ ، الشهرستانى ، ص١٨٩.
- الرازى ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص٩١، ص٩٢.
(٢) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ج٢ ، ص٢٩٣.
(٣) دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٣٥ ط دار المعارف ١٩٨٠م.

تواكب ألوان العصر وتتفق مع مبادئ الإسلام .. الصحيح ولا يكون ذلك مجرد شعارات رنانة وفضفاضة بل يجب تحقيق هذا التقارب ليس بين الاثنا عشرية فقط بل يجب أن يكون بين المسلمين جميعا لكى تحقق الوحدة والاتحاد أمام ما يواجه الإسلام من أخطار جسيمه أدت إلى إختلاف مستمر مما أدى إلى ضعف المسلمين أمام أعدائهم المتربصين بالإسلام ، ومن هؤلاء الذين حملوا لواء التقارب : الإمام موسى الصدر ومحمد جواد مغنية والسيد محمد الحسينى العاملى - ومحمد الحسن آل كاشف الغطاء ونرجوا من الله تعالى أن يتحقق ذلك .

وعلى ذلك فإنه يوجد فى التراث أو العقائد الاثنى عشرية اتجاهين .. مختلفين حسبما أرى .. اتجاه غالى يحفل بالتأويل الباطنى للنصوص الدينية - واتجاه آخر معتدل يتجه نحو التأويل العقلى المجازى للنصوص على طريقة المتكلمين . ونحن بهذا الصدد نعطى فكرة موجزة عن الاتجاه الغالى عند الاثنا عشرية - أما الاتجاه المعتدل فسوف نضمه فى الفصل الأخير مع اتجاه أهل السنة والسلف كموقف مضاد للاتجاهات الباطنية المتطرفة فى تأويل النصوص الدينية . طبقا لعقائدهم خاصة فى "الإمامة" .

ولا أريد أن يكون بحثى فى مثل هذا الموضوع على الطريقة التقليدية حيث أن استقصاء التفاصيل التاريخية للاثنا عشرية من حيث نشأتها وتطورها العقائدى تناولته الدراسات من قبل . وحتى لا أكرر ما سبق بحثه ودراسته عند مؤرخى المذاهب أود أن أعطى أفكارا .. موجزة عن الموضوعات التى تتعلق بموضوع البحث فقط وهو ما يتعلق بمذهب التأويل والجوانب الباطنية فى عقائد بعض غلاة الاثنا عشرية .

ومن هنا أقول : يطلق على الشيعة الاثنا عشرية الأمامية ، وقد نظر

الشهرستانى إلى "الأمامية "بصفة عامة من زاوية يجمعهم فى ظل عقيدتهم بإمامة على بن أبى طالب بعد النبى صلى الله عليه وسلم بالنص الظاهر أو الخفى لأن تعيين من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم هو أهم مسائل الدين وحجتهم فى هذا الاعتقاد أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث لكى يقرر الوفاق ويستتب الوئام بين الناس فلا يجوز أن نتركهم مختلفين بسبب عدم اتفاقهم على عمن يخلفه(١)ولهم أسانيد روائية كثيرة فى ذلك سوف نتناولها عند بحث مذهبهم فى التأويل .

لكن الأمامية تنقسم إلى قسمين : أحدهما الاثنا عشرية وقد اختلفت بعد جعفر الصادق مع الفرقة الثانية الإسماعيلية التى سوف نتناولها فيما بعد. وإن كان كليهما ينتسبان للشيعة الفاطمية الحسينية.

فالشيعة الأمامية الاثنا عشرية : نقلت الأمامية إلى الإمام موسى الكاظم ليصبح الإمام السابع فى سلسلة الأئمة الاثنى عشر ، فأصبح يطلق على هذه الفرقة الاثنا عشرية ونقلت الإمامة بعد موسى إلى على الرضا ، ومحمد الجواد، وعلى الهادى ، والحسن العسكرى ثم الإمام المهدى المنتظر(٢). وهو الإمام الثانى عشر الذى أختفى وينتظرون رجعته وهو محمد بن الحسن ولد عام (٢٥٥هـ) . وقد اختلف المؤرخون وعلماء المذاهب فى صدق هذا الاعتقاد فمنهم من قال بأن الإمام الحادى عشر "الحسن العسكرى أنجب ومنهم من أنكر هذا الإنجاب - وبذلك لا يكون هناك إمام بعد الحسن – وكلا الأمرين لا يستدعينا للاستطراد فى ذلك سوى أن نشير إلى مصادره فقط(٣) .

---

(١) الشهرستانى ، الملل ، جـ١ ،ص١٦٢، دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، ص٢١٠.

(٢) دكتور النشار، نشأة الفكر الفلسفى جـ٢ ، ص٢٠٥ "الاثنا عشرية" .

(٣) نظرنا : الشهرستانى ، الملل ، جـ١ ص١٧٠ ، ص١٧١ " كذلك دكتور النشار نشأة الفكر جـ٢، "الاثنا عشرية" العاملى ، أعيان الشيعة ، جـ١.

ولعل ما يهمنا هنا فى المقام الأول هو الجوانب التى ينزع فيها بعض الاثنا عشرية نزعة باطنية – وما فى ذلك من شذرات فلسفية دخيلة على العقائد الشيعية المعتدلة – والتى قد تباعد بينهم وبين مذهب جمهور المسلمين– أو التى تجعلنا نضع هذا الجانب من التشيع الاثنا عشرى فى عداد الطوائف التى تمثل التأويل الباطنى للنصوص والعقائد الدينية .

ومن ذلك اعتقادهم الفلكلورى الأسطورى فى قصة اختفاء "الإمام الثانى عشر المهدى المنتظر " فقد كان عمره عند وفاة أبيه الحسن العسكرى "٥خمس سنوات " ويقال أنه أختفى يوم وفاة أبيه ، ويقول بعض غلاة الاثنا عشرية : أن الله قد أتاه فى هذا العمر القصير الحكمة وفصل الخطاب وجعله آية للعالمين كما جعل "يحى" عليه السلام إماما فى حال طفولته ، وعيسى عليه السلام نبيا وهو فى المهد – ثم يأتى بعد ذلك السفراء الأربعة[1]وسنرى تفصيل ذلك عند بحث مذهبهم فى التأويل .

ولعل الاختلاف الشائن فى مسألة الإمامة بين الشيعة الاثنا عشرية أو الأمامية عموما وبين خصومهم من المذاهب الأخرى وما تمخض عن ذلك من فتن وافتراق بين المسلمين حتى عصرنا الحاضر دفع الأمامية من الاثنا عشرية هنا إلى تقرير مسائل أخرى تتعلق بالإمامة كالقول بوجوب العصمة ، والتقية،والغيبة،والرجعة ،والمهدية ، والعلوم السرية الباطنية التى يختص بها الأئمة دون غيرهم – كذلك دفعهم ذلك إلى الارتفاع بالأئمة إلى مرتبة فوق مستوى البشر وفتح المجال أمام التيارات الفلسفية والباطنية للتغلغل فى عقائدهم – وسوف نرى غلاة الاثنا عشرية المتأخرين كيف يصفون أئمتهم بصفات تقربهم من

---

(١) رجعنا : محمد أمين غالب الطويل ، تاريخ العلويين ، ص١٩٢، مطبعة الترقى ، بسوريا " اللازقية " ١٩٢٤م، دكتور النشار ، نشأة الفكر ، جـ٢ ، "الاثنا عشرية " .

مرتبة الألوهية خاصة "النصيريه" "والشيخية" التى تولـدت عنـها طوائـف اليابيـة والبهائية والتى انسلخت عن الإسلام تماما .

ومن الجدير بالذكر أن علماء الاثنا عشرية المحدثين يؤكـدون صـدور العلـم الباطنى عن أئمتهم – دون غيرهم – فيذهـب صـاحب "تـاريخ العلويـين" فـى بحثـه قضية المحكم والمتشابه إلى القول " أن أهم مباحث هذا الدور تكون "العلـم البـاطنى " بين الشيعة وكان أهل السـنة يظنـون أن علـم البـاطن منحصـر بـين الإسماعيليـة ، والحقيقة أن علم الباطن هو علم مختص بالعلويين "النصيريه" ونضيف إلى ذلك قولـه أن الأحكام لم تكن كلها ظاهرة كما يظن البعض فالإمام على زين العابدين قال :

ورب جوهر علم لو أبوح به ∴ لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

فهذا يدل على أن علوم أهل البيت كانت غير معلومـة عنـد عـوام المسـلمين، وأن بعض الأحكام لم يعلمها إلا الخواص وهذه هى التقية فى الإسلام[١].

وعلى ذلك فإن بعض غلاة الاثنا عشـرية ينسـبون علـوم البـاطن إليـهم أيضـا وبالتالى بحق لهم تأويل النصــوص والمـأثورات الدينيـة طبقـا لهـذا المنـهج . فـالنص الدينى سيكون له وجه ظاهر وتأويل أخر باطن – بمعنــى أن النصـوص قـد ترمـز إلى حقائق وأمور باطنية لا يستطيع أن يصل إلى معرفتها إلا الأئمة وعلماء الباطن،وقـد أعطى لنا مثالا لهذا المنهج من خلال تأويله لقوله تعالى " وكل شئ أحصيناه فى إمـام مبـين " سـورة يس أية (١٢) فإن الـمراد من الإمام هـو أحـد الأئمـة الاثنا عشرية المعصومين حيث أنهم يعلمون علم الأولين والآخرين .. بوجه الإطلاق[٢].

وإذا كان مبدأ "التقية " يشير عند الاثنا عشرية إلى ضرورة إصطناع الباطن

---

(١) المصدر السابق ، ص١٨٦.

(٢) نفس المصدر السابق ، ص١٨٨ ، ص١٨٩.

وإخفاء الأسرار ، فلا يجب أن تتجاهل الجماعة مبدأ التقية لا ترجع إلى النص الظاهر ،وهذا الظاهر لن يوصل إلى الحقائق أو الأسرار الإلهية والتى ينشدون الوصول إليها بدعوى أنها خاصة بالأئمة .

وهؤلاء الشيعة مثلهم مثل الصوفية لا يقفون عند العبادات الظاهرة كما ورد فى الفقه . وقد أشاعوا فى مقالاتهم أن التشيع يهدف للكشف عن باطن الإسلام وعن معدنه الحقيقى[1].

(١) دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٥١.

الفصل الثالث

طوائف الإسماعيلية الباطنية وتطورهم

أولاً : فكرة موجزة عن نشأة الإسماعيلية الباطنية :-

أعطينا فى الفصل السابق فكرة موجزة عن الغلاة من الشيعة وبعض الاثنا عشرية وقد ركزنا على النواحى المتعلقة بالمنهج أكثر مما يتعلق بالتطورات والتفاصيل التاريخية كذلك سوف يكون منهجنا فى هذا الفصل والخاص بالإسماعيلية وطوائفهم ، وقد رأينا أن هؤلاء الغلاة يشكلون جانباً هاماً لأصول المذهب الباطنى – وسوف يكون لهم أثر فى منهج الإسماعيلية .

ويحق لنا أن نعطى هذا الجانب الإسماعيلى اهتماماً أكبر حيث أن الإسماعيلية يشكلون مكانة كبرى فى تاريخ الحركات الشيعية والباطنية على وجه الخصوص .

ومن الجدير بالذكر : أن هذه الفرقة وطوائفها المختلفة تعرضت إلى هجوم لاذع من الفرق الأخرى ، حيث اعتقدوا أن الاسماعيلية خارجون على العقيدة الإسلامية والمنهج الصحيح – لما لديهم من أفكار ونظريات فلسفية مزجوها بأركان العقيدة الإسلامية وتأولوا النصوص الدينية عليها .

أما فيما يتعلق بنشأة الإسماعيلية كفرقة متميزة عن إخوانها من الغلاة والاثنا عشرية فكما يذكره مؤرخو المذاهب يرجع ذلك إلى عهد الإمام جعفر الصادق . " فقد كان ظهور الإمام جعفر الصادق الحدث الأكبر فى تاريخ الشيعة، وقد نسبت إليه الأمامية الاثنا عشرية . لكن الشيعة اختلفت من بعده وانقسمت إلى "الاثنا عشرية" نقلوا الإمامة لابنه موسى الكاظم ليكون الإمام السابع .. وإلى شيعة نقلت الإمامة إلى ابنه "إسماعيل الإمام السابع ليختم دورة من دورات الأئمة عند بعضهم ،

والأنبياء عند البعض الأخر وهذه الفرقة الثانية سميت "بالإسماعيلية " التى نسبت إليه كل العلوم السرية والفلسفية والصوفية والكيميائية[١].

وعلى ذلك فإن الشيعة الإسماعيلية تنتسب إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ويذكر مؤرخوا الفرق أن الإسماعيلية يزعمون أن جعفر بن محمد مات ، وأن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل وأنكروا أن يكون إسماعيل مات فى حياة أبيه ، وقالوا لا يموت حتى يملك ، لأن أباه كان بخير أنه وصية والإمام بعده[٢] أما البغدادى يذكر مزاعم الاسماعيلية فى ذلك " تقول الاسماعيلية أن جعفر نصب أبنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات إسماعيل فى حياة أبيه علمنا أنه نصب أبنه إسماعيل للدلالة على إمامة أبنه "محمد بن إسماعيل" وإلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية[٣].

والواضح أن هناك اختلاف بين الإسماعيلية حول : النص على إمامة إسماعيل فى حال حياته أو موته فى حياة أبيه جعفر الصادق وهذا سيؤدى بزعماء الإسماعيلية إلى اختلاف النظريات واستنباط البراهين لإثبات إمامته بعد أبيه فى كلا الحالتين وانتقالها لأبنائه من بعده ابتداء بولده " محمد بن إسماعيل " لا داعى لذكرها الآن سوى أن نذكر ما ذهب إليه الشهرستانى فى حسم هذا الموقف فيذكر أن " الإسماعيلية أثبتت الإمامة لإسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه فى بادئ الأمر وقد اختلفوا فى موته فى حال حياة أبيه فمنهم من قال : انه مات وإنما فائدة النص عليه انتقال الإمامة إلى أولاده خاصة ، كما نص موسى على هارون عليهما السلام ثم مات هارون فى حال حياة أخيه وأن فائدة النص انتقال الإمامة

---

(١) دكتور : النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ، جـ٢ ، ص٢٠٣ .
(٢) الأشعرى ، مقالات ، جـ١ ، ص٩٨.
(٣) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٤٦.

منه إلى أولاده فإن النص لا يرجع القهقرى ، والقول بالبدء محال ولا ينص الإمام على واحد من اولاده إلا بعد السماع من آبائه والتعيين لا يجوز على الإيهام والجهالة ، ومنهم من قال أنه لم يمت ولكنه أظهر موته تقية عليه حتى لا يقتل[١].

وإذا سلم بعض الإسماعيلية بموت إسماعيل فى حياة أبيه غير أنهم يؤمنون بأن النص لا يرجع القهقرى – لذلك فإنهم يبتدعون نظريتى "الاستقرار والاستيداع " اللتان سيكون لهما أثر كبير فى تطور نظريات الإسماعيلية وتعاليمهم الباطنية فيما بعد .

فمن ناحية لم يسلم الإسماعيلية بنزع الإمامة من إسماعيل لأنهم كانوا يرون أن الإمام معصوم وان شرب الخمر " كما ادعى خصومهم فى حق إسماعيل " ولا يفسد عصمته[٢]. ومن ناحية أخرى " يتخذون نظرية " الاستقرار والاستيداع" وسيلة للتدليل على إمامة محمد بن إسماعيل دون بنى عمه موسى الكاظم فيقولون : أن موسى الكاظم كان إماماً مستودعاً لإسماعيل وأبنائه لأنهم أئمة استقرار شانهم فى ذلك شأن الحسن مع الحسين ، وأن جعفر الصادق عين موسى الكاظم وصياً على حفيده " محمد بن إسماعيل" لكى يكون ستراً عليه ، فكان هذا مصداقاً لقوله تعالى " وجعلها كلمة باقية فى عقبه[٣]" سورة الزخرف(٢٨) .

وبإيجاز فقد ظهرت الإسماعيلية وتكونت كفرقة شيعية لها تكوينها العقائدى والحضارى المتميز عن الفرق الأخرى – فكانت مثار بحث واسع سواء من

---

(١) الشهرستانى ، الملل ، جـ١ ،ص١٩١. كذلك يرجع إلى دكتور حسن إبراهيم وآخرون ، عبيد الله المهدى " إمام الشيعة الإسماعيلية " ص٣١ ، ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٧م.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٣ ، (مادة الإسماعيلية) ،ص٣٧٦.

(٣) دكتور حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص٣١.

النواحى التاريخية والسياسية أو النواحى العقائدية .

ثانيا : طوائف الإسماعيلية :-

يجب أن ننتقل إلى معرفة تطور هذه الفرقة وتكوينها الطائفى والعقائدى .. وبإيجاز شديد .. وبعد ذلك نذكر سلسلة أئمة الإسماعيلية فى دور الستر ودور الظهور لما لذلك من أهمية فى التأويل .

وفيما يتعلق بالتكوين العقائدى والطائفى : يذكر مؤرخو الفرق الباحثين فى الدراسات الإسماعيلية " أن حركة الإسماعيلية الباطنية ابتدأت فى القرن الثانى المجرى من مزيج من نحل صوفية وهرطقية غالية جلها من الشيعة ، وربما كان بعضها من أصول فارسية قديمة أو سريانية غنوصية ، لقد ظهرت بأشكال متباينة فى المبادئ والتنظيم وأستمرت فى ضم فرق جديدة إليها ذات أفكار جديدة، .وأستمرت كذلك فى الأنقسام الدائم إلى شعب وفروع غالبا ما يصادم بعضها بعضا..[١]وقد قامت الدعوة الإسماعيلية على مراتب تتدرج بالنسبة لمستوى الناس وأستعدادهم العقلى وثقافتهم مهما أختلفت أديانهم وعناصرهم[٢]مما سوف نبحثه عندما نقوم بدراسة ظاهرة التأويل فى نظامهم الفكرى .

ومن الجدير بالذكر أن أشهر ألقابهم ، وهو ما عرفوا به ويتلاءم مع تكوينهم الطائفى العقائدى لقب "الباطنية " لذلك يذكر المقدس " أنهم أصناف وفرق وأسمائهم مختلفة لدعوة كل ناجم منهم إلى نفسه ، وعامتهم يظهرون الإمامة ويدعون للقرآن تأويلا باطنا[٣]أما الشهرستانى فيذكر " أن أشهر ألقابهم " الباطنية " وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ، وبكل تنزيل تأويلا -

---

(١) دكتور : برنا رد لويس ، أصول الإسماعيلية ، ص٥٠ .
(٢) دكتور عبد العزيز الدورى ، "مقدمة كتاب أصول الإسماعيلية " ص٩ .
(٣) المقدس ، البدء والتاريخ ، جـ٥ ، ص١٣٤.

ويسمون بالعراق الباطنية والقرامطة والمزدكية ، وبخرسان التعليمية والملحدة ، وهم يقولون نحن " الإسماعيلية " لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا ، وهذا الشخص .. ثم أن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنعوا كتبهم على هذا المنهاج فقالوا في الباري تعالى "آنا لا نقول هو موجود ولا موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز- وكذلك في جميع الصفات ..الخ[1]. وسوف نبحث ذلك في الفصل الخاص بمنهج الإسماعيلية في تأويل الإلهيات والعبادات وأمور الآخرة.

ومن ألقابهم أيضاً السبعية " إذ أن أدوار الإمامة عندهم سبعة ، وأن سابع الأئمة آخر الدور .. وهو المراد بالقيامة وأن هذه الأدوار متعاقبة إلى ما لا آخر له[2] وهذا ما يعرف عندهم بنظرية " التسبيع - أو الأدوار " وسوف نبحثها أيضاً في الفصل الخاص بالتأويل الإسماعيلي في الإمامة .

ومن الطوائف الإسماعيلية التي كان لها دور أساسي في تكوين المذهب الباطني الإسماعيلي بإيجاز :-

١- المباركية والخطابية :

يذكر الأشعري "الصنف التاسع عشر من الرافضة نسبة لرئيسهم "المبارك " يسوقون الإمامة من علي بن أبي طالب حتى ينتهوا بها إلى "جعفر بن محمد" ويزعمون أن جعفراً جعلها لإسماعيل ابنه دون سائر ولده فلما مات إسماعيل في حياة أبيه صارت في أبنه " محمد بن إسماعيل " وزعموا أن محمدا بن إسماعيل قد مات وإنها في ولده من بعده وقال بعضهم برجعته بعد غيبته[3]. وقد انصب أنصار "

---

(١) الشهرستاني ، الملل ، جـ١ ، ص١٩٢، ص١٩٣.
(٢)محمد بن الحسن الديلمي ، بيان مذهب الباطنية وبطلان ، ص٢١.
(٣) الأشعري ، مقالات ، جـ١ ، ص٩٩ ، الشهرستاني ، الملل ، ص١٦٨ .

" أبى الخطاب " فى هذه الفرقة وأحاطوا الأئمة بالغلو من كل جانب[١] وإضافة الإمامة إلى محمد بن إسماعيل بدأت الإسماعيلية الباطنية[٢].

وقد كانت هناك صلة بين الخطابية والإسماعيلية وكما علمنا فيما سبق أن الإمام جعفر الصادق تبرأ منهم – كما أن الخطابية كانت حركة مؤصلة لغلاة الإسماعيلية والباطنية . وتنتسب إليهم فكرة التبنى الروحى – التى كانت ملهمة للقداحية فيما بعد فيما يذكر ما سينسبون[٣] ومن الجدير بالذكر أن غلاة الخطابية قد تأولوا أركان العقيدة على الأشخاص فقالوا الصلاة رجل ، والصيام رجل والفواحش رجال .. وهكذا[٤] كذلك : اعتقدوا بأن محمد بن إسماعيل يبعث برسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد صلى الله عليه وسلم – وقد اعتمدوا على فكرة أبى منصورة العجلى (من غلاة التشيع) الخاصة بالتأويل وبالتنزيل وعلى الأرقام العددية (١٢) اثنا عشر ، العدد (٧) سبعة[٥].

ولا شك أن معظم العقائد الإسماعيلية قد أصلتها هاتين الطائفتين :–

أولها : قولهم أن الإمامة فى إسماعيل بن جعفر وأن الإمام بعده ابنه محمد بن إسماعيل (أى أن النص لا يرجع القهقرى – وأن البداء محال).

ثانيا : قولهم بغيبة محمد بن إسماعيل ورجعته وأنه القائم المهدى وانه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد رسول الله[٦].

ثالثا : قولهم بعقيدة التبنى الروحى – كما يرى ما سينسبون أن أبا الخطاب يعد

(١) دكتور ، النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ، جـ٢، ص٣٠٧.
(٢) دكتور كامل الشيبى ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٢٠٧ ط دار المعارف ١٩٦٩م.
(٣) المصدر السابق ،ص٢٠٨ النشار ،نشأة الفكر الفلسفى جـ٢،ص٣٧١.
(٤) دكتور ، برنا رد لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص١٠١ .
(٥) دكتور كامل الشيبى ، الفكر الشيعى ، ص٢٩.
(٦) دكتور كامل الشيبى الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٢٠٩.

أبا روحياً إسماعيل بن جعفر لكونه لقب أبا إسماعيل كما لقب (سلمان الفارسى) ابن الإسلام[1].

رابعاً : فكـرة البـاطن – والتـأويل – واصطنـاع الرمـز والإشـارة والتطـابق بين العالم المادى والعـالم الروحـى الـذى رتبـه الله تعـالى متناسـقاً مـع النظام الذى ينعكس مـن الخلـق المـادى يعنـى أن عقـائد الإسماعيليـة منـذ بدايتـها دخلـت بحـر الباطنيـات – بالتـأويل وصبـغ العقـائد بالصبغـات الفلسفية الغنوصية والغلو فى حق الأئمة[2].

خامساً : إدخـال فكـرة التشييع – التـى سـبقت عنـد غـلاة التشـيع (أبـى منصـور العجلى).. فقد فعل ذلك الإسماعيلية فى عقيدتـهم حيث حـاولوا تـأصيل فكرة "الإمامة" الخاصة بهم فجعلوها سلاسل سباعية بعضها ظاهر والآخر مستور[3]كما سترى فى فصل التأويل فى الإمامة .

٢- القداحية والقرامطة :

وهنـاك اختـلاف كبـير وأختـلاط فـى الآراء حـول فرقتـين كبـيرتين مـن الإسماعيلية هما القداحية " القداحون" و القرامطة .. مـن حيـث نشـأتهما ودورهما الكبـير فـى تكويـن الآراء والعقـائد الغاليـة التـى حدثـت فـى أحضـان المذهـب الإسماعيلى– ولم تقتصر مثل هذه الاختلافات على أهل السـنة ومؤرخيـهم فقـط بـل أمتدت بين مؤرخى وعلماء المذاهب الأخـرى مـن الشيعة المعتدلـة كذلـك البـاحثين المحدثين ، وربما كان منشآ الاختلاف يدور حول مـدى أنتسـاب أربـاب الطـائفتين للإسماعيلية أو الفرع الفاطمى الحقيقى .. هل يمكن أن تعتبر القداحية والقرامطة من

(١) المصدر السابق ، ص٢٠٨.

(٢) يرجع إلى دكتور برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية ، ص١٠٢.

(٣) دكتور ، كامل الشيبى ، الصلة بين التصوف والتشيع ص٢٠٩.

دعاة الإسماعيلية ؟ أم انهم من غلاة التشيع الذين ينتسبون إلى عناصر وجنسيات أجنبية دخلوا أو انتسبوا للمذهب تحت ستار التشيع الإسماعيلى بدافع سياسى أو عقائدى ؟ بل أن من الأمور الخطيرة أن فترة الستر والتخفى التى أعقبت موت الإمام محمد بن إسماعيل منذ عام ١٩٨هـ – وحتى عام ٢٩٦هـ والتى عرفت فى تاريخ الدعوة الإسماعيلية بدور أئمة دور الستر ولم تكشف لنا الكتب والمؤلفات الإسماعيلية عنها شيئا إلا رمزا أو بإشارات غامضة أدت إلى تشكيك المؤرخين من أهل السنة وبعض الباحثين فى نسب الفاطميين .. إذا .. علمنا مسبقا أن الدعاة كانوا يتسمون أو يلقبون بأسماء وألقاب أئمتهم فى هذه الفترة الغامضة .

ورغم ذلك فإن الثابت تاريخياً الدور الكبير الذى لعبته حركات القداحين والقرامطة سياسياً أو عقائدياً فى تكوين وتثبيت الدعوة الإسماعيلية وعلى ذلك فإنه يجدر بنا " وبدون أن ندخل فى تفاصيل كثيرة تذهب بنا عن مقصو دنا " أن نتعرف على دور هاتين الفرقتين فى تكوين المذهب الإسماعيلى وحتى فترة دور الظهور أى بعد أن تكونت للإسماعيلية دولة فى المغرب ثم مصر واليمن .. وهكذا .

ذهب مؤرخوا الفرق والباحثين إلى أن هناك صلة بين غلاة التشيع الإسماعيلى من الخطابية وبين القداحية والقرامطة " يقول ابن رزام أن الميمونية أتباع ميمون القداح كانوا تلاميذ أبى الخطاب وحواريه كذلك يذكر ابن الأثير : بأن أبا الخطاب اول من فعل ذلك " أى انه زعم أن جعفر ذو طبيعة إلهية " وان ميمون القداح كان تابعاً له ويقول التوبرى فى رواية عن ابن شداد: بأن ميمونا من أصحاب أبى الخطاب وكانوا يقولون بالتأويل والباطن وأن الحركة التى بثها ميمون وأبنه "عبد الله" كانت فى جوهرها حركة أبى الخطاب نفسه[1] .

---

(١) دكتور برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص١٠٢ ، كذلك أبن النديم ، الفهرست ، ص١٨٦.

كذلك أن هناك علاقة بين الخطابيــة وبـين القرامطـة فقـد دخـل اتبـاع ابـى الخطاب فى طائفة " المباركية ثم افترقوا عدة فرق منها فرقة (القرامطة)[1].

ولكن من هم القرامطة والقداحية .. وما هى عقائدهم ؟.

بدأت الإسماعيلية الباطنية من أسرة جديدة تبنت هذه العقيدة هى أسرة عبد الله بن ميمون القداح المتوفى عام (٢٦١هـ) ومـن قبلـه أبـوه ميمـون ابـن ديصان القداح الذى كان مولى جعفر الصادق والواقع أن الأخبار التى تتصل بـهذين الداعيـين مضطربة أشد الاضطراب كما سنرى[2]عند مؤرخى وعلماء المذاهب من أهـل السـنة أو الاثنى عشرية وغيرهم ولا شك أن المؤرخين والباحثين قد اختلفوا فى شأن القداحيـة والقرامطة ولكننا سوف نأخذ بأقرب الآراء إلى الثقـة والوضـوح بقـدر مـا يسـمح بـه موضوع البحث دون الدخول فى التفاصيل .

يقول المقريزى أعلم أن هذه الدعوة منسوبة إلى شخص كـان بـالعراق يعـرف بميمون القداح وكان من غلاة الشيعة فولد أبنـا عـرف بعبـد الله بـن ميمـون ، اتسـع علمه وكثرت معارفه وثبت له مذهبـا وجعلـه فـى تسـع دعـوات ، ودعـا النـاس إلى مذهبه فاستجاب له خلـق ،وكـان يدعـوا إلى الإمـام محمـد بـن إسمـاعيل وظـهر مـن الأهواز ، ونزل بعسكر مكرمة فصار له مال واشتهرت دعوتــه فـأنكر النـاس عليـه وهموا به ففر إلى البصرة ومعه من أصحابه الحسين الأهوازى فلما انتشر ذكـره بـها طرد فصار إلى بلاد الشام وأقام بسلميه ، وبها ولد له أبنه احمد فقام مـن بعـد أبيـه عبد الله بن ميمون فسير الحسين الأهوازى داعيــة لـه إلى العـراق فلقـى حمـدان بـن الأشعث المعروف "بقرمط" بواد الكوفة فدعـاه واسـتجاب لـه وأنزلـه عنـده ثـم ولـد

(١) المصدر السابق ، ص١١٢.

(٢) دكتور كامل الشيبى ، الصلة بين التصوف والتشيع ص٢١٠.

لأحمد بن عبد الله بن ميمون القداح أبنه الحسين ومحمد المعروف بالشلعلع فلما هلك أحمد خلفه أبنه الحسين ثم قام من بعده أخوة أبو الشلعلع وكان من أمرهم ما هو مذكور فى مواضعه فانتشرت الدعاة فى أقطار الأرض ووضعوا الكتب الكثيرة فى فن الدعوة . ويقال أن أصل الإسماعيلية مأخوذ من القرامطة[1].

وتفيد المصادر الأخرى الأشارة إلى بعض الآراء بالإضافة إلى ما سبق نذكره منها ما ذهب إليه البغدادى وابن النديم ومن أخذ بآرائهما من المؤرخين المحدثين قولهم.. كان ميمون القداح بن رجل مثنوى يدعى ديصان وكان يعتقد بمبادئ غالية وكان من اتباع أبى الخطاب وكان هو وأبنه ديصانيين ، وكان أبنه عبد الله بن ميمون أشر منه ، وكان يدعوا فى الظاهر للإمام محمد بن إسماعيل وأصطنع التشيع لآل النبى وأظهر الزهد والعبادة .. وعندما أفتضح أمره .. صار إلى البصرة ونزل على قوم من أولاده عقيل بن أبى طالب ودعا لمحمد بن إسماعيل ..وكان بصحبته حسين الأهوازى وهربا إلى سلميه وبث الدعاة من سليمة إلى العراق فأجابه رجل يعرف بحمدان قرمط .. ونصب له عبد الله رجلا يكاتبه من الطالقان .. ثم مات عبد الله (٢٦١هـ) فخلفه أبناؤه فى توجيه الدعوى حتى نجح أحدهم ويدعى "سعيداً" فى أن يؤسس الدولة الفاطمية فى أفريقيا وأدعى أنه المهدى وأنه من سلالة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وقد وطأ عبد الله رجل من فارس يدعى بمحمد بن الحسين ويلقب "بزاذان" من الكرخ وكان هذا الرجل عالماً بالنجوم شعوبياً.. ويذهب البغدادى إلى آراء تشبه تلك الآراء السابقة ..ومعظم كتابات أهل السنة تقدح فى نسب القداحية[2] أما فى كتابات الشيعة الاثنى عشرية فأنهم يجعلون عبد الله بن

---

(١) المقريزى ، الخطط والآثار ، جـ٢ ، ص٢٣٢ ط الشياح بلبنان بدون تاريخ .

(٢) نظرنا فى ذلك: دكتور برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية ، ص١٣٣ ص١٣٦ إلى ص١٤٨ ، أبن النديم ، الفهرست ، البغدادى الفرق بين الفرق ، ص٢٦٦ وما بعدها ، دائرة المعارف الإسلامية جـ٣"مادة الإسماعيلية " ص٣٧٦.

ميمون القداح من أصحاب جعفر الصادق ورواية للحديث إذ يذكرون ما ينقله برنـارد لويس " عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح " أحد موالى بنى مخـزوم وكـان يشـتغل بالبصريات ، وكان أبوه راوية باقر وجعفر الصادق ، وكان هو نفسه رواية لجعفر الصادق أيضاً ألف كتباً عدة ، ويشير الطوسى ت (٤٦٠هـ) إلى كون عبـد الله مؤلفاً ومحدثاً وقد روى عنه محمد بن يعقوب الكُلينى ت(٣٢٩هـ)[1] .

ولا تقل كتابـات علمـاء ومؤرخـى الشيعة الزيديـة فـى القـدح والطعـن فـى القداحية والقرامطة مثل أهل السـنة ،وهـذا واضـح مـن خـلال مـا قـرره ابـن مـالك الحمادى حيث ذكر (وأصل هذه الدعوى الملعونة " بقصد دعـوة الباطنيـة القداحيـة " ظهور عبد الله بن ميمون القداح فى الكوفة ..ودخوله فى الفلسفة واسـتعماله الكتب المزخرفة .. ومكيدته للإسلام ..ويذكر منهجه بما يفيد طريقته فى التأويل البـاطنى وجعله لكل مثل ممثول والطعن فى الصحابة .. الخ ثـم يتحـدث عـن صلـة القداحيـة بالقرامطة وبعدد أشخاصهم كما سنرى ذلـك بعـد قليـل .. وان "عبيـد الله المـهدى " مؤسس العبيدين او الفاطميين بالمغرب ومصر من سـلالة القـداح .. ويطعـن فـى هـذا النسب بما يفيد عدم نسبتهم الى آل البيت النبوى الشريف – كذلك يذهب إلى مثل هذه الآراء أحد علماء الزيدية الآخرين فى فترة متأخرة[2] .

أما المصادر الإسماعيلية فتشير فى "كتب الدروز" إلى أن محمد بن إسمـاعيل كان الناطق السابع ، وكان ميمون القداح "يدعى تأويلى" أساسه ، وذكر فيها أن عبـد الله هو أبن ميمون وأن ميموناً هو جد سعيد "مـهدى" ويذكـر دسـتور المنجمـين وهـو

---

(١) برنارد لويس ، أصول الاسماعلية ، ص١٤٧ لمزيد انظر كذلك ، دكتور النشار نشأة الفكـر الفلسـفى فى الإسلام جـ٢ ص٣٨١.

(٢) نظرنا : محمد بن مالك الحمادى اليمانى ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص١٦،ص١٩ ، كذلك محمد بن الحسين الديملى ، بيان مذهب الباطنية ، وبطلانه ،ص ٢٠ ،ص٢١.

كتاب إسماعيلى قديم ميموناً على انه من أصحاب باقر ، وعبد الله من أصحاب جعفر الصادق .. ويقول كلام بير : بأن عبد الله بن ميمون كان حجة فى زمن الستر أى المدة التى تلت جعفر الصادق . بينما يجعله "كتاب زهر المعانى للداعى إدريس " من أبناء سلمان الفارسى ولعله يقصد ذلك من الناحية الروحية[1].

ورغم هذا الاختلاف بين المؤرخين وعلماء المذاهب حول هذه المسألة غير انه بالإمكان التعرف على حقيقة دعاة القداحية وصلتهم بالأئمة الإسماعيلية من خلال بحث نظرية ذات أهمية كبيرة فى نشأة وبلورة المذهب والدعوة الإسماعيلية وهى نظرية "الإمام المستودع" والإمام المستقر " أو نواب الأئمة الإسماعيلية من بيت القداح .

والمعروف لدى المؤرخين من علماء المذاهب وكذلك الباحثين المحدثين أن الإسماعيلية أو الباطنية من الشيعة قد اصطنعوا طريقة "الستر" أو التقية" فى عهد تكوينهم المذهبى الأول . وهذه الفترة من أشد فترات المذهب الاسماعيلى غموضاً واضطراباً إذ أن المصادر لا تطلعنا على محتويات فترة الستر ، حتى أن دعاة المذهب الإسماعيلى الذين أرخوا للمذهب لم يذكروا شيئاً عن ذلك وعلى سبيل المثال ، فقد حاول القاضى النعمان بن محمد بن حيون المغربى (ت بالقاهرة ٣٦٣هـ) أن يؤرخ للدعوة الإسماعيلية فوضع كتابه افتتاح الدعوة " ولكنه بدأ تاريخه ببعثه أبى القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان " الكوفى داعية المذهب الى بلاد اليمن فى النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة ثم تحدث عن حركة أبى عبيد الله الشيعى بالمغرب إلى قيام عبيد الله المهدى بتأسيس الدولة الفاطمية (٢٩٦هـ) ببلاد المغرب ولم يذكر القاضى النعمانى شيئاً عن تاريخ الإسماعيلية عقب وفاة الإمام جعفر

---

(١) دكتور برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص١٥١.

الصادق ، بل جعل تاريخه بعد قرن تقريباً من وفاة الإمام جعفر وسكت غيره كذلك عن ذكر ما جرى فى هذه الفترة . وهى فترة دور الستر كما ذكرنا ، وهى سبب اختلاف المؤرخين حول نسب الفاطميين(١).

وإذا كان الأئمة الإسماعيلية اضطروا إلى الدعوة السرية من اضطهاد العباسيين فإنهم اضطروا أيضاً إلى التستر والتكتم الكثيف " او التقية " حتى أن الإمام محمد بن إسماعيل سمى "بالمكتوم" فإنه خلفه قد قيل عنهم الأئمة "المستورون" فى ذات الله خوفاً على أنفسهم وكان على النقيض من ذلك بالنسبة لدعاة الأئمة فكان الأئمة يظهرون دعاتهم الذين عرفوا غالباً " بالحجج " لكى ينقلوا عقائدهم وينشرونها بين الناس ، وأن لم يكشفوا إطلاقاً عن شخصية الإمام. وكان الأئمة الإسماعيليون فى تسترهم يلجأون إلى وسائل متعددة منها : أن أربعة من ولد جعفر الصادق ادعوا الإمامة لأنفسهم بقصد "ستر الإمام الحقيقى " وهم موسى ، إسماعيل ، محمد ، عبد الله" كذلك فإنهم خلطوا أنفسهم بغيرهم " أو تلقب غيرهم بأسمائهم" محمد بن إسماعيل "المكتوم" أختفى مع شخص أسمه ميمون القداح وأبنه عبد الله – للتلبيس ، أو تسموا بغير أسمائهم كمحمد وعبد الله أو بأسماء حججهم ، كسعيد ،ومبارك ، وميمون ، أو أن دعاتهم سموهم بأسماء مختلفة لم يتفق عليها اثنان(٢)وهكذا نستطيع أن نقول بظهور نظرية الإمام المستودع والإمام المستقر – وهذه النظرية من ركائز المذهب الإسماعيلى الفاطمى على مر العصور .

---

(١) نظرنا فى ذلك : دكتور محمد كامل حسين ، المجالس المستنصرية "المقدمة" كذلك القاضى النعمان بن محمد "قاضى قضاه الدولة الفاطمية " رسالة افتتاح الدعوة ،ص٣٢ وما بعدها ، تحقيق دكتورة وداد القاضى ، ط دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٧٠ م.

(٢) دكتور عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر "التاريخ السياسى" ص٨٢ ، ص٨٣ ط دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م، كذلك دكتور محمد كامل حسين طائفة الإسماعيلية ، ص٢٠ وما بعدها .

لكن ما الفرق بين الإمام المستودع والإمام المستقر عند الاسماعيلية ؟ ينبغي أن نفرق بين إمام مستودع وإمام مستقر ، فالإمام المستودع هو الذى يكون وصياً على أبن أحد الأئمة فى حال طفولته ، وحينما يبلغ هذا الطفل مرحلة البلوغ والنضج يصبح إماماً مستقراً ، ويقصى الإمام المستودع عن مرتبته ، والإمام المستقر هو صاحب النص الشرعى والسلطان الروحى وعصمته ذاتية .. أما الإمام المستودع فلا يتمتع بسلطان روحى ولا حق له فى نقل الإمامة لأحد أبنائه ، بل يحتفظ بمرتبه الإمامة لصاحبها الشرعى ويحكم باسمه أما عصمته فعصمة مكتسبة فحسب[1].

وعلى هذا يمكن أن نعتبر بالاتفاق مع آراء الباحثين والمؤرخين فى العصر الحديث أن أسرة ميمون القداح فى دور الستر وحتى ظهور الدعوة الإسماعيلية الفاطمية " دور الظهور "بالمغرب ثم مصر بعد ذلك كانوا حججاً ودعاة ومستودعون للأئمة الاسماعيليين الحقيقيين أو "المستقرون " .

من غير أن نطيل فى هذه الناحية إلا أن يمكن القول بأن ميمون القداح : هو أول من اتخذه الأئمة المستورون حجة ونائباً لهم . وقد جعله جعفر الصادق حجاباً وستراً على حفيده محمد بن إسماعيل " أول الأئمة المستورين" أما عبد الله بن ميمون القداح فقد كان حجة وحجاباً للإمام عبد الله الرضى بن محمد بن إسماعيل يقول الداعى إدريس : بأن الإمام عبد الله الرضى كتم نفسه وستر حجته وحدوده . فكان حجته وحجابه عبد الله بن ميمون رضوان الله عليه - بل تذكر المراجع الإسماعيلية "الداعى إدريس فى زهر المعانى " : أن عبد الله كان حجة للإمامين عبد الله الرضى بن محمد بن إسماعيل وأحمد عبد الله الرضى - أما احمد الحكيم الملقب بأبا الشلعلع بن عبد الله بن ميمون القداح : فقد كان حجة للإمام الحسين بن أحمد .. كما تذكر

(١) دكتور محمد على ابو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٨٥.

المصادر التاريخية[١]أما عبيد الله الحجة (المهدى) يسمى عبيد الله أبـا محمـد سـعيد بن الحسين بن عبد الله القداح ويسميه بعضهم سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل فبينما يعتبره البعض من سلالة القداح ، فإن البعض الأخر يعتبره من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق ولكـن الأرجـح كمـا سـنرى أنـه مـن سلالة القداح[٢].

والمعروف أنه كان لعبد الله بن ميمون القداح أبنـاء ثلاثة قـام كل منهـم بدور هام فى تقوية الدعوة الإسماعيلية وهؤلاء هم : احمـد – والحسـين – وعلـى.. وقد جعل عبد الله بن ميمون القداح علـى غربـى العـالم الإسـلامى أكـبر أبنائـه وهـو الحسين بن أحمد بن عبـد الله بـن محمـد بـن إسمـاعيل " ليحيـط إمامـه بسـياج مـن السرية والغموض – ولما مات الحسين بـن عبـد الله بـن ميمـون فـى حيـاة أبيـه عـهد بمعسكر سليمة إلى أبنه أحمد بعد موت الحسين هذا واتخذ من مدن العراق وخاصـة الكوفة وبغداد مركزاً أساسياً لبث دعوته – أما فى المعسكر الثالث فكان فى "الطالقان " بخرسان . أقام فيه عبد الله بن ميمون أبنا ثالثاً كان على اتصال دائم بالقرامطة فـى سواد الكوفة قال بن النديم " وأقام قرمط بكواذى (قرب بغداد) ونصـب لـه عبـد الله بن ميمون رجلاً من ولده يكاتبه من الطالقان : لهذا الداعى القداحى دور خطـير فـى تنظيم الدعوة الإسماعيلية بين القرامطة . إذ أنه ما كان يعلم بانتفاض حمـدان قرمـط وصهره عبدان على ابن أخيه سعيد بن الحسين وإمامه الحسين بن أحمد حتـى تـآمر على زكرويه بن مهرويه الداعى القرمطى النشيط على قتل عبـدان لكـن نهايـة قـداح الطالقان مجهولة[٣].

(١) رجعنا إلى دكتور : حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص٤٠ ، ص٤٧ .
(٢) نظرنا : المصدر السابق ، ص٧٧.
(٣) المصدر السابق ، ص٦٦ ، ص٦٩.

وعلى ذلك فإن "عبيد الله المهدى" المسمى أبا محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح – الذى آلت إليه زعامة الدعوة الاسماعيلية من الناحية العلمية بعد أن مات عمه احمد بن عبد الله القداح عام "٢٨٠م" وآلت إليه رتبه حجة الإمام المستور . وقد ولد سعيد هذا عام "٢٥٩هـ" أو عام "٢٦٠هـ" على الارجح وكان تحت وصاية عمه أحمد بن عبد الله الملقب أبا الشلعلع .. إذ عهد (سعيد) الحجة هذا تنظيم الدعاية وترويج المذهب الإسماعيلى فى كافة أرجاء العالم الإسلامى .. وكان عليه أن يحفظ شخص الإمام العلوى الحسين بن أحمد فى سلمية – كما فعل آبائه القداحون مع الأئمة العلويين المستورين منذ أيام محمد بن اسماعيل . وأن يتعهد الدعوة فى بلاد اليمن والمغرب ويتصل بزعماء الدعوة هناك بأسم الإمام وكانت بلاد اليمن والمغرب اشد اتصالاً بالإمام نفسه من اتصال قرامطة السواديه[1].

وعلى ذلك نستطيع أن نلتمس مفتاح مشكلة الخلط والاختلاط بين الأئمة الإسماعيليين وحججهم من القداحين من خلال نظرية التبنى الروحانى أو الإمامة المستودعة ، والأئمة المستقرون .

فلأئمة المستقرون وهم يمثلون شجرة أئمة الاسماعيليين العلوية وهم أبناء على بن أبى طالب روحياً وجسمانياً وهم : محمد بن إسماعيل وعبد الله الرضى وأحمد بن عبد الله والحسين بن احمد [2] وعلى المعل – محمد القائم .

أما المستودعون (القداحون وحتى ظهور الدولة الإسماعيلية الفاطمية بالمغرب : هم : – ميمون القداح – عبد الله ميمون – الحسين بن عبد الله بن ميمون– احمد بن عبد الله – سعيد بن الحسين بن عبد الله (الملقب سعيد الخير وهو عبيد الله

(١) المصدر السابق ، ص٧٧،ص٧٨.

(٢) نظرنا : الداعى الاسماعيلى ، أبو المعالى حاتم بن عمران بن زهرة ، رسالة الأصول والأحكام ، ص١٠٦ ضمن خمس رسائل تحقيق عارف تامر .

المهدى حجة الإمام). ومؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب[١] ويجب أن تقرر حقيقة هامة وهى أن الداعى الإسماعيلى إدريس أشار فى زهر المعانى إلى أن الإمام الإسماعيلى الحسين استودع سعيد الخير الإمامة ليردها إلى أبنه القائم وأن سعيد هو المهدى (الذى كان شمس الله الطالعة وآيته الساطعة والحجاب الأعظم .. حامل أمانة الله وديعته .. ومسلمها إلى القائم بامر الله ولده المنتسب إليه بتعليمه واقادته وهو الخليفة القائم منه لعلى جده أمير المؤمنين من محمد رسول الله الأمين[٢] .

وإذا انتقلنا لمعرفة دور القرامطة وصلتهم بالقداحية فى الدعوة الشيعية الاسماعيلية أو الباطنية فإن المصادر التاريخية تفيدنا بأن دعوتهم فى الإمامة كانت لمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق مثلهم فى ذلك مثل كل الطوائف الاسماعيلية الأخرى مباركة خطابية وقداحية قالوا (نص جعفر على إمامة ابن أبنه) محمد بن إسماعيل وزعموا أن أبن محمد بن إسماعيل حى إلى اليوم ولم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض وأنه هو المهدى الذى قدمت البشارة به واحتجوا فى ذلك باختيار .. أدوارها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم[٣]يذكر ابن النديم عن ابن رزام فيما يتعلق بالاتصال بين القداحية والقرامطة : بعث عبد الله بن ميمون القداح الدعاة الى سواد الكوفة فأجابه من هذا الموضوع رجل يعرف "بحمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط " لقصر كان فى متنه وساقه وكان بقارا فى القرية المعروفة بقس بهرام، ورأى قرمط وكان داهية ، ونصب لدعوته "عيدان" وفرق عيدان الدعاة فى سواد الكوفة أقام قرمط بكواذى ، ونصب له عبد الله بن ميمون رجلاً من ولده يكاتبه

---

(١) للمزيد يرجع إلى : دكتور حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ص٦٦ ، ص٨١ دكتور برنارد لويس، أصول الإسماعيلية ص١٦١ ، ص١٦٣.

(٢) المصدر السابق ، ص٨٠.

(٣) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ص٩٨.

من الطالقان[١] .

ويبدو أن حمدان بن الأشعث أو حمدان قرمط . كان أكبر شخصية باطنية فى أواخر القرن الثالث .. ذكر البغدادى : أنه نسب الى الصابئين بحران .. او كان على علم بمذاهب الصابئة الحرانية ، وهذا المذهب أفلاطونى فلسفى مع عناصر غنوصية[٢].. ويبدو أن أول داعية باطنى للبحرين هو " يحيى بن المهدى" ويبدو أيضاً أن يحيى هذا كان هو " على بن عبد الله بن ميمون " قداح الطالقان ، وقد نسمى على عادة الباطنية الاسماعيلية باسماء مختلفة منها : أبو زكريا الطمامى ، ويحيى الطمامى ، ويحيى بن على .. وقد ارسل حمدان قرمط فى نفس الوقت داعياً اخر هو ابو سعيد الجنابى .. وحين انتفض حمدان قرمط عبيد الله المهدى ، تابعه ابو سعيد الجنابى وقتل يحيى بن المهدى قداح الطالقان واستولى على الامارة بعد اختفاء حمدان ، ومقتل عيدان ، وأعلن أنه ممثل الإمام المهدى الذى وعد بظهوره عام ٣١٠ هـ.. وهو الإمام محمد بن عبد الله بن الحنفية[٣]وهذا يعنى فى رأى الباحثين أن هناك صلة قوية بين القرامطة وبين طائفة الغلاة من الكيسانية " الحنفية " خاصة فى سواد الكوفة والبحرية .. عندما اكتشفوا خديعة عبيد الله المهدى بن القداح له أو أن القرامطة حنفية فى الأصل ثم صبأت كلها إلى الإسماعيلية[٤].

وهناك رأى أخر يقول : بأن الداعى الحسين الاهوازى كان أول داعى إسماعيلى فيهم – وأنه استطاع فى عهد عبد الله بن ميمون أن يبث الدعوة فى سواد

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٧٩.
(٢) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٦٧ وما بعدها .
(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ٢ ، ص٤٥٢ ، كذلك نظرنا دكتور برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص ١٧٠.
(٤) لمزيد من الدراسة فى ذلك يرجع الى دكتور النشار ، نشأة الفكر ،جـ٢ ، ص٤٥٥، ص٤٥٦ ، لويس، أصول ، ص١٧٢ ، ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص٢١٠ ، ص٢١١ ، ط ليدن، ١٩٣٨م.

الكوفة ، ويستميل إليه حمدان قرمط ومعه جماعـة كبـيرة .. وكـانت سـليمة تغـذى القرامطة بالمبادئ والدعاة من حين الى حين كما استطاع القرامطة أن ينشئوا لهـم فـى سواد الكوفة دار هجرة عام "٢٧٧هـ" كانت مثـالاً احتـذاه الاسماعيليـة الآخـرون خاصة فى بلاد المغرب واليمن ثم البحرين[1].

وسواء كانت حركة القرامطة لأغراض سياسية او مذهبيـة عقائديـة ، وسـاء انتسبوا الى المباركية أو الى القداحية أو أنهم كانوا شيعة كيسانية حنفية ثـم صـاروا وتحولوا للتشيع الإسماعيلى الباطنى .. مما ذهب إليه واختلف بشأنه علماء الذهـب والباحثين فان القرامطة فرع من فروع الدوحة الإسماعيليـة ظـهروا منـذ عـام (٢٦٤ هـ) ولا يختلف الفرع عن الأصل الا فى بعض المسـائل الثانويـة فقط – والمعـروف أن حمدان قرمط هو مؤسس هذه الفرقة وأحد دعاه الاسماعلية وكـان سـاعده الأيمـن فـى ذلك صهره "عيدان" الذى وضع كتاباً شرح فيه المذاهب وذكر أن كل ما أوحى بـه مـن تـنزيل وشـرائع دينيـة يكـون حجابـا لمعنـى بـاطنى لا يـدرك إلا بالتـأويل الـذى لا يستطيعه سوى الإمام ومن يخلفه ، وذهب حمدان قرمط بين دعاته الآخرين فـأوفد " ذكروية الدندانى " الى العراق ، وأبا سعيد الجنابى الى جنوبى العجم والبحرين ولم يكن هؤلاء الثلاثة سـوى المنفذيـن لأوامـر الدعـاة الأعلـى منـهم مرتبـة ولم يكونـوا ليعرفوا بأسمائهم بل بألقاب مستعارة " كصاحب الظهور" و"صاحب الناقة " ... الخ وقد قامت ثورات أهمها ثورة ذكروية فى صحراء سـوريا (٢٨٨هـ) وثـورة خرسـان (٢٩٠هـ) ومات ذكروية عـام (٢٩٤هـ) وفـى البحريـن والاحسـاء نجـح أبـو سـعيد الجنابى نجاحاً باهراً واستولى عام (٢٨٨هـ) على جميـع البـلاد وراح يـهدد البصـرة وبغداد ، وبعد موت أبى سعيد خلفه أبنه أبو ظاهر سـليمان (٣٠١-٣٣١هـ) وهـدد

---

(١) دكتور : حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص٩٢ ، ص٩٣.

طرق الحجج .. وفى عـام (٣١٧هـ) دخـل أبـو طـاهر مكـة وقتـل أهليـها .. ونـهب الحجر الأسود وظل عشرين سـنة بعيـداً عـن الكعبـة ولم يرجـع إليـها الا بـأمر مـن المنصور الخليفة الفاطمى .. وهكذا فى تاريخ وشرح طويل[1] .. وهكذا مما يؤكـد أن هناك صلة قوية بين القرامطة وبـين الاسماعليـة الفاطميـة التـى تأسـس بـالمغرب ومصر بعد ذلك وكان لها فروع فى اليمن أيضـا . ولم يعكـر صفـو الصلـة القويـة بـين فروع الدعـوة الاسماعليـة خاصـة القرامطـة سـوى الاختلافـات والانشـقاقات بينـهم لأسباب سياسية وعقائدية . وأن شئنا القول طمعاً فـى السيادة والسـلطان ممـا حمـل زعماء القرامطة على شق عصا الطاعة على الإمام الفـاطمى " عبيـد الله المـهدى عندمـا تبين أنه لا يمثل الإمام الإسماعيلى الحقيقى (إمام الزمان المحجوب) فقد عـز علـى حمدان زعيم القرامطة كذلك غيره من زعمائهم " أن يرى على عرش الإمامـة داعيـاً لا يمت إلى العلويين بنسب ، من ناحية أخرى فقد عز على حمدان وزعماء دعوته أن يفاجأ بهذا الانقلاب دون سابق معرفة بذلك .. أقصد بذلك عندمـا أصبـح سـعيد بـن الحسين (عبيد الله المهدى) الحجة ، واستقلاله بالإمامة[2].

وهناك رأى آخر يقول : أن من أسباب تأليب القرامطة – وكذلك ثورة أبو

---

(١) رجعنا فى ذلك إلى : أ- حنا فاخورى ، د. خليل الجـر ، تـاريخ الفلسـفة العربيـة ، جـ١ ، ص٢١٧، ص٢١٩.

ب- بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص١٢٨ ، ص٢٣١ .

جـ- دكتـور النشـار ، نشـأة الفكـر الفلسـفى فـى الإسـلام جـ٢ ، ص٤٤٥ ، ص٤٥١.

د- دكتور برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية ، ص١٧٦ ، ص١٨٠ .

هـ- دكتور عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطمين ، ص١٠٩ ، ص١١٧

و- المقريزى ، الخطط والآثار ، جـ٤ ، ص١٨٣.

ز- محمد بن مالك الحمادى ، كشف أسرار الباطنية ، ص٢٠ ، ص٢٢.

ح- محمد بن عبد الله الزركش ، أعلام الساجد بأحكام المساجد الكتاب الخامس تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغى ط القاهرة عام ١٣٨٤ هـ.

(٢) نظرنا : دكتور حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص٩٣ .

عبد الله الشيعى وأخيه أبو العباس (بالمغرب بعد استقرار الدعوة هناك) على الإمام عبيد الله المهدى هو شكهم فيه حيث أن من مميزات الدعوة الإسماعيلية تسميتهم الأئمة بأسماء مختلفة حتى لا يعرف أحد من هو صاحب هذا الاسم فعندما يظهر لاتباعه ودعاته قد لا يعرفونه[1].

وعلى كل حال فقد كانت العلاقة بين القرامطة والفاطميين قوية فى بادئ أمرها ، وكان زعماء القرامطة يدعون الناس للدخول فى دعوة إمام الزمان المحجوب ويجمعون الضرائب باسم الفاطميين (أو باسم الإمام الفاطمى) كذلك فإن الفاطميين عند ظهورهم بالمغرب ومصر بعد ذلك فقد تبنوا المذهب القرمطى بدليل أن القرامطة لم يعيبدوا الحجر الأسود الى مكة الا بأمر من الخليفة الفاطمى المنصور[2] غير انهم تألبوا على الإمام الإسماعيلى فى (سليمة) وخلعوا طاعته وجعلوا الدعوة لزعمائهم دون أئمة الإسماعيلية – وحدث ما حدث من ثورات وحروب بينهم – وكان الإمام الإسماعيلى هو عبيد الله المهدى (أبا سعيد ابن الحسين القداح) ـ لكنه هرب الى الرملة ثم إلى فسطاط مصر ثم هرب الى مدينة (سجلماسه) بالمغرب وقد قبض عليه بنو الأغلب وسجن هو ومن معه – إلا أن أبا عبد الله الشيعى داعيته بالمغرب استطاع إنقاذه ثم أركبه دابة قادها بنفسه فى جموع كتامة وهو يقول هذا إمامكم ، هذا إمام الحق ، هذا هو المهدى وبذلك دخل الاسماعلية فى دور الظهور[3].

٣- الإسماعيلية من اليمن إلى المغرب ثم مصر :-

لم تكن الدعوة الإسماعيلية تقتصر على طوائف القداحية والقرامطة فى سلمية والبحرين فقط ولكن رياسة الدعوة بسلمية وجهت اهتمامها بنشر الدعوة

(١) دكتور : محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص٢٥، ص٢٦.
(٢) حنا فاخورى ، تاريخ الفلسفة العربية ، جـ١ ، ص٢١٩.
(٣) دكتور : محمد كامل حسين ، طائفة الاسماعيلية ، ص٢٥ ، ص٢٦ . كذلك القريزى ، الخطط ، جـ٣ ، ص١٥ ، ص١٦.

(المذهب الشيعى الإسماعيلى) فى اليمن والمغـرب ثـم مصـر بعـد ذلـك وكذلـك بـلاد فارس . وقد وضعت فى رئاسة تلك الأقاليم الرئيسية على حد تعبـير الإسماعيليـة " بحار الدعوة" وهم مجموعة من الدعـاة الأفـذاذ الذيـن خلـدوا أسمـاؤهم فـى عـالم الدعوة الإسماعيلية ..

ولا نريد أن نتوسع فى تفاصيل ذلك سوى أن نركز على كبار الدعاة فى هـذه البلاد واتجاهاتهم فقط .

ففى بلاد "اليمن " نشـطت الحركـة الاسماعيليـة نشـاطاً ناجحـاً عـن طريـق الداعى الإسماعيلى " أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفى : وقـد لقب بمنصور اليمن وفى عام (٢٦٦هـ) استطاع أن يجمع حوله عـدد كبـير مـن قبـائل اليمن . وأظهر بينهم الدعوة للإمام الاسماعيلى المنتظر .

وقد ساعده فى ذلك زميله " على بن فضل الجدنى" وقـد كـان علـى مذهـب التشيع الاثنا عشرى ثم استطاع القداح أن يستميله الى الدعوة للإمام الاسماعيلى .

والجدير بالذكر أن هناك أخباراً رويت بشأن الحسين بن خوشب أو منصـور اليمن منها " روى عن جعفر بن محمد أنـــه قـال " منـا المـهدى ومنـا المنصـور .. الخ وفيما يذكر بن مالك الحمادى : أن القداح قال لـه يـا أبـا القاسـم : أن الديـن يمـانى والحكمة يمانية .. وكل أمر يكون مبدؤه من اليمن .. الخ . واخذ القداح على كل من ابن حوشب وعلى بـن فضـل العـهود والمواثيـق .. للدعـوة وهكـذا فـى تـاريخ طويـل مضمون يعبر عن نجاح الدعوة الإسماعيلية وتأسيسها فى اليمن بفضل هذين الداعـين رغم أن هناك اختلافات حدثت بينهما وبعد أن توطـدت أركـان الدعـوة الإسماعيليـة فى اليمن بعث ابـن حوشـب الكثـير مـن الدعـاة الأخـرى فبعـث الى المغـرب الداعـى "الحلوانى " والداعى "السفيانى" - وقد توفى بعد قليل إلا انه بعث داعياً آخر أكمل

منا كانوا قد بدأوه فى شمال أفريقيا فبعث الداعى أبا عبد الله الشيعى .. فبعث الدعوة بين قبائل بنى كتامة بالمغرب باسم الإمام المهدى المنتظر[١] وفيما يتعلق باتجاه الدعوة فى اليمن أولاً فلا شك أن أبن حوشب كان يدعو الى الإمام "الحسين بن احمد " الإسماعيلى ، فلما ولى عهده أو نقل الإمامة مؤقتاً الى سعيد الخير (القداحى عن طريق الاستيداع الأمامى ، فإنه لم ينتفض عليه كما فعل حمدان قرمط ، ولم يثر عليه كالآثار دعاة القرامطة مثل زكروية وأبنائه .. ولما كتب له الإمام .. بالعهد لعبيد الله وإذن له بالحرب قام بدعوته وبثها فى اليمن .. وعمان واليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب . وكان يراسل الإمام وولى عهده حتى أن الحسن حين أدرك نجاح أبن حوشب قال لسعيد الخير " هذه دولتك قد أقبلت ، ولكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب[٢]".

ومن ناحية ثانية اتخذت الدعوة الاسماعلية فى اليمن عن طريق أبن حوشب فى أول أمرها ستاراً سنياً ثم بدأت ببث الدعوة الباطنية والتأويل وجذب الاتباع[٣] يذكر القاضى النعمان بن محمد أن من جملة ما عهد إليه صاحب الدعوة الإسماعيلية قوله له " أن لقيت من هو ألحن بالحجة منك ، فانغمس له فى الباطن، قال أبن حوشب : كيف ذلك ؟ قال له : نقطع الكلام ونريه أن تحت ما تريد الجواب به باطنا لا يمكنك ذكره فتحتجز بذلك منه الى أن تتهيأ لك الحجة عليه وأوصاه بعلى بن فضل الجدنى خيراً[٤]".

---

(١) نظر فى ذلك :- أ- محمد بن مالك الحمادى ، كشف أسرار الباطنية ص٢١ ، ص٣٠ .
ب- القاضى النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ص٢٣ ، ص٤٧ .
جـ- دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الاسماعيلية ص٢٢، ص٢٣.
د - دكتور حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص١١٢ .
(٢) دكتور حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ص ١١٢ .
(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام الجزء الثانى ، ص٤٢٣.
(٤) النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص ٤٢.

ومن ناحية ثالثة : فقد اتجهت الدعوة الإسماعيليـة اتجاهاً متطرفاً غاليـا سواء فى التأويل أو الإغراق فى الباطن وفيما يذكره ابن مـالك الحمـادى التحلـل مـن التكاليف الشرعية والخروج عن نطاق الشريعة مثلما فعل القرامطـة .. ولا سـيما عند على بن فضل اليمانى الجدنى .. فقد كان أكثر غلواً وكان يعمل باسم المستور " الحسين " فلما استخلف حجته (عبيد الله المهدى – سعيد الخير) القداحى وجعلـه إماماً مستودعاً لابنه (القائم) لم يرضى بذلك على بن فضـل وكذلـك حمـدان قرمـط – وأعلن ثورته عام (٢٩٩هـ) منفصلاً عن الخلافة الفاطمية الجديدة – وقـد اتجـه ابـن حوشب لمحاربته[١].

أما فيما يتعلق بالدعوة الإسماعيلية فى بـلاد "المغـرب" فقـد راجـت الدعـوة رواجاً عظيماً على أيدى دعاة " ابن حوشب" – كالحلوانى وأبى سفيان يذكر النعمان بن محمد بهذا الصدد " قدم إلى المغرب عام (٢٤٥هـ) رجلان مـن المشـرق.. أحدهمـا يسمى بأبى سفيان .. والثانى يعرف بالحلوانى .. كان يقول بعثت أنـا وأبـى سـفيان فقيل لنا أذهبا الى المغرب فإنما تأتيان أرضاً بورا – فأحرثاها وأكرياها وذللاها إلا أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها ".

وكان دخولهم المغرب ودخول صاحب البذر " أبو عبد الله[٢]ولا شك أن هذان الداعيان لعبا سدوراً كبيراً فى التمهيد بنشر الدعوة وتوطيد أركانها على يد أبى عبد الله الشيعى فيما بعد ..

ومن غير أن نطيل فى تفاصيل ذلك ، فإنه بعد وفاة هذين الداعيين خـرج الى المغرب أبى عبد الله الشيعى – وهو يدين بالطاعـة للإمـام الحسـن بـن أحمـد العلـوى

---

(١) ابن مالك الحمادى ، كشف اسرار الباطنية ، ث٢٣ وما بعدها .
– كذلك : دكتور النشار، المصدر السابق ، ص٤٢٣ .
(٢) القاضى النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص٥٤ ، ص٥٨.

وحجته أحمد الحكيم بن عبد الله القداح ووصل إلى المغرب وهو يدين بالطاعة للإمام الحسين وحجته الجديد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح (وهو سعيد الخير) – أو عبيد الله المهدى[1].

وباختصار نذكر كتب التواريخ فى خروج الداعى الإسماعيلى أبى عبد الله الشيعى فكان أبو عبد الله فى جملة من اجتذبتهم هذه العقائد فى جنوبى بلاد المغرب ، وقد استطاع فى موسم الحج بمكة أن يحظى بمبايعة قبيلة كتامة البربرية فأمروه على أنفسهم وسار معهم إلى بلادهم وهناك جمع من حوله جيشاً حارب به بنى الأغلب وهزم (٩٠٩م) أخرهم زياد الله الثانى – واستقرت الأمور لأبى عبيد الله فى (رفادة عاصمة بنى الأغلب[2]).

ويذكر المقريزى : أن أبا عبد الله الشيعى (الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى) من أهل صنعاء باليمن – وكان من كبار أصحاب الداعى الاسماعيلى بن حوشب قال له ابن حوشب عندما وردت الأخبار بموت الحلوانى ورفيقه : أن ارض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلوانى والسفيانى وقد مات وليس لها غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة لك .. فخرج من اليمن الى مكة واجتمع مع حجاج كتامة وسار معهم واخذ يغزى الناس فيقول " المهدى يخرج هذه الأيام ويملك الأرض فيا طوبى لمن هاجرا إلى وأطاعنى " وأخذ يذكر كرامات المهدى ويفتح الله له ويعدهم بأنهم يملكون الأرض كلها[3]".

ويذكر النعمان بن محمد من صفات أبى عبد الله الشيعى " أنه كان ذا علم وعقل ودين وورع أمانة ونزاهة ، وكان أكثر علمه الباطن ونظر فى علم الظاهر نظراً

(١) دكتور حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص١١٦ .
(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب العربية والإسلامية ، ص٢٥٠ .
(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٣ ، ص١٥.

لم يبالغ فيه[١]".

وبعد أن توطدت الدعوة وانتشرت فى بلاد المغرب ، يذكر المقريزى وغيره من المؤرخين لتاريخ الدعوة قولهم وسير أبو عبد الله إلى عبيد الله بن محمد (يقصد محمد الحبيب الذى يقال أنه الحسين بن أحمد العلوى) رجالاً من كتامة ليخبروه بما فتح الله له . وأنه ينتظره فرافقوا عبيد الله (بسلمية) من أرض حمص وسافر المهدى إلى مصر ولحق ببلاد المغرب ، ولكن ابن الأغلب قبض عليه (بسجلماسه) وحبس هو وأبنه (أبو القاسم) إلى أن انقذه أبو عبد الله الشيعى من الأسر ، وسار به بين القبائل وقال لهم هذا هو المهدى الذى كنت ادعوكم اليه ، ثم سار المهدى الى (رقاده) عام (٢٩٧هـ) .. فلما تمكن قتل أبو عبد الله الشيعى وأخاه عام ٢٩٨هـ .. فكان هذا ابتداء أمر الخلفاء الفاطميين[٢].

وهكذا تكللت أعمال أبو عبد الله الشيعى بالنصر والظفر وأقام دولة الفاطميين المنشودة ، وانتهى فى اليوم نفسه دور " الستر " أو دور الأئمة المستورين – ودخل تاريخ الإسماعيلية فى طور جديد هو دور "الظهور " – أى ظهور الأئمة الإسماعيلية الذين بدءوا يجهرون باسم الخلفاء الأئمة منذ أن وصل المهدى إلى أفريقيا عام (٢٩٨هـ[٣]).

قامت الدولة الفاطمية فى أفريقيا بعد أن قضى عبد الله الشيعى على دولة الاغالبة سنة (٢٩٦هـ) ، وكان قيام هذه الدولة نهاية عهد استتار الأئمة الذى بدأ

---

(١) النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص٥٩.

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٣، ص١٥ ، ص١٦ ، لمزيد يرجع الى النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص١٤٩ ، ٢٤٥ ،ص٢٧٣ ، دكتور حسن إبراهيم عبيد الله المهدى ، ص١١٧ ، ص١٢٢، ص١٢٤ ، ص١٤٣.

(٣) دكتور حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص١٢٢ .

بمحمد بن إسماعيل[١] وانتهى بظهور عبيد الله المهدى (مستودع الإمامة - القداحى) والذى عهد إلى أبنه (محمد أبى القاسم القائم) صلوات الله عليه وأجرى أمر كتبة باسمه وسماه ولى عهد المسلمين وكان يظهر السرور بـه إذا رآه ويتمثل كثيراً إذا طلع عليه فيقول :

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين

وقد قام (القائم بأمر الله صلوات الله عليه بعد المهدى واقتفى سيرته وآثاره وأحكامه ... الخ[٢]).

ولا شك أن الإمام القائم هذا يمثل الإمام (المستقر) وهو علوى إسماعيل والذى تسلسلت منه سلسلة الخلفاء الفاطمية فيما بعد هذا كما ثبت من نصوص أصلية تثبت هذا الاعتقاد ويبين أن الخليفة القائم كان أبناً روحياً لعبيد الله أو بالأحرى ولده " المنتسب إليه بتعلمه وإفادته[٣].

وأن عبيد الله المهدى أو (سعيد الخير القداحى) كان حجة للإمام المستقر العلوى الحسين بن أحمد - الذى استودع إمامته فى حجته بعد وفاته لكى ينقلها إلى أبنه القائم فيما بعد .. وهكذا . فيما تفيده أكثر المصادر ثقة .

ويمكن أن نتصور ارتباط الحجج بالأئمة الإسماعيلية المستقرون كآلاتى :

١- الإمام محمد بن إسماعيل ———— حجته / ميمون القداح .

٢- الإمام عبد الله الأكبر الرضى ———— حجته / عبد الله بن ميمون القداح.

٣- الإمام أحمد بن عبد الله ———— حجته / عبد الله بن ميمون القداح.

---

(١) المصدر السابق ، ص١٧٠ .

(٢) النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص٢٧٣ ، ٢٧٧ .

(٣) نظرنا : دكتور حسن إبراهيم ،/ عبيد الله المهدى ، ص١٥٧.

وكذلك أحمد بن عبد الله (الحكيم)

٤- الإمام الحسين بن أحمد بن عبد الله ــــــ حجته / سعيد الخير)عبيد الله المهدى

٥- الإمام القائم الإمام لا الخليفة ــــــ حجته / سعيد الخير) عبد الله المهدى

أسرة القداح : ميمون القداح

أحمد الحكيم : عبد الله القداح

على (قداح الطالقان) : الحسين عبيد الله (سعيد الخير[1]).

أسس عبيد الله المهدى مدينة جديدة بالمغرب (المهدية) وبدأ يقمع الثورات التى قامت ضده – وبدأ يتجه نظره لفتح البلدان الكثيرة ولا سيما مصر رغم إرساله للحملات العديدة لفتح مصر وكان على رأس بعضها الخليفة الإمام (القائم) المستقر منذ عام (٣٠١هـ) ثم توالت الحملات على مصر بعد ذلك من بعد وفاة عبيد الله المهدى وفى عهد القائم بأمر الله .. وهكذا .

ولكن لم يتم فتح مصر نهائياً الا فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله معد بن الخليفة المنصور بنصر الله إسماعيل بن القائم . سنة ٣٥٨هـ[2].

وإذا انتقلنا الى ظهور الإسماعيلية ودخولهم فى ثوب الدعوة الفاطمية إلى مصر فقد استطاع المهدى بعد أن أسس دولته بالمغرب أن يصنع لنفسه سياسة الاتجاه نحو بلاد المشرق وظلت هذه سياسة خلفاء وأئمة الفاطميين من بعده – وإذا كان المهدى قد بعث بحملات لفتح مصر وانتزاعها من أيدى "الإخشيديين" إلا إنها باءت بالفشل وقد قطن الاسماعليون إلى الدعاية وما لها من نتائج أقوى من الحملات

---

(١) المصدر السابق ، ص١٥٨ ، ص١٥٩ .

(٢) لمزيد من التفاصيل فى ذلك يرجع إلى : دكتور حسن إبراهيم المصدر السابق ، ص١٧٢ ، وما بعدها، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٧ بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٥٠ ، ص٢٥٤ .

الحربيـة فأرسلوا جملـة مـن الدعـاة إلى مصـر يبشـرون بعقـائدهم وفضـائل الأئمــة الإسماعيلية وقرب الخلاص من ظلم الحاكمين ويعدون الناس بعدالة اجتماعيــة فـى ظل حكم إمام من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من هؤلاء الدعاة فى مصر : الداعى فيروز – والداعى "أبو على صهر فـيروز" هـذا والـذى ظـل علـى ولائـه للمهدى ثم ابنه من بعده " محمد أبو الحسن" ابن الداعى أبو علـى ، والداعـى "أبـى جعفر بن نصر " وبفضل هؤلاء الدعاة دخلـت التعـاليم الإسماعيليـة مصـر ، وقبلـها المصريون قبل دخول " المعز لديـن الله الفـاطمى " مصـر عـام (٣٥٨هـ) بقيـادة قـائدة جوهر الصقلى[1].

والجدير بالذكر أن حالة الشرق عامة ومصر خاصة كانت تشـجع الفـاطميين على الاتجاه شرقاً وكان للدعاية الفاطمية الاسماعيلية أثر كبير فـى زعزعـة الأفكـار السيئة بالمشرق نظراً لضعـف الدولـة العباسـية فـى الداخـل والخـارج .. وإذا كـانت الدعوة الاسماعيلية قد انتشرت فى بلاد اليمن والبحرين ومصر وفارس وخرسان بـل وفى العراق نفسها .. فإن ذلك يرجع إلى التنظيم الدقيق فى الدعوة فى دراسة الأئمـة وإقامة دعاة مستقرين فى الأقاليم والمواقع الاستراتيجية وخاصة مصر[2].

ولا شك أن انتشار الدعوة فى المشرق ومصر خاصة كان بفضل الدعاة القائمين بها ويضاف لذلك انه كان لوجود الدولة "البويهية" الشـيعية أثـر كبـير فـى تدعيـم أركان الدعوة للأئمة الاسماعيليين الفاطميين . إذ يقـال أن البويـهيين همـوا بـالدعوة للإمام الإسمـاعيلى علـى منـابر بغـداد وقـد اعتنـق كثـير مـن ملـوك الشـرق الدعـوة الإسماعيلية . وقد أمر " أبا الحارس – البسا سيرى " عـام (٤٥٠هـ) خطبـاء بغـداد

---

(١) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص٢٩ وما بعدها .

(٢) دكتور حسن إبراهيم ، طه شرف ، المعز لديـن الله الفـاطمى (إمـام الشـيعة الاسماعيليـة ومؤسـس الدولة الفاطمية فى مصر ص٦٩ ، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧ .

بالدعوة باسم صاحب مصر الإمام الإسماعيلي "المستنصر بالله " لمدة عام كامل – لولا ضعف النفوذ الإسماعيلي الفاطمي بسبب ظهور السلاجقة الأتراك وهزيمة جيوشهم أمام جيوش "طغرل بك السلجوقي " وتهاون وزرائهم لأمور شخصية وكذلك الحروب الصليبية .. لاكتسح الاسماعيلية بلاد الشرق كلها .

يضاف لذلك أن بعض بلاد المغرب كانت قد خلعت طاعة الإمام الإسماعيلي وأعادت مذاهب أهل السنة والجماعة[1].

يذكر ابن الأثير في حوادث عام (٤٠٧هـ) فيما يتعلق بالشيعة بأفريقيا .. في هذه السنة في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد أفريقيا .. وكان سبب ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر .. الخ[2].

فتحت مصر عام (٣٥٨ هـ) بقيادة جوهر الصقلي قائد الإمام الإسماعيلي الفاطمي الخليفة المعز لدين الله .. وكانت هناك عوامل كثيرة ساعدت على ذلك ولكن ما يهمنا هو أن الإسماعيلية كانت لهم طريقة في نشر المذاهب والاعتقادات الإسماعيلية في مصر عندما فتحوا واستولوا عليها .. لكي يروجوا هذه الاعتقادات بين المعتنقين للمذاهب السنية من المصريين – ومن ذلك : أن جوهر الصقلي خاطب المصريين على لسان أمامه المعز لدين الله بقوله .. انهم إنما جاءوا لنجدة العالم الإسلامي عامة والمصريين خاصة من الأخطار واخذ على نفسه عهداً بتأمين المصريين، كذلك عمل على محو فكرة الغلو المذهبي التي رمى بها أهل السنة جماعة الإسماعيلية وخاطب المصريين بقوله " الإسلام سنة واحدة وشريعة متبعة ، وهي إقامتكم على مذهبكم وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض في العلم

---

(١) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الاسماعيلية ، ص٣٦، ص٤٠.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مجلد ٩ ، ص٢٩٤ ، ط دار صادر بيروت لبنان ١٩٦٦م.

والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم وثباتكم على ما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين بعدهم وفقهاء الأمصار – وأن يجرى الآذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله فى كتابه ونص نبيه صلى الله عليه وسلم فى سنته واجرى أهل الذمة على ما كانوا عليه[١] كذلك زاد جوهر الصقلى فى الخطبة عبارات تدل على رغبة الفاطميين فى جذب رعاياهم المصريين إلى أهل البيت قوله : " اللهم صلى على محمد المصطفى وعلى علىّ المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً ، اللهم صلى على الأئمة الراشدين اباء المؤمنين الهادين المهديين ".

كذلك زاد فى الأذان فى جامع عمرو بن العاص عبارة " حى على خير العمل " التى تميز الآذان الشيعى عن الآذان عند السنة ، وأمر بقراءة البسملة قبل الفاتحة فى الصلاة بصوت مرتفع بخلاف ما يفعله أهل السنة .. وهذا وغيره .. ويدل على إمعان الفاطميين الاسماعيليين فى نشر الدعوة للمذهب الإسماعيلى بطريقة غزو الأفكار السنية تدريجياً وغير ذلك من مظاهر الدعوة الأخرى[٢].

يضاف إلى ذلك أيضاً ما كان يلقيه دعاة المذهب في مجالس الدعوة فى المساجد خاصة ما كان يتخللها من إشارات رمزية وباطنية وتأويلات لنصوص القرآن ورواية الأحاديث خاصة لأهل البيت وأئمة المذاهب خاصة فى الجامع الأزهر ، والمجالس بالدعوة السرية لخاصتهم فقط مما ستذكره فيما بعد ذكر هيكل المذهب الباطنى ونظام الدعوة الإسماعيلية .

---

(١) دكتور حسن إبراهيم – المعز لدين الله الفاطمى ، ص٨٦ ، ص٨٧ ، ص٨٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص٤٣٢ ، ص٤٤٢، وأماكن متفرقة خاصة بهذه الأغراض .

ظلت الدعوة الإسماعيلية فى مصر فى ظل الخلفاء الفاطميين أو أئمة المذهب الإسماعيلى ما يقرب عن قرنين وتسع سنوات أى منذ فتح مصر فى عهد الخليفة المعز لدين الله منذ عام (٣٥٨هـ -وحتى عام ٥٦٧ هـ) عندما استطاع صلاح الدين أن يقوض دولة الفاطميين فى مصر[1]وقد شهدت هذه الفترة أعمالاً كثيرة على المستوى السياسى والعقائدى المذهبى فى دور ظهور أئمة الإسماعيلية الذين بدوا بالمهدى بالمغرب كما ذكرنا سابقاً .

ويحق لنا أن نذكر أئمة دور الظهور عند الإسماعيلية بالمغرب ثم مصر وحتى عهد انقسام طائفة الإسماعيلية إلى فريقين نزارية ومستعلية .

أئمة دور الظهور حتى الانقسام الأخير للإسماعيلية كالآتى :

١- عبيد الله المهدى ——— صاحب الظهور بالمغرب عام ٢٩٧هـ

٢- القائم بأمر الله أبو القاسم محمد ——— تولى الإمامة عام ٣٢٢ هـ.

٣- المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل ——— تولى الإمامة عام ٣٣٤ هـ.

٤- المعز لدين الله أبو تميم معد ——— تولى الإمامة عام ٣٤١ هـ .

وفتح مصر فى عهد عام ٣٥٨ هـ بقيادة جوهر الصقلى .

٥- العزيز بالله أبو منصور نزار ——— تولى الإمامة عام ٣٦٥ هـ.

٦- الحاكم بأمر الله أبو على المنصور ——— تولى الإمامة عام ٣٨٦هـ.

٧- الظاهر أبو الحسن على ——— تولى الإمامة عام ٤١١ هـ.

٨- المستنصر بالله أبو تميم معد ——— تولى الإمامة عام ٤٢٧ هـ توفى عام ٤٨٧هـ

وبوفاته حدث انقسام فى طائفة الإسماعيلية الفاطمية بمصر إلى فرقتين:

---

(١) لمزيد : دكتور كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص٤٦ وما بعدها كذلك ، دكتور حسن إبراهيم المصدر السابق .

هما الإسماعيلية النزارية (إسماعيلية شرقية) والإسماعيلية المستعلية (إسماعيلية غربية[1]) .

٤- تطور الشيعة الإسماعيلية بعد الانقسام فى مصر حتى العصر الحديث :-

تزعزعت وحدة الصف لدى الشيعة الإسماعيلية الفاطمية فى مصر بعد وفاة الخليفة الثامن " الإمام المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ" فانقسمت الإسماعيلية بعده إلى طائفتين او فريقين متنازعين أفضى فيما بعد الى زوال هذه الدولة العتيدة من مصر ومحاولة انضواء أئمتها وطوائفها وتعاليمها فى بلاد أخرى فى اليمن والهند والشام .. وبدون أن ندخل فى تفاصيل كثيرة فى هذا الصدد نريد أن نركز على النقاط الأساسية على أن نشير إلى مواضعه فقط .

الطائفة الأولى : التى تسمى بالإسماعيلية (المستعلية) أو الإسماعيلية الغربية وكانت توجد فى مصر واليمن ، واتباعها يقولون بإمامة " المستعلى بالله" الابن الثانى للمستنصر بالله الذى نادى به خاله الوزير الأفضل بن بدر الجمالى عام (٤٨٧هـ) وقد خلفه ابنه " الإمام الأمر بأحكام الله" وكان عمره خمس سنوات وكفله الوزير الأفضل واحمد بن الأفضل وقتله الإسماعيلية النزارية عام (٥٢٤هـ) وعين عمه الحافظ عبد المجيد بن المستنصر " إماماً بالنيابة أو إماماً " مستودعاً" على حسب اصطلاح الإسماعيلية ولم يكن للمذهب الإسماعيلى فى عهد إمامته أو إمامة من أتى بعده اتباع الا من اعتنق الدعوة فى مصر واليمن فقط[2].

وفيما يتعلق بالدعوة الإسماعيلية فى اليمن فى الفترة الأخيرة : ففى

---

(١) نظرنا : دكتور كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص٤٤ ، دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص٢٤١ .

(٢) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص٤٦ وما بعدها .

القرنـين الخـامس والسـادس للـهجرة تمكـن الإسمـاعيليون مـن القيـادة فـى اليمـن وأصبحوا أصحاب الحكم والكلمة فى عصر "الصليحيين" وكان هؤلاء دعاة للفاطميين ولجأ إليهم فـى النهايـة بقيـة اتباعـهم الذيـن رحلـوا إلى اليمـن يحملـون كتبـهم ورسائلهم[١] الخاصة بالمذهب الإسماعيلى وعقائدهم .

ولا شك أنه كانت هناك جذور للمذهب الإسماعيلى فى بلاد اليمن منذ نشأة الدعوة الإسماعيلية فى دور الستر وكان الدعاة باليمن يدينون بالولاء والطاعة للأئمة الفاطميين فى المغرب ومصر فـى دور الظـهور ولذلـك كـانت هنـاك صـلات ورسـائل مستمرة بين الجانبين حتى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وفى عهد المسـتنصر تسلم " على بن محمد الصليحى " الدعوة من سـلفه " سـليمان بـن عبـد الله الزواحـى الذى كان يدعوا إلى الحاكم المستنصر بالله ، فلما تم الاستقرار للصليحى عام (٤٣٩هـ) كتب إلى صاحب مصر معد المستنصر بالله بالطاعة والولاية ووجه إليه المستنصر ألقاباً وعقد له الولاية[٢].

والجدير بالذكر أن هناك رسائل متبادلة بـين الخليفـة المسـتنصر فـى مصـر والمستعلى من بعده وبـين ولاة الدعـوة الإسماعيليـة بـاليمن خاصـة بـين الصليحيـين يظهر فيها أن أئمة الفاطميين كانوا يعتبرونهم أعمدة الدعوة فى اليمـن[٣].. ويظـهر لنا من خلال هذه السجلات على سـبيل المثـال : أن علـى بـن محمـد الصليحـى قتـل "٤٥٩هـ" قد رفع الراية للدعوة بأسم الخليفة الفاطمى المستنصر بالله عـام (٤٢٩هـ) وأن جميـع القبـائل بـاليمن – تخضـع للإمامـة الفاطميـة ، وتخبرنـا عـن الدوافـع

---

(١) محمد بن الحسن الديلمى ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، المقدمة .

(٢) محمد بن مالك الحمادى ، كشف أسرار الباطنية ، ص٤٠ ، ص٤٤.

(٣) نظرنا فى ذلك : الدكتور عبد المنعم ماجد . السجلات المستنصرة ، سجلات وتوقعات وكتب لمولانـا المستنصر بالله أمير المؤمنين (ص) إلى دعاة اليمن وغيرهم ،ط دار الفكر العربى سنة ١٩٥٤م.

السياسية التى تدفع خلفاء الفاطميين لاحتواء الصليحيين ويحضونهم للتدخل فى شئون الحجاز وحرصهم للدعوة للأمام الفاطمى على منابر الخطب فى الحرمين الشريفين والأماكن المقدسة، كذلك تخبرنا عن الثورات التى حدثت فى مصر على أثر الخلاف حول أحقية نزار والمستعلى فى الإمامة واستفحال نفوذ الوزير الأفضل وتدخله فى تعيين الإمام المستعلى ، وكذلك محاولة التوفيق بين الزواجيين والصليحيين ودعوتهم إلى الائتلاف حول طاعة السيدة الحرة " الملكة أروى " وأبنها عبد المستنصر الصغير السن بعد مقتل زوجها ، ويظهر من السجلات ولاء المستنصر بالله وابنه المستعلى لأسرة الصليحيين وثقتها المطلقة فيهم دون غيرهم من الطوائف الأخرى من دعاة المذهب الإسماعيلى[1] .

والخلاصة أن دعاة اليمن فى عهد الصليحيين كان لهم أثر كبير فى الدعوة للإمام المستعلى بن الإمام المستنصر بالله الفاطمى ، وذلك أنه من خلال قبولهم الدعوة "الطيبية" المنسوبة إلى الطيب بن الامر بن المستعلى وهى الدعوة التى لا تزال قائمة حتى العصر الحاضر[2]. وهذه الدعوة الطيبية بعد اغتيال الإمام الامر أبو على المنصور بدأت عندما رأوا رأيا يخالف رأى المصريين واتخذوا لأنفسهم إماماً آخر فكونوا فرقة إسماعيلية جديدة لا تزال قائمة الى اليوم باسم الإسماعيلية الطيبية أو باسم البهرة وقد انقسمت فى القرن العاشر إلى فرقتين هما : فرقة البهرة الداودية وفرقة السليمانية . تنتسب الأولى للداعى قطب شاه داود " المتوفى عام ١٠٢١هـ الثانية تنسب إلى الداعى سليمان بن حسن ٩٩٧هـ وانتقلت الدعوة الطيبية من اليمن الى الهند فى القرن العاشر وداعيتهم هو "طاهر سيد الدين" فى مدينة بومباى برتبة

---

(١) رجعنا فى ذلك إلى ، المصدر السابق ، السجل (٥٦- ٣٥- ٤٣- ٣٨- ٥٠- ٥٤- ٤-٧-٣-٦٢) ص١٨ وص١٩ وص٢٠ وص٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص١٧.

الداعى المطلق ، أما داعى السليمانية فهو على بن محمد باليمن وظاهر عقائدهم تتفق مع الإسلام ولكن عقيدتهم فى الباطن بعيدة كل البعد عن عقائد أهل السنة والجماعة[1].

والجدير بالذكر أنه بعد اغتيال الإمام الفاطمى " الامر بن المستعلى (عام ٥٢٤ او ٥٢٦هـ) واستتار وريثه الطفل (الطيب) لم يعد الخلفاء الفاطميون الأربعة الأواخر على مصر وهم (الحافظ أبو الميمون عبد المجيد (٥٢٥هـ) والظافر أبو المنصور إسماعيل (٥٤٤هـ) والفائز أبو القاسم عيسى (٥٤٩هـ) والعاضد أبو محمد عبد الله (٥٥٥هـ) .. لم يكونوا أئمة وكانت الخطبة باسم " القائم الإمام المنتظر الذى سيظهر فى اليوم الأخر ولا يزال اتباع الفاطمية المستعلية يعتقدون أن الأئمة خلفاء الطيب يعيشون فى استتار تام فى مكان ما وسيظهرون أنفسهم حين يحين الوقت[2].

الطائفة الثانية هم :-

الإسماعيلية الشرقية (النزارية) وهم ينتسبون الى نزار بن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وأن الحسن الصباح صاحب قلعة الموت ينتسب إلى نزار هذا وقد اتخذ الحسن الصباح صاحب قلعة الموت ومؤسس طائفة الحشاشين من الإمام "الحسن " على ذكره السلام وهو الابن الأصغر لنزار إماماً واعلن إمام جميع المستحيين فى قلعة الموت عام (٥٥٩هـ) يذكر المؤرخون أن الحسن الصباح والذى يلقبه اتباعه "سيدنا" أتى إلى مصر داعياً من فارس "حاجاً الى إمامة المستنصر بالله الفاطمى وسمع منه أن نزار هو صاحب الأمر بعده وقد أتيح له الاطلاع على أسرار الفاطميين وعقائدهم وعندما عاد إلى بلاده استولى على حصن الموت فى شمال إيران ،

(١) نظر دكتور محمد كامل حسن ، طائفة الإسماعيلية ، ص٤٨ ولمزيد من التفاصيل من ص٤٩ الى ص٦١.

(٢) نظرنا : المصدر السابق ص٦١ دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٣ (مادة إسماعيلية ص٣٨٧).

وقد أشاع الخوف والفساد فى هذه الناحية ثم جاء من بعده الإمام حسن الـذى ادعـى انه من نسل نزار ابن المستنصر فأبطل العمل بالأحكام الدينيـة لأن وقت البعـث قـد حان ، وزعم أن الإمام ظهر فى شخصه هو وأن ملكـوت السـموات قـد نـزل عليـه ومعـه التحـرر مـن القيـود الشـرعية.. وهكـذا إلى أن جـاء هولاكـو فدمرهـم ٦٥٤هـ[1]ويقال انه بعد مقتل نزار ابن المستنصر بالله علـى يـد بـدر الجمـالى وتوليـه الإمامة المستعلى أن الحسن الصباح بعث فدائيين فسرقوا أحد أبناء نزار وحملـوه إلى فارس ، واصبح الحسن الصباح هو صاحب الدعوة فى فارس وأنه كان يبعـث بدعاتـه لمناظرة أصحاب المذاهب الأخرى واستمالة الناس لمذهب الإسماعيلية وقـد مـات عـام (٥١٨هـ) وخلفه " أبو على داعى الدعاة بقزوين وجعل له القيـادة الروحيـة الدينيـة وكذلك "كيا بزرك" حيث جعل له القيـادة الدنيويـة . وهكـذا يكـون قـد فصـل بـين القيادة الروحية الدينية وبين القيادة الدنيوية لكن جاء من بعدهم دعاة آخرين[2].

والجدير بالذكر : أن عقائد هؤلاء الاسماعيلية النزراية مسـتمدة مـن عقـائد الإسماعيلية الفاطمية وخاصة فـى طريقـة التـأويل البـاطنى الرمـزى وكذلـك اعتقـاد البـاطن وابطـال الظـاهر ورفـع التكـاليف والغلـو فـى المذهـب – وقـد أطلـق عليـهم الإسماعيلية النزارية الباطنية والسبعيه التعليمية والحشاشون والملاحدة[3] .

وجدير بالذكر أيضا أن هناك علاقة وثيقة بين طوائف الاسماعيلية النزارية فى سوريا وبين اسماعيلية الموت فى فارس – بفضل شخصية رئيس الإسماعيلية فى

---

(١) لمزيد من التفاصيل فى ذلك : دائرة المعارف الإسلامية – جـ٣ ، ص٢٧٦ وص٣٧٩ .
– دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص٢١٤ ،ص٢١٥.
– دكتور محمد كامل حسين طائفة الإسماعيلية ص٦٢ وما بعدها .

(٢) لمزيد انظر : دكتـور محمـد كـامل حسـين ، طائفـة الاسماعيليـة ، ص٦٢ ، ص٩٠ ، كذلـك دائـرة المعارف الإسلامية ، جـ٣ ، مادة إسماعيلية ، وص٣٧٦ ، ص٣٧٩ ، ص٣٨٧.

(٣) المصادر السابقة ، دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص٢١٩.

سوريا " راشد الدين سنان عام(٥٥٧هـ)[١].

وفى ذلك يذكر الكاتب الاسماعيلى عارف تامر أن الاسماعيلية النزارية تعرضت لهزات عنيفة فو سوريا من قبل القائمين بشئون الدعوة المستعلية فى مصر ، وانقطاع الدعاة عن الوعظ وقطع الامدادات من قبل رئيس الدعوة المباشر الإمام نزار (ص) في فارس ، كما أن الحسن الصباح كان مشغولاً بتثبيت دعائم مملكة نزارية فى فارس تضاهي مملكة المستعلى قوة وازدهار إلى أن أتى راشد بن سنان (٥٥٨هـ) محارب الصليبيين وقد تعرضت الاسماعيلية النزارية لنكبات كثيرة على يد طوائف كثيرة ومنهم النصيريه ثم اصاب الدعوة فى سوريا ما اصابها فى ايران من انقسامات فحل محلها دولة أهل الشروخيم على الدعوة الحجاب السترى وتنقل الأئمة بين الهند والصين والعجم والافغان والعراق مستترين بالتقية إلا عن رجال دعوتهم المخلصين[٢] .

واما من الناحية الفكرية فيذكر عارف تامر أنه بعد نزوح الاسماعيلية من قلاعهم وما احل بهم من نكبات خلفوا ورائهم كتب الدعوة وألوف المجلدات والمخطوطات ولكنها أحرقت ولو بقيت الى اليوم لاستفاد منها العالم وكشفت عن الكثير من العلوم الفلسفية ولم يظهر الا بعض كتب لبعض دعاتهم منهم " داعى سرمين وحلب شهاب الدين أبى فراس وداعى العليقة حسن المعدل والشيخ محمد أبى المكارم .. الخ[٣] ويمكن أن نضيف الى ذلك أن الاسماعلية فى هذه الفترة من الاضمحلال وفى عهد الاستتار ظهروا بمظهر مشايخ الصوفية . وقد كان عدد كبير

---

(١) نفس المصادر السابقة .
(٢) عارف تامر ، أربع رسائل إسماعيلية " تحقيق وتقديم" ص١٥ ، ص١٩ ، ط دار الكشاف بيروت ١٩٥٢م.
(٣) المصدر السابق ، ص١٩ .

منهم فى مناصب وزارية[١].

وفى العصر الحديث وبعد أن أختفوا فترة حتى القرن التاسع عشر ظهر فى ايران " حسن على شاة" جمع حوله عدد من الإسماعيلية وشجعه الانجليز على الثورة ضد شاة ايران ولكنه فشل ثم رحل الى افغانستان ومنها إلى الهند فى مدينة (بومباى) واعترف به الإنجليز إماماً للطائفة الإسماعيلية النزارية وخلعوا عليه لقب " أغاخان" وفرح اتباعه النزارية وتوفى سنة (١٨٨١م) ثم خلفه من بعده ابنه (اغا على شاة) استطاع أن ينشر تعاليم الاسماعلية ثم اتى من بعده (محمد الحسينى شاة) أغاخان الثالث .. وكان يحب أن يظهر بين المسلمين أنه من نسل فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويناصر المسلمين فى أماكن كثيرة وقد طرح صفته المذهبية[٢]، وهكذا فى تاريخ طويل وهم يسمون الآن "الخوجوات " النزارية " فى مقابل البوهرا أو البهره المستعلية[٣].

ومما يستحق الذكر أن الشيعة الفاطمية قد تطور منها فرقة الدروز Druse sect ويدعى أصحابها ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وقد تأسست دعوتهم بفضل الداعين الاسماعيليين حمزة والدر زى .. وعموما وأن كانوا ينتسبوا الأسماعيلية إلى إلا أنهم انسلخوا من طائفة الشيعة الإسماعيلية[٤]وفيما يتعلق بتطور هذه الفرقة وعقيدتها يذكر بعض الباحثين ومؤرخى الفرق المحدثين " أن كلمة الدروز " أطلقت أولاً على أتباع محمد ابن إسماعيل المجوس الباطنى المشهور بمشتكين الدرزى الذى ردد آراء قدماء اليهود فزعم ألوهية على بن ابى طالب ،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٣ (مادة إسماعلية) ص٣٨٧.

(٢) دكتور / محمد كامل حسين ، طائفة الاسماعلية ، ص١١٦ ، ص١٢٩.

(٣) دائرة المعرفة الإسلامية ، جـ٣ ، ص٣٨٤.

(٤) - Encyclepeadia Religion, and Ethics V, II (see art shiafs) p456 Edinbrur glr new york 1921 .

ودعا لألوهية الملك الفاطمى الحاكم بأمر الله وزعم أن للقرآن معان خفيت الا عليه ، وقتله الموحدون عام (٤١١ هـ)[١] .

وعلى الرغم من الاختلاف الواضح بين المؤرخين والكتاب حول اسم الدروز إذ أن أرباب هذه الطائفة لا يحبون أن يلقبون بهذا اللقب ويستنكرون أن نسبهم أحد إلى الداعى الاسماعيلى " نوشتكين الدرزى " الذى يرمونه بالالحاد لذلك فإنهم يطلقون على أنفسهم الآن الموحدين كذلك فإنهم ينتسبون إلى قبائل وعشائر عربية ، يضاف إلى ذلك أن الصلة بين هذه الطائفة وبين الفاطميين والقرامطة قديمة منذ أن فتح جعفر بن فلاح قائد المعز لدين الله دمشق فكانت طائفة منهم مواليه للفاطميين وطائفة أخرى " أقصد من هذه القبائل والعشائر العربية " كانت موالية القرامطة – يتضح ذلك من خلال العقائد الدرزيه التى تقول : أن المعبود أظهر ناسوتة فى شخص زكروية بن مهروية زعيم القرامطة ولا يزال الدروز الى الآن يطلقون لقب "قرمطى " على كل رجل زاهد متعبد[٢] .

وبدون أن نتدخل فى تفاصيل كثيرة .. فإن الدعوة الفاطمية أنتشرت فى جميع بلاد الشام بفضل الدعاية المنظمة التى وضع الفاطميون أسسها .. إلى أن جاء الحاكم بأمر الله وأعلن مذهبه الجديد فكان أهل وادى .. التيم وحوران ، وجبال لبنان هم الذين تقبلوا هذه العقيدة وظلوا يحافظون عليها إلى الآن ومما يجب ذكره أن الدروز كانوا يتبعون سياسة عربية إسلامية قبل كل شىء أتضح ذلك من خلال كفاحهم ضد الغزوات الصليبية الى جانب أخوانهم المسلمين من المذاهب الأخرى[٣] بغض النظر عن تطرفهم المذهبى العقائدى كما سنرى .

---

(١) محمد على الزغبى ، الدروز ظاهرهم وباطنهم ، ص١٠ ط مكتبة عرفان سنة ١٩٥٦م.
(٢) دكتور محمد كامل حسين ،طائفة الدروز"تاريخها وعقائدها،ص٦،ص١٠ ط دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٨م.
(٣) المصدر السابق ، ص١٠ ، ص١١.

ويذكر المؤرخون ثلاثة من كبار دعاة الإسماعيلية أسسوا هذا المذهب وهم " الحسن الفرغانى المعروف "بالأخرم" وحمزة بن على بن احمد ، ومحمد بن إسماعيل الدرزى " وقد بدأت هذه منذ عام (٤٠٨هـ) . وتنقسم طائفة الدروز الآن إلى قسمين كبيرين هى طائفة الجنبلاطية واليزبكية[١] وفيما يتعلق بمذهب هذه الطائفة فإن الباحث في عقيدتهم يجب أن يكون ملماً إلماماً كاملاً بعقيدة الشيعة الفاطمية ، إذ أن المصطلحات المذهبية الفاطمية تكاد تكون هى المصطلحات المذهبية عند الدروز ، بل وأحيانا نجد أن الذين وضعوا عقيدة الدروز يستعملون مصطلحات الفاطميين لمدلولات جديدة[٢]. وتتلخص عقائدهم ومناهجهم فى القول : أن روح آدم انتقلت إلى على بن ابى طالب ومنه إلى أسلاف الحاكم بأمر الله ملك الفاطميين مقمصة من واحد إلى آخر والدين الحق توحيد الحاكم ، ويذكر " كرد " أن الدروز يعتبرون الصوم : صدق السان وحفظ الخوان بدل الصلاة ، ويقرؤون القرآن ويذهبون للقول بقدم العلم تبعاً لتعاليم الفلاسفة ، ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتقمص .. ذكر ذلك القريزى نقلاً عن مرآة الزمان فى ذكره للدرزى[٣] .

ومن غير شك فى أن عقيدة الدروز ومنهجهم فى التأويل وان كانوا يقتربون الى حد ما من طريقة وعقائد الاسماعلية الفاطمية غير أنهم أكثر غلوا وتطرفاً من إخوانهم الفاطميين فى مصر وكما نرى أنه بينما نجد أن الدروز يدعون تأليه الحاكم بأمر الله ويشتطون فى التأويل ويفهمون أركان الإسلام على ظلمة تأويل تلامذة نوشيكين الدر زى ويزينوها للبسطاء والمساكين[٤] غير أننا نجد الحاكم بأمر الله عند

---

(١) المزيد من التفاصيل : المصدر السابق ، ص١٤ ،ص٧٢ ، ص٨٢ كذلك دكتور على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص٤٤٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص٨٣ .
(٣) دكتور كامل مصطفى الشيبى ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٢٢٦.
(٤) محمد على الزغبى ، الدروز ظاهرهم وباطنهم ، ص١٢.

الفاطميين فى مصر يعد إماما من أئمتهم مثل غيره من الأئمة س، وهو من البشر مثل غيره .. وغير أن مرتبة الإمامة وما يتصل بها من التأييد تجعله من الناحية التأويلية فى مستوى أعلى من مستوى غيره من البشر . ولم يقل أحد دعاه الفاطميين فى مصر أن الأئمة آلهة ، بل هم مثل العقل الكلى وهنا يقول شاعر هم :

لست دون المسيح سماويا   أهل شرك ولا تسميك ربا .

لقد جعل فلاسفة الدعوة الاسماعلية الفاطمية للأنبياء والأوصياء والأئمة مراتب ، ومرتبة الإمام هى آخرها ، وقالوا أن التوراة والانجيل والقرآن بشرت بهؤلاء .. وأولوا آيات الكتاب الكريم إلى إنها نزلت فى الأئمة .. غير انهم لم يجعلوا للحاكم شأن خاص فيها[1] .

٥- حقيقة أخوان الصفاء ونظامهم الفكرى فى التأويل :-

اختلف الباحثون والمؤرخون حول حقيقة أخوان الصفاء ونظامهم الفكرى ، كذلك الهيكل المذهبى الذى يحتوى فلسفتهم الدينية وربما يرجع ذلك فيما أتصور إلى الطريقة السرية التى أحاطت بها هذه الجماعة نفسها . وفيما يذكر الكاتب الإسماعيلى المعاصر " أن جماعة أخوان الصفاء وخلان الوفاء لغز مبهم فى التاريخ الإسلامى ، وسر من أسرار العقائد الباطنية الفلسفية . وهو موضوع تضاربت الأقوال فيه فاصبح مثاراً للجدل والتخمين[2].

والجدير بالذكر أن بعض الآراء قد ظهرت تشيد بهذه الطائفة ونظامهم المذهبى وما يحتويه من آراء وتيارات فلسفية ودينية مختلطة وتعدهم من طوائف

(١) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ، تاريخها وعقائدها " ، ص٥٠.
(٢) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ، ص٧ ط الكاثوليكية ، بيروت لبنان ١٩٥٧م.

الشيعة الإسماعيلية والباطنية . إذ أننـا نجـد بعـض الآراء الأخـرى تقـدح فـى هـذا النظام الفلسـفى الدينـى وتعدهـم ضمـن التيـارات السياسـية التـى امـتزجت بـالآراء الدينية المناهضة لنظام الحكم والدولة فى عصرهـا . وفيمـا أرى أن هـذه الجماعـة لجأت إلى استخدام طريقـة التـأويل الفلسـفى البـاطنى او الرمـزى لـمزج التيـارات الثقافية المختلفة بالآراء الدينية من ناحية ومن أجل التعمـق البـاطنى وإضفـاء طـابع السرية والتكتم على أساليبهم ومذهبهم السياسى العقائدى ، وهذا المنهج هـو الـذى اتبعه دعاة الإسماعيلية مما يجعلنا نجزم انهم شيعة إسماعيلية .

وإذا كان ذلك كذلك ، يرى الدكتـور طـه حسـين " أن كتـاب أخـوان الصفـاء يمثل من جهـة فساد الحياة السياسية الإسـلامية فـى ذلـك الوقـت لأن الذيـن كتبـوه جماعة لا نكاد نعرف منـهم أحـداً لأنـهم كـانوا يعملـون مـن وراء سـتار ، وكـانوا يعملون لغرض سياسى قبل كل شيء .. وفى موضع آخر يذكـر .. كـان هـؤلاء النـاس إذن يعملون من وراء ستار ويؤلفون جماعـة سـرية وكـان قـوام جماعتـهم هـذه فيمـا يظهر سياسياً وعقلياً ويريدون قلب النظام السياسى وهم يتوسلون إلى ذلك بقلب النظام العقلى المسيطر على حياة المسلمين[(١)].

ومن خلال العديد من التحليلات يذكر أحمد أمين " انهم جماعـة متخـيرون يتخيرون من كل دين ومذهب مـا يناسـب عقليتـهم ولا يتورعـون مـن الاقتبـاس مـن النصرانية واليهودية ووثينى اليونان والفرس والهند وما يـرون أنـه معقـول – فمـن قال أنهم سنيون سنية تامة قد اخطأ ، ومن قال انهم شيعة شيعية تامة فقد أخطأ ، ولكنهم من غير شك أميا لهم شيعية[(٢)].

---

(١) نظرنا دكتور طه حسين ، رسائل أخوان الصفاء – المقدمة ،ص٧، ص٩.

(٢) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، جـ٢ ص١٥١ ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مكتبـة النهضـة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢م.

ويذكر البعض الأخر من الباحثين " أننا إذا تتبعنا رسائل الأخوان وجدناهم يدعون إلى إقامة دولة جديدة على أسس جديدة ، ويدعون إلى تفهم خاص للدين على أساس الفلسفة ، وأننا نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول أن غاية الأخوان سياسية بحته، وما تشيعهم إلا مجرد ظاهر يخفون تحته آرائهم الحقيقية وأغراضهم الخاصة ، وذلك على خطة الإسماعيلية وفى تحفظ شديد وفى تقية غريبة ، ويظهر هدفهم السياسى من عدة مواطن من رسائلهم[(١)].

ولكن مع كثرة هذه الاختلافات فى الآراء بشأن هذه الجماعة فأننا نود أن نركز على أكثر الآراء دقة فى فهم وتصوير طابع هذه الجماعة وهيكلهم الذهبى ومكانة التأويل فى نظامهم .

ففى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ظهرت جماعة سياسية دينية ذات نزعات دينية متطرفة ، وربما كانت إسماعيلية على وجه اصح . وهذه الجماعة اتخذت البصرة مقراً لها كانوا يطلقون على أنفسهم " اخوان الصفاء" لأن غايتهم كانت السعى إلى سعادة نفوسهم الخالدة بتضافرهم فيما بينهم وبغير ذلك من الطرق وخاصة العلوم التى تطهر النفس وكان لهم جهود فى التهذيب النظرى وقد أنتجت سلسلة من الرسائل رتبت ترتيباً جامعاً لشتات العلوم متمشية مع الأغراض التى قامت من اجلها الجماعة وهى حوالى (٥١-٥٢) رسالة ومن مؤلفيها : أبو سليمان محمد ابن مسير البستى المشهور بالمقدس - وأبو الحسن على بن هارون الزنجانى - ومحمد بن أحمد النهرجورى والعوفى - وزيدين رفاعة . وقد كان الأخوان يعبرون عما يجول فى نفوسهم بأسلوب غير صريح[(٢)].

---

(١)حنا فاخورى ، خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، جـ١ ، ص٣١٣.
(٢) نظرنا : دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٣ (مادة أخوان الصفاء) ص٤٥٢ .
- كذلك أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، جـ٢ ص١٤٣ وما بعدها.

وهناك آراء لعدد من المستشرفين تؤكد الصلة الحقيقية بين مذهب الأخوان وبين المذهب الشيعى الإسماعيلى .. قال المستشرق كازانوفان :

أؤكد أن آراء الإسماعيلية توجد كلها فى رسائل أخوان الصفاء وقال ماكدونالد لقد تلقى الإسماعيلية تعليم أخوان الصفاء ، وزادوا فيها فى حصونهم الجبلية ومقر قواهم[1].

ولكن النظرة الشاملة لجماعة أخوان الصفاء توضح لنا أنها ذات نزعة شيعية متطرفة حتى قيل أنها إسماعيلية وكانت موضع عطف بنى بويه الذين كان لهم النفوذ الفعلى فى بغداد حول منتصف القرن الرابع الهجرى (٣٣٤هـ) وقد استطاعت هذه الطائفة أن تعمل على التوفيق بين العلم والدين ، والانسجام بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية ، وتوحيد الثقافة فى صورة دائرة معارف ، وقد كانوا جماعة سرية تتألف من طبقات متفاوتة ، وقد اخذوا كثيراً من مبادئ الفلسفة الطبيعية ومتأثرين بالفيثاغورية الحديثة ، ولجأوا إلى تأويل القرآن تأويلاً مجازياً ، وتعتبر رسائلهم اشبه بدائرة معارف أخذت من كل مذهب فلسفى بطرف وتبدأ فلسفة أخوان الصفاء بالنظر فى الرياضيات ، وبالتلاعب بالأعداد والحروف ثم تنتقل إلى المنطق والطبيعيات فترد كل شيء إلى النفس وما لها من قوى وتنتهى أخيراً إلى الاقتراب من معرفة الله على نمط صوفى ، والواضح من آرائهم أيضاً أنها تتضمن مذهب جماعة مضطهدة تبدو النزعة السياسة مع جميع اجزائه .. وما عانوا من الآلام وما قاموا به من كفاح .. وما كان يختلج نفوسهم من الأمل ، وما تواصوا به من الصبر ويلتمسون فى هذه الفلسفة الروحية سلوى لتقوتهم وتطهيراً لها ، وهذه

=- كذلك ديبور ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص١٢٦ تحقيق دكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة .

(١) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ، ص١٦ .

الفلسفة هى دينهم وشعارهم المذكور أن يكون الواحد منهم مخلصاً حتى الموت[١].

يتضح لنا مما سبق أن أخوان الصفاء طائفة إسماعيلية شأنها فى ذلك شأن جميع طوائف الشيعة الإسماعيلية الأخرى منهجاً وموضوعاً ، وان كانت آراء بعض الباحثين ترجح ذلك غير أن الحقيقة الجازمة نكتشفها من خلال ما وصل إليه الكاتب الإسماعيلى المعاصر عارف تامر حيث أثبت بالادلة النقلية والتحليلات العقلية أنهم شيعة اسماعيلية وعلى ذلك فقد قال بان ما ورد فى رسائلهم يؤكد انتساب هؤلاء الحكماء المبرزين إلى الاسماعيلية " وصلتهم الوثيقة بها .. ويمكن اعتبارهم من المؤسسين لهذه الرسالة الفلسفية العظيمة ، وهى الفلسفة الاسماعيلية التى بذر بذورها الأخوان ، ثم نمت وترعرعت وبرزت أخيرا فى مصر بعد جهاد طويل لتصبح نواة لتعاليم ودستوراً لدولة إسلامية عظيمة هى الدولة الفاطمية[٢].

والجدير بالذكر أنه يجب الاطلاع على ما ظهر من الكتب والرسائل التى ظهرت الى حيز الوجود اخيراً وتعميق النظر فيها – فقد أشار أخوان الصفاء فى الرسالة الجامعة بقولهم " وقد قلنا لك فى رسالة كيفية الدعوة أن لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا ولا يعلمها الناس من قبلنا ولا يتعلم قراءتها الا من علمناه ولا يعرف صور حروفها الا من عرفناه[٣] ".

ويمكن أن ندلل على ما سبق الإشارة إليه من خلال بعض الأمثلة التى نستقيها من نصوص ونظامهم الفكرى فى رسائلهم بالإضافة إلى ما أشار إليه فى هذا الصدد دعاة الإسماعيلية أنفسهم .. قال الداعى الإسماعيلى اليمنى الأجل " إبراهيم

---

(١) نظرنا : دكتور حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ، جـ٣ ص٣٨١،ص٣٨٢، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠م .

(٢) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ، ص٧، ص٨.

(٣) أخوان الصفاء – الرسالة الجامعة ، جـ٢ ، ص٣٧١ .

بن الحسين الحامدى (ت ٥٥٧هـ) " فى كتابه المخطوط " كنز الولد عند ذكر الرسائل " الرسالة الجامعة " .. بقوله " قال الشخص الكامل صاحب الرسائل .. وقال بعض الدعاة فى رسائل مخطوطة " أن رسائل أخوان الصفاء هى القرآن بعد القرآن ، وهى قرآن العلم .. كما أن القرآن هو قرآن الوحى ، وهى قرآن الإمامة ، وذلك قرآن النبوة .. ويذكر الداعى الإسماعيلى إدريس عماد الدين فى كتابه زهر المعانى : أن الإمام " احمد بن عبد الله " قام بأمر الله ووحيه وهو الثانى من الخلفاء وحجته " عبد الله بن ميمون " وأحمد بن عبد الله ممثول النطفة فى دورهم مقابل لنوح ثانى النطفاء ولجده الحسين بن على ثانى الاتماء فنشر العلوم ظاهراً وباطناً وصنف الرسائل وجعلها على العلوم الأربعة، ثم جعلها ثلاث وخمسون رسالة لعل الداعى إدريس ضم إلى الرسائل رسالة "جامعة الجامعة[1]".

ومما يؤكد أن واضعى رسائل أخوان الصفاء دعاة وأئمة من الشيعة الإسماعيلية ما ذكره لنا الداعى الاسماعيلى النعمان بن حيون بقوله " وسألت عن معنى قول الصادق (ص) تمام امرنا بسبعة ثلاثة منا وأربعة من غيرنا : فالثلاثة هو ووالده وولد ولده والأربعة الذين هم من غيرهم هم : " الأحدث والمختلس وأخا المختلس والقداح " .

وهؤلاء السبعة هم الذين مهدوا للدولة الفاطمية وركزوا دعائمها ، وعملوا لأجل بنائها وهم بالتحقيق الأئمة الثلاثة المستورون : عبد الله - واحمد والحسين والحرم الأربعة مؤلفون الرسائل هم : عبد الله بن حمدان - وعبد الله بن سعيد وعبد الله بن ميمون وعبد الله بن المبارك[2].

---

(١) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ، ص١٧،ص١٨
(٢) الداعى الاسماعيلى النعمان بن حيون التميمى ، الرسالة المذهبية ، (ضمن خمس رسائل إسماعيلية) ص٧٢ ، نظر كذلك الداعى الإسماعيلى السورى أبو المعالى حاتم بن عمران بن زهرة ، رسالة الأصول والأحكام ، ضمن خمس رسائل إسماعيلية ، تحقيق عارف تامر .

وإذا تتبعنا النظام الفكرى والفلسفة الباطنية من خلال النصوص الواردة فى الرسائل نجدها تنطبق تماماً مع النظام الفلسفى الباطنى فى كتب الدعوة الإسماعيلية وعند دعاتها البارزين وبصفة خاصة النسق الباطنى الرمزى فى التأويل وعلى سبيل المثال جاء فى الرسائل " أعلم يا أخى أن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سماواته خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائفه وسياسة بريته وهم خلفاء الله فى أفلاكه كما أن أفلاك الأرض هم خلفاء الله فى أرضه[١]".

ولا شك أن هذا النص نستنبط منه تعاليم الإسماعيلية الباطنية ، إذ أن تأويل هذا النص عند الإسماعيلية يفيد أن الكواكب المشرقة : هم الدعاة الذين يشرفون بالعلوم على الاتباع وعلى الكافة . والسماء : هى الشريعة ، أو عالم الدين أو الدعوة التى ترسل مياه الأمطار لأحياء الأموات . والأقطار : هى العلوم الإلهية والملائكة : الذين يقيمون هذه الدعوة هم حدود عالم الدين[٢].

وجاء فى الرسائل " وما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام ، أهل بيت نبينا الطاهرين وولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين[٣]هذا يثبت أن الأخوان من الإسماعيلية إذ أن كلمة وصى لم تكن لتعرف لدى أحد من الفرق الإسلامية قبل ظهور الإسماعيلية .

وفيما يتعلق بالعلوم الباطنية وأختصاص أهل البيت بها جاء فى الرسائل وهذه الولاية المخصوصة بأهل البيت بيت الرسالة عليهم السلام لا يحتاجون فيها إلى مديرى غيرهم وإلى علماء سواهم ولا يطلع الناس على أسرارهم ولا يعرفون

---

(١) أخوان الصفاء ، الرسائل ، جـ١ ، ص٩٨.
(٢) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ، ص٢١ .
(٣) أخوان الصفاء ، الرسائل ، ج٤ ، ص٢٤٢ ، تحقيق خير الدين الزركلى المطبعة العربية بمصر ١٩٢٨م.

سينهم فى موتاهم ولها علوم يتميزون بها وينفصلون عن العالم بمعرفتها وأعمال يعملونها لا يشركون فيها غيرهم . هذا النص يشير إلى العلوم الباطنية التى كثيراً ما حظر الأئمة من أهل البيت على اتباعهم إذاعتها ونشرها إلا على أهلها ويوضح النص أيضاً أن واضعى الرسالة هم أئمة الإسماعيلية الذين كانوا يعيشون فى دور الستر الأول[1].

جاء فى الرسائل ما يفيد التعاليم الباطنية الإسماعيلية وفلسفتها واعتقاداتها الخاصة بالنبوة والولاية " قيل يا رسول الله من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال نعم من قالها مخلصا دخل الجنة ، وما إخلاصها ؟ قال صلى الله عليه وسلم معرفة حدودها وأداء حقوقها ؟ فقال صلى اله عليه وسلم " أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أرادها فى المدينة فيأتى الباب[2].

ولا شك أن هذا الحديث أو التعليم منتشر فى كتب الإسماعيلية ورسائلهم ويؤل طبقاً للمذهب الإسماعيلى فى الولاية . وهناك إشارات كثيرة إلى زوال دولة أهل الشر (أى العباسيون) والتبشير بظهور الإمام المهدى الإسماعيلى بقولهم " ولا بد من كائن قريب وحادث عجيب فى صلاح الدين والدنيا[3] .

ومما يوضح هذه العبارات بصورة أوضح ما جاء فى بعض النصوص المنتشرة فى الرسائل والتى تشتمل على نظامهم الفكرى الفلسفى والعقائدى والذى يوضح إيمانهم بأئمة العلماء بأمور الديانات العارفون بأسرار النبوات المتادبون بالرياضيات الفلسفية وإذا لقيت أحداً منهم وآنست منه رشداً فبشره بما يسره ، وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه وانجلاء الغمة عن العباد بانتقال القرآن من

---

(١)عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء، ص١٩ ، الرسائل جـ٤ ، ص٤٠٣ .

(٢) أخوان الصفاء ، الرسائل ، جـ٤ ، ص٤٨٦ .

(٣) المصدر السابق ، الرسالة الجامعة ، جـ١ ، ص٥٢٣.

برج مثلث النيران الى برج مثلث النبات والحيوان فـى الـدور العاشـر الموافـق لبيـت السلطان وظهور الإعلام[1]وفى نص آخـر قولهـم " فسـار ذلـك سـبباً لاختفـاء أخـوان الصفاء وانقطاع دولة خلان الوفاء إلى أن يأذن الله بقيام أولهم وثانيهم وثالثهم فـى الأوقات التى ينبغى لهم القيام بها " .

وتأويل هذه النصوص طبقاً للمذهب الباطنى الاسمـاعيلى يـدل دلالـة قاطعـة على التبشير بظهور الإمام فى دور الكشف بعد دور الستر وبداية الدولة الاسماعلية الفاطمية فى المغرب العربى إذ أن جميـع الظواهـر الفلكيـة المذكـورة بـالمقطع السـابق دلت على أن الإمام العاشر هو الإمام " الحسين بن احمد " وهـو والـد الإمـام "محمـد المهدى" الذى انفلـت مـن كـهف السـتر وكـان فـى سـلميه سـوريا " واسـتأنف دوره بظهوره فى المغرب كخليفة فاطمى ، أما المقطع الثانى فيشير إلى انضواء الأئمـة وراء حجابه الكثيف مع بيان واف عن انتهاء هذا الدور وبظهور أول أئمة دور الستر " محمد المهدى " والثانى القائم " والثالث المنصور[2]".

ولعل أهم ما يميز النظـام الفكـرى والفلسـفى العقـائدى عنـد أخـوان الصفـاء بالإضافة إلى ما سبق هو طريقتهم فى التأويل ، وهذا الأسلوب فى التأويل يفيد مـدى ما وصلت إليه هذه الجماعة السرية فى التعمق البـاطنى الرمـزى للنصـوص والإكثـار من الألغاز والإشارات الى حقائق باطنية أو صور رمزية ويمكن أن نعطى أمثلة كثيرة على ذلك ، ولكن نقتصر على ما يؤدى الغرض المنشود ومن ذلك : ما جاء فى الرسالة السابعة والأربعين ما يمكن أن نعتـبره المنطلـق الأساسـى وراء كـل تـأويل إشـارى أو رمـزى للنصـوص والقصـص .. وعندمـا صـار أعضـاء هـذه الجماعـة يؤولـون القـــرآن

(١) المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٩٨.
(٢) عارف ، حقيقة أخوان الصفاء ، ص٢٥.

لخاصتهم تأويلاً مجازياً[١] فقالوا " أعلم أن للكتب الإلهيــة تـنزيلات ظـاهرة ، وهـى الألفاظ المقرؤة المسموعة ، ولها تأويلات خفية باطنة وهى المعانى المفهومة المعقولة ، وهكذا لواضعى الشريعة موضوعات عليها وضعوا الشريعة ، ولهـا أحكـام ظـاهرة جليـة ، وأسـرار باطنيـة خفيـة .. وفــى اسـتعمال أحكامــها الظـاهرة صــلاح للمستعملين فى دنيـاهم س، وفى معرفتـهم أسـرارها الخفيـة صـلاح لهـم فـى أمـر معادهم... الخ [٢] وفــى موضـع آخـر فـى رسـالة "الحيـوان والإنسـان" يقولـون " أن للكتـب السـماوية تـأويلات وتفسـيرات غـير مـا يـدل عليـه ظـاهر ألفاظـها يعرفـها الراسخون فى العلم[٣]".

ومـن هـذا المنطلـق نجـد أن رسـائلهم غاصـة بـالصور الرمزيـة والتـأويلات الباطنية الإشارية فيمثلون بحق الأسلوب الرمزى فى الفكر العربى أحسـن تمثيـل ، وأخرجـوا أفكـارهم فـى قصـص بارعـة ، ونـثروا الأسـاطير فـى رسـائلهم الخلقيــة والنفسية حتى شابهت فى بعض مقاطعها فصول كليلة ودمنه[٤].

ويمكن أن نعطى مثالاً لطريقتهم الرمزية الباطنية فـى التـأويل لقولـه تعـالى (سورة الرعد – آية ١٧) " انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثلــه كذلـك يضـرب الله الحق بالباطل فأما الزبدُ فيذهبُ جفاءً وأمـا مـا ينفـع النـاس فيمكـث فـى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال " بقولهم " انزل من السماء ماء " يعنــى القـرآن " فسـالت أودية بقدرها " يعنى حفظتها القلوب بمقاديرها من القلة والكثرة " فـاحتمل السـيل

---

(١) ديبور ، تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ص٩٥.
(٢) أخوان الصفاء ، الرسائل ، جـ٤ ، ص١٩٠ ، كذلك جـ ٤ ، ص١٣٨ ط بيروت .
(٣) المصدر السابق ، رسالة الحيوان والإنسان ، ط الترقى .
(٤) دكتور جبور عبد النور ، أخوان الصفاء ، ص٢٠ .

زبداً رابياً " يعنى ما يحمل ألفاظه وظاهرة معانى متشابهات حفظتها قلوب المنافقين الزائغة " الشاكين المتحيرين " ومما يوقدون عليه فى النار " مثل آخر يعنى الجواهر المعدنية لها زبد عند السبك كزبد السيل[١]... الخ.

ولما كانت النزعة السائدة لدى أخوان الصفاء هى محاولة التوفيق والتلفيق بين الآراء ، والنظريات الفلسفية والباطنية والدينية ويقتربون فى ذلك من طريقة الفلاسفة الانتقائيين وكانت مثل هذه النزعة أو الطريقة من مميزات المدارس الفلسفية الشرقية . غير أن مدرسة أخوان الصفاء الشيعية الباطنية أكثر تعمقاً ، وقد ساعدهم على التزام هذه الطريقة ناحيتين هما اتساع دائرة أبحاثهم الفلسفية فى شتى المجالات حيث يصرحون فى كثير من الأحيان " أنهم لا يعادون علما من العلوم ، ولا يهجرون كتاباً من الكتب ، ولا يتعصبون على مذهب من المذاهب لآن رأيهم يستغرق المذاهب كلها ويوحد العلوم جميعها[٢].

وقادتهم هذه النزعة إلى أن يروا فى جميع المذاهب الفلسفية مذهباً واحداً يوافق جوهر الأديان ، ونظروا إلى الأنبياء نظرتهم إلى الحكماء لذا نجدهم ينظمون : إبراهيم ويوسف والمسيح ومحمد وسقراط وفيثاغورث فى مدرسة موحدة الأهداف مختلفة الأساليب[٣].

والناحية الأخرى : هى طريق التأويل وانزال الصور الحسية والنصوص الظاهرية على أساليب باطنية أو رمزية مجازية : فقد أولوا القرآن تأويلاً رمزياً لكى يتمشى مع تصورهم الروحى للأديان كما أولوا بعض القصص غير الدينية تأويلاً

---

(١) أخوان الصفاء ، الرسائل ، جـ٤ ، ص ٢٠ .
(٢) المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٠٥ .
(٣) المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٢٢٣.

رمزياً مثل قصص كتاب كليلة ودمنه[١].

ولا شك أن هذه الطريقة الرمزية والتصورات الباطنية عند اخوان الصفاء هى الطريقة المعتمدة والتى استخدمتها المدرسة الاسماعيلية ، وان شئنا القول غلاة التشيع أو الباطنية بصفة عامة . كذلك فإن شيعان هذه النزعة فى مدرسة أخوان الصفاء دفعتهم إلى اخضاع النصوص القرآنية الواردة لتعاليمهم وفلسفاتهم المذهبية .. لذلك نجدهم قد تأولوا الشعائر الإسلامية تأويلاً رمزياً " فالحج إلى مكة والقيام بالمناسك مثل ضربة الله لطواف الإنسان على هذه الأرض[٢] .

وإذا كان هناك العديد من الأدلة النظرية والعلمية التى تثبت انتساب جماعة أخوان الصفاء لطوائف الشيعة الاسماعيلية وتمثلهم بالفلسفة الباطنية والعقائد الاسماعيلية فذلك من خلال نظامهم الفكرى وترديدهم لكثير من الروايات المنتشرة فى كتب الشيعة أو الخاصة بالمذاهب الشيعية مثل قولهم " اعلم يا أخى أن لكل نفس من المؤمنين أبوين فى عالم الارواح كما أن لأمثالهم أبوين فى عالم الأجساد .. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه " أنا وأنت يا على أبوا هذه الأمة هذه الأبوة روحانية لا جسمانية[٣]غير أن الاستغراق الباطنى والاستخدام الرمزى فى التأويل بالإضافة إلى استخدام الأعداد كوسيلة لحساب الجمل لتدل على أصول المذهب الاسماعيلى وكذلك الثنائية المنتشرة فى كلا المدرستين بالنظر إلى انه ما من شىء الا وله ظاهر وباطن أو مثل أو ممثول .. ليؤكد مدى امتزاج هاتين المدرستين وتمثلها لتيارات عقائدية وفلسفية واحدة .

وربما كان هذا راجعاً للكاتب عارف تامر فى أن يعقد مقارنة بين ما ورد

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية – الجزء الثالث (مادة أخوان الصفاء) ص٤٥٤.

(٢) أخوان الصفاء ، الرسائل ، الجزء الثانى ، ص١١٩.

(٣) المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٢٨.

من آراء عند دعاة الاسماعيلية وبين ما ورد فى رسائل أخوان الصفاء فى هذا الصدد فقال " أن ما جاء فى كتاب دعائم الإسلام[١] من نصوص فقهية يكاد يكون مطابقاً لما قصده أخوان الصفاء وقد تبين من الحكمة التى أوردها أن الصلاة دائرة ناموسية دينية ظاهرة والرسائل دائرة علمية ناموسية حقيقية ، وفى الدائرة الناموسية الدينية صورة لما الدائرة العلمية كما أن فى الدائرة العلمية معرفة ما فى الدائرة الدينية الناموسية وكل هذا مطابق لنظرية المثل والممثول الإسماعيلية[٢].

وتتضح وجه المقارنة اكثر عندما يقسمون عدد الرسائل إلى اثنين وخمسين رسالة طبقاً لعدد ركعات صلوات الفريضة والسنة والنوافل " الصلوات إحدى وخمسون ركعة كما جاء فى الناموس ، تضاف إليهم ركعتان جلوس فى صلاة العشاء ومقامهما مقام ركعة واحدة يصليها المصلى وهو جالس على ركبته، فيصير المجموع اثنين وخمسون ركعة .

وقد اعتبر أخوان الصفاء عدد ركعات الصلاة إحدى وخمسون وأضافوا إليها " النية " وهى المتممة للصلاة – وهى ممثول " الرسالة الجامعة[٣]".

وأخيراً نلاحظ طريقة التأويل العددى لحروف الأسماء بعدد رسائل أخوان الصفاء " فالإمام عبد الله بن محمد " عندما جعل عدد رسائل أخوان الصفاء اثنين وخمسين رسالة طبقها على عدد حروف أسمه بحساب الجمل وهذا النوع من الحساب أول من استعمله وطبقه " الاسماعيليون " .

مثال ذلك ينقسم أسم الإمام عبد الله بن محمد إلى الحروف والتى يقابلها الأعداد التالية :-

---

(١) القاضى النعمان بن حيون ، دعائم الإسلام ، تحقيق أحمد بن على أصغر فيظى طـ دار المعارف بمصر ، طـ حديثة ، ١٩٦٩.

(٢) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ، ص١٤ ، ص١٥.

(٣) المصدر السابق . ص١٤ ، كذلك ، النعمان بن حيون ، دعائم الإسلام ، جـ١ باب الصلاة .

ع + ب + د + ن + ل + هـ + ب + ن + م + ح + م + د

٧ + ٢ + ٤ + ٣ + ٣ + ٥ + ٢ + ٥ + ٤ + ٨ + ٤ + ٤

= ٥٢[1]

هكذا نجد أن جماعة أخوان الصفاء شيعة إسماعيلية استغرقت المذهب الإسماعيلى الفاطمى فى كل آرائه وتياراته الفلسفية والعقائدية وكان منهج التأويل الباطنى أو الرمزى الإشارى المنطلق الأساسى الذى تدعمت على أثره مذاهبهم وآرائهم وظهر ذلك بصورة واضحة فى مدرسة الإسماعيلية الباطنية فى مذهب التأويل الرمزى الباطنى .

(١) عارف تامر . المصدر السابق ، ص١٥ .

الباب الثانى

التأويل عند الشيعة الباطنية

محتويات الباب الثانى :-

الفصل الأول

التحليل النقدى لفلسفة التاويل عند الباطنية

أولاً : فلسفة التاويل عند الباطنية :-

رأينا فى الباب السابق أن ظاهرة التشيع بـدأت عندمـا ثـار الجـدل واحتـدم الخلاف حول " مسألة الإمامة" وحاول كل فريق من المختلفين الاستدلال على مذهبه بما أوتى من وسائل عقلية أو نقليه - وظهرت الشيعة متميزة عن فرق المسلمين فـى التاريخ الإسلامى - وتكونت طوائفهم وتفرعت إلى فروع مختلفة - وكل فريـق يزعـم أنه على حق . وكل حزب بما لديهم فرحون - غير أن الشيعة غالوا كثيراً فى الأئمة وتعمقوا البواطن وتأولوها على هذا المنهج. وكونوا فلسـفة باطنيـة تقـوم علـى أسـاس الاعتقاد . بان الأشياء الظاهرية لها حقائق داخليه باطنية يمكن الوصـول إليـها عـن طريق التأويل . وكذلك فى امور الدين هناك عبادات عملية يقوم بها علماء الظـاهر . وأما العبادات العلمية فهى حقائق باطنية لا يعلمها إلى الأئمـة وكبـار دعـاة المذهـب وهى التأويل الحقيقى للظواهر .. وقد طبقوا هذه الفلسـفة الباطنيـة علـى كـل أشياء الوجود - وأمور الدين . وحاولوا المطابقة س بين عالم الوجود وبين أمور الدين .

ونحن فى هذا الفصل - نحاول أن نبحث فلسفة التأويل الباطنى عند هـؤلاء الشيعة - وما وجه إلى هذه الفلسفة من نقد وتفنيد .

ذهب دعاة الباطنية إلى " أنه يجب معرفة حقيقة الشرائع خـلاف مـا عليـه أهل الظاهر - ومن عرفـها سـقط عنـه العمـل . وكذلـك لكـل شـىء فـى العـالم ظـاهر وباطن- حتى قالوا ذلك فى الشرائع . وقـالوا " الجنـة - والنـار - والصـراط- وملـك الموت وياجوج وماجوج .. إلى آخر ما هنالك - إشارات إلى معانى باطنية[1].

---

(١) دكتور النشار وفيصل بديرعون - الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام (ليحى بن حمزة العلوى) المقدمة،ص٢١، ط منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط حديثة بدون تاريخ .

وسوف نوضح هذا المنهج الباطنى عندما نتناول بحث مناهجهم فى التـأويل فى الفصول القادمة غير أن ما يثير الاهتمام هو كيفيـة تأسيس فلسـفة البـاطن علـى طريقتهم فى التأويل .

ولا شك أن منهج الباطنية فى التأويل ساعدهم فى تدعيم فلسـفتهم الباطنيـة وعلى ذلك فإن فلسفتهم فى التأويل الباطنى لظواهر الأشياء وأمور الدين تعنى أن الله سبحانه وتعالى جعل كل معانى الدين فى المخلوقات التى تحيـط بالإنسـان فيجـب أن يستدل بما فى الطبيعة على فهم حقيقة الدين وقد جعلت المخلوقات على قسمين :-

قسم ظاهر للعيان قسم باطن خفى

فالظاهر يدل على الباطن - كجسم الإنسان يدل علـى النفس وهـى البـاطن، وأن ما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية وما جاء فى ظاهرة آيات القرآن هـى معانى يعرفها علماء أهل الظاهر ، لكن لكل فريضة من فرائض الدين تـأويلا باطنيـا لا يعلمه إلا الأئمة وكبار دعاته وخاصته[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الفلسفة الباطنية فى التأويل هـى الأسـاس الأول والدعائم القوية للعقائد الشيعية الغالية وبصفة خاصـة عنـد الإسماعيليين وطوائفهم من الباطنية .

وقد وصف ذلك أحد البـاحثين الاسمـاعيليين المعـاصرين حيـث ذهـب إلى أن التأويل يعتبر من الدعائم الحقيقية التى ترتكز عليها معتقدات الشيعة الإسماعيليـة أو على الأصح من العلوم الفلسفية العميقة ذات الأثر الفكرى البارز، والتى كثيرا مـا تتطلب الدراسة المتواصلة والاجتهاد المستمر للوصول إلى كنه الأشياء والوقوف على الأصول المجردة[2].

---

(١) عارف تامر ، أساس التأويل للقاضى النعمان بن حيون ت ٣٦٣ﻫ (المقدمة) ص١٨ ، ط بيروت ، ١٩٦٠م.
(٢) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ص٤٠ ط المكتبة الكاثوليكية ، ١٩٥٧م.

وقد كانت بذور هذه الفلسفة الباطنية عند غلاة التشيع كما علمنا ذلك من خلال عقائدهم وتطورهم . ثم دخلت فى أحضان بعض غلاة الاثنا عشرية – من النصيريه والمتأخرين من الشيخة والمنسلخين من الإسلام وهم البابيه والبهائية كما سنرى عند بحث منهجهم فى التأويل – ولكن هذه الفلسفة استغرقت عقائد الإسماعيلية وخاصة أخوان الصفاء – باعتبارهم من المؤسسين للنظريات الفلسفية الإسماعيلية كما وضحنا سابقاً .

ويعطينا الكاتب الإسماعيلى عارف تامر فكرة واضحة عن هذه الفلسفة الإسماعيلية فى التأويل الباطنى بقوله " أن التأويل هو علم باطن القرآن والاستدلال بالمحسوسات على المعقولات، ونظرية موازنة الشرح للمعقول ، وهذا العلم اقتصرت معرفته والتكلم عن أصوله وفروعه على الراسخين بالعلم الذين هم الأئمة الموصوفون بوراثة الأنبياء وأصحاب الشجرة الكونية الثابتة الأصل ثم يشير إلى موقفهم من القرآن بأنهم اعتبروا أن القرآن الكريم تأويلاً باطنياً لا يمكن أن يصل إلى معرفته أو ينهل من نبعه الا من وصل إلى معرفة ماهية الأشياء ووقف على علم الحقيقة التى أتى بها النبى محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته[1]".

والجدير بالذكر أنه قد ترتب على موقف الشيعة الباطنية من النصوص وتقسيمها إلى ظاهر وباطن ظهور نظرية (المثل والممثول) التى تكون لها شأن كبير فى الفلسفة الكونية او عالم الإبداع عند الإسماعيلية ، فقد جاء بالكتب والمؤلفات الإسماعيلية عند كبار دعاة المذهب " أن الظاهر هو المثل ، والباطن هو المثول . وقالوا الإنسان مثل ، والنفس ممثول والدنيا مثل والآخرة ممثول . وأن هذه الأعلام التى خلقها الله تعالى وجعلها قوائم الحياة من شمس وقمر ونجوم لها ذوات قائمة

(١) المصدر السابق ، ص٤٠.

تحل منها محل المثل ، وأن قواها الباطنة التى تؤثر فى المصنوعات هو ممثول تلك المثال[١] لذلك هناك معان مستترة تحت الألفاظ وأمور محجوبة وراء حجب كثيفة لا يجوز المرور بها مرور الكرام فهى قوام الدين وخلاصة عقيدة النجاة ، فالبارى تعالى جعل الموجودات بعضها ظاهرا جلياً وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس[٢] .

وإذا كان التأويل هو باطن المعنى ورمزه وجوهره والحقائق المستترة وراء الألفاظ فإنه موقوف على الأسس الأوصياء أو الأئمة وأن التأويل الباطنى مستودع فيهم ، يعبر عن ذلك الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون : أن الناطق إذ وفى دوره فقد قضى ما عليه بما يستحق بعد ذلك الارتقاء .. فحينئذ تقع النقلة ومن قبلها يودع أساسه ما معانى ما نصب من شريعته فيكون كذلك قبره ومستودعه ، فإذا الحق الناطق (النبى) بمعالمه ظهرت المنزلة فى أساسه فينطلق بالتأويل ..فيشرح معانى الأمثال المضروبة والحدود المنصوبة[٣] ..

ولما كان الإمام على بن أبى طالب هو الوصى والأساس للنبى صلى الله عليه وسلم كذلك فهو مستودع العلم الباطنى أو التأويل والذى يتوارثه الأئمة من بعده كما تعتقد الشيعة الباطنية ، لذلك ذكر دعاتهم أن المسيح عليه السلام قال للحواريين " آمنوا بالناطق السادس الذى يأتيكم بعدى ، فأنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالمثولات ويقيم لكم التأويل[٤]" وهذا المعنى عند الإسماعيليين أو الشيعة عموماً تنصيب على رضى الله عنه للولاية أو الإمامة واستيداعه علم الباطن أو التأويل . وقد جمعت آراء ومعتقدات الشيعة كما هو وارد فى كتبهم العلمية والفلسفية

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٠.
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) النعمان بن حيون ، الرسالة المذهبية ، ص٥٥ ، ضمن كتاب خمس رسائل إسماعيلية ، تحقيق عارف تامر ، طـ دار الأنصاف ، عام ١٩٥٦م.
(٤) المصدر السابق ، ص٨٣.

والتاريخية وكما سنوضح ذلك أكثر فيما بعد، بأن التأويل من العلوم التى خص بها الشيعة الباطنية أئمتهم وسمو لذلك بالباطنية وجعلوا محمدا صلى الله عليه وسلم هو صاحب التنزيل للقرآن ، وجعلوا عليا صاحب التأويل .. وأسراره واتخذوا من النصوص القرآنية ليلاً على وجوب التأويل فى قوله تعالى " وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث " سورة يوسف آية (٢١) وكذلك قوله تعالى " سنريهم آياتنا فى الأفاق وفى أنفسهم " سورة فصلت آية (٥٣) كل هذا يوضح عندهم أن الظاهر وجد للدلالة على الباطن وهو المثول[١].

وكما حاول دعاة الإسماعيلية إيجاد الأسانيد والأدلة من النصوص القرآنية لتدعيم فلسفة الباطن أو التأويل ، فأنهم كذلك استندوا إلى حديث ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الصدد بقوله عليه السلام " ما نزلت على من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن[٢]" وقد عولوا على الحديث فى منهجهم الباطنى فى التأويل واستدلوا به على صحة معتقداتهم الباطنية[٣] .

وجدير بالذكر إننا نصادف كثير من المصطلحات والتعبيرات السائدة فى فلسفة الباطن عند الشيعة مثل باطن وتأويل ، وخاص وعام ، وتقيه .. وغير ذلك فالباطن الذى يقابل الظاهر لم يكن قاصراً على الفقرات المجازية بل يسرى على الفقرات التاريخية (الحوادث والقصص) وفقرات الوعظ وأحكام الشرع والمعاملات وعلى كل إنسان وفعل أو غاية ، فكل هذا يؤخذ مأخذا رمزياً .. واستخدم العدد الرمزى والحروف الرمزية وطبق هذا على الكتب المنزلية وعلى الطبيعة بأسرها ، والتأويل هو تخليص باطنى من نص ظاهرى كان على هذا أساسياً كالتنزيل وقائماً

---

(١) عارف تامر ، مقدمة كتاب أساس التأويل ، ٨،٧.
(٢) النعمان بن حيون ، أساس التأويل ، ص٣٠ .
(٣) تم تخريج هذا الحديث ، ينظر ص .

على الوساطة الإلهية ، وكان لكل نبى جاء بتنزيل (وصى) وهو على بن أبى طالب (فى الرسالة المحمدية) وهو الذى أعطى التأويل ، والخاصة هم الذين يلقنون المعرفة والطاعة للإمام المثل لعلى ومصدر الثقة فى التأويل لأى جيل يضاف إلى ذلك أن فلسفة الباطن تقوم على مبدأ (التقية) الذى يتضمن عدم وجوب الكشف عن الباطن لأى شخص غير شيوخ المذهب أو الفرقة ، لذلك رأى البعض منهم أن اصطناع الظاهر فى الشريعة فى صورته الشيعية الصريحة يصبح تقية من حيث الاحتفاظ بالباطن مستورا[1].

وإذا كان منهج التأويل عند الشيعة الباطنية يدور فى محيط المبدأ الأساسى بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويلا ، فإن التطلع الفلسفى أو النظرة الفلسفية فى هذا المنهج لا تعنى أن الشيعة نبذوا الشرائع المنزلة أو أنكروا ما جاء به القرآن والكتب المنزلة السماوية الأخرى مطلقا ولا سيما إذا علمنا أن علمائهم إسماعيلية واثنا عشرية أو الذين يمثلون الجوانب المعتدلة فى المذاهب الشيعية يؤكدون على ضرورة التمسك بالظاهر إلى جانب الباطن[2]الا انهم وخاصة الإسماعيليةأعترفوا أنهم فى غنى عن موجباتها وانهم يعملون ما قصد الله منها لأنهم من الدين فتحت بصائرهم بالعلوم فترقوا فى مراتبهم ودعوة عالم الدين التى هى ممثول عالم المبدعات والموجودات . فالإسماعيلية لا يعلمون بالتفسير الظاهرى فحسب بل يؤولون الشرائع والأحكام والقرآن تأويلا باطنيا مأخوذا عن مصدر ثقة يعتبر بنظرهم ممثول العقل الكلى ، ويضاف إلى ذلك أن الفلسفة الباطنية جعلت من الحركة الإسماعيلية حركة عالمية أو نظام فكرى كان الغرض منه قلب النظام السياسى

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٦ ، ص٨٨ ، ص٩٨ (مادة الباطنية).

(٢) يمكن الرجوع فى ذلك إلى مؤلفات الشيعة مثل : القاضى النعمان بن حيون كتاب : دعائم الإسلام جـ١ ، جـ٣ الرسالة المذهبية : ص٧٥، العالمى أعيان الشيعة ، جـ١.

السائد المسيطر على العالم الإسلامى ، وتحقيق هدف رئيسى فى الأفكار والنظم والمعتقدات[١].

وإذا كان ذلك كذلك فلا شك أن هذه الفلسفة فتحت المجال أمام التيارات الفلسفية والغنوصية للدخول فى أحضانها وامتزاجها بآراء ومعتقدات الشيعة . وهذا ما يجب أن يحدث بالفعل إذا ما أصبحت أى حركة أو فلسفة سياسية أو عقائدية عالمية أو نظام فكرى عالمى .

وإذا نظرنا إلى هيكل المذهب الفلسفى الباطنى نجده يقوم على أفكار جوهرية منها محاولة البرهان على أن الإمامة أمر الهى وقد ترتب على ذلك محاولة التمثيل الكونى لعالم الدين ، والمقابلة بين العوالم الإبداعية بالعوالم الدينية واستمداد العلوم والمعارف الإلهامية من السابق والتالى ، كذلك " محاولات شرح النصوص والآيات القرآنية على ضوء التعاليم الفلسفية ، التى كانت منشرة لا سيما الفلسفة الاسكندرائيه (ألا فلوطنية) وأضافوا إليها الكثير من الفيثاغورية الحديثة وعناصر جديدة اقتبسوها من المزدكية والمانوية المسيحية ودخلت فى مذاهب الإسماعيلية عناصر غنوصية وعلم التنجيم[٢] وسوف نكشف عن هذا عند تناولنا للمنهج الإسماعيلى فى التأويل فى الإمامة والإلهيات وغيرها .

ويمكن أن تضيف إلى ما سبق أن فلسفة التأويل الباطنى عند الشيعة الباطنية كانت تنطوى على دعوة عالمية ونظام فكرى شامل لكل أنواع الثقافات والنظريات الدينية والفلسفية سياسياً وعقائدياً واجتماعيا ، وهذا بلا شك واضح من خلال الموسوعات الإسماعيلية خاصة رسائل أخوان الصفاء .

---

(١) عارف تامر ، مقدمة كتاب أساس التأويل ، ص١٥ ، ص١٦.

(٢) حنا فاخورى ، خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، جـ١ ، ص٢٠٦.

فقد أولوا القرآن تأويلا رمزيا لكى يتمشى مع التصور الروحى للأديان ، كما أولوا بعض القصص غير الدينية تأويلاً رمزيا مثل قصص كتاب " كليلة ودمنة[(١)]".

وقد تركت هذه الفلسفة الباطنية آثاراً شتى فى جماعات متأخرة " من الحروفية والروشتية واليابيه الذين اخذوا بالتفسير الرمزى فى بعض النصوص المختلفة بعض الاختلاف ، كذلك أثرت اصطلاحاً التأويل وتصورات بعد أن تجردت من طائفتها فى رمزية الفكر الصوفى[(٢)] نجد هذا الجانب الرمزى عند فلاسفة الصوفية وغلاتهم أمثال عبد الكريم الجيلى (كتابة الإنسان الكامل ، والكهف والرقيم) كذلك محى الدين بن عربى فى كتابيه (فصوص الحكم والفتوحات المكية) وغيرهما فلم يخلُ هؤلاء من التأثر بالباطنية فى أمور كثيرة[(٣)] .

ولعل هذه الأمور الجوهرية التى تبدو واضحة فى فلسفة التأويل عند الشيعة أو الباطنية جعلت أهل السنة والمعتدلين من جمهور المسلمين أكثر تشككاً وريبه فى أى لون من ألوان التأويل الرمزى أو الإشارى مما أدى بهم إلى تأليف المصنفات والمقالات فى الرد عليهم وتفنيد مزاعمهم وأبطالها لا سيما ما نجده من نقد من قبل كل من الإمام الغزالى والإمام السلفى ابن تيميه والمحدثين .

ثانياً : نقد الفلسفة الباطنية فى التأويل :-

أنتقد علماء السنة ومتكلميهم – كذلك الباحثين فى الدراسات الشيعية الباطنية – فلسفة التأويل الباطنى انتقاداً لاذعاً وقوياً . وأعتبروها فلسفة باطنية خارجة عن نطاق التفكير الدينى والعقائدى السليم ، كذلك تعتبر مروق عن منهج

---

(١) دائرة المعرف الإسلامية ، جـ٣ ، (مادة أخوان الصفاء) ص٤٥٤.

(٢) المصدر السابق ، جـ٦ ، ص٨٩ (مادة الباطنية).

(٣) محمد بن زاهد الكوثرى ، مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية ، ص٩ ، (لمحمد بن مالك الحمادى اليمانى) تحقيق عزت العطار ، طـ الأنوار سنة ١٩٣٩م.

جمهور المسلمين من أهل السنة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ، بل هى فلسفة ظاهرها الكفر وباطنها الزندقة فى التوحيد والنبوات والأمور الشرعية والعبادات وقد تصدى علماء الشيعة المعتدلين من الاثنا عشرية والزيدية لهذه الفلسفة الباطنية بالتحليل ، والنقد .. وأن كنا نرجئ ذلك إلى الباب الأخير من البحث ،عندما نستعرض المذهب المعتدل عند الشيعة وموقف علماء السنة من التأويل عند الباطنية .

ولكننا نود هنا أن نتتبع كل فكرة أو نظرية فلسفية أو عقائدية بالتحليل والنقد طبقا لمنهجنا فى هذا البحث . لذلك وقبل أن ندخل فى بحث منهج غلاة التشيع الباطنى نحاول أن نحلل الفلسفة الباطنية التى قام على أساسها هذا المذهب وما وجه إليها من نقد . بإيجاز وتركيز .

فقد وجهت عدة انتقادات لهذه الفلسفة منها ما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين حيث وصفوا هذه العقيدة الفلسفية " أنها مزيد من المسيحية والغنوصيه والافلوطنية مع فيثاغورية محدثة تتلاعب بالأعداد وبخاصة العداد (٧) سبعه و (١٢) وأثنى عشر[١]" كذلك (بها مزيج من نحل صوفية وهرطقية غالية وربما كان بعضها نمن أصول فارسية قديمة أو سريانية غنوصيه[٢] ولذلك فهذه العقيدة أو الفلسفة الباطنية – تعتبر انحرافا عن الإسلام السنى والإسلام فى صورته الأثنى عشرية المعتدلة[٣] .

ومن علماء الزيدية الذين تصدوا للعقائد الفلسفية الباطنية " يحيى بن حمزة العلوى" (٦٦٩ – ٧٤٥) وقام بإفحامهم فى عقائدهم بخاصة فيما يتعلق بمذهبهم

(١) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ، جـ٢ ، ص٣٨٤.
(٢) دكتور برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية ، ص٤٨.
(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر ، ص٥٤١.

فى التأويل – فيقول " أعلم أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن التصديق ، عمدوا بلطف الاختيال ودقة الاستدراج فصرفوا ظواهر الشرع إلى هذيانات لفقوها وتهويسات جمعوها وزورها ليستعيدوا بذلك أبطال معانى الشرع وهدم أساسه[1] وفى موضع آخر يقول " أن جميع ظواهر الشريعة ونصوصها أولوها على ما عن وسنح من أوهامهم بغير هدى من الله ولا نور من أنبيائه[2] ..

ويتجه علماء السنة والسلف إلى تحليل ونقد هذه العقائد الفلسفية الباطنية فيذهب ابن قتيبه الديتورى بقوله " وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من "الجفر" الذى ذكره هارون بن سعيد العجلى . وكان من غلاة الزيدية وهو جلد جفر ادعوا أن الإمام كتب فيه كل ما يحتاجون إلى عمله ، وكل ما يكون إلى يوم القيامة . من ذلك تأويلهم لقوله تعالى "وورث سليمان داود " سورة النمل آية (١٦)" أنه الإمام وورث النبى صلى الله عليه وسلم علمه[3] إلى آخر ما هناك من تأويلهم الفاسد .

ويتجه الإمام السلفى شيخنا شيخ الإسلام ابن تيميه إلى نقد هذه الفلسفة الباطنية فى التأويل فى مصنفاته الكثيرة ، وفى كل مناسبة يتعرض فيها لآراء وعقائد الروافض من الشيعة ، ويتلخص ذلك بقوله فى نقد مذهبهم فى التأويل حيث يرى أنهم تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به ، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به ، وفى كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه وإتيانه من المعنى باطلاً فيكون خطؤهم فى المدلول به وهذا كما وقع فى تفسير القرآن ، فإنه وقع أيضا فى تفسير الحديث .. وهو يرى .. انه بسبب تطرف الفرق والمذاهب من

---

(١) يحيى بن حمزة العلوى ، الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ، ص٧١.

(٢) المصدر السابق ، ص٧٣.

(٣)ابن قتيبه الديتورى ، تأويل مختلف الحديث ، ص٨٤، ط مكتبة زيدان بمصر ١٩٢٥م.

الخوارج والجهميه .. والمعتزلة .. وغلطهم في الدليل والمدلول دخلت الرافضة الأمامية ثم الفلاسفة ثم القرامطة فيما أبلغ من ذلك .. وفسروا القرآن بأنواع لا يقضى العالم منها عجباً[1] ..

كذلك ينتقد الإمام السلفى ابن تيميه منهج الباطن عند الصوفية والشيعة على السواء " فهم الذين يدعون أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لهم طريق إلى الله تعالى لا يحتاجون فيه إلى محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء كفره فإذا قال أحدهم انا محتاج إلى محمد صلى الله عليه وسلم فى علم الظاهر دون علم الباطن أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا أن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب فإنه أولئك آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض .. وكذلك هذا الذى يقول أن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن ، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر[2]".

وقد تتبع ابن تيميه المنهج الباطنى لدى جميع الفرق التى سلكت فى تأويل القرآن مسلك الظاهر والباطن أو الرمز والرموز أو المثل والمثول فبين لكل من سلك هذا المسلك أنه طريق الشيطان وليس طريق الرحمن وقد فند جميع دعاوى الباطنية فى كثير من كتبه أهمها " منهاج السنة النبوية " حيث ذكر " أن الرافضة هم أئمة التحريف وفى مبادئهم وجد الإسماعيلية والقرامطة والباطنية الطريق معبداً لتنفيذ مبادئهم فتأولوا الواجبات واستحلوا المحرمات ورفعوا الشريعة بالكلية[3]".

---

(١)ابن تيميه ، مقدمة فى أصول التفسير ، ص١٣ ،١٤ ، ط الترقى بدمشق ١٩٣٦م.

(٢) ابن تيميه ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص٨٦.
تحقيق محمد فايد ، ط صبيح ، ١٩٥٨م.

(٣) ابن تيمية ، منهاج السنة ، جـ٢ ،ص٩٠ تحقيق دكتور محمد رشاد سالم ، ط المدنى ، ١٩٦٢م .
- كذلك دكتور محمد السيد الجلنيد ، الإمام ابن تيميه وموقفه من قضية التأويل ، ص٩٨ ، ص٢٩٩،ط المطابع الأميرية ١٩٧٣م.

والجدير بالذكر أن الإمام ابن تيميه مع كل فكر للروافض أو الباطنية موقف ومع كل رأى حجة وبرهان .

وقد تتبع البغدادى والمقريزى دعـائم فلسـفة التـأويل البـاطنى عنـد الشـيعة وانتقدا المنهج الذى تسير عليه هذه الفلسفة الباطنية ، ونكتفى بما ذكـره البغـدادى فقال " ثم أن الباطنية لهم اصطياد الأغنام ودعوتـهم إلى بدعتـهم حيـل علـى مراتـب سموها التفرس والتأنيس والتشكيك ،والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالإيمان والخلع والسلخ .. وذد ذكرها المقريزى فى كتابة الخطـط والآثـار بـالتفصيل سوف نذكرها فيما بعد ، ولكن يذكر البغدادى أيضاً أن من شرط الداعى لبدعتـهم أن يكون قوياً على التلبيس وعارفاً بوجوه التأويل للظواهر ليردها إلى الباطن[١].

وقد تناول المتكلمون من أهل السـنة فلسـفة التـأويل بـالتحليل والنقـد أيضـا وعلى رأسهم الإمام الغزالى ، فقد هاجم الفلسفة الباطنية ومنـهج البـاطن فـى محيـط الشيعة هجوما عنيفا بالحجة والبرهان العقلى والنقلى فى معظـم مؤلفاتـه الفلسـفية والكلامية والفقهية بل وقد صنف كتابه .. فضائح الباطنية " بمنـهج خـاص لذلـك ، ولا يسعنا إلا أن نذكر انه قد دحـض القـاعدة الأساسـية التـى ترتكـز عليـها نظريـة التأويل عند الباطنية حيـث نذكـر " أن إبطـال الظواهـر رأى الباطنيـة الذيـن نظـروا بالعين العوراء إلى أحد العالمين ، وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهة. كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية ، فالذى يجرد الظاهر حشـوى والـذى يجـرد الباطن باطنى والذى يجمع بينهما كامل . ولذلك قال عليـه الصـلاة والسـلام (للقـرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) وربما نقل هذا عن على موقوفا عليـه[٢] والإمـام الغـزالى

---

(١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٨٣.
(٢) الإمام الغزالى ، مشكاة الأنوار ، ص٣٢، تحقيق مصطفى أبو العلا ، ط الجندى ، ١٩٧٠م.

هنا يريد أن يجمع بين الظاهر التشريعى والأسرار الباطنية وهى المعانى المراده المفهومة والتى تدل عليها الظواهر دون إغفالها . وهذا عكس ما تذهب إليه الشيعة الباطنية الذين وصفهم فى كتبه كالإحياء " أنهم أهل الطامات الكبرى[١]" والإمام الغزالى صوفى يستلهم المعانى والأسرار المكنونة فى الألفاظ الظاهرة مباشرة دون الرجوع إلى إمام معصوم أو تأويل متطرف بل عن طريق الكشف الإلهى والذوق الربانى وبدون إنزال هذه المدلولات الباطنية أو الأسرار على أشخاص أو مذاهب معينة كما هو معروف فى محيط الفلسفة الباطنية عند الشيعة .

كما أن استمداد خزائن العلوم عند الغزالى إنما يكون من النبى صلى الله عليه وسلم والتوجه إليه بالكلية واستحضار الادكار والخلوة . أشار إلى ذلك بما يناقض فلسفة الباطن عن الشيعة فى كتابه كيمياء السعادة بقوله " اعلم أن الكيمياء الظاهرية لا تكون فى خزائن العوام وإنما تكون فى خزائن الملوك فكذلك كيمياء السعادة لا تكون إلا فى خزائن الله سبحانه وتعالى ففى السماء جواهر الملائكة وفى الأرض قلوب الأولياء والعارفين فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة فقد أخطأ الطريق[٢]".

لذلك فقد أشار إلى منهج التصوف الصحيح وأدائه بأنه " قلة الإشارة " وترك الشطح فى العبارة والتمسك بعلم الشريعة ودوام الكد واستعمال الجد .. لى أن يذكر ودوام درس القرآن[٣]".

وسوف نرى موقف الغزالى وأهل السنة فيما يعد بالتفصيل ونقدهم

(١) الغزالى ، الحياء ، جـ١ ، ص٣٧ ، ط دار الكتب العربية بدون تاريخ .
(٢) الغزالى ، كيمياء السعادة ، ص١٠٦ ، تحقيق مصطفى أبو العلا ، ط الجندى ١٩٧٣ م (ضمن كتابة المنقذ من الضلال).
(٣) الغزالى ، الأدب فى الدين ، ص١٥٨ (ضمن مجموعة رسائل أخرى) تحقيق مصطفى أبو العلا ط الجندى ١٩٧٣م.

لمنهج التأويل عند الشيعة الباطنية وكذلك نقدهم لدلول التأويل الرمزى الذى يعول عليه الشيعة فى مذهبهم .

ومما يسترعى النظر أن بعض المعتدلين من علماء الاثنا عشرية المحدثين والمعاصرين كما ذكرنا سابقا وسنذكره فيما بعد ممن يدعون إلى محاولة التقريب بين المذاهب هاجموا وانتقدوا تأويلات الباطنية وتطرف الغلاة وحللوها ودعوا إلى نبذها والتخلص منها ، وأن كان ذلك كذلك فإنه ينطوى على نقد صريح ورفض لدعاوى التطرف وفلسفة الباطن عند الشيعة لا سيما النصيرية والدروز والبابيه والبهائية وبعض الطوائف المعاصرة فى الهند وباكستان كالبهرة والاغاخانية .. الخ .

وقد انتقد كل من ابن مالك الحمادى فى كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ومحمد بن الحسن الديلمى ، فلسفة التأويل الشيعى ، ونكتفى بما ذكره الديلمى فى نقده لقواعد هذه الفلسفة الباطنية بقوله : أن قولهم بان لكل ظاهر باطنا وان ظاهر الآيات لا يصح الاحتجاج به ولا الاعتماد عليه ، إلا أنهم إذا ظفروا بآية يتوهمون أن لهم فى ظاهر ما علقه لم يلبثوا أن يحتجوا سبها وينسون مذهبهم أن الظاهر لا ينبغى الاعتماد عليه ولا الاحتجاج به – فمتى أذن الله بفضيحة أحد أغرى يديه بكشف عورته – فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر أمته بالتمسك بالظاهر ويشدد على عدم ترك الظاهر من العبادات ... الخ[1] .

ونخلص مما سبق إلى أن فلسفة التأويل فى محيط التشيع الباطنى عند الإسماعيلية والغلاة والمتمثلين للتيارات والنزعات الباطنية فى محيط الاثنا عشرية– لم تبلغ المستوى اللائق لكونها تعبر عن نظرية دينية مذهبية يقام عليها أسس وقواعد مذهب إسلامى كبير إذ أن التطرف والإسراف والغلو النظرى والعلمى أدى

---

(١) محمد بن الحسن الديلمى ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، انظر من ص٦٣ ، ص٦٦، ٨٠ ،ص٩٠ (منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد).

إلى نبذ هـذه الفلسفة لابتعادها بالإسلام عن المنهج الصحيح فى محيط الشيعة الباطنية .

لذلك يمكن أن تعتبر أن التأويل فى صورته الإسماعيلية والغالية عند الشيعة الآخرين – لم يبلغ أى وحدة دقيقة فى الرأى بالرغم من وجود طبقات من المشايخ ذوى الحجة . وذلك لأن الكتاب المختلفين كانوا يختلفون اختلافا كثيرا فى تأويلهم أو تفسيرهم الباطن لأى فعل من أفعال العبادات ، بل إننا نلاحظ أن الكاتب قد يدلى فى بعض الأحيان بتفسيرات كثيرة فى الكتاب الواحد نفسه .

مثال ذلك أن المعنى الباطنى لفريضة الزكاة قد رؤى أنه الخمس من دخل المرء يجب أداؤه للإمام – أو أن المرء يجب عليه أن يعطى كل ما يفيض من دخله للفقير أو أن الثروة الحقه هى المعرفة فحسب ، والذى حققه التأويل (كما سنى فيما بعد أنه أحل محل العالم القرآنى الذى يبدو فطريا نظريا ، مذهبيا عقليا على حظ كبير من السفسطة . مذهبا يبدو أنه يغوص إلى ما وراء الخلافات الشكلية بين الجماعات الدينية المتنازعة بدعاويها العقائدية غير المتسقة ليبلغ ذلك حقيقة عامة أعمق .

وجدير بالذكر أيضا – أن الشيعة الباطنية قد أضفوا على التأويل مشربا واحدا وذلك باستخدامه فى أغراض ثلاثة كبيرة مترابطة :

أولها : أنه يمثل تصورا للكون مشتقا من مصادر أفلاطونية حديثة .

ثانيها : أنه يفسر علم الآخرة تفسيرا تاريخيا يقوم على الدين والدورات وأحيانا (بالتناسخ).

ثالثها : أنه يبرز طبقات المشايخ للفرقة الذين تقابل درجاتهم على تفاوت الدرجات العديدة للتصوير الأفلاطونى المحدث للكون .

يمكن أن نضيف إلى ما سبق أيضا : أن الرغبة فـي التحلـل السفسطائى مـن العقائد المسلم بها عامة أدت إلى قيام نزعة ملحـدة تـهدف إلى السمو بالبـاطن سمـوا جوهريا .

وفى مذهب الإسماعيلية الفاطمية الرسمى اعتبر أن كلا من الظـاهر والبـاطن له ميادينه الخاصة المناسـبة علـى الأقـل فـى مسـائل العبـادات والشـرعيات الملزمـة للداخل فى الطريقة .

ولكن كانت ثمة بين الباطنية معاودة متكررة لنبذ معنى الظاهر كليـة حتـى فى الشريعة أو على الأقل فى أحكام العبادات على اعتبار إنها نافلة لكل من يعـرف الإمام ومن ثم الباطن . وقد حدث هذا على سبيل المثال بين الإسماعيلية النزارية بعد (سنة ٥٥٩هـ) وهؤلاء الذين نبذوا الظاهر كلية قد جروا أيضا فى الأكثر علـى السمو بالوصى (على) إلى درجة أرفع من التى للنبى محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أساس التأويل كان هذا هو موقف طائفة النصيرية – كذلك[١] .

ومن خلال هذا التحليل النقدى لفلسفة التأويل الباطنى فى مذاهـب الشيعة الباطنية – يتضح لنا مدى ما لهذه الفلسفة الباطنية من خطورة على الفكر الإسـلامى قديما وحديثا الآن والذى يدعونا إلى ضـرورة بحـث الجوانـب التطبيقيـة او العلميـة فيها . تلك الجوانب التى تتعلق بالتأويل للنصـوص الدينيـة والعقائديـة طبقـا لهـذا الاتجاه الباطنى عند الشيعة – وحتى يمكننا تعريفـها وكشـفها ،وحمايـة لأجيالنـا الحاضرة والقادمة من ذله الانزلاق إلى مثل هذه التيارات الفلسفية الباطلة .

وعلى ذلك نحاول فى الفصول القادمة بحـث وتحليـل منـاهج التـأويل عنـد غلاة الشيعة – وكذلك عند بعض غلاة الاثنا عشرية – ونحاول كذلك أن نتتبع منهج

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٦ (مادة الباطنية) ص٨٩.

التأويل عند الإسماعيليين سواء فى نظامهم او فى مسألة الإمامة وكذلك فى الإلهيات والعبادات وأمور الآخرة .

وسوف نستعين فى ذلك بالمنهج التحليلى النقدى ثم نحاول المقارنـة بينـهم وبين غيرهم من المذاهب والفرق الإسلامية وغير الإسلامية الأخرى حتى يتسنى لنا الكشف عن المؤثرات والعناصر الخارجية والتى أدت دورها فى الغلـو البـاطنى علـى مر العصور والأجيال .

الفصل الثانى

منهج التأويل عند الغلاة من الشيعة وبعض الاثنا عشرية

أولاً : طبيعة المنهج بين الشيعة والمذاهب الأخرى :

تدل كلمة " التأويل" فى اللغة على معنـى : المرجع والمال والعاقبـة يقـول الأزهرى " آل ، يؤول ، أولاً – أى رجع[1]" كذلك ابن فارس يقول " أول الحـكم إلى أهله – أى أرجعه إليهم " ويضيـف معنـى العاقبـة – يقـول " أن تـأويل الكـلام هـو عاقبته – ويستند فى ذلك إلى قوله تعالى " وهل ينظرون إلا تأويله ، يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق " سـورة الأعـراف آيـة (٥٣)[2] ويذكر ابن منظور مدلول كلمـة "التـأويل " بقولـه : أول الكـلام وتأويلـه " أى دبـره وقدره ، وأوله تأوله : فسره " يقول أبو منصور أن التـأويل هـو جمـع معـانى ألفـاظ اشكلت بلفظ واضح لا أشكال فيه[3]".

ومن الجدير بالذكر أن مدلول كلمة التأويل بهذه المعانى كان هو المقصود فـى عهد الرسول صلى اله عليه وسلم ، والصحابة التابعين رضوان الله عليهم أجمعـين .. فعندما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لأبن عباس بقولـه " اللـهم فقهـه فـى الديـن وعلمه التأويل[4]يفيد معنى التفسير والبيـان والتدبـير ، وإذا حاولنـا بحـث مدلـول التأويل كما ورد فى القرآن الكريم ، سوف نجد أنه يفيد هذه المعـانى – والسـلف لم

---

(١) الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد ت عام ٣٧م) تـهذيب اللغـة ، جـ١٥ ، ص٤٣٧ (مـادة أول) تحقيق إبراهيم الأبيارى طـ الدار القومية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦.

(٢) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، جـ١ ، ص١٦٢.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ١٣ ، ص٣٣ ، ص٣٤ ، وللمزيـد يرجـع إلى الفـيروز أيـادى ، مجـد الدين القاموس المحيط ، جـ٣ ، ص٣٣١ ومطبعة دار المأمون ، ١٩٣٨م.

(٤) هذا الحديث قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لأبن عباس أخرجه البخارى مـن حديـث ابـن عبـاس دون قوله (وعلمه التأويل) وهو بهذه الزيادة عند احمد وابن حيان والحاكم وقال صحيح الإسـناد . (نظرنا فى ذلك أبو الفضل العراقى ، المغنى عن حمل الأسعار فى تخريج ما فى الأحياء مـن أخبـار فى أحياء علوم الدين للغزالى ، ص٣٨.

يكونوا يستخدموا مدلول لفظ "التأويل " الا فى النطاق المراد منـه فعلاً وهو تفسير معنى النصوص الدينية وبيان مدلولها الحقيقى وتدبرها تدبراً واقعياً – أو بيان معانى الألفاظ وتفسيرها وفقاً لمدلولها الواقعى والخارجى – من غير إسراف أو تطرف فى صرف ظواهرها إلى معان مجازية ، او لا تتفق مع عقيدة أهل الكتاب والسنة[1] فقد كان أهل السلف والتابعين بإحسان إلى يوم الدين " كان همهم الأول هو فهم النصوص فما وجدوه منها صالحاً لأجرائه على مفاده ابقوة على ظاهره وفهموا منه هذا الظاهر ، وما وجدوا ظاهره غير صالح لمخالفته نصاً آخر محكماً أو لأن العقل لا يقر هذا الظاهر فإنهم يكلون تحديده إلى الله تعالى[2] ".

كان هذا هو منهج أهل السنة والسلف –كانوا بعيدين عن التطرف او مخالفة ظواهر النصوص ، وهم بذلك يختلفون اختلافاً كلياً وجزئياً عن أصحاب الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى ، من المتكلمين والفلاسفة والصوفية والشيعة بصفة عامة والباطنية بصفة خاصة .

وإذا كان هناك اختلاف بين الفرق والمذاهب الإسلامية فى تناول النصوص والقضايا الدينية وتأويل معانيها ومدلولاتها طبقاً لاتجاهاتهم المذهبية. فإن ذلك الاختلاف يدل على طبيعة المنهج الذى يتمثله كل مذهب من هذه المذاهب . وعلى ذلك فإنهم يتخذون التأويل أسلوباً وطريقاً فى تدعيم مناهجهم وعقائدهم . ومن هنا كان الفرق الواضح بين طبيعة المنهج عند أهل السنة والسلف

---

(١) للمزيد فى ذلك دكتور محمد السيد الجلنيد ، الإمام ابن تيميه وموقفه من قضية التأويل ، ص٢٨ ، ص٤٠ ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٣م .
– كذلك قمت ببحث معانى التأويل "برسالتى للماجستير موضوعها " قضية التأويل عند الإمام الغزالى " ص١ ، ص٣١ . تحت إشراف أستاذى الدكتور محمد جلال شرف ، بحث غير منشور مكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٧٩م.

(٢) دكتور سليمان دنيا ، محمد عبده ، بين الفلاسفة والكلاميين ، جـ١ ص١٥ ، ط دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٥٨م.

وبين غيرهم من الفرق الأخرى .

فطبيعة المنهج السلفى عند أهل السنة هو - التمسك الشديد بظواهر النصوص والدقة فى الروايات والأحاديث والتحرى فى قبولها والتفويض فيما أشكل او تشابه منها إلى الله تعالى وبيان معنى النصوص بقدر ما يفيد ظاهرها ومدلولها الواقعى الخارجى وعلى ذلك فإن منهج أهل السلف أو التفسير يتفق ومع مراد اللفظ ومدلوله عندهم - وكما ورد القرآن الكريم وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم واللغة وقد عبر عن ذلك المنهج شيخ الإسلام الإمام السلفى ابن تيميه - فى معظم مؤلفاته نذكر منها قوله : أن التأويل فى لفظ السلف له معنيان :

الأول : تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهرة او خالفه وهذا يعنى أن المراد بالتأويل ، وهو الشرح والتفسير والإيضاح .

الثانى : أن مدلول التأويل عند السلف هو نفس المراد بالكلام فإن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وأن كان خبرا كان تأويله نفس الشىء المخبر به - وهذا يعنى أن المراد بالتأويل هو تأويل نفس الأمور الموجودة فى الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبله[1].

وإذا انتقلنا إلى منهج التأويل عند الفرق الأخرى وبصفة خاصة الشيعة نجد أن طبيعة هذا المنهج تتفق مع عقائدهم ومذاهبهم الفلسفية أو الباطنية .

فقد تمسكوا بالمدلول الاصطلاحى للتأويل ، وحاولوا حمل معانى النصوص الدينية على هذا المدلول يقول محمد رشيد رضا : " حمل التأويل فى القرآن على المعنى الاصطلاحى قول تمسكت به الباطنية فى دعواهم[2] وهذا المدلول الاصطلاحى

---

(١)ابن تيميه ، الاكليل فى المتشابه والتأويل ، ص٢٥ ، ص٢٦ ، ط السلفية ١٣٩٤ م.

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، جـ٣ ،ص١٧٥ .

يعنى أن التأويل فى عرفهم – هو صرف الألفاظ عن ظواهرها إلى معان ومدلولات أخرى تتفق مع عقائدهم فى الإمامة والإلهيات والعبادات وأمور الآخرة . وعلى ذلك فإن باطنية الشيعة غلاة وبعض الاثنا عشرية والإسماعيلية ويضاف إليهم فلاسفة الإسلام والمتصوفة " ينظرون إلى نصوص القرآن نظرة تتمشى مع نظرياتهم وتعاليمهم . فيذهب المتصوف والباطنى فى شرحه للآيات القرآنية شرحاً يخرجها عن ظاهرها الذى يؤيده الشرع وتشهد له اللغة(١)".

ولا شك أن طبيعة منهج التأويل عند غلاة التشيع أو الباطنية منهم يتفق مع منهج التأويل عند الفلاسفة والصوفية من حيث المبدأ وأن اختلفوا فيما بينهم من حيث الاعتقادات المذهبية التى يحاولن حمل النصوص الدينية عليها " فالشيعة الباطنية كذلك فلاسفة الصوفية كان يسيطر عليهم اعتقاد يفيد أن القرآن والشريعة لا يدلان فقط على ما يبد ومقصوداً من دلالتها اللفظية ، بل تحتجب وراء هذه الدلالة أفكار أعمق . والمعنى الحقيقى للتنزيل الإلهى لا يتناهى عند البسائط البادية من ظاهرة .. فالى جانب المعنى المادى الملموس (الظاهرى) للفظ ، يوجد معنى باطنى روحى(٢) ومن هنا تظهر نظرية الظاهر والباطن عند الشيعة الباطنية – وسوف نجد فيما بعد خاصة الإسماعيلية يعمقونها فى عقائدهم ويؤولون النصوص والقضايا الدينية عليها .

وعلى ذلك فإن النصوص الظاهرة فى اعتقاد الشيعة الباطنية أو غلاتهم مجرد رموز وإشارات ومثل لمثولات باطنية يمكن معرفتها عن طريق التأويل– وهو

---

(١) دكتور محمد حسين الذهبى ، التفسير والمفسرون ، جـ٣ ،ص٥ ، ط دار أحياء الكتب العربية الحديثة ، ١٩٦٢م.

(٢) جولد تسيهر ، مذاهب التفسير الإسلامى ، ص٢٠٣ ترجمة دكتور عبد الحليم النجار ، ط مكتبة الخانجى بمصر ، ١٩٥٥م.

خاص بالأئمة – كما وضحنا فى نقد فلسفتهم فى تأويل الباطن .

وقد شارك الفلاسفة نظرة غلاة الشيعة الباطنية إلى النصوص والقضايا الدينية .

فأبن سيناء (أبو على الشيخ الرئيس ت ٤٣٨هـ) يرى " أن المشترط على النبى صلى الله عليه وسلم أن يكون كلامه رمزاً وألفاظه إيماء فمتى كان النبى صلى الله عليه وسلم أن يوقف على العلم أعرابياً جافياً ولا سيما البشر كلهم إذ كان مبعوثاً إليهم كلهم[1] " وهذا يشير إلى أن منهج الفلاسفة يقوم على أساس أن نصوص الدين ولغة الرسل تكون على سبيل التخيل والتمثيل ، أى إنها مجرد رموز وإشارات إلى حقائق خفية ليست من اختصاص العامة من الناس معرفتها بل هى موقوفة على فهم الخاصة أو الحكماء فقط . إذن فإن لكل تنزيلات ظاهرة وهى الألفاظ المقروؤة المسموعة تأويلات خفيه باطنية هى المعانى المفهومة المعقولة– كما عبر أخوان الصفاء[2] وهم من فلاسفة الإسماعيلية من الشيعة . وقد تصدى علماء السلف لمثل هذه المناهج المتطرفة فى التأويل وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيميه وانتقد مناهج الفلاسفة والصوفية والقرامطة والجبهية والمتكلمين معتزلة أشعريه – وأن كان كل من المعتزلة والأشعرية أكثر اعتدالاً من الشيعة فى التأويل – إلا أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه بتأويلاتهم[3] والفلاسفة بصفة خاصة حاولوا التوفيق بين نظريات الفلسفة وبين نصوص الدين عن طريق التأويل ، بتأويل مصطلح دينى بآخر فلسفى .

وإذا تطرفنا إلى معرفة طبيعة منهج التأويل عند المتكلمين بإيجاز شديد سنجد أنهم يختلفون تماماً عن منهج الشيعة الباطنية فالتأويل يعنى فى عرف

---

(١) ابن سيناء ، تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ، ص١٢٤ ، ط أمين هندية ، ١٩٠٨م.
(٢) أخوان الصفاء ، الرسائل ، جـ٤ ، ص١٣٨ تحقيق بطرس البستانى ، ط دار صادر ببيروت ١٩٥٧م.
(٣)رجعنا : ابن تيميه ، الأكليل ، ص٢٢ ، ٢٥ ، كذلك الرسالة التدمرية ص٣٠.

الأصوليين أو المتكلمين " انه حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، فإن حمل دليل فصحيح ، أو لما يظن دليلاً وليس بدليل فى الواقع ففاسد ، أولا لشيء فلعب لا تأويل[١] ".

وقد أشار الإمام الغزالى كمتكلم اشعرى " إلى أن التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذى يدل عليه الظاهر ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز[٢]".

وقد استخدم هؤلاء المتكلمون منهج التأويل المجازى الذى يعنى صرف اللفظ الظاهر إلى معنى يحتمله لدليل يقترن به فى تأويل الصفات الإلهية . والنصوص المتشابهة . وحاولوا حملها على معانى عقلية بقصد التنزيه لله تعالى عن صفات المحسوسات هذا فى الصفات ، أو رد المتشابهات إلى المحكمات . وغير ذلك مما لا داعى للإسهاب فيه حيث أنه بعيد عن نطاق بحثنا . وقد بحثت ذلك فى رسالتى للماجستير . وسبق فى بحثها بعض الباحثين فى العصر الحديث ، والزمن المعاصر[٣].

والاختلاف هنا بين الجانبين هو أن غلاة الشيعة الباطنية يعرضون عقائد ونظريات ويحملون النصوص الدينية عليها ويؤولونها طبقاً لها . أما المتكلمون فأنهم يحملون النصوص ويؤولونها عهلى المعانى المجازية والعقلية فكان قصدهم التنزيه المطلق لله تعالى عن مماثلة المخلوقات . أو تقريب المعانى إلى الإفهام .

ثانياً : منهج التاويل عند غلاة التشيع :-

بعد ما بحثنا بإيجاز عن طبيعة المنهج عند الشيعة الباطنية أو الغلاة

---

(١) اليناني ، حاشية اليناني على جمع الجوامع للسبكي ، جـ٢ ، ص٣٥ . المطبعة الأزهرية بمصر ١٣٠٩ هـ.
(٢) الإمام الغزالى ، المستصفى فى علم الأصول . ص٢٨٢ ، تحقيق مصطفى أبو العلا ط الجنتدى ١٩٧١م.
(٣)دكتور محمد السيد الحليتر ، الإمام ابن تيميه وموقفه من قضية التاويل .

وغيرهم من بعض المذاهب الأخرى – فلا يعنينا أن ندخل فى تفاصيل ذلك الآن سوى أن نذكر بين الحين والآخر أوجه التشابه أو الاختلاف والآثار الخارجية فى منهج التأويل عند غلاة التشيع بقدر الإمكان ، كذلك لا يعنينا تفاصيل اختلاف الفرق أو الطوائف الغالية كثيراً ، غير إننا نركز على منهج التأويل عندهم والدور الكبير الذى استخدم فيه هذا المنهج فى تأويل النصوص واستحداث النظريات والمبادئ الغالية ومحاولة إخضاع النصوص لهذه النظريات الخارجة عن نطاق الاعتقاد الإسلامى الصحيح .

وعلى ذلك ، فإن الشيعى بصفة عامة . والغالية الباطنية بصفة خاصة حاولوا جذب النصوص الدينية وتخريجها على نحو يوافق معتقداتهم ومبادئهم فى الإمامة ، او الوصاية . والغيبة الرجعية أو المعراج الروحى والاعتقاد بالتناسخ والحلول . والتقية والعصمة وغير ذلك من الأمور التى تأولوا عليها أمور الدين دون مراعاة لحرمة النصوص وضوابطها وقرائنها العقلية والنقلية ومدلولاتها اللغوية .

وأول ما يقابلنا من طوائف الغلاة " السبئية وقولهم :

أولاً : بالوصية : فى حق الإمام على بن أبى طالب ، أى أن الإمام على وصى للرسول صلى الله عليه وسلم . وهنا تأثير يهودى فقالت اليهودية فى يوشع بن نون أنه وصى لموسى عليه السلام .

ثانياً : قالوا: بألوهية على فذهبوا فى الكوفة وقالوا له : أنت أنت – وتأولوا ذلك على الألوهية أى أن على هو الله سبحانه وتعالى عما يقولون .

ثالثاً : أعلنوا فكرة المعراج الروحى فى حق "على" أى صعوده إلى السماء وأنكروا مقتل الإمام على وتأولوا ذلك على أن شيطاناً تصور للناس فى صورة على ، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد عيسى عليه السلام ..

رابعاً : قالوا بعقيدة الرجعة فى حق الإمام على ، وزعموا أنــه لم يمـت وسـيعود إلى الدنيا فيملأ الأرض عدلاً .

ولا شك أن قولهم بأن علــى حـى لم يمـت فيـه تأثـير يـهودى حيـث ذهـب اليهود للقول بان .. الياس وفنحاص بن إلعازار بن هارون عليه السلام وغيره أحيـاء إلى اليوم . وقد قال بعض تركى الصوفية أن الخضر والياس عليهما السلام حيـان إلى اليوم وادعى الســبئيه بتناسـخ الجـزء الإلهـى فـى علـى . فكـان هـذا موحيـا لدعـاة الإسماعيلية فيما بعد للزعم بتناسخ الجزء الإلهى فى حق الأئمة والخلفاء الفاطميين فى مصر[1].

وإذا كـانت المصـادر التاريخيـة لا تزودنـا بالكثـير مـن تـأويلات للنصـوص الدينية غير أن هذه العقائد الغالية توحى بأنهم قاموا بتخريج النصوص طبقـاً لهـذه العقائد وما تحتويه من أفكار باطنية – والتى سوف تؤثر فـى عقـائد الاثنـا عشـرية والإسماعيلية فيما بعد .

وتنقل لنا بعض المصــادر تـأويل السـبأيه لنـص قرآنـى طبقـاً لعقيدتـهم فـى الرجعة .. فى حق محمد صلى الله عليه وسلم أو فـى حـق علـى رضـى الله عنـه قولـه تعالى : إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى ميعاد " سورة القصص آية (٨٥)[2] وقـد أثرت تأويلات السبئيه فى غنوصى الشيعة خاصــة فـى تصويرهـم لعلـى فـى مظـاهر كونيـة يتجلى لهم فيها – وتتولى طهوراته فى مظاهر كونيه – كالقمر العرجون

---

(١) رجعنا إلى المصادر الآتية : أ- الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ص١٧٣ ،ص١٧٤.
ب- الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ١ ،ص٨٧.
جـ- المقدس ، البدء والتاريخ ، جـ٥ ،ص ١٢٤ ،١٢٥.
د- المقريزى ، الخطط ، جـ٤ ص ١٨٢ .
هـ- ابـن حـزم الظـاهرى الأندلـس ت(٥٤٨هـ) الفصـل فـى الملـل والأهـواء والنحل، جـ٤ ، ص١٣٨ ، مكتبة السلام العالمية طـ حديثة بدون تاريخ .
(٢) دكتور حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى ، ط جـ١ ، ص٢٩٤ ، ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤.

القديم حين ظهوره للخلائق[1].

وإذا كانت البذور الولى للعقائد الغالية نبتت فـى البيئـة السـبئيه فـلا شـك إنها تتابعت وزيدت إيضاحاً وتأويلاً عند الطوائف الغالية الأخرى .

فالكيسانية كما علمنا سابقاً (الباب الأول) (الشـيعة الحنفيـة) يغـالون فـى التأويل . بقصـد تدعيـم مذاهبـهم بمـا يخـالف منـهج الإسـلام وعقيـدة أهـل السـنة والسلف الصالح . ويرجع إليهم الجانب الأكـبر فـى تدعيـم منـهج التـأويل البـاطنى ووضع أصوله الأولى طبقاً لمعتقداتهم .

فقد دعت هذه الطائفة إلى إمامة " محمد بن الحنفية بن على بـن أبـى طـالب ومن هنا بدأت تتبلور عقائدهم ويبنى عليها منهجهم فى التـأويل الرمـزى البـاطنى ويتتابع الغلو فى حق الأئمة العلويين .

ذكر الشهرستانى فيما يتعلق بعقائد الكيسائية ومنهجهم فى التأويل "أنهم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على بـن أبـى طـالب كـرم الله وجهـه وقيـل تلميـذ للسيد محمد بن الحنفية رضى الله عنه ، يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حده ودرجته مـن إحاطته بالعلوم كلها ، واقتباسه مـن السـيدين الأسـرار بجملتـها مـن علـى التـأويل والباطن ، وعلم الآفاق والأنفس . ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغـير ذلـك علـى رجال ، فحمل بعضهم على تـرك القضايـا الشـرعية بعـد الوصـول إلى طاعـة الرجـل وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمـل بعضـهم علـى القـول بالتناسـخ والحلول والرجعية بعد الموت ، فمن مقتصر على واحد معتقد انه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ، ومـن معتقـد حقيقـة الإمامـة إلى غـيره ثـم متحسـر عليـه ،

---

(١)دكتور النشار – نشأة الفكر الفلسفى ، جـ٢ ، ص٢٦.

متحير فيه ، ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة .. وكلهم حيارى متقطعون ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له[1].

ومن هنا نبدأ فنقول : أن مثل هذه الأفكار الغالية كانت عند السبئيه وانتشرت فى أوساط التشيع فى الكوفة . وفى الكوفة فرخ التشيع وأثمر عن هذه التيارات الباطنية والغريبة عن البيئة الإسلامية – وعلى ذلك فإن التأويل الغالى بدأ بتدعم أصوله حيث وجدت الاعتقادات الغالية فى حق الأئمة .. فنجد :

أولاً : أن الكيسائية ينسبون العلوم السرية الباطنية وتأويلها إلى الأئمة على بن أبى طالب وأبنه محمد ابن الحنفية ثم انتقالها إلى الدعاة بالتعليم والاقتباس .

ثانياً : اعتقادهم بأن الدين هو طاعة رجل – وهو الإمام دون سواه، فمن عرف هذا الإمام وتابعه سقط عنه التكليف وترك القضايا الشرعية . وعلى ذلك يؤولون الشرعية كالصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك على رجال الأئمة .

ثالثاً : أن حمل القضايا الشرعية على طاعة الرجال – يعنى أنها مجرد رموز وإشارات إليهم ، فالمنهج هنا هو التأويل الرمزى الباطنى – والذى تجده عند بعض غلاة الاثنا عشرية وعند إسماعيلية بتوسع شديد .

رابعاً : أن هذا التأويل الباطنى الرمزى للقضايا الشرعية أدى إلى اعتقادهم بعقائد فاسدة فى حق الأئمة كالقول : بالغيبة والرجعة بعد الموت ، والتناسخ والحلول وضعف الاعتقاد فى القيامة واليوم الآخر .

وعلى ذلك ومن خلال تحليلنا لعقائدهم يتضح انهم يستخدمون منهج التأويل الباطنى الرمزى حيث يتأولون نصوص الدين ويخرجونها على أصولهم الاعتقادية "فالطاعة فى الدين ليست فى الحقيقة هى أداء الفرائض وإنما هى طاعة

---

(١) الشهرستانى ، الملل ، ط ، ص١٤٧.

الإمام المعصوم ، ثم تتـابع أتباعـهم إلى هدفـهم الأسـاس وهـو إنكـار البعـث وسـقوط التكاليف والقول بالحلول والتناسخ(١).

ويجب علينا أن نعرف مكانة هذا المنهج فى التأويل من خـلال عقـائد غـلاة الكيسائية بإيجاز :-

تعتقد الكيسائية بفكرة الوصية للإمام محمد بن الحنفيـة وقـد سـبقت هـذه الفكـرة عنـد السـيئيه مـن قبـل ، غـير أنـهم قـالوا بالوصيـة لعلـى ولأبنائـه مـن فاطمة(٢)كذلك قالت بفكرة" المهدية " فى حق الإمـام محمـد بـن الحنفيـة . وابتـدأت هذه الفكرة عند الكيسائية فقال المختار بن أبى عبيـد الثقفـى " أن ابـن الحنفيـة هـو المـهدى المنتظـر " – يتبـع هـذه الفكـرة القـول : بالغيبـة ثـم الرجعـة " إذا أعلـن الكيسائية أنه سيأتى ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا(٣) ".

والواضح أن الكيسـانية ينسـجون عقـائدهم علـى منـوال بـاطنى غـير أنـهم يتبعون منهجهم فى تأويل النصوص الدينية طبقاً لعقيدتهم .

فى "البداء" – والبداء معناه : هو أن يظهر له خلاف ما علم هذا هو البـداء فى العلم أما البداء فى الإرادة : فهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء فى الأمر : هو أن يأمر بشىء آخر بعده بخـلاف ذلـك (٤) وقـد اسـتغل غـلاة التشيع هذه الفكرة فى عقيدتهم لكى يثبتوا صحة معتقداتهم وتأويل النصوص الدينية ..

والمثال على ذلك : ما ذكره الطبرى فى تاريخ الرسل والملوك وان عبد الله بن توف حين خرج إلى حر وراء لقتال مصعب قال : يوم الأربعاء ترفعت السماء ونزل

---

(١) دكتور محمد السيد الحلنيد ، الإمام ابن تيميه وموقفه من قضية التأويل ،ص٩٦.
(٢) الأشعرى ، مقالات ، جـ١ ،ص٩٠،٩١.
(٣) دكتور برنارد لويس ، أصول الإسماعيليـة ، ص٨٨ ، كذلـك دكتـورة وداد القـاضى ، الكيسـائية ، ص١٩٥.
(٤)الشهرستانى ، الملل ، ط.ص١٤٨،١٤٩.

القضاء بهزيمة الأعداء ، فلما انهزم قال له "عبد الله بن شريك التهدى " وكان من رجاله وقد سمع مقاله ، ألم تزعم لنا يا ابن نوف أنا سنهزمهم قال أو ما قرأت فى كتاب الله تعالى " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " سورة الرعد آية(٣٩)[١].

ومن الجدير بالذكر أن المختار بن أبى عبيد كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال أما بوحى يوحى إليه ، وأما برسالة من الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه يكون شيء وحدوث حادث ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، وأن لم يوافق قال : بدأ لريكم . وقال أيضا : إذا جاز النسخ فى الأحكام جاز البداء فى الأخبار[٢].

ومما لا شك فيه أن هذه التخريجات للأمور العقائدية والنصوص الدينية تدل على مدى ما وصل إليه الغلو فى التشيع فى الدين الأمر الذى جعل الأئمة يتبرءون منهم " فقد قيل أن محمد بن الحنفية قد تبرأ من الضلالات التى ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة والمخاريق الموهة[٣]".

ومثل هذه التأويلات الفاسدة تتصل بفكرة "العلوم السرية " أو الباطنية التى نسبها غلاة التشيع إلى الأئمة ثم إلى الدعاة . " العلوم السرية" الباطنية : بدأت هذه الفكرة فى عهد الإمام محمد بن الحنفية منسوبة إليه ثم إلى الأئمة من بعده – يذكر الشهرستانى : أن الإمام كان كثير العلم غزير المعرفة وقاد الفكر مصيب الخاطر فى العواقب ، وقد أخبره أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن أحوال الملاحم ومدارج العلوم ، وقد حسن اعتقاد الناس فيه .. وقد أضاف الغلاة إلى ذلك أنه كان مستودعاً

---

(١) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ٢ ، ص٧٣.
(٢) الشهرستانى ، الملل ،جـ١ ،ص١٤٩.
(٣) نفس المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٤٩.

علم الإمام حتى سلم الأمانة إلى أهلها ، وما فارق الدنيا إلا وقد أقرها في مستقرها..[1]. وعلى ذلك فإن الإمام محمد بن الحنفية قد أحاط بالعلوم كلها . والأسرار بجملتها من علم التأويل " الباطن وعلم الآفاق والأنفس " غير أن هذا التصوير الكيساني الغالى أنكره الإمام محمد بن الحنفية (ت٨١) وكره أن يعرف الناس ذلك فيفتتنوا به . فقال " أنا والله ما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللوحين[2]".

وتتابعت هذه الفكرة فى عقائد طائفة " الأبى هاشمية أو الهاشمية حيث نسبوا فكرة العلم السرى الباطن والتأويل بعد وفاة الإمام محمد بن الحنفية عام ٨١هـ إلى أبنه الإمام " أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية " الذى اعتبره أهل السنة إماماً من أئمة المسلمين سار على هدى أبيه[3] ومن ناحية أخرى كان أول من أحدث مذهب الاعتزال واخترعه وتلمذ عليه واصل بن عطاء وأخذ منه[4] وهذا يدل على أن هناك صلة بين المعتزلة وبين الهاشمية، غير أن الغلو والغلاة أحاطوا الإمام أبى عبد الله ونسبوا إليه نظريات وعلم التأويل والباطن .

وعلى ذلك رأت طائفة الهاشمية الإمامة الروحية إلى الإمام أبى هاشم عبد الله بعد أبيه محمد بن الحنفية وقالوا : " إن الإمام محمد بن الحنفية أفضى إلى أبى هاشم بأسرار العلوم ، وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق والأنفس، وتقدير التنزيل على التأويل ، وتصوير الظاهر على الباطن" ، وقالوا : أن لكل ظاهر باطنا ، ولكل

---

(١) المصدر السابق ، ص١٥٠.

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبيرة ، ص٢٢ ، (محمد بن الحنفية) الترجمة .

(٣) محمد بن زاهد الكوثر ، مقدمة كتاب التبصير فى الدين ،ص٢٧، تعليق رقم (٣) تحقيق محمد الكوثر ، ط الخانجى بمصر ١٩٥٥م.

(٤) طاشى كبرى زاده (أحمد بن مصطفى) مفتاح السعادة ومصباح السيادة جـ٢ ، ص١٦٣، تحقيق كامل بكرى وآخرون ، ط دار الكتب الحديثة بدون تاريخ .

شخصى روحا ، ولكل تنزيل تأويلا ، ولكل مثال فى هذا العلم حقيقية فى ذلك العالم ، والمنتشر فى الآفاق مكن الحكم والأسرار مجتمع فى الشخص الإنسانى وهو العلم الذى استأثر على عليه السلام أبنه محمد بن الحنفية ، وهو أفضى بذلك إلى أبنه أبى هاشم . وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقا[١].

وينسب إلى أبنه أبى هاشم أنه هو البادئ فى إسباغ الأسرار على أرقام معينة منها الرقم (١٢) ويموت أبى هاشم (٩٧هـ) انفسح المجال إمام الشيعة بالكوفة فى تطوير هذه البواكير[٢]. الغالية فى التأويل والباطن .

وقد أدى اعتقاد الكيسانية فى العلوم السرية الباطنة الخاصة بالأئمة وانتقالهم إلى دعاتهم إلى محاولتهم تأويل النصوص والقضايا الدينية بما يخالف منهج أهل السنة وتعاليم الإسلام .. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك عند غلاة الهاشمية من الكيسائية منها : ما ظهر عند طائفة " البيائية " من غلو فى العقيدة والأئمة . فقد ادعى " بيان بن سمعان التميمى " الذى ظهر بالعراق بعد المائة بانتقال الإمامة من أبى هاشم إليه . وقال بالحلول والاتحاد وعلم الغيب فى الأئمة ومن ذلك تأويله لقوله الإمام على بن أبى طالب فى قصة " قلع باب خيبر " أن القوة الملكوتيه فى نفسه (أى على) كالمصباح فى المشكاة ، والنور الإلهى فى المصباح[٣] ".

كذلك تأول قوله تعالى " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام" سورة البقرة آية (٢١) على أن المقصود به "على" فى الظلل ، والرعد صوته ،و البرق تبسمه ، كذلك ادعى بيان بن سمعان انتقال الجزء الإلهى وتناسخه فيه وبذلك استحق أن يكون إماما ،ودان بعقدة التشبيه فأول قوله تعالى " كل شىء هالك إلا

---

(١) الشهرستانى ، الملل ، جـ١ ، ص١٥٠ ،١٥١ .
(٢) دكتور كامل الشيبى ، الفكر الشيعى – ص٢٣.
(٣) الشهرستانى ، الملل ،جـ١ ،ص١٥٢.

وجهه " سورة القصص آية (٨٨) أى أن الإله على صورة الإنسان سيهلك كله إلا وجهه[١] .

وطبقاً لذلك تأول النصوص على نفسه . فقال فى تأويل قوله تعالى :" هذا بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين " سورة آل عمران آية (١٧٨) بأنه البيان فقال: أنا البيان ، وأنا الهدى ، وأنا الموعظة[٢] .

وخلال هذه النماذج من التأويلات الفاسدة عند غلاة الكيسائية يتضح إنها محض ضلال وفساد – كذلك بها أفكار مسيحية حلوليه ،وغنوصية باطنية[٣] .

وهناك مثال آخر على التأويل الرمزى عند الكيسائية من ذلك ما ذهب اتباع "عبد الله بن معاوية بن جعفر " بأنه قد حل به الجزء الإلهى ، وأنه يعلم الغيب فغيبه أصحابه ، وكفروا بالقيامة – واعتقدوا بالتناسخ فى الدنيا والثواب والعقاب فى الأشخاص . وأولوا قوله تعالى " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا " سورة المائدة آية (٩٣) ، على أن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج فى جميع ما يطعم ووصل إلى الكمال والبلاغ ، وعن هذه الفرقة نشأة الخرميه والمزدكية بالعراق[٤] .

تتابعت الأفكار الباطنية ، والتأويلات الرمزية الفاسدة فى عقائد الشيعة الكيسائة – فى فكرة " السبطية – الأسباط" . ومن خلال بحث هذه العقيدة عند الغلاة نلاحظ أن التأويل اتخذ مداه الواسع منسجاً بنسج باطنى وغنوصى وبه تعاليم من التراث اليهودى والأسطورى فكلمة " الأسباط " أصيلة فى اللغة مأخوذة من كلمة

---

(١) المصدر السابق ، ص١٥٢،ص١٥٣.
(٢)البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٢٧ ، المقدس ، البدء والتاريخ ، جـ٥ ،ص١٢٩.
(٣) للمزيد ، دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ، جـ٢ ،ص٨٨.
(٤) الشهرستانى ، الملل ، جـ١ ،ص١٥٢ .
– البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٢٣ ، ص٢٢٤.

"سبط" وهو الولد ، والجمع أسباط – يدل على فريق من اليهود ، ويقال للعرب قبائل واليهود أسباط[1] وقد وردت فى القرآن الكريم بهذا المعنى فى قوله تعالى " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وأسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيس وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " سورة البقرة آية (١٣٦).

وقد أطلق الناس على الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى اله عليه وسلم، وورد فى سنن الترمزى (مناقب ٤٠) سنداً للرسول صلى الله عليه وسلم قوله " حسين سبط من الأسباط [2]"وقد أخذ غلاة التشيع هذه الفكرة وبنوا من خلالها تصويرهم للأئمة من آل البيت الشريف ، فالأسباط عند اليهودية : لأوى ويهوذا ، ويوسف ،وابنيامين ، وعند الكيسائية فإن بنوا هاشم أسباط مثل هؤلاء وفيهم الإمامة ، والملك فى أربعة هم: الإمام على وأبنائه : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية بن على[3] .

وقد عبر عن ذلك شاعر هم الكيسائى كثير عزه (١٠٥هـ) بقوله :

١- إلا إن الأئمة من قريش ∴ ولاة الحق أربعة سواء

٢- على والثلاثة من بنيه ∴ هم الأسباط ليس بهم خفاء[4]

٣- فبسط سيط إيمان وير ∴ وسبط غيبته كربلاء

٤- وسبط لا يذوق الموت حتى ∴ يقود الجيش يقدمه اللواء

وقد قام غلاة الكيسائية بتأويل النصوص الدينية طبقاً لهذه الفكرة وتأييداً

---

(١) أحمد بن محمد على المقرى ، المصباح المنير (معجم) جـ١، مادة سبط ص١٧٠ ط سنة ١٣٠٠هـ.
(٢) أخرجه ابن حجر ، الصواعق المحرقة ، ص١٩٠ ، نظرنا دكتور مصطفى حلمى نظام الخلافة ، ص٢٢٥.
(٣) دكتور النشا ، نشأة الفكرة الفلسفى ، جـ٢ة ، ص٨١ .
(٤) الشهرستانى ، الملل ، جـ١ ،ص١٥٠ .

لها عند طوائفهم مستغلين الطريقة الرمزية .. لذلك يذهب أحد زعمائـهم "عبـد الله بن عمرو بن حرب الكندى " فى تأويل قوله تعالى :

" والتين والزيتون وطور سـنين وهـذا البلـد الأمـين .." سـورة التـين آيـة (١-٢-٣) بقولـه : بأنـها رمـوز وكتابـات عـن الأئمـة لاربعـة " فـالتين " يرمـز إلى علــى "، والزيتون " إلى الحسن "، وطور سنين "إلى الحسين "، هذا البلـد الأمـين "إلى محمـد بن الحنفية[1] .

ويفسر غلاة الكيسائية هذا التأويل الرمزى الباطنى بقولهم " إذا لم يكـن الله ليضع التين المأكول ،والزيتون المعصـور بـهذا الوضـع مـن الشـرف والقـدر لأنـهما لا يفهما الإحسان فيسدى ذلك إليهما ، وليسا بعظيمين فـى العقـول كالسـماء والعـرش فيجوز ذلك عليهما ، وإنما أراد الله بتلك "الآية" الرمز والمثل ، والكناية والوحـى – فبين مكانتهما بأن أقسم بهم لأنهم الأئمة – وعماد الدين بقوله " واقسم الله بهم مـن دون الرسول محمـد صلـى الله عليـه وسـلم .. لأنـه كـان فـى (دار العلانيـة) وكـانت حكمته هى العليا ، بينما كانوا هم فى دار (التقية) فقد ظلمـوا ، وأخـذت حقوقـهم منهم ، وكانوا اكثر منه حاجة إلى التقوية والسند المعنوى[2] ويضيفون لذلـك بـأن الله جعل البلد الأمين لمحمد بن الحنفية لأنه أخرهم فى الوصية – وانه المهدى المنتظـر الذى يخرج من البلد الأمين فى عدد أهل بدر فيقتل الجبابرة ، ويهدم دمشق ويكون معه الرايات السود .. والملائكة عن يمينه وشيعته عن يساره وهكذا ولا شك أن هـذه أفكار أسطورية دارت فى حلقات غلاة الشيعة بتأثيرات خارجية[3]لقد تتابعت هـذه التأويلات الرمزية لدى الرزاميه والراونديه الذين ساقوا الإمامـة مـن بنـى علـى إلى

(١) دكتور النشار ، نشأة الفكر ،جـ٢ ، ص٨٤.
(٢) دكتورة وداد القاضى ، الكيسائية ، ص١٥٦ ، ص١٥٧.
(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر ، جـ٢ ، ص٨٤.

بنى العباسى فى تاريخ طويل لا داعى للخوض فيه وما يهمنا هو متابعة التأويلات عند هذه الطائفة الغالية من الشيعة ، ولذلك فقد انتهت آراء غلاة الكيسائية إلى طوائف الراونديه ومنها الخرميه ، والحريانيه ، والأبى مسلميه نسبة إلى أبى مسلم الخرسانى صاحب الدولة العباسية . وكان من جملة افكارهم الغالية وتأويلاتهم الرمزية الباطنية – ما ذهبت إليه الخرمدنية: بان الأئمة آلهة، وأنهم أنبياء ورسل وملائكة ، وهم أول من تكلم فى الأظلة والتناسخ والدور فى هذه الدنيا، وأبطلوا العقائد والبعث والحساب – وتأولوا القيامة بأنها : خروج الروح من البدن ودخوله فى بدن آخر غيره إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وأن الجنة هى: البدن – والنار : هى العذاب فى الجسم الردىء المشوه من كلاب وخنازير، فلا قيامة ولا جنة غير هذا على قدر أعمالهم وإنكارهم لأئمتهم .. وقد أولوا قوله تعالى " وما من دابة فى الأرض ،ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم " سورة الأنعام آية(٣٨) . أولوها على عقيدتهم فى التناسخ – فإن جميع الحيوانات أمم ، ومن كان صالحاً جعل الله روحه بعد موته فى جسد صالح وهذا هو النعيم ، ومن كان كافراً عاصياً نقل روحه إلى جسد يعذب فيه بالدنيا فى أقبح صوره[١] وهذه بلا شك هى عقيدة التناسخ الباطلة . وهم بذلك خرجوا عن دائرة الإسلام ، وعن عقيدته الصحيحة .

وحاول الخرمدنية تأويل قوله تعالى على عقيدتهم فى الإمام .. " كلا بل لا تكرمون اليتيم " وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا تحاضون على طعام المسكين " وهو الإمام " وتأكلون التراث أكلا لما " أى لا تخرجون حق الإمام مما رزقكم وأجراه لكم .. الخ" سورة الفجر ، آيات (١٧، ١٨، ١٩)[٢]. وهكذا نجد أن غلاة التشيع

(١) دكتور النشار ، نشأة الفكر ، ص٣٥٢ ، ص٣٥٣.
(٢) المصدر السابق ، ص٣٥٤.

الكيسائى وطوائفهم الأخرى قد ضلوا ضلالا بعيدا ، وتأولوا النصوص الدينية طبقا لعقائدهم الباطنية والغنوصية ، والمجوسية والثنوية -والتناسخية مع آثار مسيحية حلوليه ويهودية وأسطورية فلكلورية، وهذا هو الضلال المبين .

وسوف تدخل هذه العقائد الباطنية والتأويلات الفاسدة فى العقائد الإسماعيلية فيما بعد - سنرى فكرة تطبيق الآفاق على النفس وظهور مصطلحى الظاهر والباطن، وأن الظاهر لا يؤول الا باطنا ونرى لأول مرة فكرة الشخص الروحانى وأن إليه جماع الدنيا ، وكما رأينا خرجت فكرة أن الدين طاعة رجل طالما أجمعت الآفاق فى نفس رجل ، ونرى كذلك فكرة الأفلاطونية التى تقرر لكل شىء مثالا والتى دخلت فى العقائد الغنوصيه (الثنويه) تدخل فى قلب المذهب الشيعى[1] أيضا بل أن منهج تطبيق الآفاق على الأنفس ، وان لكل الأمثال فى العالم الآخر مثالا فى هذا العالم سيصبح نظرية ميتا فيزيقية تكون أساس المذهب الإسماعيلى الميتافيزيقى فى نظرية المثل والمثول ، وفكرة الظاهر والباطن ، والتأويل والتنزيل كذلك ستكون من دعائم المذهب الباطنى فى التأويل عند الإسماعيلية .

وقد ظهرت مثل هذه الأفكار الباطنية الغالية والتأويلات الفاسدة والضالة عند طوائف المغيريه والمنصورية - فالمغيره بن سعيد العجلى قتل عام (١١٩ هـ) ، يرجع القول - بأولية خلق محمد صلى الله عليه وسلم من الأظلة - ثم أرسله الله إلى الناس كافة وهو ظل - وظل الإمام على قبل خلق ظلال الكل - ويؤولون قوله تعالى "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ثم أشفقن منها فحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا " سورة الأحزاب آية (٧٢) على الإمامة - بأن الله تعالى عرض على السموات والأرض أن يمنعن على بن أبى طالب وكذلك

---

(١) دكتور النشار ، نشأة الفكر ، ص٦١.

الجبال فأبين ثم عرضها على الناس كلهم فقام عمر بن الخطاب إلى أبى بكر فأمره أن يتحمل منعه ففعل .. كذلك يؤولون قوله تعالى " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " أى فاطمة ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى " أى أبى بكر وعمر[١] وهكذا فى تأويلات فاسدة لا يسعنا إلا أن نمجها من التراث الإنسانى كله لضلالتها – غير أن آثارها ظهرت عند بعض غلاة الاثنا عشرية والإسماعيلية فيما بعد لذا كان لزاماً علينا أن نذكر شيئاً يسيرا منها فقط .

ويرجع إلى المغيره – القول – بفكرة التجسيم لله تعالى ، واتخذ من الغنوصية الثانوية مادة الباطنية وتأويلاته الفاسدة فنرى فكرتى النور والظلمة واضحتين فى آرائه وفى تأويله لبدأ الخلق والخليقة والأعمال الإنسانية – وينزع نزعة مسيحية فى على رضى الله عنه فهو المسيح الثانى عنده ووضع أصول الحقيقة المحمدية ، وحكمة التكوين أو الإنسان الأول – وفكرة الاسم الأعظم[٢] وهذه الآراء سيكون لها أثار عند غلاة الاثنا عشرية والإسماعيلية وكذلك عند غلاة الصوفية وفلاسفتهم من المتأخرين .

ويتضح لنا من تأويله للنصوص الدينية – أنه رمز للرسول صلى الله عليه وسلم ولعلى ولأبى بكر وعمر بآيات قرآنية – وبهذا فتح الطريق للحروقيين – كما صور الله تعالى فى صورة حروف الهجاء كما أن الألف (أ) والياء (ى) والهاء (هـ) لها معان خاصة ومصطلح معين عنده . وفتح الطريق كذلك للعددين فاعتبر حوارييه (٧) سبعة ـ، وهو ثامنهم وقد سمى أصحابه بالأصفياء [٣].

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٦ ، البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٣٠ ،ص٢٣٢ الأشعرى ، مقالات،جـ١ ،ص٦٧، الشهرستانى ، الملل جـ١ ، ص١٧٧ .
(٢)رجعنا : دكتور : النشار ، نشأة الفكر ، جـ٢ ، ص٩٧ ، دكتور كامل الشيبى الفكر الشيعى ، ص٢٦ ، كذلك الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ، ص١٧٧.
(٣) دكتور كامل الشيبى ، الفكر الشيعى ، ص٢٦.

أما المنصورية : نسبة إلى أبى منصور العجلى - فقد ولجت فى الباطن وتـأولت النصـوص الدينيـة علـى الضـلال فـى عقـائدهم الفاسـدة وأدخلـت تأثـيرات مسيحية وغنوصية ثانوية .. مثلها مثل ما سـبقت الإشـارة إليـة عنـد الغـلاة بمـا لا داعى لذكره[١] .

أما غلاة الخطابية وطوائفهم - والميميـة والعينيـة والسـينية - والاسـحاقية والنصيريه - فقد اخطـأوا فـى التـأويل وضلـوا ضـلالاً بعيـداً وأحـاطت بـهم الأفكـار الباطنية الغنوصية والوثنية من كل اتجاه بما لا داعى للاستفاضة فيه سوى أن نشـير إلى بعضها مما سيكون له آثار بعيدة عند الإسماعيليـة الباطنيـة . وعلـى ذلـك: فـإن فكرة الناطق - والصامت) ترجـع إليـهم يذكـر الأشـعرى قولهـم : أن الأئمـة أنبيـاء محدثون - منهم رسولان : واحد ناطق ، والآخـر صـامت . النـاطق محمـد صلـى الله عليه وسلم - والصامت هو على بن أبى طالب[٢] أما التأويل الفاسد والذى نجـده عنـد الإسماعيلية الباطنية فهو تأويلهم لقوله تعالى " أما السفينة فكانت لمساكين يعملـون فى البحر فأردت أن أعيبــها وكـان ورائـهم ملـك يـأخذ كـل سـفينة غصبـا " سـورة الكهف آية (٧٩) . فتأولوها على المنهج الرمزى بأن السفينة هـى : أبـو الخطـاب ، وأن المساكين أصحابه ، وأن الملك الذى ورائهم هو عيسى بن موسى العباسى قاتل أبى الخطاب ، وأن جعفرا الصادق أراد أن يعيبها - بلغتهم فى الظاهر وفى الباطن يعنى أضادهم ومن خالفهم[٣] أما فرقة الميمية والعينية فقد ألهوا النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب بما لا داعى لذكره - غـير أن "السـينيه " عندمـا قـالت بألوهيـة

---

(١) يرجع فى ذلك إلى : المصدر السابق ، الأشعرى ، مقالات جـ١ ،ص٩٧ ، البغدادى - مقالات جـ١، ص٧٧ ، - انظر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٤٣.

(٢) الأشعرى ، مقالات جـ١ ،ص٧٧ . انظر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٤٣.

(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر ، جـ١ ، ص٣١٥.

سلمان الفارسي – فأولت قوله تعـالى علـى عقيدتـهم الباطنيـة الفاسـدة " وسـئل مـن أرسلنا من قبلك من رسلنا " سورة الزخرف آية (٤٥) علـى إنـها تـدل علـى سـلمان. وأن حرف (من) يدل عليه إذا أن (الميم) تكتب في المصحـف ملصقـة (بـالنون) مثـل عثمن ، لقمن) .. وقد كان "محمد بـن علـى الشـلمغاني المعـروف بـابن العذافـر قتـل (٣٢٢)من هذه الطائفة فادعى أن : سلمان هو ميكـائيل وأن روح القـدس حلـت فيـه وهو إله وزعموا أن محمد صلى الله عليه وسلم داع إليه[1] إلى غير ذلك من الضلالات.

أما طائفة "المخمسه " فكانت لهم تأويلات فاسدة بها غنوصيات نذكـر منـها – قولهم " أن روح الله حلت في خمسة أشخاص هم :

" محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى وفاطمة ، والحسـن والحسـين – وأضدادهـم أبـو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص "– وقد اسـتغلوا قصـة "المياهلـه" بـين النبى صلى الله عليه وسلم وبين وفد نصارى نجران ونسجوا حولها أفكـارهم الغاليـة وتأولوا للنصوص طبقاً لعقيدتهم الحلوليه الباطنية – مثال ذلك قولهم : " أن محمـد صلى الله عليه وسلم أول شخص ظـهر وأول نـاطق نطـق .. وهـو آدم ونـوح وإبراهيـم وموسى وعيسى يتكون في أى صورة شـاء ويتنقـل فـي الصـور لـدى العـرب والعجـم وظهر لخلقه بالنورانية ودعاهم للإقرار بالوحدانية فأنكروه ، فترائى لهم من بـاب النبوة والرسالة فأنكروا أيضاً فترائى لهم من باب الإمامة فقبلوه . فظاهر الله الإمامة ، وباطنه معناه محمد يدركه صفوته بالنورانية . ومـن لم يكـن مـن صفوتـه فيدركـه بالبشرانيه . وهو الإمام نفسه والأنبياء جمهور من لدن آدم إلى ظهور محمد الأخـير مقامهم مقام محمد القديم المعنى . ثم انتقل إلى فاطمـة فـهر محمـد وهـى الـرب وقـد جعلت سورة التوحيد لها " قل هـو الله أحـد" إنـها واحـدة مهديـة وتـأولوا "لم يلـد

---

(١) المصدر السـابق ، ص٣٣٠ ، ص٣٣١ ، الأشـعرى مقـالات جـ١ ،ص٧٩ . البغـدادى ، الفـرق بـين الفرق، ص٢٤٣ ، ص٢٤٩.

بالحسن"، "ولم يولد بالحسين " ، " ولم يكن له كفواً أحد " هو محمد ثم نـزل فـى أرواحه .. ثم ظهر محمد فى الأئمة . ثم فـى الأبـواب .. وهكـذا إلى آخـر ضلالاتـهم وفسادهم . لكن نلاحظ أن هـذا التـأويل الغنوصـى البـاطنى سـينتقل إلى الإسماعيليـة الباطنية فى تأويلهم لنظرية الإمامة ومراتبها .

كذلك فقد أبطلوا الشرائع والعبادات وتأولوا الفرائض على عقـائدهم فتـأولوا الزواج على المعنى الباطنى . فهو مواصلة أخيك المؤمن .

والطلاق : هو أن تعتزل أضدادك .. وقالوا بالتناسخ وتأولوا علـى ذلـك قولـه تعالى " قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقا ومما يكبر فى صدوركـم ، فسـيقولون مـن يعيدنا قل الله الذى خلقكم " سورة الإسراء آية (٥٠) أى أن الأزواج تتقلـب إلى صـور إنسانية أو غير إنسانية . وهـى أرواح الجـاحدين .. فيصـيروا جمـاداً أو حديـداً .. وتأولوا إبليس بأنه سبعة أبدان هى بمنزلة سبعة أقمصه ، إذا تعدى قميـص يقمـص آخر وذلك أن الإيمان سبع درجات ، أو أدوار عديدة وهكذا بما يفيد أن هذا التـأويل ستجده عند الإسماعيلية الباطنية خاصة فى تأويلهم لنظرية التسبيع ، أو الأدوار ، وهى تتصل بنظرياتهم فى الإمامة أيضاً .

ولا شك أن هذه التأويلات تـدل علـى مـا لديـهم مـن أفكـار وعقـائد باطنيـة غنوصية ، كذلك فكرة النور المحمدى فى صورة غاليـة متطرفـة أمـا رفـع التكـاليف ففيها تأثر بالخرمدنيه والرواتديه ،وربطـها بعقيـدة التناسخ الأفلاطونـى – كذلـك ظهور نظرية المعنى والاسم المشهور فى تاريخ الفلسفة الباطنية وهكذا[١].

أما طوائف الاسحاقية والنصيريه فقد كـانوا اشـد غلـواً فـى التـأويل وكذلـك عقائدهم الباطنيـة . وأضـافوا إلى أسـلافهم مـن الغـلاة عقـائد غنوصيـة أخـرى منـها باختصار ، اختصاصهم على (بالتأويل) ، والنبى صلـى الله عليـه وسـلم (بـالتنزيل)

---

(١)دكتور : النشار ، نشأة الفكر جـ٢ ،ص٣٣٥ ،ص٣٣٦.

واعتبار كل من على والنبى كالضوء من الضوء إلا أن أحدهـم أسبق والثـانى لاحـق ، وقالوا بالحلول ، وظهور الروحانى بالجسمانى ، وقالوا أن عليا كان موجودا مثـل خلق السموات والأرض فأثبتوا الشركة لعلى فى الرسالة والألوهية وتأولوا على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم " أنا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر[١] .

وهناك أفكار غالية أخرى لا داعى لذكرهـا ولا تأويلـها لأنـها خارجـة عـن الدين . غير إننا أشرنا فقط إلى بعضها مما سوف يكـون لـه أثـر فـى تطويـر عقـائد وتأويلات غلاة الاثنا عشرية والإسماعيلية .

والواضح من خلال الأفكـار والتـأويلات الاسحاقية والنصيريـه انـها تقـول بفكرنى – السابق والتالى ، التى سيكون لها أثر فى التأويل الفلسـفى والبـاطنى عنـد الإسماعيلية لعالم الإبداع أو عالم المثل والمثول ، فقولهم بالنزعة الغنوصية الباطنية فى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى باعتبار أنهما كالضوء من الضوء سوف تؤدى إلى تطوير عقائد الإسماعيلية فى تأكيد وتقديس الأئمة والتساهل فى الواجبات الشرعية كذلك ظهور فكرة "التخصيص أو المخصص ..وهكذا .

ثالثاً : منهج التأويل عند بعض غلاة الاثنا عشرية :

لقد حاولنا أن نكشف عن منهج التـأويل عنـد غـلاة التشيع السـابقين علـى ظهور أمامية الشيعة ، وعلمنا كيف تساهل هؤلاء الغلاة فى أمور الديـن والعقيـدة ، وتأولوها طبقاً لنظرياتهم وأفكارهم الغالية والتى لا تتصل بمنهج المعتدلين ولا تمثـل العقيدة الصحيحة . وسوف يكون لهذه الاتجاهات الغالية آثار شديدة فى منهج الغلاة من الاثنا عشرية والإسماعيلية .

---

(١) رجعنـا إلى : الشهرستانى ، الملـــل ،جـــ١ ص١٨٩. دكتـــور كـــامل الشـــيبى الفكـــر الشـــيعى ، ص٧٥،ص٨٥ ، البغدادى ، الفرق بين الفرق، ص٢٤٣.

وإذا أردنا أن نبحث فى موضوع التـأويل كمنـهج وأسـلوب لـه مكانتـه عنـد الأمامية الاثنا عشرية – فلا شك أنهم قد تناولوا هذا المنهج فى عقـائدهم – خاصـة فى مسألة الإمامة . ولكن بطريقة مختلفة – يعنى أن الاثنا عشرية كان منهم الغـلاة الذيـن تـأولوا النصـوص الدينيـة وأمـور العقيـدة علـى منـهج البـاطن ، وكـان منـهم المعتدلين الذين تأولوا النصوص الدينية على منهج العقل والمجاز مثلما فعل متكلموا المعتزلة والأشاعرة ، غير أنهم جميعاً يتفقون على مبدأ واحد وهو – وجوب الإمامـة بالنص والتعيين – كذلك النظريـات التابعـة لهـذا الاتجـاه مثـل القـول بالعصمـة – والتقية .

ومن هنا يجـب علينـا أن نفـرق بـين هذيـن الاتجـاهين ، الغـالى والمعتـدل. ومنهج كل منهما فى التأويل وتصور أمور الدين والعقيدة الصحيحة .

ولما كان اهتمامنا منصباً هنا على بحث منهج التأويل عند الغلاة أو الباطنيـة من الشيعة ، لذلك كان لزاماً علينا أن نلتزم فقط بهذا الاتجـاه البـاطنى الغـالى حتـى يكون هناك ترابط وتماسك فى منـهج العـرض والدراسـة – وهـذا يعنـى إننـا سـوف نتناول منهج التأويل عند بعض غلاة الاثنا عشرية كاتجاه باطنى فى التـأويل – ثـم نتناول منهج الإسماعيلية الباطنية فى الفصول القادمـة علـى أن تخصـص بعـد ذلـك فصلاً كاملاً لبحث مذهب التشيع المعتدل من الزيدية والاثنا عشرية فى أمور العقيدة وتأويل النصوص الدينية .

وقبل أن نبحث فى منهج التـأويل عنـد بعـض غـلاة الاثنـا عشـرية كاتجـاه باطنى نود أن نعطى فكرة موجزة واضحة عن تصور أو عقيدة الاثنا عشرية فى مسألة "الإمامة " بحيث لا تطغى على موضوع البحث الأساسى . كذلك موقـف أهـل السـنة من هذا المسألة بالنسبة لهم .

١- أصول الاثنا عشرية فى الإمامة وموقف أهل السنة منهم :-

أن مصطلح "الإمامة" أوسع شأنا من كلمة "الخلافة" عند الشيعة الأمامية . فالإمام يجمع فى يده أمور الدين والدنيا . وإذا كانت أمور الدنيا غصبت من أيديهم فإن أمور الدين بقيت معهم (أى الأئمة) ونطلق عليهم اسم " الأئمة" دون سواهم . وهم بذلك شفعاء روحانيين وهداة[1] وقد اعتبرت الأمامية – الإمامة – ركنا خامسا فى الدين (التوحيد – النبوة – المعاد – العمل بالدعائم التى بنى عليها الإسلام – ثم الإمامة). وهذا يعنى أن الإمامة منصب الهى كالنبوة فكما أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التى هى كنص من الله تعالى عليه لقوله تعالى " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " سورة القصص آية (٦٨)، فكذلك يختار للإمامة ما يشاء ، ويأمر نبيه بالنص عليه ، وان ينصبه إماما للناس من بعده للقيام بالوظائف التى كان على النبى أن يقوم بها ، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبى ، وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد الهى ، فالنبى صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله والإمام مبلغ عن النبى صلى الله عليه وسلم وهى متسلسلة كل سابق ينص على اللاحق[2].

وعلى ذلك فإن أصول العقيدة الدينية عند الاثنا عشرية تقوم على : أن الإمامة أصل من أصول الإيمان ، والاعتقاد بها ضرورة لاستمرار التكليف ، وأنه لا بد لكل زمان من إمام يرجع إليه الناس فى تفهم الأحكام ، وإذا فرض أن زمانا ما خلا من إمام ظاهر أو غائب فإن الحجة لا تتم لله تعالى على عباده ، والقرآن صريح فى أن لله الحجة البالغة على الناس أجمعين ، فالإمامة إذن لابد أن يكون موجودا

(١) دكتور أحمد شلبى ، التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص١٥٩ .
(٢) محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، ص١٠٢ .

إما ظاهرا يتصل بالناس مباشرة ، وإما غائبا يشـرف علـى الشـئون العامـة بواسـطة العلماء[١].

وهذا يشير إلى أن جوهر العقيدة عند الاثنا عشرية هو ضرورة تنصيب الإمام بالنص أو بالتعيين من الرسول صلى الله عليه وسلم – وان ذلك أمر ضرورى سواء كان هذا الإمام للعيان أو غائبا فى انتظار ظهوره – وسوف يبنى على هذا الاعتقاد نظرية المهدى المنتظر والتقية .

وقـدم الشهرسـتانى تعريفـا لفلسـفتهم بـالقول بـالنص فيقـول فـى تعريفـه للأمامية هم القائلون بإمامة على عليه السلام بعـد النبـى صلـى الله عليـه وسـلم نصـا ظاهرا أو يقينا صادقا من غـير تعريـض بـالوصف بـل إشـارة إليـه بـالعين . ويشـرح السبب فى اعتقادهم بالنص ، إذ يرجعونـه إلى عـدم جـواز مفارقـة النبـى صلـى الله عليه وسلم للأمة مع ترك أمرهم إلى الاختلاف والفرقـة ، بـل يجـب وجـود شـخص موثوق به منصوص عليه بواسطة الرسول للرجوع إليه ، وقـد نـص عليـه فـى بعـض المواضع تعريضا وفى الأخرى تصريحا .

أما تعريضاته فمثل بعثه أبى بكر ليقرأ سورة الـبراءة ثـم بعـث بعـده عليـا ليكون القارئ عليهم ومثل تأميره صلى الله عليه وسلم على أبى بكر وعمـر وغيرهمـا من الصحابة ولكنه لم يؤمر (على) على أحد قط .

وأما تصريحاته فمثل ما جرى فى نأنأة الإسلام حين قال : من الذى يبايعنى على ماله ؟ فبايعه جماعة ، ثم قال : من الذى يبايعنى على روحـه ، وهـو يكون وصى وولى هذا المر من بعدى ؟ فلم يبايعه أحد ، حتى أمير المؤمنين على رضى

(١)السيد عبد الرازق الحسينى ، تعريـف الشيعة ، ملحـق بكتـاب أهـم الفـرق الإسـلامية ، ص٢٩ ، تحقيق دكتور البير نصر تمادر ، المطبعة الكاثوليكية بدون تاريخ .

الله عنه يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك ، حتى كانت قريش تعير أبا طـالب أنه أمر عليك أبنك .

وجدير بالذكر أن الأمامية استندوا إلى نصوص قرآنيـة وأحـاديث نسـبت إلى الرسول صلى الله عليه وسـل مثـل حديـث "الغديرخـم"[1]وغـير ذلـك وتأولوهـا علـى مذهبهم فى الإمامة بمنهجهم الرمزى أو المجازى بما لا داعى لذكـره الآن ونرجئـه إلى حين تناول منهجهم فى التأويل .

ومن الأسانيد التى يذكرها الأمامية فى هذا الصدد – قول الرسـول صلـى الله عليه وسلم فيما يذكره الشيعة " أقضاكم على " – وهذا عندهم – نص فى الإمامة فإن الإمامـة لا معنـى لهـا إلا أن يكـون أقضـى القضـاة فـى كـل حادثـه . والحـاكم علـى المتخاصمين فى كل واقعة . وهو معنى قول الله سبحانه وتعالى " أطيعوا الله وأطيعـوا الرسول وأولى الأمر منكم " سورة النساء آية (٥٩) . فقالوا : فـأولوا الأمـر مـن إليـه القضاء والحكم[2]..

كما تعثر على نص هام لدى " الكلينى فـى الكـافى" (ت ٢٢٩هــ) – حيـث يلحق اسم على بن أبى طالب كوصى للنبى صلى الله عليه وسلم فى الشهادة فيقول "أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله سيد النبيين وأن عليـا أمـير المؤمنين سيد الوصيين[3]".

وتتبلور نظرية النص – او الوصاية فى مسألة الإمامـة عنـد الأماميـة الاثنـا عشرية فيما يذكره أحد متكلمى الشيعة والرواة البارزين فى قوله :

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ،ص١٦٢ ،ص١٦٣ .
– دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، ص١٨٨ ، ١٨٩.
(٢) للمزيد ، المصدر السابق ، ص١٦٣،ص١٦٤.
(٣) دكتور ، مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص١٨٩.

" يقول أصحابنا أن عليا أفضل الخلق فى الآخرة ، وأعلاهم منزلة وأكثرهم خصائص، وكل من عاداه فإنه عدو الله وخالد فى النار إلا أن يكون ممن ثبتت توبته ومات على توليه وحبه .. ثم يذكر بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق على – حيث قال صلى الله عليه وسلم لعلى : حربى حربك ، وسلمى سلمك ، كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : الهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وقوله صلى الله عليه وسلم لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق " .. والحاصل أنا لم نجعل بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم إلا تهيئة النبوة ، وأعطينا ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه[1] وهكذا إلى آخر ما يذكره أمامية الاثنى عشرية غلاة ومعتدلة من نصوص أو أحاديث منسوبة إلى النبى الكريم عليه الصلاة والسلام خاصة بهم وترجع لأسانيد أئمتهم خاصة[2] .

يضاف إلى ذلك أنه كما حاولت الاثنا عشرية كذلك الشيعة كافة إثبات مبدأ النص والوصاية واستدلوا على ذلك بنصوص وبأحاديث وحجج عقلية أو كلامية وتأولوا النصوص عليها فأنهم قد أثبتوا بهذا المنهج عدة مبادئ متعلقة بهذه المسألة أيضا مثل قولهم : بالعصمة والتقية ، والعلم السرى ، والمهدية .. أو الغيبية والرجعة . وفى تصورى انهم قد استغلوا منهج التأويل الرمزى أو المجازى فى سبيل تدعيم هذه المبادئ الخاصة بهم وتخريج النصوص الدينية عليها.

ولا شك أن عقيدة الأمامية فى النص على الإمام ظلت باقية حتى عصرنا هذا وتدرجت على مر العصور فى أشكال مختلفة ولكنها بقيت الركن الجوهرى فى العقيدة الشيعية باعتبار أن الله تعالى لا يخلى الأرض من حجة على العباد وهو هذا

---

(١) ابن حديد ، شرح نهج البلاغة ، جـ٤ ،ص٥٢٠ ، كذلك ج١، ، ص٥٤ ط دار الاستقامة .
(٢) للمزيد ، ينظر إلى الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوى ، كتاب المراجعات – (المراجعات) ـ ط دار الأندلس بيروت بدون تاريخ .

الإمام أما ظاهرا وأما غائبا ، ثم تتابعت حلقات الأئمة حتى بلغت الإمام الثانى عشر وهو المهدى الغائب المنتظر[١] وقد ذكرنا عدد الأئمة وأسمائهم فى الباب الأول بما لا داعى لتكراره هنا .

ولكن ما هو موقف أهل السنة والمتكلمين من هذه المسألة عند الأمامية الاثنا عشرية ؟

نود أن نشير إلى هذا الموقف وآراء بعض المتكلمين فى مسألة النص والوصاية فى الإمامة عند الشيعة – فى إيجاز شديد وقبل أن نبحث منهج غلاتهم فى التأويل.

اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا لا يلزم الناس فرض الإمامة[٢].

غير أن الاختلاف بين أهل السنة والشيعة واضح منذ البداية – حيث رأى الشيعة أن "الإمامة " ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة وإنما هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ، بينما يرى أهل السنة أن الإمامة مسألة مصلحيه اجتماعية – فهى ترجع إلى أمور السياسة ونظام الدولة ، وهى تثبت بالاتفاق والاختيار ، وتقبل إمامة كل من اتفقت عليه الأمة أو أى جماعة معتبرة من الأمة ، أما مطلقا أو بشرط أن يكون قرشيا على مذهب قوم ، أو هاشميا على مذهب آخرين ، أو خارجيا على مذهب الخوارج[٣] .

---

(١) محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، ص٨١ .
(٢) ابن حزم ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، حـ٤ ،ص٧٢.
(٣)نظرنا : ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٩٦ (فصل السابع والعشرين) ط المكتبة التجارية بدون تاريخ
دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١١٩٩ ، ط دار الجامعات المصرية ١٩٧٣م.
– دكتور أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص٢٦٧.

ويذهب الرازى (ت ٦٠٦هـ) . فى ذكر الخلاف حول مسـألة نصب الإمـام ووجوبها . إلى أن أهل السنة وأكثر المعتزلة والزيدية قالوا : أن العقـل لا يـدل علـى هذا الوجوب ، وأنما الذى يدل عليه السمع – وهذا خلاف ما قالت به الاثنا عشـرية الذين قالوا : يجب على الله نصبه ليكون لطفا لنا فى فعـل الواجبـات العقليـة وتـرك القبائح . وحافظا للشرائع(١) .

ويعطينا الأشعرى موقف أهل السـنة النـهائى والواضح فـى توليـه الإمامـة والخلافة يذكر . أن الدليل على إمامة أبى بكـر الصديـق أن المسلمين جميعـا تـابعوه وانقادوا لإمامته ، وقالوا له يا خليفة رسول الله ، وقد بايعه كـل مـن علـى بـن أبـى طالب والعباس بن عبد المطلب وأقرا له بالإمامة وإذا ثبت إمامة الصديق فقـد ثبـت إمامة الفاروق (عمر) لأن الصديق نص عليه وعقد له الإمامة واختاره لها وثبت كذلك إمامة عثمان بعد عمر بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليـهم عمر فاختاروه ورضوا بإمامته وأجمعوا على فضله وعدلـه ، وثبـت إمامـة علـى بعـد عثمان بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقـد ، ولأنـه لم يـدع أحـد مـن أهل الشورى غيره فى وقته وقد اجتمع على فضله وعدله ، وأن امتناع على عن دعوى الأمر لنفسه فى وقت الخلفاء قبله كان حقا لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه ، ثـم لـما صار الأمر إليه اظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد وذكر الاشعرى عن بعض المحدثين قولهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة – ثم ملك بعد ذلك " وأن ذلك صادف نهاية خلافة على بن أبى طالب(٢).

ولقد ذهب أهل السنة إلى أن خلافة أبى بكر تمت بالاختيار ، الا أن بعضهم

---

(١) فخر الدين الرازى ، أصول الدين ، ص١٣٣، ص١٣٤ ، ط مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون تاريخ .
(٢) الأشعرى ، الإبانة عن أصول الديانـة ، ص٧٧ ،ص٧٨، تحقيـق محـب الديـن الخطيـب ، المطبعـة السلفية ١٣٩٧هـ.

استدل على أن هناك نصا على إمامته سواء كان خفيا أو جليا ، وهذا حدث كرد فعل لما ذهب إليه الشيعة بدعوى النص لعلى بن أبى طالب .. من ذلك ما استدل به بعض أهل السنة بما كان من امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فكلمته فى شىء فأمرها أن ترجع إليه فقالت يا رسول الله أرأيت أن جئت ولم أجدك - - كأنها تريد الموت - قال أن لم تجدينى فأتى أبا بكر(١) .

وإذا رجعنا إلى بعض كتب الأحاديث الصحاح المعتمدة عند أهل السنة والسلف لكى نتعرف على حقيقة دعوى الشيعة والاثنا عشرية فى النص أو الوصاية، فقد لا نظفر بما يريدون - يذكر البخارى فى باب "الوصايا " أحاديث كثيرة لا تفيد دعاوى الشيعة ، ومن ذلك يقول " حدثنا طلحه بن معرف قال سألت عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما هل كان النبى صلى الله عليه وسلم أوصى فقال لا ، فقلت كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية قال أوصى بكتاب الله - وفى حديث آخر - قال " حدثنا عمرو بن زراره أخبرنا إسماعيل عن ابن عون عن إبراهيم عن الأسود قال : ذكروا عن عائشة أن عليا رضى الله عنه كان وصيا ، فقالت متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدرى فدعا بالطست . فلقد أتخنث فى حجرى فما شعرت أنه قد مات فمتى أوصى إليه(٢) .

ويذكر المقريزى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " ما هلك نبى حتى يؤمه رجل من أمته " فلما كان يوم الاثنين صلى أبو بكر بالناس الصبح ، وأقبل الرسول صلى الله عليه وسلم يتوكأ على الفضل بن عباس وثوبان ولم يبق امرأة ولا رجل إلا أصبح فى المسجد لوجعه عليه السلام فخرج حتى جلس إلى جنب أبى بكر

(١) دكتور مصطفى حلمى - نظام الخلافة ، ص٣١ ، ص٣٣ . دكتور النشار ، نشأة الفكر ، حـ٢ ، ص٩ . البخارى ، الصحيح ، حـ٢ ، ص٢٨٩.
(٢) البخارى ، الصحيح ، حـ٤ (كتاب الوصايا) ص٣ ، ط الشعب بدون تاريخ .

فصلى أبى بكر .. إلى أن يذكر فقال صلى الله عليه وسلم إنكم والله لا تمسكون على بشىء إنى لا أحل إلا ما أحل الله فى كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله فى كتابه ، يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب أعملا لما عند الله لا أملك لكما من الله شيئا ، وصلى أبو بكر بالناس إلى أن توفى الرسول صلى الله عليه وسلم سبع عشرة صلاة[١] ولم يشر المقريزى إلى نص أو حديث فى ولاية على وإمامته وقد ذكر الخطب الثلاثة التى قالها الرسول صلى الله عليه وسلم فى يوم حجة الوداع كذلك لم يشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النص ،والولاية أثناء مرضه ووفاته[٢] .

ومما سبق نجد أن لكل من الشيعة الأمامية وأهل السنة دعاوى مختلفة فى هذه المسألة – الخطيرة التى شغلت المسلمين ردحا طويلا من الزمان ولا زالت أثارها باقية ببقاء الأمة حتى عصرنا الحاضر .

وبعد هذا العرض الموجز المختصر عن موقف أو دعاوى الأمامية فى مسألة النص على الإمامة أو الوصاية – ورد الفعل الذى أحدثه ذلك عند أهل السنة وجمهور المسلمين – فإن هناك أمور أخرى متعلقة بهذه المسألة – مثل : العصمة والتقية والغيبة والرجعة ، المهدية وغير ذلك تناولها غلاة التشيع الاثنا عشرية بالتأويل – وهذا ما نريد أن نبحثه عند غلاتهم وما فى ذلك من آثار خارجية – وتفنيد أهل السنة ومتكلميهم لهذا المنهج فى التأويل .

٢- التأويل فى عقائدهم :

يتجه بعض غلاة الاثنا عشرية هنا إلى تأويل النصوص الدينية وأمور العقيدة بما لا يفيد معناها الظاهر أو المراد الحقيقى منها . شأنهم فى ذلك شأن

---

(١) المقريزى ، إمتاع الأسماع ، حـ١ ،ص٥٤٨ . تحقيق محمود شاكر ، ط لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٤١م.

(٢) نفس المصدر السابق ، ص٢١٠ ، ص٢٤٥، البخارى ، الصحيح حـ٦ ، ص١٥ .

الغلاة من الشيعة ثم الإسماعيلية فيما بعد – حيث حرفوا ظواهر النصوص الدينية إلى معان باطنية أو رمزية طبقا لعقائدهم المختلفة وبصفة خاصة فى الإمامة ونحن هنا نتعرف على نماذج من تأويلات هؤلاء الغلاة من الاثنا عشرية فى مسألة الإمامة وما يتعلق بها من أمور أخرى تتصل بالعقائد الدينية وما ترتب عن ذلك من استحداث عناصر جديدة – فى إيجاز بقدر ما يسمح موضوع البحث .

أ- **التأويل فى مسألة الوصاية أو النص عليها** :-

استخدمت الشيعة الآيات القرآنية لتؤول معناها بما يخدم أغراضهم ، كذلك من الحديث نفس الوسيلة ، أو استندت فى دعواها إلى بعض الأحاديث المحرفة والموضوعة . وقد تتبع الشوكانى (محمد بن على ت ١٢٥٠ هـ) الأحاديث الموضوعة أو المشكوك فى صحتها ونسبتها إلى النبى صلى الله عليه وسلم لتميز المتحول منها والمحرف فى كتابة (الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة(١)).

وإذا تتبعنا ذلك سنجد أن للأفكار الأسطورية والمعانى مجال كبير فى تأويل النصوص – مثال ذلك ما ذهب إليه الكلينى (ت ٣٢٩هـ) فى تصوير المؤمن ساعة قبض روحه بأن يتراء له الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين والأئمة ، فعندما يفرح المؤمن فى ساعة الخلاص بلقائهم يسمع مناديا ينادى روحه بقوله " يا أيتها النفس المطمئنة إلى (محمد) وأهل بيته ارجعى إلى ربك راضية (بالولاية) مرضية (بالثواب) فادخلى فى عبادى يعنى (محمد وأهل بيته) وادخلى جنتى(٢)".

وعلى هذا المنهج التلفيقى فى تأويل النصوص الدينية بما يوافق مضمون

---

(١) نظرنا ، دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص١٩٠.
(٢) نفس المصدر السابق ، ص١٨٩.

عقيدة غلاة الاثنا عشرية يذهب بعض متكلميهم فى تأويل النصوص فيما يذكره: ابن المظهر الحلى " بقوله " يروى الشيعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه رفع رأسه إلى السماء وقال .. اللهم أن موسى سألك فقال : "رب اشرح لى صدرى ويسرى لى أمرى وأحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى " سورة طه آية (٢٥-٢٨). فأنزلت عليه قرآنا ناطقا "سنشدد عضد دك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون " سورة القصص . آية (٣٥) - اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك - اللهم فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واجعل لى وزيرا من أهلى "عليا" أخى أشدد به ظهرى . وقالوا أن هذه الآية نزلت فى على عليه السلام[١] .

ومن المحاولات العديدة لمتكلمى الاثنا عشرية فى تخريج النصوص القرآنية على عقيدتهم فى موالاة على بن أبى طالب نذكر بعض النصوص منها قوله تعالى " يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدى القوم الكافرين " سورة المائدة آية (٦٧).

وذكر ابن المطهر الحلى أن هذه الآية نزلت فى على عليه السلام - وأنه لما نزلت هذه الآية أخذ النبى صلى الله عليه وسلم يد على عليه السلام وقال .. "من كنت مولاه فعلى مولاه " والصحابة جميعا مجتمعون فيكون على عليه السلام مولاهم ويكون هو الإمام . وقد لاحظت أن معظم الاثنا عشرية يسندون معظم الروايات والتفسيرات إلى مفسرين غير ثقة عند أهل السنة أمثال الثعالبى[٢] .

والجدير بالذكر أن غلاة الاثنا عشرية يتخذون من قصة المباهلة التى وقعت بين النبى صلى الله عليه وسلم - ووفد نصارى نجران - حجة على إثبات عقيدتهم

---

(١) ابن المطهر الحلى ، منهاج الكرامة ، ص١٤٧ ، ص١٤٨ (ملحق بكتاب مناهج السنة للإمام ابن تيميه) تحقيق دكتور محمد رشاد سالم .

(٢) المصدر السابق ، ص١٤٩ ، وللمزيد يرجع إلى ص١٥٠ ، ١٦٨.

فى موالاة على – والقول بإمامته دون غيره . وعلى ذلك يؤولون قوله تعالى " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين " سورة آل عمران آية (٦١) . بأن المراد بقوله تعالى " وأنفسنا وأنفسكم" هو نفس على عليه السلام – ولا يمكن أن يكون المراد نفس النبى صلى الله عليه وسلم – فالمراد بالنفس غيره وهو (على) – والمراد أن نفس س(على) قبل نفس (النبى صلى الله عليه وسلم) وذلك يقتضى التساوى فى جميع الوجوه– ما عدا النبوة والوحى – ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم إماما واجب الاتباع والطاعة – فقد وجب ذلك لعلى – ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم هو الأفضل من جميع الأنبياء – كذلك على بن أبى طالب[١].

ولا شك أن محدثى الاثنا عشرية أتوا بحشد هائل من النصوص والروايات مسندة إلى الأئمة – وكل هذه الأحاديث تدور حول جوهر العقيدة الاثنا عشرية فى الإمامة أو الولاية وما يتعلق بها من مسائل أخرى . وقد لا يفيدنا كثيرا الإسهاب فى ذكرها . بل نأخذ مثال واحد فقط لذلك نجد عند "الكلينى " أحاديث منها ما روى عن أبى جعفر أن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالا تائها وان مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق[٢] .

وعلى ذلك يؤول قوله تعالى " وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس " سورة الأنعام آية (١٢٢) فيحمل معنى النور على الإمام يقول أن النور الإمام يأتم به – كذلك يحمل معنى قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يؤمئذ

---

(١) المصدر السابق ، ص١٥٤ .
(٢) الكلينى ، أصول الكافى ، حـ١ ، ص٨٦، ص٨٧، ط فارس ، ، سنة ١٢٨١هـ.

آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوهم في النار " سورة النمل آية (٨٩ - ٩٠) على أن المراد " بالحسنة هو معرفة الولاية ، وحب أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغض أهل البيت[١] .

ومن خلال هذا التأويل المتطرف تظهر الأفكار الأسطورية وتمتزج الآثار الفلسفية الأفلوطينية - من ذلك ما ذكره الكليني محدث الأمامية الكبير فقال في رواية عن الصادق ، أن الله أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا قبل وفاته ، فقال يا محمد هذه وصيتك إلى النجية من أهلك ، فقال وما النجية يا جبريل ؟ فقال على بن أبي طالب وولده ، وكان على الكتاب خواتيم من ذهب.. وكل خاتم يدل على إمامة أولاد على من فاطمة حتى الإمام الثاني عشر- المهدى المنتظر - والواضح هنا مدى التأثير بالفلسفة الأفلاطونية في انتقال الأنوار وتتابعها في الأئمة[٢] ومما لا شك أن كرامات الإمام على بن أبي طالب وفضائله وأهل بيت النبوة وسيرته الصالحة وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم وحب الرسول صلى الله عليه وسلم له ولأبنائه الحسن والحسين عليهم السلام وغير ذلك كانت ملهمة غلاة التشيع والأمامية في نسج الأساطير والأفكار الباطنية حولهم . وساعد على ذلك أكثر ما كان يحيط بالتشيع كمذهب ديني من غلو وتطرف بموجب عناصر غريبة عن الإسلام .

وإذا كان علماء الشيعة ومحدثيهم اعتمدوا على نصوص قرآنية وأحاديث مروية عن الأئمة وخرجوها طبقا لعقيدتهم في الولاية لعلى - فأننا نود أن نشير إلى ثلاثة أحاديث هامة حيث إنها قسيم مشترك بين أهل السنة والأمامية في إيجاز شديد حتى يتسنى فيما بعد توجيه النقد إليهم فيما ذهبوا إليه من تأويل متطرف

---

(١) المصدر السابق ، ص٨٧ ، ص٩٠ .
(٢) دكتور أحمد محمود صبحي ، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ، ص١٦٨ ، ص١٦٩ ، ط دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م.

بعيد عن الحقائق الواضحة الجلية عند جمهور المسلمين .

الحديث الأول : هو حديث (المنزلة) : حينما خرج النبى صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك خلف عليا وراءه بالمدينة فى النساء والصبيان وأرجف المنافقون وقالوا : إنما خلفه لأنه يبغضه ، فبلغ ذلك عليا فبكى واشتكى إلى النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فرد النبى صلى الله عليه وسلم " أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى ".

هذا الحديث متواتر عند أهل السنة ذكره البخارى – ومسلم حـ٢ من صحيحه ص٣٢٣ . وأحمد بن حنبل فى مسنده حـ١ –ص٣٣١ ، واعترف به أئمة السلف كابن تيميه منهاج السنة – غير أن التفسير السنى لهذا الحديث يختلف عنه عند الأمامية ، فالحديث شروط بمقتضيات صدوره – فمعناه أن عليا أيام غزوة تبوك بمنزلة هارون من موسى أيام غيبته فى مناجاة ربه ، كذلك فإن النبى صلى الله عليه وسلم خلف عليا على الأهل وليس على البشر ، والاستخلاف المقيد بالغيبة لا يكون باقيا بع انقضائها – غير أن علماء الاثنا عشرية يزيدون فى متن الحديث فيما يورده الحلى – قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى .. "أنت وليى فى كل مؤمن بعدى " واستند الأمامية إلى اعتبارات أخرى منها ، أن تشبيه على بهارون له كل المنازل التى كانت لهارون فيما عدا النبوة قبل المؤاخاة والوزارة ، والخلافة – ولا شك أن حديث المؤاخاة ورد أيضا ولم ينكره أهل السنة – فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين نفسه فقال له " أنت أخى فى الدنيا والآخرة ".؟ وذلك حينما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وآخى بين المهاجرين والأنصار ولم

يؤاخ بين على وبين أحد فظهر عليه الحـزن إلى أن استدعاه الرسـول صلـى الله عليـه وسلم فآخى بينه وبين نفسه[١] .

أما الحديث الثاني : الذى تستند إليه الأمامية فى ولاية على يؤل على ذلك فـهو حديث (الراية يـوم خيـبر) : فقـال الرسـول صلـى الله عليـه وسلم لأعطين الراية غـدا إلى رجـل يحـب الله ورسـوله كـرارا غير فـرار لا يرجـع حتـى يفتـح الله علـى يـده - لكـن معنـى الحديث يفيد عند أهل السنة ذكر لفضائل على عليه السلام .

وليس دليلا حاسما لولايته او إمامته كما يدعى غلاة الأمامية . وقد جاء فى قوله تعالى " أن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنـهم بنيـان مـر صـوص .." سورة الصف ، آية (٤) وهذا يعنى أن محبة الله تعالى ورسوله صلـى الله عليـه وسلم ليست مخصصة بعلى فقط بل يحيط بالذين يقاتلون فـى سبيل الله تعـالى .. وقـد رأى الاثنا عشـرية أن هـذا الحديـث يـدل علـى أفضليـة علـى- والحقـوا بمـتن الحديـث مدلولات روحانية باطنية أخذوها من قول على عليه السـلام "والله مـا فتحتـه بقـوة جسدانيه وإنما بقول إلهيه " فهذه معجزة لعلى - حيث انه الإمام واجب أن يـدل الناس عليها بمعجزاته[٢] .

الحديث الثالث : حديث (الغديرخم) إذا يعطيه الشيعة أهمية كبيرة فى إثبات أحقية على بالولاية بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد

---

(١) رجعنـا فـى ذلـك إلى : دكتـور أحمـد صبحـى ، المصدر السـابق ، ص٢٢٣ ،ص٢٢٦ ، البخـارى ، الصحيح ، حـ٣ (باب فضائل على) ص٨٦ ، ابن المطهر الحلى ، مناهج الكرامة ، ص١٢٣.

(٢) رجعنا إلى : دكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٢٣١،ص٢٣٢ .
- البخارى ، الصحيح ، حـ٣ ، ص٥١.

روى متن هذا الحديث بروايات مختلفة في بعضها حذف والآخر إضافات – ذلك عند أهل السنة والشيعة[١] .

وقد ذكر الشهرستاني متن الحديث كما يرويه الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما وصل عند الغديرخم .. أمر الدوحات فقمن ، ونادوا الصلاة جامعة ثم قال عليه السلام وهو على الرحال " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار ... آلا هل بلغت .. ثلاثا[٢] .

وقد تشكك معظم علماء السنة في نسبة هذا الحديث للرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الأيجي في المواقف " انه لا صحة للحديث إذ لمن ينقله أكثر أصحاب الحديث، بل أن عليا لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الغديرخم بل كان باليمن .. لذلك يرى البعض الآخر من أهل السنة ومتكلميهم انه إذا صح الحديث فإنه قد يكون في ذكر فضيلة علي رضي الله عنه[٣] .

وقد انتقد الإمام ابن تيميه ما أورده (ابن المطهر الحلبي الاثنا عشرى) من الحجج والبراهين على عقائدهم وبين ما فيها من التحريف والتبديل لكتاب الله تعالى ، والاختلاق والافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحاديث المكذوبة والأخبار المدسوسة على علي بن أبي طالب – خاصة فيما يتعلق بحديث الغديرخم[٤].

---

(١) دكتور أحمد صبحي ، المصدر السابق ، ص٢٠٩.

(٢)الشهرستاني . الملل . حـ١ . ص١٦٣ ، ابن المطهر الحلي ، منهاج الكرامة ص١٦٨ .

(٣) دكتور أحمد صبحي ، نظرية الإمامة ، ص٢١٤ ،ص٢١٥ .

(٤) للمزيد يرجع – ابن تيميه ، مناهج السنة النبوية ، تحقيق محمد رشاد سالم كذلك ، دكتور محمد السيد الحليند ، الإمام ابن تيميه وموقعه من قضية التأويل ، ص٣٠٠ ، ص٣٠٢ .

ب- **نقد وتحليل لتأويلهم في الوصاية :-**

وبعد هذا العرض الموجز لدعوى غلاة الاثنا عشرية فى مسالة الوصاية لعلى - وتأويلهم للنصوص الدينية وبعض الأحاديث الخاصة بهم ، نقول : هل أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى بالإمامة ؟ وهل هناك نصوص صريحة لا تقبل الشك أو الجدل فى ذلك ؟

وهل أوصى أمير المؤمنين على بالإمامة لأبنائه من بعده - الحسن ثم الحسنين .. ثم أولادهما ؟ نقول من خلال تحليلنا لما ورد فى هذا أن هناك حقائق هامة منها :

أولا : قد تكون هناك آيات كثيرة تشير إلى فضل الإمام على بن أبى طالب وعتره النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته وكذلك بعض الأحاديث والمأثور من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا يكون هناك تعسف فى حمل هذه الآيات أو الأحاديث على التأويل الرمزى لشخص (على) ، وقد يتفق أهل السنة او الشيعة فى أن هذه النصوص تشير إلى على ، ولكن هل معنى ذلك أن تؤول وتحمل على إنها تشير إلى النص الإلهى على إمامة أو ولاية على بن أبى طالب أمر المسلمين بعد الرسول الكريم ؟ بالطبع لا يقرر هذا أهل السنة وباقى الفرق الإسلامية من غير الشيعة بالقدر الذى يعتقده أمامية الشيعة فى حق الإمام على طبقا لمذهبهم ؟

ثانيا : الواضح أن القرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة تخص صالح المسلمين فى العقيدة والشريعة ، وفروعها إلا أحصاها وحددها ، وأقرتها وبينتها السنة الشريفة ، فلماذا لم يذكر شئون السياسة أو أنظمة الحكم فى نصوص

قرآنية صريحة وجليلة لا تحتمل التأويل أو التعسف فى جذبها إلى طرف معين دون الأطراف الأخرى . ولا شك أن الاختلاف فى هذه المسائل السياسية جلب على المسلمين على مر العصور التعصب الأعمى ، لكن القرآن الكريم ترك الأمر شورى بين المسلمين ، بل أمر رسوله الكريمة بالشورى ومدح الذين يتشاورون فى أمورهم قال تعالى " وأمرهم شورى بينهم " سورة الشورى آية (٣٨).

ولا شك أن هذه سنة إلهية عظيمة لا جبر فيها ولا إلزام فللمسلمين أن يختاروا من هو أصلح للحكم والقيادة فى ضوء التعاليم الإلهية والسنة الشريفة، وما دام الأمر كذلك فلهم الحق فى عزله إذا أخل باركان البيعة أو انتقص أمرا من أمور الشريعة .

ثالثا : لم يذكر القرآن الكريم اسم (على) ولم يشر إلى أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم سوى (زيد) فى حالة تشريع إلهى خاص للمسلمين، والجدير بالذكر أن القرآن الكريم عندما ذكر أسماء الرسل والأنبياء لم يذكر ما عداهم من الصالحين إلا بالوصف والإشارة مثال ذلك قوله تعالى: " وإذ قال موسى لفتاه " سورة الكهف آية (٦٠) وفى صحبة النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فى حق أبى بكر الصديق " إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " سورة التوبة آية (٤٠) وهكذا .

رابعا : إذا استند الشيعة إلى أن بعض النصوص نزلت فى حق على بن أبى طالب الأمر الذى جعلهم يتأولونها على شخصه ، فإن هناك نصوصا قرآنية وكذلك أحاديث مأثورة نزلت وأشارت إلى بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يوجب المساواة بين الجانبين .

ولكـن الشيعـة على اختلاف طوائفهم لم تنقصهم الحيل فى التماس كل الوسائل للدلالة على إمامة على بن أبى طالب عـن طريـق منـهج التـأويل الرمـزى أو الباطنى للنصوص كما ذكرنا سـابقا وكمـا سـنجده عنـد الإسماعيليـة فيمـا بعـد ، أو بالطعن على كبار الصحابة الأوائل واتهامهم بالأباطيل التى لا تليق أن يدعيها مسلم فى حق أخيه المسلم مهما كـانت شـدة الاختـلاف بينـهم الأمـر الـذى جلـب عليـهم الكثـير مـن الانتقـادات سـواء مـن خصومـهم أو مـن المؤرخـين والبـاحثين قدامـى ومحدثين. وألخص ذلك فى النقاط التالية :-

١- أن ابتداع الشيعة لمنهج فى التأويل الرمزى والباطنى لنصـوص القـرآن والتعسـف فى حمل النصوص على معان مذهبية تؤيد عقائدهم وانتشار ذلك فـى دوائرهـم ومؤلفاتهم وعلى ألسنة وأيدى علمائهم ودعاتهم ادى إلى تصويرهم للقرآن كتابا حزبيا خاصا بالشيعة مما أثار ثورة خصومهم فنفروا للرد عليهم .

٢- لقد تشكك الشيعة فى نصوص القرآن ذاته ، واعتقدوا على وجه العموم أن صياغة النص العثمانى (مصحف عثمان) بالنسبة إلى القـرآن الصحيـح الـذى جـاء بـه محمـد صلـى الله عليـه وسـلم يشـتمل علـى زيـادات وتغيـيرات هامــة، كمـا استؤصلت فيه أيضا ومن جانب آخر قطع هامـة مـن القـرآن الصحيـح بالأبعـاد والحذف[١] ولا سيما ما يعتقدون من نصوص نزلت فى حـق علـى... واعتقـدوا كذلك أن القرآن أو المصحف الكامل والمعتمد الذى كتبه على تناقله الأئمة إماما عن إمام مع غيره من النفائس النبوية حتى انتهى أخيرا إلى الإمـام المحتجـب (المنتظر) وحينما يظهر هذا الإمام للعيان سيعطى المؤمنين هذا القرآن الذى لم

---

(١) جولد تسيهر ،مذاهب التفسير الإسلامى ،ص٢٩٣ ، تحقيق دكتور عبد الحليم النجار – ط مكتبة الخانجى بمصر ١٩٥٥م.

يبدل مع تفسيره الصحيح وحده وعلى المؤمن أن ينتظر ذلك[1].

٣- أقحموا زيادات مذهبية جافية يستعاذ بها في رأيهم ذكر الإمام على وآله بعد أن محى من سوء القصد مثال ذلك فى قوله تعالى " يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك (فى على) وأن لم تفعل فما بلغت رسالته " سورة المائدة (٦٧) كذلك فى قوله تعالى " وسيعلم الذين ظلموا (آل حقهم) أى منقلب ينقلبون) سورة الشعراء (٢٢٧) .. وهكذا فى أمثلة كثيرة[2] .

ولكن كان ينبغى على هؤلاء المتطرفين من الشيعة أمامية وغيرهم ممن اشتطوا فى تأويلهم وافتراضهم أن يعلموا أن المسلمين منذ الرعيل الأول يغض النظر عما أحاط بهم من حزبيات لم يبلغ بهم الحرص على شىء قدر حرصهم على سلامة كتابهم (القرآن الكريم) من الدس أو التحريف، متعظين مما حدث لأصحاب وأرباب الديانات الأخرى من تحريفات فى كتبهم المقدسة والذى نبه وأشار إلية القرآن الكريم[3] .

٤ - ويمكن أن أضيف إلى ما سبق ما يتبين لنا من خلال تحليل النصوص التى وردت بشأن الإمام على عند أقدم مؤرخى الفرق .. فقد ذكر المسعودى الحديث الذى دار بين معاوية وعبد الله بن عباس عندما سأله الأول عن على بن أبى طالب فقال له ابن عباس .. رضى الله عن أبى الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل الحجا ، وبحر الندى ، داعيا إلى المحجة العظمى ، متمسكا بالعروة الوثقى ،. إلى أن يقول وأفضل من تقمص وارتدى .. وأكثر من شهد النجوى .. وأبو السبطين فهل يقارنه بشر .. فعلى من انتقصه لعنة الله

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٠١ .

(٢) المصدر السابق ، ص٣١٠ وما بعدها .

(٣) لمزيد من ذلك انظر ، دكتور احمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٢٠١ ،ص٢٠٢ .

والعباد إلى يوم التناد[1] ومع اختصار لهذا الحديث إلا أن الواضح أنه حديث في ذكر أفضال على بن أبى طالب وقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم وتقواه وتفانيه فى خدمة الإسلام... الخ ولم يذكر شيئا عن نص أو وصاية فى خلافته وإمامته بعد الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة .. حقا لقد ذكر المسعودى فى مكان آخر قصة عتاب على بن أبى طالب مع طلحه حين رجع الزبير . يقول على : يا أبا محمد ما الذى أخرجك ؟ قال الطلب بدم عثمان قال على : قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم وال من والآه ، وعاد من عاداه ، وأنت أول من بايعنى ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل " فمن نكث فإنما ينكث على نفسه " سورة الفتح آية (١٠) فقال استغفر ثم رجع[2] لكن النص يدل على ولاية على بعد عقد البيعة من المسلمين وباتفاقهم حين رأوه أصلح من يبايع خصوصا بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وليس فى ذلك خلاف بين المسلمين ما عدا الشيعة .

غير أن السعودى ذكر أيضا نصا جليا واضحا ينفى ما يدعيه طائفة من الناس القائلين بالنص من الشيعة ، بأن عليا أوصى إلى أبنيه الحسن والحسين لأنمهما شريكان فى أية التطهير ، قال : ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا : يا أمير المؤمنين أرأيت إن فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن ؟ قال : لا آمركم ولا أنهاكم وأنتم أبصر ، وقال له رجل من القوم: ألا تعهد يا أمير المؤمنين ، قال لا ، ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .

---

(١) أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، حـ٢،ص٣٤٩ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ط مكتبة الرجاء بدون تاريخ .
(٢) المصدر السابق ، ص٣٤٨ ،ص٣٤٩.
(٣) نفس المصدر السابق ، ص٢٩١ .

جـ- التأويل في عصمة الأئمة :-

وإذا انتقلنا إلى بحث مسألة عصمة الأئمة عند غلاة الاثنا عشرية نجد أنهم استدلوا على ذلك بالعقل وتأولوا عليها بالنصوص وخرجوا يسببها الأحاديث ونسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسيلم أو إلى الأئمة وربما كان منبع هذه الفكرة عندهم اعتقادهم أن الإمام أسمى رجل من بين البشر ، وقد اختاره الله ليكون حارسا على الوديعة المقدسة ، لذلك كان معصوما لأنه المحافظ على الشريعة[(١)] .

إما الدليل العقلي الذى يستند إليه الشيعة فى ذلك – فقولهم " نعت الإمام فى نفسه أن يكون معصوما من الذنوب لأنه إن لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج أن يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الإمام إلى إمام . إلى غير نهاية . وأوجبوا عليه أن يكون أعلم الخليفة ، وأشجعهم واسخاهم[(٢)] ويزيد ابن المطهر الحلى فى إيجاب العصمة للإمام عقلا بقوله: أن الإمام يجب أن يكون معصوما ، لأنه حافظا للشرع لانقطاع الوحى بموت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة .. والله تعالى قادر على نصب إمام معصوم حاجة العالم داعية إليه ولا مفسد فيه[(٣)]. وجدير بالذكر أن المعتزلة والحشوية وأصحاب الحديث – قد جوزوا على الأئمة الكبائر والصغائر – إلا أنهم يقولون أن وقوع الكبيرة من الإمام تفسد إمامته ويجب عزله واستبداله[(٤)] .

وإذا كان هذا هو الموقف العقلى فى مسالة العصمة ، غير أن موقفهم النقلى

---

(١) دكتور البير نصرى نادر ، أهم الفرق الإسلامية (السياسية والكلامية)، ص١٩ .

(٢)المسعودى ، مروج الذهب ، حـ٣ ،ص١٥٦.

(٣) ابن المطهر الحلى ، منهاج الكرامة ، ص١٤٥ ، ص١٤٧.

(٤) السيد محسن الأمين العالمى ، أعيان الشيعة ، حـ١ ، ص٤٦٩ .

يتصف بالغلو والتطرف فى تأويل النصوص وتخريجها طبقا لاعتقادهم . وقدحا فى خيرة الخلفاء والصحابة الكرام وتستدل على ذلك بعدة أمثلة موجزة. من ذلك ما ذهب إليه ابن المطهر الحلى فى تأويل قوله تعالى " فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " سورة البقرة آية (٣٨) . بمعنى أن هدى الله تعالى ليس مجرد الكتاب والسنة وأن أكثرها مجملات وعموميات ، كما أن لا ينتفى ولا يرتفع الحزن دائما فى جميع الأحوال إلى أن أتاهم اليقين من قبل المعصوم ، كذلك يؤول قوله تعالى " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " سورة البقرة آية (١٩٥) فيحمل مدلولها على العصمة – بقوله .. كيف نبتعد عن التهلكة إلا بالمعصوم .

أما قوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم " (فاتحة الكتاب) فأنها ترمز إلى العصمة أيضا ، فيؤلون معنى (النعمة) هنا على العصمة . كذلك فإن انتقاء الشك والريب عن كتاب الله تعالى يلزم عنه وجود الإمام المعصوم ، فقوله تعالى " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " سورة البقرة آية (١) يؤول عند غلاة الاثنا عشرية على معنى : أن انتفاء الشك والريب عنه من جميع الوجوه وفى جميع الأزمان يلزم عنه وجود معصوم يعلم جميع مدلولات القرآن . كذلك فإن قوله تعالى " كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون " سورة البقرة آية (١٨٧) يحمل على أن بيان الآيات لمعرفة معانيها وناسخها ومنسوخها ومجملها وسؤولها لا يتم إلا بتنصيب الإمام المعصوم ، إن تحصيل التقوى لا يتم إلا بالأخذ باليقين والاحتراز من الشك على يد الإمام المعصوم[١] .

وطبقا لهذه النظرية الشيعية الغالية فى عصمة الأئمة الأمر الذى دفعهم إلى

---

(١) رجعنا فى ذلك : دكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص١٣١، ابن المطهر الحلى – منهاج الكرامة ، ص١٤٩ وما بعدها .

التطرف فى تأويل النصوص الدينية – فإنهم اكثروا من الطعن فى حق خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم – أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم – فإن ابن المطهر الحلى يورد قول أبى بكر الصديق " أن لى شيطانا يعترينى ، فإن استقمت فأعينونى وأن زعمت فقومونى " – فى عبارة استفهامية بقصد الإنكار عليه بقوله : من شأن الإمام تكميل الرعية فكيف يطلب منهم الكمال ؟ كذلك يؤول قوله تعالى " لا ينال عهدى الظالمين " سورة البقرة آية (١٢٤) يعنى أن الله أخبر بان عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم والكافر . لقوله تعالى " والكافرون هم الظالمون " سورة البقرة آية (٢٥٤) – ولا شك أن أبا بكر وعمر وعثمان – كانوا

كفارا يعبدون الأصنام إلى أن ظهر النبى صلى الله عليه وسلم[١] .

وهكذا نجدى مدى غلو الشيعة الأمامية الاثنا عشرية وتعسفهم فى إخضاع النصوص الدينية وتأويلهم طبقا لعقائدهم الغالية . وهذا محض افتراء .

د- تحليل ونقد للتأويل فى مسألة العصمة :-

أولا : لقد أنبرى علماء السنة والسلف إلى الرد على غلاة الشيعة وبيان أخطائهم وأضاليلهم فى تأويل النصوص وتحريف الكلم عن مواضعه وتثبيت دعائم المنهج السنى الإسلامى الصحيح . فقد أعلن الأشاعرة – فى مقابل هذه النظرية الشيعية فى عصمة الإمام – عصمة الأمة مستندين على الحديث المشهور " لا تجتمع أمتى على ضلاله " . والأصل المشهور وهو الإجماع[٢] .

وإذا كان الشيعة قد استندوا إلى فضائل على رضى الله عنه ومزية من النبى صلى الله عليه وسلم فى إمامته وعصمته . غير أن أبا بكر وأصحابه كان لهم من

---

(١) ابن المطهر الحلى ، منهاج الكرامة ، ص١٩٤.
(٢) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، حـ٢ ، ص٢٩٩.

الأفضال الكثيرة لا يمكن إنكارها – بصفة خاصة محافظتهم على وحدة الإسلام والمسلمين فى عهدهم الأول . ومن فضائل أبى بكر الصديق الذى طعن فيه ابن المطهر الحلى عالم الاثنا عشرية الكبير – انه ذكر المسلمين بالآيات القرآنية التى تخبر موت الرسول صلى الله عليه وسلم فجمع المسلمين بعد أن كادوا يفترقوا . وهو الذى أنقد جيش أسامة .. ورد على عمر بن الخطاب بقوله (أيوليه رسول صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أصرفه ؟)، فكان متمسكا بالسنة التى خطها الرسول الكريم دون خوف كذلك محاربته لأهل الردة حين سألوه الصلح على ترك الزكاة – ولا يقلل من شأن أبى بكر قوله (أن استقمت فاتبعونى وان ملت فقومونى) ولا تخلع عنه صفة الإمام كما يدعى غلاة الشيعة– ولا يقلل من شانه (أن له شيطانا يعتريه) – لن الآيات القرآنية مليئة بذكر الشيطان وقول الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ما من أحد إلا وله شيطانا[١] فيجب الاستعاذة بالله تعالى منه .

وقد تضافرت عقيدة الإمام ابن تيميه ونظريته فى النبوة وفى الأصول لتفند رأى الشيعة فى عصمة الإمام ويوجه "صاحب منهاج السنة " لرأى إبن المطهر الحلى انتقادات مباشرة – فيعيب عليه انه وصف الإمام بالعصمة وبطريقة أشمل نعته بصفات النبوة ، فإن روح الغلو الموجودة فى اصل كل بدعة قد انتقلت إلى رأى الشيعة فى العصمة ، فبالغوا فى أهميتها وتجاوزوا الحدود [٢].

ثانيا : إن البحث فى مسألة العصمة أصبح مثارا الجدل بين الفرق الدينية ولكن لم

---

(١) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص٣٨ ، ص٣٩.

(٢) هنرى لاووست – نظريات شيخ الإسلام ابن تيميه فى السياسة والاجتماع ، ص٢١١ ،ص٢١٢ ، ترجمة محمد عبد العظيم على مراجعة دكتور مصطفى حلمى ، ط دار الأنصار ، القاهرة ١٩٧٩م.
– وللمزيد : دكتور مصطفى حلمى ، قواعد المنهج السلفى ، ص٧١ ، ٧٥.
– كذلك ابن تيميه ، منهاج السنة ، حـ٢ ،ص٨٢ ،ص٨٤ .

يسبق بحثها فى اليهودية أو المسيحية . إلى أن جاء الشيعة فقتفوا التأويل والكلام فيها " فكتاب العهد القديم لدى اليهود يحفل بذكر ذنوب الأنبياء التى تصل بعضها إلى حد الكبائر ، كما أن المسيحية لم تتعرض لهذا الموضوع ولم تشر كتب العهد الجديد إلى تلاميذ المسيح باعتبارهم معصومين[1] كذلك فإن القرآن الكريم يشير فى بعض آياته إلى ذكر بعض المعاصى التى وقعت من الأنبياء – وطلبهم العفو والغفران من الله تعالى – وذلك فى قوله تعالى " وعصى آدم ربه فغوى " سورة طه آية (١٢) – وقوله تعالى " فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين " سورة القصص آية (١٥) . وقوله تعالى فى يونس عليه السلام " وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه .." سورة الأنبياء آية (٨٧) . وقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم " ووجدك ضالا فهدى " سورة الضحى آية (٧) وعاتب الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى سورة عبس آية (١-٢-٣) قوله تعالى " عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى[2]" . وهكذا فى آيات كثيرة تدل على النقيض من تأويلات الشيعة المتطرفة فى عصمة الأئمة .

هـ- التأويل فى مبدأ التقية :

كلمة " التقية " أصلية فى اللغة – ووردت فى القرآن الكريم – فالمدلول اللغوى لهذا اللفظ . يوحى بالحذر والمداراة – والكتمان والتستر – وفى القرآن الكريم تفيد هذا المدلول فى قوله تعالى " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون

(١) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى ، حـ٢ ، ص١٦٩.
(٢) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، حـ٣ ، ص٢٢٦،ص٢٢٧.

المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاه " سورة آل عمران آية (٢٨)[1] . وقد استخدم غلاة الأمامية اثنا عشرية وإسماعيلية هذا المبدأ فى عقائدهم يقول المسعودى " أن لأهل الإمامة من فرق الشيعة فى هذا الوقت كلام كثير فى الغيبة واستعمال التقية[2]" وعلى ذلك فقد كان هذا المبدأ مكملا لمذاهبهم – وسترا على أئمتهم وعلومهم الباطنية . وحاولوا الاستدلال على هذا المبدأ بتخريج النصوص الدينية وما رووه من أحاديث مسندة لأئمتهم وتأولوها طبقا لعقائدهم فاعتبروا التقية أمرا ضروريا وعليه جبله البشر وشريعة الإسلام ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل بعد البعثة ثلاث سنوات يجاهر بالدعوة[3] .

ولا شك أن الأمامية حاولوا تخريج النصوص والأحاديث وتأويلها طبقا لهذا المبدأ . من ذلك ما ذهب إليه الكلينى فى تأويل قوله تعالى " أولئك يؤتون أجورهم مرتين بما صبروا " سورة القصص آية (٥٤) أى بما صبروا على التقية، قال أبو عبد الله " إن أمرنا مستور مقنع بالميثاق فمن هتك علينا أذلة الله ".

ومن الجدير بالذكر أن هذا المبدأ وثيق الصلة بعقائد الأمامية ومنهجهم فى الباطن . وتأويل النصوص عليها – فقد كانت التقية عندهم سبب فى تحميل الكلام معانى خفية – وجعلوا للكلام ظاهرا يفهمه كل الناس ، وباطنا يفهمه الخاصة وقصدوا فى كلامهم إلى الرمز والكتابة ونحوهما – وتأولوا بعض آيات القرآن الكريم على هذا النحو . فجعلوا كثيرا من الآيات رمزا لعلى والأئمة مثل قوله تعالى " يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك .." سورة المائدة آية(٦٧) وتأويل ذلك ولاية

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٤٦.

(٢) المسعودى ، مزوج الذهب ، حـ٣ ، ص١٥٦.

(٣) للمزيد يرجع إلى : محسن العالى ، أعيان الشيعة ، حـ١ ،ص٥٠٣ .

– كذلك ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ، أصل الشيعة وأصولها ، ص١٩٢.

أو خلافة على رضـى الله عنـه . وقـالوا - طبقـا لهـذا أن وراء هـذه العلـوم أسـرار خفية[١] .

و- علم الإمام (العلم الباطن) :-

تعتقد الشيعة أن الإمام ليس شخصا عاديا مثل سائر النـاس ، بـل هـو فـوق الناس ومن طينة فوق طينة البشر ، وان لديه علوما وأسرارا باطنية خفية موروثة ، ولا شك أن علمـاء ومحدثـى الأماميـة قـد أشـاروا إلى ذلـك وملـؤا كتبـهم بمثـل هـذه الروايات الغاليـة - ونعطـى أفكـارا محـددة وموجـزة عـن هـذا الاتجـاه عنـد الاثنـا عشرية.

ولما كان الإمام عند الشيعة له صلـة روحيـة بـالله مـن جنـس التـى للأنبيـاء والرسل[٢] فقد نسبوا إليه العلم الباطنى والأسرار الغيبية . لذلـك فقـد ذكـر الكلينـى عن أبى جعفر أنه قـال " نحـن خـزان علـم الله ، ونحـن تراجمـة وحـى الله، ونحـن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض . والإمام نور الله الذى قـال فيـه تعالى " فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلناه " سورة التغابن آية (٨) ونور الإمام فى قلوب المؤمنين أنوار من الشمس المضيئة بالنهار ، ويحجب الله عمن يشـاء فتظلـم قلوبهم[٣] ".

وفى مواضع أخرى يذكر الكلينى رواية عن أبى عبد الله قوله ، نحن شـجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ، ومعدن العلم ، وموضع الرسـالة، ومختلـف الملائكة ، وموضع سر الله ، ونحن وديعى الله فـى عبـاده ، ونحـن حـرم الله الأكـبر ونحن ذمـة الله ، ونحن عهـد الله فمن وفى بعهدنا وفى بعهد الله .

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، حـ٣ ،ص٢٤٧ ، ص٢٤٨.
(٢) المصدر السابق ، ص٢١٣.
(٣) الكلينى ، أصول الكافى ، ص٩١ ،ص٩٢ ، أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، حـ٣ ،ص٢١٥.

وعند الأئمة جميع الكتب التى نزلت من عند الله عز وجل ، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها . وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين ثم أوردت الأئمة ذلك الكتاب الذى فيه تبيان كل شىء ، كما أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة وأنهم يعلمون علمه كله ، وما جمع القرآن وحفظه كله إلا على بن أبى طالب والأئمة من بعده .. والله تعالى لم يعلم نبيه علما إلا أمره أن يعلمه عليا أمير المؤمنين وأنه كان شريكة فى العلم ، ثم انتهى هذا العلم إلى الأئمة من بعده .. قال أبو جعفر " أن الله عز وجل عليم : علم لا يعلمه إلا هو ، وعلم علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه " والأئمة إذا شاءوا أن يعلموا شيئا أعلمهم الله إياه ، وهم يعلمون متى يموتون ولا يموتون إلا باختيارهم وهم يعلمون علم ما كان ، ومما يكون وانه لا يخفى عليهم شىء[1]".

ومن خلال ما عرض علماء ومحدثى الأمامية – من اختصاص الأئمة بهذه العلوم السرية ، والباطنية الغيبية – يتضح مدى التقديس الذى يسبغونه على الإمام والإمام بذلك يتلقى العلم الباطن من الله تعالى ، والله تعالى يعده أعدادا خاصا ويحفظه ويعصمه ، ويورثه علم الأنبياء والمرسلين ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم علما علمه الناس ، وعلما آثر به عليا ، وعلى آثر به وصيه . وهكذا إلى المهدى الثانى عشر .

ولكن كيف يرث الأئمة علوم الأنبياء وميراثهم الروحانى ؟

هذه الفكرة تتضح من خلال التصور الشيعى الأمامى لنظرية النور المحمدية، تلك النظرية التى شاعت بين فلاسفة التصوف والشيعة الباطنية –

(١) رجعنا إلى الكلينى ، المصدر السابق ، ص١٠٥ ، ص١٠٧ ، ص١١٠ ، ص١٢٣ ، ص١٢٥ ، ص١٢٦ ،ص١٢٧ . كذلك يرجع إلى أحمد أمين ، المصدر السابق ، ص٢١٧ .

ويتضح من خلال التصور الشيعي للنور المحمدى – الاتجاه الباطنى – والآثار الفلسفية اليونانية – بما يشبه نظرية العقل الأول – وأثره الروحانى فى عالمى الوجود والمعرفة .

ويوضح لنا المسعودى هذه الفكرة عند الشيعة الأمامية فى صورها المختلفة فيذكر فى رواية عن جعفر الصادق " أن الله حين شاء تقدير الخلق وإبداع المبدعات ونصب الخلق فى صورة كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء ، وهو فى انفراد ملكوته وتوحيد جبروته فأتاح نورا من نوره فلمع ، ونزع قبسا من ضيائه فسطع ، ثم اجتمع النور فى وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل : أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى وكنوز هدايتى من أجلك أسطح البطحاء وأموج الماء وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار .. ثم بضيف المسعودى توضيح النظرية عند الشيعة – يذكر أقوالهم على لسان جعفر الصادق بأن الله فى القديم خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم فقال : وأنصب أهل بيتك للهداية وأوتيهم من مكنون علمى مالا يشكل عليهم دقيق ولا يعيبهم خفى ، وأجعلهم محجتى على مريتى والمنبهين على قدرتى ووحدانيتى ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والإخلاص بالواحدانية[1] ولا شك أن هذا نوع من التأويل الباطنى لعالم الذر عند الشيعة ..

ثم يوضح طريقة التسلسل النورانى الروحانى كما صورها الشيعة – بان الله تعالى انتخب محمدا صلى الله عليه وسلم وآله وأراهم أن الهداية منه والنور له والإمامة فى آله .. ثم أخفى الله الخليقة فى غيبته وغيبها فى مكنون علمه ، ثم خلق الله الكون ونصب العوالم ، وبسط الزمان وموج الماء .. ثم أنشاء الله الملائكة من أنوار

---

(١) المسعودى ، مزوج الذهب ، حـ١ ،ص٢٢.

أبدعها .. وقرن توحيده بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وشهره فى السماء قبل أن يبعثه فى الأرض فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة .. وجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا . وقبلة يسجد إليها الأبرار والروحانيين النوار ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له من خطر ما ائتمنه عليه بعد ما سماه إماما عند الملائكة .. وأخذ النور يتنقل وهو مخبؤ ولم يزل الله تعالى يخبئ النور تحت الزمان إلى أن وصل محمد صلى الله عليه وسلم فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرا وإعلانا ، فالنور إذن اختتم بالنبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم .. ثم انتقل النور إلى غرائزنا ولمع فى أئمتنا ، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض فينا النجاة ، ومنا مكنون العلم ، وإلينا مصير الأمور فنحن أفضل المخلوقين وأشرف الموحدين وحجج رب العالمين[١] .

والواضح أن هذه الفكرة مختلطة بالعديد من التيارات الفلسفية والعقائدية الأخرى ففيها أفكار غنوصية وأفلوطينية خاصة فكرة النور وفكرة الهباء وغنوصية مسيحية فى الكلمة . فالنور الأول – محمد القديم انتقل فى باطن الأئمة ولمع فيهم وهم نور السموات والأرض ، وبيد الإمام خفايا العلم وأمر الكون ثم ينتهى الأمر كله إلى المهدى الأخير الحجة البالغة على الخلق[٢] وسوف نجد عند الإسماعيلية هذه النظرية ممتزجة بالتيارات الفلسفية الأخرى .

ولا شك أننا إذا تتبعنا سير أئمة آل البيت الشريف نجد أنهم بعيدين مثل هذه التخريجات الباطنية والتيارات الفلسفية ولم تصدر عنهم حماقات الشيعة وتأويلاتهم الفاسدة وغلوهم الشديد فيهم[٣] وسوف نوضح ذلك فى الباب الرابع "

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٢ ، ص٢٣.
(٢) للمزيد ، دكتور النشار نشأة الفكر الفلسفى – حـ٢ ، ص٢١٢ .
(٣) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص٢١٥ ، ص٢٦٦.

الشيعة المعتدلة " .

وخلاصة الموقف هنا هو :-

أن غلاة التشيع الأمامية حاولوا أن يثبتوا اختصاص الإمام بالعلم الباطني - وهذا العلم يتوارث فى الأئمة - وأولوا النصوص الدينية طبقا لهذا المنهج الباطنى من ذلك قوله تعالى " وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب وما الإيمان " سورة الشورى آية (٥٢) . بأنه منذ نزل ذلك الروح على النبى صلى الله عليه وسلم ما صعد إلى السماء وهو فى الأئمة .. فالإمام لديه العلم الخفى الباطن .. وهو التأويل .. فعند الأئمة علم جميع الكتب التى نزلت من عند الله . ويعلمون القرآن وتأويله .. وناسخه ومنسوخة محكمة ومتشابهة .. وتأويل غلاة الاثنا عشرية فى ذلك يتضح من قولهم .. أن الأنبياء كان ينقصهم علم الباطن فموسى مثلا كان ينقصه علم الباطن الذى وهبه الخضر ، وأوتى سليمان منطق الطير ولكن لم يكن لديه علم الذى عنده علم الكتاب الذى قال " أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك "، مثل الأئمة والأوصياء كمثل صاحب موسى ، والذى عنده علم الكتاب[1] ولا شك أن هذه الأفكار والتأويلات الباطلة تبطل مبدأ القياس والاجتماع فى امور الشريعة - وهذا ما لم يصح عن الأئمة وقد دعا الإسلام إلى الاجتهاد والقياس والشورى بما يشبه الإجماع .

ز- عقيدة الإمام المهدى المنتظر :-

تتعرض فى إيجاز لعقيدة الإمام المهدى المنتظر عند غلاة الاثنا عشرية فى بعض الأنماط التى تتعلق بمنهج التأويل ، وما يحيط بهذه العقيدة الغريبة عن

---

(١) دكتور أحمد صبحى . نظرية الإمامة . ص١٤٨ .
دكتور النشار ، نشأة الفكر ،حـ٢ ، ص٢٩٨.

الدين الإسلامى وعن منهج أهل السنة والسلف الصالح رضوان الله عليهم من آثار غنوصية باطنية ، وفلسفية يهودية أو مسيحية .

ولا شك أن هذه العقيدة تتعلق كذلك بفكرتى الغيبة والرجعة التى وجدت فى التراث التاويلى عند غلاة التشيع من قبل – والتى وجدت فى التراث اليهودى والمسيحى .

ويبدو أن الاثنا عشرية احتضنت فكرة العدد وهى فكرة غنوصية أخذتها من الكيسائية ، كذلك فكرة الغيب والرجعة وهى فكرة يهيوديه مختلطة بغنوصية – ومن الجائز أن يكونوا قد استندوا فى فكرة العدد على بعض الأحاديث النبوية الشريفة (بالنسبة لعدد الأئمة الاثنى عشر حتى المهدى المنتظر) – مثل ما ورى عن الرسول صلى الله عليه وسلام .. أن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنى عشر خليفة(١) .

ومن الجدير بالذكر أن عقيدة المهدى المنتظر وجدت بذورها عند السبأية والكيسائية وكذلك طوائف غلاة التشيع فيما بعد ، وقد حاولت كل طائفة منها أن تثبت المهدية لإمامهم الذى ارتضوه . كالكيسائية والهاشمية والشيعة الحسنية وهكذا كما عرضنا فيما سبق(٢).

يضاف إلى ذلك أن غلاة الأمامية الاثنا عشرية قد أحاطوا الأئمة الاثنى عشرية حتى المهدى المنتظر بهالة من الأفكار الأسطورية ونسبوا إليهم العديد من المعجزات والكرامات بصفة خاصة المتأخرين منهم.

---

(١) دكتور النشار ، نشأة الفكر حـ٢ ،ص٢٧٥ ، دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص٢١٤ ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أهل الشيعة وأصولها ، ص٧٥.

(٢) للمزيد ، يرجع ، الشهرستانى ، الملل ، حـ١ ، ص١٤٧ وما بعدها ، ابن حزم الفصل فى الملل والأهواء ، حـ٤، ص١٣٧ . وما بعدها (ذكر شنع الشيعة).

فقد ذكر الشيعة فى الإمام موسى الكاظم ت ١٨٣هـ (الإمام السابع) فى سلسلة الأئمة انه شبيه بعيسى عليه السلام ، وبإمامته دخلت الأمامية دورها السرى الباطنى وانتهى دور الفقه .. ثم تولى ابنه على الرضى (١٥٣ -٢٠٣هـ) وقد أضاف إلى عقيدة الشيعة صحيفة تحوى مجموعة من الأحاديث – ويذكر " أن المأمون العباسى كاد أن يوليه الخلافة – لتقواه وعلمه[1] ونقلت الإمامة بعده إلى ابنه (محمد الجواد ت ٢١٩ هـ) – ثم انتقلت الإمامة بعده إلى ابنه (على الهادى ت ٢٥٤هـ) ، ونسب إليه الشيعة أن السحاب يظلله ، والمطر طوع يديه.. الخ ، ثم خلفه فى الإمامة ابنه الحسن العسكرى (ت ٢٦٠هـ) ونسبت إليه المعجزات الأسطورية كذلك ثم ولد الإمام الثانى عشر – محمد المهدى المنتظر (٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ) مهدى الزمان وحجة الله على البشر[2] .

وإذا كنا نعتقد بانه إذا طرأ الخلاف فى جماعة لها عقيدة معينة ظهر منها تخريجات لنصوص العقيدة تخريجات متنوعة على قدر طوائف المختلفين وعدد آرائهم[3]فإن هذه التخريجات تتضح فى عقيدة المهدى عن طريق التأويل الباطنى أو الرمزى للنصوص الدينية – واختلاق الأحاديث لتدعيمها .

ولكن يبدو أن هذه العقيدة وجدت عند الشيعة لكى تنسجم مع معتقداتهم فى أن الإسلام فى ثورته الشيعية هو وحدة البيئة الملائمة التى تبغى أن تنمو فيها بذور الأمانى المهدية والمستقبل المشرق السعيد .

---

(١) للمزيد ، أبو الفضل البيهقى ، تاريخ البيهقى ، ص١٤٨ ،ص١٤٩ ، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت ، ط مكتبة الانجلو المصرية بدون تاريخ .

(٢) دكتور النشار ، نشأة الفكر ، حـ٢ ، ص٢٣٧ ، ص٢٨٢ .

(٣) دكتور محمد البهى ، الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ، ص٦٠ ، ط دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

وقد استندت الاثنا عشرية إلى أحـاديث وتـأولوا النصوص – قـال الكلينـى وللإمام غيبة " وإذا بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها ، وللإمـام الثـانى عشر غيبة وهو المـهدى الـذى يمـلأ الأرض عـدلا وقسطا كمـا ملئـت جـوارا وظلمـا ويتـأولون علـى ذلـك قولـه تعـالى " فـلا أقسـم بـالخنس الجـوار الكنـس " سورة التكوير آية(١٥) قال أبو جعفر .. الخنس :إمام يخنس فى زمانه .. ثم يبـدو كالشهاب الواقد فى ظلمة الليل[١] .

والغيبة التى للإمام الثانى عشر (المهدى المنتظر) من ناحيتين :

الأول الغيبة الصغرى عام ٢٦٠ هـ – وكان المهدى فى هذه الفترة يخـرج التواقيـع إلى سفرائه الذين نصبهم واسطة بينه وبين الناس وهـم : أبـو عمـر عثمـان بـن سعيد العمرى وأبنه أبو جعفـر – والحسـين بـن روح – ومحمـد بـن علـى السـمرى كـانت عاصمتهم بغداد .

الغيبة الثانية الكبرى عام ٣٣٩هـ – التى أعلن فيهتا انقطاع السـفارة – وأن المرجع الوحيد فيـها هـو الكتـاب الشـريف ومـا يـروى عـن أئمـة أهـل البيـت مـن الأحاديث[٢].

ومن الأحـاديث التى نسبهـا الشيعـة للرسـول صلـى الله عليـه وسلـم فـى المهدى ما ذكره الحلى ." فقد روى عن ابن عمر قال – قال رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى اسمه اسمي وكنيتـه كنيتـى يمـلأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما فذلك هو المهدى عليه الصلاة والسلام . ورواه ابن

---

(١) الكلينى ، الكافى ،حـ١ ،ص١٤٩، احمد أمين ، ضحى الإسلام ، حـ٣ ،ص٢١٨.

(٢) السيد عبد الرازق الحسينى ، تعريف الشيعة (ضمن كتاب أهم الفرق الإسلامية) ص ٢٩ ، ص٣٠.
– دكتور النشار ، نشأة الفكر ، حـ٢، ص٢٨٩ .
– دكتور احمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٤٠٩ .

الجوزى الحنبلى عن أبى داود وصحيح الترمذى[١] وهناك أحاديث كثيرة بهذا الصدد لا يمكن استعراضها حتى لا تبتعد بنا عن مضمون البحث إذ أن جوهر الفكرة واحد ويتأولون على المهدى قوله تعالى " أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت " سورة الرعد آية (٣٣) . وهذه الآية ترمز إلى المهدى الإمام المنتظر[٢] .

ويحيط الشيعة ولادة المهدى بالمعجزات الأسطورية التى هى من الخوارق فقد تكلم فى المهد كما تكلم عيسى ، ودعا الله أن ينجز وعده ، ثم دعا طيرا من السماء وهو روح القدس فحمله إلى أعلى عليين ثم مات أبوه _الحسن العسكرى) وبقى القائم قليلا ثم غاب الغيبة الصغرى ثم بعدها الغيبة الكبرى وسيعود فى آخر الزمان[٣] .

وقد حاول علماء الاثنا عشرية تأويل قصة موسى مع فرعون ، وعيسى عليهما السلام وربط أحداثهما بما حدث للمهدى المنتظر فى نسق فلسفى باطنى مستدلين على غيبة بما ورد عن قصص الأنبياء والصالحين الذين عمروا طويلا .. يروى أن الله تعالى أراد أن يجعل من المهدى سنة من موسى حين اخفى أمر ولادته خوفا من فرعون . وفى ولادة المهدى شبه من عيسى عليه السلام حين نطق فى المهد .. ونطق المهدى بقوله تعالى " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين " سورة القصص آية (٥) وعلى ذلك فقد ربطوا بين بنى العباس والمهدى وبين فرعون وموسى من ناحية وبين عيسى عليه السلام عندما نطق وهو فى المهد وبين المهدى كذلك[٤].

---

(١) ابن المطهر الحلى ، منهاج الكرامة ، ص١٩٣ ، للمزيد انظر حتى ص١٠٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص١٩٣ ، للمزيد ، دكتور النشار ، نشأة الفكر حـ٢ ،ص٢٨٠ ، ص٢٨٦.
(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر ، حـ٢ انظر من ص٢٨٥ ،ص٢٨٦.
(٤) للمزيد ، نظرنا : دكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٤٠٩ .

وإذا سئل الأمامية عن مدة الغيبة وكيف تتصور؟ قالوا ... س الخضر والياس عليهما السلام يعيشان فى الدنيا من آلاف السنين - كذلك نوح عليه السلام بنص الكتاب لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وان المسلمين يتفقون على حياة أربعة من الأنبياء والصالحين هم : إدريس وعيس فى السماء، والخضر والياس فى الأرض[١] .

ويبدوا أن الاثنا عشرية قد عجزوا عن تأويل قصة غيبة المهدى بما يقربها من الإفهام ومجازات اللغة - فلجأوا إلى التلفيق والتوفيق والمقارنات التى لا تنسجم مع منطق العقل والفكر الصحيح والعقيدة السليمة " بقولهم" أنه موجود فى الأمصار غائب عن الأبصار لحكمة إلهية اقتضت ذلك .. فقد استأثر الله تعالى يعلم الأشياء ولم يطلع عليها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا كعلم الساعة مثلا[٢].

ح- تحليل ونقد لعقيدة المهدى المنظر :-

لم تكن هذه العقيدة حديثة الظهور فى محيط غلاة الشيعة الاثنا عشرية بل كان لها أصول أولى عند فلاسفة الأديان السابقة " إذ أن الاعتقاد بظهور مخلص للبشرية شائع فى اليهودية - فقد بشر بنى إسرائيل بظهور محرر ومخلص يبعثه الله تعالى للتكفير عن خطايا البشر وإنقاذهم وتخليص العالم - وهو المقصود بالمسيح - كذلك النصارى يعتقدون برجعة المسيح لإنقاذ العالم من ظلم الإنسان وقتله أخيه الإنسان كذلك فى الديانات البوذية والبراهما[٣] ولم تقتصر هذه الفكرة على محيط الشيعة فقط بل انتشرت عند بعض أهل السنة - وذكرت أحاديث

---

(١) محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة ، ص١١١ ، ص١١٢ .

(٢) نظرنا : المصدر السابق ، ص١١٢ ، العالمى ، أعيان الشيعة ، حـ١ ،٤٥٧ ، ص٤٥٨.
- كذلك دكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٤١١ ، ص٤١٤.

(٣) للمزيد يرجع إلى : دكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٣٩٨ ، ص٣٩٩ . دكتور محمد كمال جعفر ، فى الدين المقارن ، ص١٠٥ ط دار العلوم ١٩٧٠ م .
- حنا فاخورى وغيره ، تاريخ الفلسفة العربية حـ١ ،ص١٩٧ ، ص١٩٨.

فى مقابل أحاديث الشيعة مثل حديث "السفيانى" والقحطانى المنتظر ، وغير ذلك ..
وقد ظهرت نبوءة أخرى بظهور رجل يهدم كل قديم ويمهد الطريق للمهدى ..
ونبوءة الرجل ذى الإعلام السود الذى يخرج من المشرق ويزيل عرش بنى أمية[١] .

من الجدير بالذكر أيضا أن بعض المحدثين عن السنة قد رددوا بعض الأحاديث فى المهدى ذكرها الترمذى وأبـو داود ، وابـن ماجـه ، مـن مثـل مـا روى الرسول صلى الله عليه وسلم قال " لو لم يبق من الدنيا إلا يـوم لطـول الله ذلـك اليـوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى أو من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسـم أبيـه اسـم أبى[٢] وهناك أحاديث أخرى لا نرى روايتها . غير أننى أرى أن مثل هذه الأحاديث غير متواترة وحسنة وفيها تناقض شديد فلم يروى البخارى ومسلم شيئا عنها[٣] .

ويبدو أن أهـل السنة قبلـوا هـذا الحـديث غـير أنـه لا يشـير إلى مهـدى الاثنـا عشريـة بل يشير عندهـم إلى الإمـام "محمـد بـن عبـد الله بـن الحسـن " المعروف بالنفس الزكية – لذلك كانوا يرون المهدى حسنيا لا حسينيا[٤] .

وقد انتقد الإمام السلفى ابن تيميه فكرة الإمام المـهدى المنتظر عند الشيعة انتقـادا شديدا فيشبه هؤلاء الشيعة الذين ينتظرون عودته عنـد السـرداب بسـامرا – بعبـدة الأوثان الجاهلية . لأنهم يدعون من لا يستجيب لهم بينما يقول الله تعالى " ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون مـن قطمـير أن تدعوهـم لا يسـمعون دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم يوم القيامة يكفرون بشركم ولا ينبئك مثل

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، حـ٣ ، ص٢٣٥ ،ص٢٤٣ ، دكتـور حسن إبراهيـم ، تـاريخ الإسـلام السياسى ، حـ١ ،ص٤٠٧ ، ص٤٠٩.
(٢) المصدر السابق ، ص٢٣٧ ، ص٢٣٨.
(٣) المصدر السابق ، ص٢٣٧ . كذلك نظرنا البخارى ، الصحيح ،حـ١ ،حـ٤ .
(٤) دكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٤٠٣ ، ٤١٥.

خبير"[١] سورة فاطر آية (١٣، ١٤). ولقد تشكك بعض المؤرخين الباحثين فى ولادة الإمام محمد المهدى المنتظر . إذا أن الحسن العسكرى لم ينجب .

من ناحية أخرى فإنه قد ظهرت بعض الحركات الإصلاحية بأسم المهدية في العصر الحديث مثل مهدى السودان ، ومهدى برقة السنوسى، ولكن سيظهر بصورة غالية جدا عند البابية والبهائية الذين انسلخوا عن الإسلام والاثنا عشرية[٢].

رابعا : تطور منهج التأويل الباطنى عند غلاة الأثنى عشرية :-

١- مرحلة التطور الاثنا عشرى :-

لقد مر التشيع الاثنا عشرى بعدة مراحل ، وهو يتأرجح بين القوة والضعف – إلى أن ظهر سلطانه على عهد الصفويين فى إيران أبان القرن السادس عشر الميلادى .

ففى المرحلة الأولى :

ظهر الأئمة المعصومين وسفرائهم حتى وفاة السمرى أحد السفراء (عام ٣٢٩هـ)، وقد ظهر فى هذه الفترة بعض مفكرى الاثنا عشرية كهشام بن الحكم فى عهد الإمام السادس جعفر الصادق ، كذلك أبو جعفر القمى ٢٩٠هـ . كذلك عاش محمد بن يعقوب الكلينى صاحب كتاب "أصول الكافى" الذى جمع فيه آلاف الأحاديث والأخبار المروية عن الأئمة .

---

(١) دكتور ، مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص٥٢١ ،ص٥٢٢ وللمزيد يرجع ، هنرى لاووست ، نظريات شيخ الإسلام ابن تيميه (فى السياسة والاجتماع) ،ص٢١٤.

(٢) للمزيد ، دكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة ،ص٤٢٦ وما بعدها – أحمد أمين ، ضحى الإسلام، حـ٣ ، ص٢٤٥ . (ولا شك أن فكرة المهدى المنتظر عند المامية كانت لها أثر عند فلاسفة الصوفية خاصة فى نظرية القطبانيه وكان لها آثار وخيمة وخطيرة فى محيط الثقافات الدينية والإسلامية لما أحيط بها من هالة الفكر الأسطورى الذى يلهب أفئدة العامة من المسلمين على مر العصور).

وفي المرحلة الثانية :

تمتد من بداية الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر حتى نصير الدين الطوسى (٣٧٢هـ) ، وفى هذه الفترة اشتغل مؤلفوا الشيعة بضبط كتب التشيع الاثنا عشرى واستكمال السنة الشيعية وتعميق مضامينها ومن المؤلفين : الشيخ الصدوق (ابن بابويه) والشيخ المفيد (٤١٣هـ) ،ومحمد بن حسن الطوسى (٤٦٠هـ) وقطب الدين سعيد الراوندى (٥٧٣هـ) ،والشريف الرضى (٤٠٦هـ) والمرتضى علم الهدى (٤٣٦هـ) وفضل الطيرسى (ت ٥٤٨هـ) صاحب كتاب (جامع البيان) – التفسير الشيعى للقرآن – والذى يتبع فيه منهج التأويل الباطنى ، ويكثر من استعمال المدلول الرمزى الباطنى لمعانى الألفاظ بما يدل على معتقدات الشيعة ...وغيرهم .

ونلاحظ أن هذه الفترة هى فترة ازدهار الفلسفة الإسلامية والأخذ بالفكر الهللينسنى بداية من الكندى .

المرحلة الثالثة :

وهى تبدأ من نصير الدين الطوسى حتى عصر الصفويين فى إيران ، وقد كانت كتابات الطوسى تمثل انتهاء مرحلة التكوين الأولى فى الفكر الشيعى ، وقد كان من تلامذة مدرسة الطوسى العلامة : ابن المطهر الحلى (٧٢٦هـ) وافضل الكماشانى .

ونلاحظ أن هذه الفترة الثالثة تمثل اقتراب التشيع الاثنا عشرى من التصوف بتأثير من محى الدين بن عربى ومدرسته . ونجد أثر هذا فى صدر الدين القونوى الذى خضع لتأثير كل من ابن عربى ونصير الدين الطوسى . ونجد تلامذة لأبن عربى من الشيعة مثل حيدر الأملى الذى عمل على التقريب بين التشيع والتصوف فى كتابة المخطوط " جامع الأسرار ومنبع الأنوار " كذلك زين الدين تركى

أصبهانى (٨٣٠هـ) .. وغيرهما .

أما المرحلة الرابعة :-

فهى تمثل أعظم المراحل التى ازدهر فيها الفكر الشيعى الاثنا عشرى ، وهى مرحلة النهضة الصفوية . وقد ظهرت فيها مدرسة أصفهان التى تزعمها " الميرداماد" (١٠٤١ هـ) وملا صدر الشيرازى صاحب الأسفار الأربعة (١٠٥٠هـ) ، وعدد آخر من الاتباع والتلاميذ كأحمد علوى ، ومحسن فيض ، وقاضى سعيد القمى[١] وهكذا ودون الدخول فى التفاصيل حتى لا نخرج عن نطاق موضوع البحث، فإننا نلاحظ أن المسار الفكرى والمنهج الذى تمثله هذه المراحل التى مر بها التشيع الاثنا عشر امتاز بتأصيل جذور العقيدة فى نفوس أصحابها وتعميق مضامينها الظاهرية والباطنية وكذلك نلاحظ المسار الفلسفى والنسج الباطنى فى تأويل النصوص القرآنية او الأحاديث والروايات المأثورة عن أئمة الاثنا عشرية ، وقد رأينا ذلك من خلال بحث واستعراض هذا المنهج الباطنى فى عقائدهم ، وأعطينا أمثلة كثيرة عند الكلينى ، أبو الفضل الطيرسى، وابن المطهر الحلى ، والجانب العقلى المجازى عند متكلميهم أمثال الشريف المرتضى وغيره وسوف نعرض لأهم قواعدهم العقلية فى تأويل النصوص الدينية فى الفصل الخاص بالتشيع المعتدل .

غير أن المرحلة الأخيرة للفكر الشيعى الاثنا عشرى والتى تستمر إلى عصرنا هذا ظهرت اتجاهات وآراء غالية قد تؤدى إلى تشويه المذهب الاثنا عشرى بل وتنزع إلى الاتجاه الباطنى الغنوصى والتأثير بالتيارات المسيحية او اليهودية كما نلاحظ ذلك عند الصفويين وطوائف الشيخية والتى تفرع عنهما فرقتى البابية

---

(١) نظرنا ، دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٦٥ ، ص١٦٨، ط دار المعرفة الجامعية ، ط ١٩٨٠م.

والبهائية .

فقد كانت الأسرة الصفوية التى حكمت فارس وغيرها (من عام ٩٠٧ – ١١٤٨هـ) ، من طائفة الأمامية الاثنا عشرية ، واتخذت التشيع الاثنى عشرى مذهب الدولة الرسمى ، ولا يزال ذلك إلى الآن[١] .

وقد ادعى هؤلاء الصفوية أنهم من سلالة موسى الكاظم ، وجعلوا مذهب التشيع الاثنا عشرى بنوع أدق المذهب الرسمى فى فارس ، وعلى ذلك فقد امرنا الشاه إسماعيل الصفوى بعد اعتلائه العرش عام (٩٠٦هـ) الخطباء فى أذربيجان أن تكون الخطبة باسم الأئمة الاثنا عشرية ، كما أمر المؤذنين أن يضيفوا إلى الأذان صيغة الشيعة وهى " أشهد أن عليا ولى الله "[٢] .

وإذا بحثنا عن النزعة الفلسفية أو الصيغة الباطنية فى التأويل والآثار الخارجية نجدها باختصار فى أنهم نظروا إلى الأئمة (الاثنى عشر) كما نظر النصارى إلى أقانيمهم ، وقالوا " أن فى أيديهم مقادير العالم عليهم حفظه وهدايته والخلاص معهم والهلاك بدونهم ،وطاعتهم والتوسل إليهم أمران واجبان .

وهناك صلوات خاصة بهم ، فيوم الأحد : مقدس عندهم من اجل على وفاطمة ، والساعة الثانية من كل يوم مقدسة من أجل الحسن ، والثالثة من أجل الحسين ، والرابعة من اجل زين العابدين ، ...وهكذا .. وللذين يزورون قبورهم أجر معلوم "[٣]" ولا شك أن هذا ضرب من التأويل الرمزى العددى كما سيتضح أكثر عند الإسماعيلية فيما بعد ".

ولكن يبدو أن النزعة الكلامية العقلية والتى سادت عند متكلمى الاثنا

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ،ج٣،ص٢١٢.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد (٢) (مادة الاثنا عشرية ،ص٢٢٨، ٢٣٠).
(٣) المصدر السابق ، ص٢٣٠.

عشرية متأثرين إما بسلفهم ، وإما بالمعتزلة وهم فى سبيل إيجاد الوسائل لتدعيم أصول المذهب ، لم يكن ذلك حلا مناسبا لطبيعة التشيع عند الأمامية أو الغلاة وهم يعولون إلى حد كبير على المنحى الباطنى الرمزى فى تناول النصوص أو طريقة بحث ومناقشة القضايا العقائدية ، لذلك فإنه أدى إلى رد فعل أشد من الاجتهاد العقلى انعكس فى حركة الشيخية المتأخرة ، التى تبنت الكشف والفيض ، وطريقة التصوف فى مباشرة الأمور الروحية والدينية – وانتهى المطاف عند "البابيين" فرع الشيخية الذين جمعوا لرؤسائهم أوصاف المهدى الشيعى والقطب الحلولى معا ، وأخيرا خرجوا من التشيع ومن الإسلام ليدعوا إلى دين متصل بفكرة المسيح المنتظر ، بجمع القائم عليه العنصر الإلهى ، والعنصر الإنسانى ، وهو عود إلى آراء الغلاة كالخطابية وغيرهم ممن رأيناهم[١] .

وباختصار فإن الاثنى عشرية افترقت بعد اكتمال سلسلة أئمتها إلى طوائف منها : أخبارية تقبل جميع الأحاديث دون تمحيص ، واجتهادية تستوفى شروط النقد ، وشيخية ، وهى أخطر طوائفها .. وقد كان أهم ممثليهم: الشيخ أحمد الاحسائى (ت ١٢٤١ هـ) مؤسس الطائفة فى القرن الثانى عشر الهجرى .. ورغم أنه قد خالف أصول الاثنا عشرية فى عقيدة المهدى فيقول : أن المهدى سيوجد بالولادة ، وليس شخصا مختفيا[٢] فإن ذلك كان تمهيدا لادعاءات البابية والبهائية فيما بعد بادعاء رؤسائهم المهدية . وعلى ذلك فقد صدر عن تلميذه "كاظم الروشنى" فيما يتعلق بقرب ظهور المهدى قوله " فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى : بالإسلام ينال نعمة تأويل القرآن ، وتظهر وتتلألأ أسرار التنزيل وبواطن هذا السفر

(١) دكتور : كامل الشيبى ، الفكر الشيعى ، ص٦٤.
(٢) دكتور : احمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٤٢٧.

الجليل[1] .

وقد نتج عن فرقة الشيخية فرقتين هما : البابية والبهائية أو الازلية، وقد كان لآرائهم العقائدية وتأويلهم الباطنى الغنوصى آثار سيئة لا تمثل العقائد الشيعية أو الإسلامية بل يمكن لفظها نهائيا من دائرة الإسلام . ويمكن أن تتعرف على بعضها عند كل منهما فى إيجاز شديد من اجل إظهار ضلالهم وفساد مذاهبهم .

٢- البابية :-

لا نريد الدخول فى تفاصيل هذه الفرقة ، فلا يعنينا فى شىء سوى الجانب الباطنى الغنوصى أو الآثار الخارجية والمنهج الباطنى فى التاويل .

وكفكرة عامة ، فإن طائفة "البابية " تنتسب إلى "الباب " وهو السيد على محمد الشيرازى (ولد عام ١٢٣٥هـ) عندما أعلن أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية وسمى نفسه "الباب" (عام ١٢٦٠ هـ) ولا شك أن هذا المصطلح أطلقه أنصار الشيعة فى مهدها الأول على المريد الكبير المفوض من الإمام ، وتردد كتب السيرة الخاصة بأئمة الشيعة الاثنا عشرية أسماء أبواب الأئمة[2] كذلك استعمل لفظ "الباب" عند طائفة الإسماعيلية وهو مرتبة الطبقات الروحية ، وهو فى المرتبة الثانية بعد الإمام، ويرادف عند الإسماعيلية وهو مرتبة أيضا مرتبة (داعى الدعاة) كذلك توجد بعض الإشارات إلى مركز "الباب" وواجباته فى مذهب الإسماعيلية الفاطمية فى كتاب راحة العقل لحميد الدين الكرمانى[3] أما فى وصف نظام الدعوة فى " ألموت"

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٢٧.

(٢) راجعنا ، محمد أمين الطويل ، تاريخ العلويين ، ص١٩٢.

(٣) أحمد حميد الدين الكرمانى ، راحة العقل ، تحقيق دكتور محمد كامل حسن ودكتور محمد مصطفى حلمى ، حـ١ ، دار الكاتب العربى ١٩٥٢.

فإنه ليس هناك من يقف فى وصف واحد مع الداعى الا باب "الباطن" كذلك يأتى "الباب" فى المرتبة الثانية بعد الاسم فى نظام النصيرية ويقال انه هو سلمان نفسه، ويتجسد الباب فى كل دور ، وكان سلمان الفارسى معروفا بين النصيرية "بالباب" لأنه كن معهودا إليه أمر الدعوة ، وأطلقت كلمة "الباب" عند الصوفية للدلالة على المدخل الذى يدخل منه الإنسان . ويستعمل الإسماعيلية كذلك هذه اكلمة استعمالا مجازيا للدلالة على "الشيخ " او الأساس " الذى يعلم الناس أسرار الدين ، ويطلق الدروز أسم "الباب" على الوزير الروحانى الأول الذى يتمثل فيه العقل الكلى "مولاى عقل" .

وعندما أطلق هذا المصطلح على زعيم البابية فإنه يعنى " أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية[1] .

وإذا كانت البابية تزعم أن آخر مبشر بعد الأنبياء والرسل رجلان عالمان هما : الشيخ احمد الاحسائى ، والسيد كاظم الروشتى ، فإن ملا حسين البشرويهى وقع اختياره على السيد محمد على الشيرازى الملقب بالباب . وأصبح هو أول مريديه عندما كان يبحث عن خليفة للسيد كاظم الروشتى ، غير أن ملا حسين البشرويهى ظل يواصل تعاليمه أ]ضا فآمن بها أخوان فى طهران : هما ميزرا تورى: الذى سمى (يصبح أزل) وميزرا حسين على نورى الذى سمى فيما بعد (بهاء الله). كذلك فتاة من قزوين تسمى " زرين تاج " الملقبة (بقرة العين) - ابنه ملا صالح بركانى .. وقد تعرض الباب لحروب واضطهادات كثيرة نتيجة لتعاليمه الباطلة إلى أن (قتل عام ١٢٦٦هـ[2]).

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد (٥) مادة (باب) ص٤٩٩ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ، مادة (باب) .

وفيما يتعلق بالتأويل الباطنى الغنوصى فيتضح من خلال تعاليم البابية التى وضعها الباب من ذلك : أن الباب أعلن (أن على قبل نبيل) وهذا يساوى (على قبل محمد) ، لأن البابية تلقب النبى صلى الله عليه وسلم يلقب " نبيل " كذلك قال : انه مرآه يظهر فيها نفس الله ، كذلك كتب الباب عدة رسائل وهو فى طريقه إلى حج بيت الله : اعتبرت عندهم وحيا إلهيا .

يضاف إلى ذلك إنشاء الباب دينا جديدا له معتقداته وأحكامه وتصوره الخاص لحياة الجماعة : فالله واحد ، وعلى محمد هو المرآة التى فيها يتجلى الله وفيها يستطيع كل إنسان أن يراه ويقول أيضا : أن الله خلق العالم بسبع صفات تسمى حروف الحق وهى : القدر والقضاء والإرادة والمشيئة والأذان والأجل والكتاب وللعدد عندهم شأن كبير ويقدسون العدد (١٩)(١) .

ولطائفة البابية تعاليم وآراء فاسدة وباطلة فى تأويل أركان الشريعة والعبادات وغير ذلك لا داعى لذكرها .

ومما يسترعى النظر حقا أن الباب حشد أفكاره فى كتاب أسماه "الباب" وادعى أنه المقصود بقوله تعالى " خلق الإنسان علمه البيان " سورة الرحمن آية (٣-٤) ، وقد تبلورت نظريتهم فى وحدة الوجود من خلال ما ورد من آرائهم فى تأويل الوجود الإلهى فى الكون يقول الباب أن الله واحد أى ليس له شريك من القوة والقدرة ، وقد خلق الكون ، ولكن هذا الكون ليس شيئا آخر غير الله بل هو مظهر ذاته ، والأنبياء فى الكون مظهرا أكمل لله دائم الاتصال بالأصل الذى نشأ منه ويروى البابية عن الله قوله :

"الحق يا مخلوقاتى أنك انا " فإذا قامت القيامة رجع الخلق إلى الله وفنوا فى

---

(١) لمزيد أنظر ، المصدر السابق ، مادة (الباب) ،ص٤٩٩ ،ص٥٠٣ .

وحدته التى صدروا عنها فيتلاشى إذ ذاك كل شىء إلا الطبيعة الإلهية . وتبعا لذلك أنكر البابية البعث والجنة والنار . وهذا يؤكد ارتباط أفكارهم بالفكر اليهودى .

وقد أعلن الباب كذلك أنه "النقطة" أى منبثق الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله[1].

لقد أول الباب آيات القرآن تأويلا رمزيا أو باطنيا متعسفا طبقا لعقيدة التشيع ففى رسالته المسماة أحسن القصص ، تأويل سورة يوسف تأويلا شيعيا يجعل من يوسف : الحسين والشمس : فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ومن القمر : محمد نفسه أما الأحد عشر كوكبا الذين سجدوا ليوسف فى رؤياه فهم أئمة الحق من آل البيت ، وكذلك يحمل النص القرآنى على معتقدات الشيعة فى تأويل قوله تعالى " إذ قال يوسف لأبيه يا أبت أنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين " سورة يوسف آية (٤) . بقوله قصد الرحمن من ذكر يوسف نفس الرسول وثمرة البتول حسين بن على بن أبى طالب مشهودا ، إذ قال حسين لأبيه يوما أنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم بالإحاطة لى على الحق الله القديم سجدا ، وأن الله قد أراد بالشمس فاطمة وبالقمر محمد ، وبالنجوم أئمة الحق فى أم الكتاب معروفا وهم الذين يبكون على يوسف بأذن الله سجدا وقياما[2].

وهناك الكثير من الآراء والتأويلات الباطنية الفاسدة ، والتى تظهر من خلالها محاولاتهم لإلغاء شرائع القرآن .. كذلك التأويل الروحى لمصطلحات الآخرة التى تظهر فى القرآن والكتب المقدسة من نحو الجنة والنار والموت والبعث .. الخ ومحاولتهم إقرار سنن جديدة وكذلك التى تتعلق بادعاء الباب المهدية وتقديسهم

---

(١) دكتور أحمد شلبى ، مقارنة الأديان - (اليهودية) ص٣١٢ وما بعدها ، ط٣ مكتبة النهضة المصرية -١٩٦٧م.

(٢) نظرنا : دكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٤٣٧ ، ص٤٣٩.

للأعداد خاصة الرقم (١٩) .. غير ذلك[1] .

ولكن تعليقنا على هذا كله : أن هناك مزيج من الآراء والتيارات الشيعية اثنى عشرية وإسماعيلية عند البابية ، فلفظ الباب ، واستخدام الأعداد والحروف ، والطريقة الباطنية فى التأويل الرمزى للآيات القرآنية حسب معتقدات بعض غلاة التشيع الاثنى عشرى توحى بذلك ، غير أن طريقة تأويل النصوص القرآنية عند الباب فاسدة حيث يتضح انه ينسج على منوال آيات القرآن فيمسخها مسخا جعلها أقرب إلى الهذيان منه إلى الكلام المرسل المحكم ، وقد حرف قواعد النحو ، بلا دليل أو برهان صحيح .. وهذا التأويل والمعتقد لا يمثل الإسلام او التشيع المعتدل فى شىء وهو ملفوظ من دائرة الإسلام نهائيا .

٣- **البهائية** :-

تعتبر طائفة البهائية امتدادا لحركة البابية بعدما دخلت الأخيرة فى دور الستر ، ولا نريد أن نتوسع كثيرا فى بحث هذه الطائفة سوى أن نشير إلى الجوانب الباطنية والفلسفية الغنوصية وما فى ذلك من تأويل رمزى باطنى.

والمعروف لدى الباحثين أن ميزرا يحيى نورى اللقب (بصبح أزل) أعلن أنه خليفة " الباب ولكنه اختلف مع أخيه غير الشقيق ميزرا حسين على الملقب (بهاء الله) ، قد أدى هذا الاختلاف بين (صبح أزل وبهاء الله) إلى انقسام البابية إلى فرقتين هما : الأزلية والبهائية . والأزلية عبارة عن دين الباب كما هو واتباعه قليلون الآن ، أما البهائية فى تعتبر الباب إلا سلفا لبهاء الله . وهى منتشرة فى العالم وبين اتباعه عدا الفرس بعض الأوربيين والأمريكيين[2] .

---

(١) لمزيد – دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد (٥) مادة (البابية).
(٢)المصدر السابق ، (مجلده) مادة البابية ، ص٥٥٩.

وإذا كان الفضل فى تكوين مذهب هذه الطائفة يرجع إلى بهاء الله الذى ادعى الأمر لنفسه بعد الباب ، وأعلن أنه المظهر الكامل الذى بشر به أستاذه الباب وفى شخص بهاء الله عادت الروح الإلهية للظهور كى تنجز على الوجه الأكمل العمل الذى مهد له الباب من قبل ، فاعتبر فى نفس الوقت أنه اعظم من الباب لأن الباب هو القائم ، والبهاء هو القيوم الذى يظل ويبقى[1] فإن الفضل فى نشر مبادئ وتعاليم هذه الطائفة بعد البهاء يرجع إلى ابنه عباس أفندى – الذى هو الحجة الأكبر للدين البهائى ، وناشرة فى أوربا وأمريكا . ولد عام (١٨٤٤م) – توفى عام (١٩٣٧م) وقد حاول نشر هذا الدين فى جميع بلدان العالم .. وقد حمل وصيته من بعده شوقى أفندى – وليا لأمر الله (مولى أمر الله) .. والذى عاش فى حيفا منذ عام ١٩٢٣م – التى تعتبر القاعدة العالمية للعقيدة[2] .

وفيما يتعلق بمذهب هذه الطائفة وما يتخلله من نسيج فلسفى باطنى وتأويل رمزى طبقا لعقيدتهم فإن ذلك يتضح من خلال ما ورد فى تعاليمهم المتضمنة فى كتابهم الأقدس (كتاب البهائيــة المقدس) وأول ما نجده من غنوصيات فى هذا المذهب كالنص الآتى : ينادى القائم عن يمين العرش ويقول " يا ملأ البيان تالله هذا لهو القيوم قد جاءكم سلطان مبين ، وهذا لهو الأعظم الذى سجد لوجهه كل أعظم وعظيم " – كذلك نجد هذا التخريج الغنوصى للنصوص الواردة عن على بن أبى طالب يقولون " أن لقب كل منهما يرجع إلى أصل شيعى فقد سأله كميل ابن زياد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن الحقيقة فوصفها على حسب رواية الشيعة بقوله "نور أشرق من صبح الأزل فلاح على هياكل التوحيد وأناره " ، ولما طلب كميل أن

---

(١) دكتور احمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٤٤١ .

(٢) لمزيد يمكن النظر : دائرة المعارف الإسلامية – (مجلد ٨) مادة (البهائية) ص٢٢٣ . كذلك مادة (بهاء الله) ،ص٢١٥،ص٢١٦ .

يزيده على بيانا قال على " أطفئ السراج فقد طلع الصبح ، فعدها خليفة الباب إشارة إلى نفسه ، أما لقب (البهاء) مأخوذ من دعاء الشيعة فى السحر فى الليالى الخيرة من رمضان " اللهم أنى أسألك من بهائك بأبهاء ، وكل بهائك بهى . اللهم أنى أسألك ببهائك كله " فاعتبر البهاء أنه مظهر الله الذى يتجلى فى طلعته جمال الذات الإلهية ، والصورة المنبعثة الصادرة عن الجوهر الإلهى حتى لا يتأتى معرفة الجوهر إلا عن طريقة[1] .

وعقيدة البهائية تنكر وحدة الوجود . فالله هو ذات كاملة فى تعاليها لا يعرف كنهها أحد .. كل طريق إليه محجوب .. ويتمسكون بفكرة الخلق والصدور وفكرة الخلق قديمة قدم الله .. إذ انه لا يمكن بحال أن يكون قد مر وقت لم يكن فيه للعالم وجود . ومن ثم فإن العالم قديم .. والصور التى يتجلى فيها الله هى الأنبياء فهى (مظاهر إلهية) فالرسول مرآة صافية كل الصفاء يتجلى فيها الله .. وانه ما من بشر مهما بلغ من كماله يستطيع أن يرقى إلى حالة النبوة أو المظاهر الإلهية ، لكن تجلى الله فى أنبيائه لن يتوقف بحال ، فالمظاهر الإلهية متتالية .

ولما كانت عقيدة البابية والبهائية تقول بان الباب مظهرا إليها صحيحا لله دامت رسالته تسع سنوات فحسب وتم بهاء الله بعده ، فإن البهائية تجيز أن يأتى بعد البهاء أنبياء آخرون . لكن ليس قبل ألف سنة .

كذلك من حقائق البهائية توحيد الأديان السماوية فى دين واحد والقول بان سلسلة الأديان السماوية لم تتم إلا بظهور البهاء .. وهكذا فى شرح طويل لا داعى لتفصيله حتى لا نخرج عن موضوعنا[2].

---

(١) رجعنا فى ذلك : دكتور : احمد صبحى ، نظرية الإمامة ، ص٤٤١ ،ص٤٤٧.
- كذلك : جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ص٢٤٤.
(٢) لمزيد يرجع ، لدائرة المعارف الإسلامية ، مجلد (٨) (مادة البهائية) .

وجدير بالذكر أن البهائية استخدمت طريقة التاويل الرمزى والتخريج الباطنى للنصوص لكى تبشر بمذاهبهم . فلما كان البهاء يعتقد انه مظهر الحقائق الإلهية ومن ثم المبشر به كبنى جديد فإنه قول المسيح عيس عليه السلام " أن لى أمور كثيرة أيضا لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعوا أن تحتملوها الآن ، وأما متى جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتيه " إنجيل يوحنا (١٦ :١٢ ٢٣) – هذا القول يدل عليه أى البهاء – وهو وحده الذى يعلم ما احتجزه الله لنفسه فى مطلع الإسلام حين قال تعالى " وما يعلم تأويله إلى الله " سورة آل عمران آية (٧) .

كذلك يورد البهائيون أدلة من القرآن والحديث على خروج النبى الجديد يكون من سهول سوريا من عكا – وهذا كذب وافتراء فمثلا قوله تعالى " واستمع يون يناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج " سورة ق (٤١-٤٢) . يرمز هذا إلى البهاء . ويرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدد ذلك المكان بقوله " طوبى لن رأى عكا[1]" .. وهكذا .

وهناك الكثير من أباطيل البهائية وافتراءاتهم على القعيدة الإسلامية والشيعية المعتدلة والتى لا تمثل الشيعة أو الإسلام .

خامسا : التحليل النقدى لمذهب الغلاة من الاثنا عشرية :-

بعد هذا البحث والتحليل لمذهب غلاة الاثنا عشرية فى تناول النصوص الدينية والأحاديث النبوية وتأويلهما طبقا لعقائدهم الغالية فى الإمامة وما يتعلق بها من مسائل أخرى – وتطور هذا المذهب حتى العصور الحديثة عند طوائف "

---

(١)دكتور : أحمد شلبى ، مقارنة الأديان ، (اليهودية) ، ص٣١٤ ،ص٣١٦.

الشيخية" من البابية والبهائية – يتضح أنهم كانوا اشد غلوا فى تأويل النصوص والمأثور من الروايات النبوية بما لا يتفق مع منهج العقيدة الإسلامية الصحيحة والتى يجب أن تحافظ عليها وندافع عنها ضد تيارات الإلحاد والاستشراق – والتمسك بما كان عليه مذهب أهل السنة والسلف الصالح – بل وكما عبر أحد المستشرقين الباحثين فى التراث التفسيرى الشيعى– بأن مناهج هؤلاء الشيعة الغلاة – نسيج سقيم من الأكاذيب والجهالات[1] ويتضح ذلك بإيجاز كالآتى:

أولا : أن حزب الشيعة وغلاتهم قد أحدثوا شرخا خطيرا فى وحدة المسلمين منذ أن ظهروا وحاولوا تدعيم مذاهبهم الدينية والفلسفية بعناصر غريبة عن منهج الدعوة الإسلامية . واستفادوا بالتراث الفلسفى والعقائده السابق عليهم والمعاصر لهم وتأولوا نصوص العقيدة فى ضوئها – مما أدى إلى إدخال ضلالات فى الدين وتولد نظريات فلسفية باطنية ما انزل الله تعالى بها من سلطان .

ثانيا : لقد كانت النزعة السياسية هى الغالبة على منهج غلاة التشيع الاثنى عشرى – والطمع فى السلطة الزمنية دفعهم ذلك إلى تسخير نصوص الدين واستحداث الروايات وتأويلها بما لا يتفق مع أصول اللغة والحقيقة العلمية – فكما رأينا أن مبدئهم فى الإمامة يستند إلى الوصاية والنص – فهى ليست من المصالح العلمية التى يفوض أمرها لاختيار وإجماع المسلمين – بل هى أمر واجب على الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم النص عليه والوصاية له – وهذا دفعهم إلى تخريج واستنباط النصوص واسندوا روايات إلى أئمتهم وتأولوها لكى تخدم أغراضهم السياسية والاجتماعية دون مراعاة لحرمة العقيدة وإجماع جمهور المسلمين ومنهج السلف الصالح .

---

(١) جولد تسيهر ، مذاهب التفسير الإسلامى ،ص٣٣٦ .

ثالثا : الإسلام عقيدة وشريعة وحدة واحدة - ومنــهج واضح وصريح لا اختـلاف فيه ولا تناقض منذ أن بشر به سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم وسار على نهجه الخلفاء والسلف الصالح - فلا نبوة ولا رسالة بعده صلى الله عليه وسلم . وليس هناك غيبة او رجعة فى حق أئمة آل البيت الشريف - وليس هناك حديث يتنبأ بمهديهم . فهذا الحديث خرافة والدليل على ذلك هو اختلافهم فى ظهوره على مر العصور - وكما رأينا فإن كل طائفة تدعى لها مهديا وقد تطور ذلك أخيرا فأدعى غلاتهم من الشيخية . أن المهدى ظهر فيهم فهو أما أن يكون "باب الله " - أو "بهاء الله " . وأدى ذلك بهم إلى دعوى الباطن وتأولوا نصوص القرآن الكريم ، وقارنوا بين ما ورد فى القرآن من قصص للأنبياء وبين أئمتهم - ورفعوا أئمتهم بذلك إلى مرتبة النبوة والحلول الإلهى فيهم.

رابعا : حاول بعض غلاة الاثنا عشرية إيجاد مدلول العقيدة من القرآن الكريم فى الإمامة والعصمة والتقية - والغيبة والرجعة - والمهدية - والعلوم الباطنية السرية - وغير ذلك بما لا يقوم عليه دلائل واضحة فضلا عما يسىء ذلك إلى مذاهبهم وضياعها وسط الاختلاف والخلافات بينهم وبين المذاهب الإسلامية الأخرى . ونظرا لما وقع فيه غلاة الاثنا عشرية من حماقات وتأويلات فاسدة فقد وجهت إليهم حملات النقد والتحليل من أهل السنة ومتكلميهم على لسان شيخ الإسلام ابن تيميه لطريقته الفذة فى بسط وجهة النظر ومناقشة الرأى المعارض بحجة بالغة الإقناع ولا تخلو من تهكم خفى بعقائدهم - فالإمام المفقود (الغائب) لا يعترف بوجوده إلا الشيعة فحسب وهو لا يستطيع أن يؤدى مهام الإمام فى الرعية فلا

ينتفعون به .. وقد ظل أهل السنة إلى وقتنا هذا يتساءلون عن السبب فى عدم ظهور هذا الإمام الغائب الذى تصفه الشيعة بالعصمة والعلم والعدل والرحمة ، فلم يقم دليل واحد على وجود هذا الإمام - بل أن غيابه تعطيل للشريعة لأن من عقائدهم أنه عند ظهوره سيقوم مدافعا عن دين الله والقضاء بين الناس وإظهار مصحف فاطمة وتحقيق أغراض أخرى . وقد تهكم عليهم بعض الشعراء بقوله :-

ما آن للسرداب أن يلد الذى ∴ ملئتون بزعمكم ما آنا[1]

خامسا : يقوم التأويل عند مفسرى الاثنا عشرية على الباطن والرمز - فآيات القرآن الكريم ترمز عندهم إلى آل البيت الشريف - النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلى بن أبى طالب وأبنائه من الأئمة - وهم بذلك يقلدون منهج التأويل عند فلاسفة الإسلام - كابن سينا مثلا فى تأويله لسورة " النور آية ٣٥" قوله تعالى " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ، زيتونه لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور " فنجده يؤول هذه الألفاظ على الرمز طبقا لمنهج الفلسفة فالمشكاة تعبر عن العقل الهيولانى والنفس الناطقة ،والمصباح عن العقل المستفاد بالفعل - فالزجاجة واسطة تصل المصباح بالمشف لأنها قابلة للضوء - والشجرة يعنى القوة الفكرية - يكاد زيتها يضىء فيه مدح للقوة الفكرية - ولم لم تمسسه نار يعنى الاتصال والإفاضة . ولما كانت النار مستعارة ممثلة بالنور الحقيقى فإنها محيطة بالكل .. مثل العقل الكلى[2]

---

(١) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص١٨٧.
(٢) ابن سيناء - تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ، ص١٢٥ ،ص١٢٧.

فابن سينا طبقـا لمنهجـه الفلسـفى يـؤول الآيـة الكريمـة فـى ضـوء مبـادئ الفلسفة اليونانية – بدافع التوفيق بين الدين والفلسفة .. كذلك وجدت هذه النزعة التأويلية الرمزية عنـد فلاسـفة الشيعة الأثنـا عشرية غـير أنـهم أحاطوها بعقائدهم في الإمام وحاولوا كما سنرى في الفصول القادمة تأويل الآيات القرآنية على المنهج الباطنى الرمزى – كذلك ولكنهم أحـاطوا هـذا التأويل بعقائدهم فى الإمامة وتقديس أئمة البيـت– والمثـال علـى ذلـك مـا ذهب إليـه مفسـرهم الكبـير الفضـل بـن الحسـن بـن الفضـل الطبرسـى (ت ٥٤٨هـ) . فى "مجمع البيان فى علوم القرآن " فى تـأويل آيـة النـور (٣٥) وقد ردد المعانى الباطنية التى ترمز إلى عقيدة الشيعة فى توليـه وإمامـة آل البيت – وتأولها على هذا المنهج الرمزى " فيروى عن أبـى جعفـر البـاقر قوله – كمشكاة فيها مصباح أى نور العلم فـى صدر النبـى صلـى الله عليـه وسلم . والزجاجة صدر على. وعلم النبى صلى الله عليه وسلم عليا – يوقـد من شـجرة مباركـة – نـور العلـم .. لا شـرقية ولا غربيـة لا يهوديـة ولا نصرانية – "يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار " أى يكاد العـالم مـن آل محمد صلى الله عليه وسلم يتكلم بالعلم قبل أن يسـأل "نـور علـى نـور" أى مؤيد بنور العلم والحكمة فى أثر إمام مـن آل محمـد صلـى الله عليـه وسـلم وذلك من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم السـاعة فـهؤلاء الأوصيـاء الذيـن جعلهم الله خلفاء فى أرضه وحجة على خلقه لا تخلو الأرض فى كـل عصـر من واحد منهم[1]".

سادسا: فى ضوء منهج التأويل الباطنى الرمزى وفى ضوء عقيدتهم فى الإمام المعصوم

---

(١) دكتور الشحات السيد زغلول – الاتجاهات الفكريـة فى التفسـير – ص٢٢٦ ، ط الهيئـة المصريـة للكتاب ، ١٩٧٥م.

– رفضوا أصول أهل السنة وأصول الإسلام فى الاجتهاد والإجماع يتضح ذلك من قول ابن المطهر الحلى مهاجما أصحاب الرأى القياسى " ذهب الجمع منهم (أهل السنة) إلى القول بالقياس والاجتهاد بالرأى فادخلوا فى دين الله ما ليس منه وحرفوا أحكام الشريعة وأحدثوا مذاهب أربعة[1] .

غير أن غلاة الاثنا عشرية قد تجاوزوا الحقيقة وادعوا بطلانا فأهل السنة لم يجتهدوا أو يقيسوا إلا بنص القرآن الكريم وما نبهت إليه السنة المطهرة وهى المحجة البيضاء التى أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يسيرون بالشريعة الإسلامية طبقا لمنهج السلف الصالح وتطورات العصور المختلفة وما تتطلبه حاجات الناس فى حياتهم العامة والخاصة ولم يبتعدوا عن النص القرآنى أو السنة بتأويل باطنى أو رمزى مجازى متطرف مثل الشيعة بصفة عامة . ولم يستحدثوا خرافات أو ضلالات واهية كما وجدنا عند الشيعة من صفات أسطورية وتأولات خرافية متطرفة هى أبعد ما تكون عن المنهج العلمى الصحيح . بل لم ينتظر أهل السنة إماما غائبا ، ولم يتلقوا علامات سرية أو باطنية مطلقة لا تقبل النقد والتحليل والقياس ، بل كان لهم منهج يقوم أولا وقبل كل شيء على الكتاب والسنة ثم العقل والإجماع . فلم يقبلوا نصا أو رواية أو قاعدة أصولية أو فقهية إلا بعد أن يخضعوها لنص القرآن والسنة وقياس العقل والإجماع فإذا وجدوها لا تتفق مع هذه الأصول والقواعد الأربعة رفضوها تماما وحرموا الأخذ بها . والثابت أن الصحابة والتابعين وتابعهم علماء السنة كانوا يجتهدون بالرأى وإذا وجدوا ما يتعارض مع الكتاب والسنة رفضوه[2] ولا شك أن متكلمى الاثنا عشرية والشيعة المعتدلة قد

(١) ابن المطهر الحلى ، منهاج الكرمة ، ص٩٣.
(٢) الغزالى ، الأحياء ، حـ١ ، (فصل جواز التفسير بالرأى) ط الشعب دون تاريخ .

استخدموا الأدلة العقلية وتبنوا طريقة المعتزلة وأصولهم رغم وجود تنافر بين المذهب العقلى التعليلى لدى المعتزلة والأساس الروحى (الباطنى) الذى يعتمد على التسليم بما يرد عن الإمام والطاعة العمياء له والذى قام عليه التشيع فى جوهرة – وقد نص الأشعرى على فرق متكلمى الشيعة سماهم "القائلون بالاعتزال والإمامة[1]".

سابعا : لقد حدث تطور كبير عند الاثنا عشرية حيث تخلى بعض علمائهم المعتدلين عن التمسك بمبدأ الأخذ عن الإمام المعصوم ورفض الاجتهاد أو القياس وعولوا على الأدلة العقلية فى مناقشة أركان العقيدة الإسلامية فى الأصول : نجد أن المعتدلين حاولوا تأويل النصوص خاصة فى الصفات الإلهية على العقل والمجاز بما يوافق منهج متكلمى الأشاعرة والمعتزلة .

وفى الفروع كانت لهم فقهية من أهل السنة – إذ أن أدلة الأحكام عندهم أربعة هى : الكتاب والسنة والإجماع والعقل – وأن أصول الدين تقوم على الدليل والعلم واليقين وليس على التقليد أو الظن والتخمين[2] . وقد ذكر علماء السنة المحدثين أن المذهب الاثنا عشرى (المعتدل) له أصول مكتوبة تتقارب مع أصول أهل السنة والجماعة وتسير على منهج المتكلمين فى جملتها لكنها تفترق من حيث نفى القياس وقبولهم رواية آل البيت وأشياعهم ولا يقبلوا رواية الجمهور إذا عارضتها رواية اثنا عشرية[3] وقد انبرى مجموعة من العلماء والباحثين من أهل السنة والاثنا عشرية للتقريب بينهما لجمع كلمة المسلمين ضد أعدائهم . وهذا ما نرجوه جميعا فى العصر الحديث .

---

(١) دكتور كامل الشيبى ، الفكر الشيعى ، ص٦١ ، الأشعرى مقالات جـ١ ،ص١١٤ ، ص١٢٩.

(٢) العاملى ، أعيان الشيعة ،جـ١ ،ص٤٦٩ وما بعدها.

(٣) محمد أبو زهره – الإمام جعفر الصادق ، ص١٦ ، ط دار الفكر العربى بدون تاريخ .

الفصل الثالث

ظاهرة التأويل والباطن فى مذهب الإسماعيلية

أولاً : اختصاص الأئمة بالتأويل والباطن :-

كان من أهم دعائم الفلسفة الباطنية الإسماعيلية هو مذهبهم فى التأويل والباطن ، وقد اختص الأئمة بهذا العلم وتلقينه لدعاتهم الذين انتشروا فى أرجاء البلاد يبشرون بالمذهب ويدعون لقيامه وتأسيسه – ولا شك أن التأويل كظاهرة مذهبية ومنهج يقوم على تفسير باطن النصوص الدينية والأمور الطبيعية طبقاً للتعليم الإسماعيلى أدى فى رأى علماء السنة إلى دخول جماعات من الناس فى دعوتهم ومالوا إلى قول الإسماعيلية فى علم الباطن . وتأويل القرآن تأويلاً بعيداً– أبتدعوه بأهوائهم فضلوا وأضلوا عالماً كثيراً[1] .

ومن الجدير بالذكر أن فلاسفة الدعوة حاولوا تخريج الروايات بما يفيد انتساب هذا المذهب الباطنى إلى الأئمة . فالمفكر الإسماعيلى عارف تامر بذكر الإمام جعفر الصادق كعميد لأول مدرسة فكرية فى الإسلام ورئيس لأول مركز لتعليم "الفلسفة الباطنية " وموجد علم الكيمياء وأن مدرسته أنجبت خيرة المفكرين وصفوة الفلاسفة وجهابذة العلماء[2] .

ثم يدلل على معين هذه الفلسفة الباطنية وأصولها من خلال ما ورد عن الإمام جعفر الصادق فى قوله " أن لدينا مكن خزائن علم الله وفوائد حكمته ما لا يحمل منه كل امرئ بمقدار طاقته ويعطاه بحسب استحقاقه وما ينبغى لنا أن نعطى أحداً من أمانة الله عندنا مالا يستحقه[3] ويذكر عن الإمام الصادق قوله "مثل شيعتنا

---

(١) المقريزى . الخطط والآثار ، حـ٤ ،ص١٨٣.

(٢) عارف تامر ، كتاب الحكم الجعفرية – مقدمة من ص١٠،ص١١ ط المطبعة الكاثوليكية ، بيروت،١٩٥٧م .

(٣) المصدر السابق ، ص١٢ ،

مثل النحل لو تعلم الطيور ما في بطونها لمزقتها .." وقوله " احذروا إفشاء السر فإنه ينقص العمر ويعمى القلب ويقطع الرزق[١] وهذه الأقوال تشير إلى ما اختص به أئمتهم من علم الباطن .

وقد حاول دعاة المذهب وعلمائه الإسماعيلية نشر هذا المذهب في التأويل والباطن وتعميمه بين طبقات المسلمين بحذر شديد طبقاً لنظامهم الفكرى " لأن الدين بنظرهم هو أن يتوصل الإنسان بالتمرين المستمر والزمنى من درجة إلى أخرى حتى يصل أخيراً إلى معرفة منازل الكون التى قطعتها العوالم بعد أن انفصلت عبد المبدع المتعالى أو العقل الأول السابق بالوجود المزيل عن نفسه الأنوار للمرتبة التالية أو النفس الكلية .. وقد كان نظام التأويل ينمو هذا النمو عند الإسماعيلية لأنهم أولوا الشرائع الدينية والآيات القرآنية تاويلاً باطنياً يختلف عن ظاهرها[٢] وأقاموا على هذا المذهب نظرياتهم في الإمامة والمعرفة والكون والإنسان كما سنرى في الفصول القادمة .

وإذا كان التأويل ظاهرة عامة انتشرت في مجال الدراسات المذهبية والدينية واتخذت طابعاً عقلياً مجازيا من ناحية وطابعاً رمزياً باطنياً من ناحية أخرى طبقاً للاتجاه المذهبى لكل فرقة دينية معتزلة وأشاعرة أو فلاسفة وصوفية وشيعية وغير ذلك فإن علماء السنة والسلف الصالح واجهوا هذه الظاهرة بما فيها من تيارات متطرفة في تأويل نصوص الدين أو تخريجها طبقاً لأهوائهم . وقد اكد أهل السنة أن هناك شروطاً وقواعد لغوية وقرائن عقلية بالإضافة إلى ضوابط أصول الرواية وأسانيدها وأصول القياس والإجماع . وغير ذلك مما يجب أن يهُتم به في تناول

---

(١) الإمام جعفر الصادق ، رسالة مجالس المؤمنين (ملحق بكتاب الحكم الجعفرية) ،ص٦٠ ، تحقيق عارف تامر ط المكتبة الكاثوليكية ، بيروت ،١٩٥٧م.

(٢) عارف تامر ، مقدمة (أساس التأويل) ،ص١٥.

نصوص الدين وأصوله العقائدية وفروعه .

ولكن يبدو أن الدراسات المذهبية الدينية كانت قد قوى نفوذها وعظيم تأثيرها فى الحياة الإسلامية وانقسم المسلمون فيما بينهم فرقاً دينية متمايزة متباينة المذاهب والأصول[1] غير أن مذاهب الشيعة والإسماعيلية منهم بصفة خاصة تمثلوا ظاهرة التأويل كمنهج باطنى يخدم أغراضهم المذهبية فقط .

ولا شك أن علماء الدعوة جعلوا التأويل وعلم الباطن موقوف على أئمتهم خاص بهم - فهم الراسخون فى العلم والمختصين به - وتأولوا نصوص القرآن وخرجوها على هذا الاعتقاد . والدليل على ذلك ما ذهب إليه صاحب المجالس المستنصرية بقوله تأمل القرآن واستوضح ما فيه من البيان فهو أوضح المعجزات برهاناً وأعظمها حجة وشأنا .. عجز الفصحاء عن الإتيان بسورة من مثله .. وتأملوه فلم تغن عجائبه وتدبروه فلم تنقص غرائبه فلم يستكملوه تنزيلا حتى أخبرهم منزله تعالى أن له تأويلاً فلما سمع أهل الزيغ ذكر التأويل انسلوا أن يصلوا إليه من غير بابه وتركوا المحكم واتبعه المتشابه فأخبرهم الله تعالى بحالهم بقوله " فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون أمنا به"

سورة آل عمران آية (٧) . فالراسخون فى العلم هم قرناء القرآن - ومعدن التأويل والبيان قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم " لا تحرك لسانك لتعجل به أن علينا جمعه وقرأنه . فإذا قرأناه فاتبع قرأنه ثم أن علينا بيانه " سورة القيامة آية (١٧-١٨) فكان بيان التنزيل ملتمساً من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) رجعنا دكتور السيد احمد خليل ، نشأة التفسير فى الكتب المقدسة والقرآن ، ص٥٩ إلى ص٦٠ ، ط الوكالة الشرقية للآثار للثقافة بالإسكندرية ،١٩٥٤م.

فاستفيد منه ما سئل عن شرح بيانه ،وأودع ما لم يبلغ طبقات السالكين إليه عند وصية الذى دل ببلاغته عليه ثم يورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى على عليه السلام " أنا مدينة العلم وعلى بأنها فمن أراد العلم فليأت الباب" .وهذا التخريج للنصوص عند دعاة الإسماعيلية يشير إلى اختصاص الوصى على بن أبى طالب بمعدن العلم الباطن أو التأويل . فقد كان على عليه السلام يفيد فى زمانه من طلب ، ويعرض عمن استنكف ويعلن لأصحابه "سلونى قبل أن تفقدونى " ثم نقل هذا العلم إلى ذريته الذين اصطفاهم الله تعالى لحمله حفظاً وصحفاً . ويؤول الداعى الإسماعيلى على ذلك قوله تعالى " كلا أنها تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة " سورة عبس آية (١١-١٥) بقوله : فالأئمة هم السفرة الحاملون الصحف المطهرة يسلمها الأول منهم إلى الثانى ويأخذها الثانى منهم من سلف من الماضى .. أنهم عاملين بظاهر شرع موجوب ، عالمين بباطن علم محجوب .. ويدعوا المؤمنين منهم إلى الجمع بين ما يقرأ عليهم من الظاهر والباطن[١].

كذلك يؤول دعاة الإسماعيلية قوله تعالى "أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " سورة الأنعام (١٥٣) بان المراد بذلك الإشارة والرمز إلى على بن أبى طالب الذى هو صراط الله المستقيم الذى يقوم بظاهر التنزيل وينفخ فيه بالبيان روح التأويل[٢] .

ولما كان الإمام أو الوصى يختص بعلم الباطن أو التأويل ، فإنه كتاب ناطق

---

(١) الداعى ثقة الإمام علم الإسلام - المجالس المستنصرية - المجلس الأول ، ص٢٥ ،ص٢٧ كذلك الداعى الإسماعيلى ، المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الشيرازى ، سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، ص١٦ ، ص١٧ تحقيق دكتور محمد كامل حسين ط دار الكاتب العربى ١٩٤٩م.

(٢) المؤيد فى الدين ، هبه الله بن موسى الشيرازى ، المجالس المؤيدية (مجلس ٧٨) ملحق بكتاب المجالس المستنصرية ، ص١٤٩ ، تحقيق دكتور محمد كامل حسين .

فالتأويل يقابل القرآن الكريم – الكتاب الصامت أو التنزيل[١] .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الظاهر هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم والباطن هو معجزة الأئمة من ذريته . وهو علم مستودع فيهم[٢] لذلك يقول أخوان الصفاء أن للكتب النبوة تأويلات وتفسيرات غير ما يدل عليه ظاهر ألفاظها يعرفها العلماء الراسخون فى العلم[٣] وهم الأئمة ، وعنهم وحدهم يؤخذ هذا العلم الذى يرثوه خلفاً عن سلف – فعلم الباطن إذا أختص به علىّ عليه السلام وورث الأئمة من نسله التأويل[٤] ولا شك أنهم قد أضفوا عليهم قدسية خاصة بهم .

ثانياً :- نظرية الظاهر والباطن :-

يقوم المذهب الشيعى الإسماعيلى على نظرية أساسية لها دور كبير فى كيان المذهب وهى نظرية "الظاهر والباطن" وهى تقابل فى مصطلحات الإسماعيلية التى نجدها منتشرة فى مؤلفاتهم الفلسفية و الفقهية " التنزيل والتأويل" أو "المثل والمثول " أو العمل والعلم " . وهذا يقابل العوام أهل الظاهر – والخواص أو الأئمة " الراسخون فى العلم" وهم أهل التأويل والباطن.. وهكذا نجد مثل هذه المقابلات بين المصطلحات والألفاظ عند الإسماعيلية بصفة خاصة وعند الشيعة بصفة عامة . وهذا يدلنا على ما بلغه دعاة الإسماعيلية وعلمائهم من ازدواجية فى العقيدة الدينية بل ومحاولة تطبيق ذلك على الموجودات السماوية والأرضية ، أو محاولة تطبيق عالم الآفاق على عالم الأنفس – وهذه النزعة وجدناها متأصلة فى الفلسفات الباطنية السابقة على المذهب الإسماعيلى خاصة عند غلاة التشيع .

---

(١) المصدر السابق ، مجلس (٣٨)، ص١٦٧.
(٢) الداعى الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، أساس التأويل ،ص٣٢.
(٣) أخوان الصفاء ، الرسائل ،حـ٢ ،ص١٧٩.
(٤) للمزيد ، دكتور محمد محمد حسين ، المتنبى والقرامطة (مقال منشور بمجلة كلية آداب إسكندرية) مجلد (١٨) ، ص١٠ ط ١٩٦٤م.

وقد استند دعاة الإسماعيلية فى ذلك إلى بعض النصوص القرآنية مثل قوله تعالى " ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكـم تذكـرون " سـورة الذاريـات آيـة (٤٩) إذ يذهب الداعى الإسماعيلى النعمان بن محمد إلى " أنه لا بد لكل محسـوس مـن ظـاهر وباطن ، فظاهرة ما تقع الحواس عليه وباطنة ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيــه ، وظاهرة مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه . ويستدل على الظاهر والباطن بقولـه تعـالى " واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة " سـورة لقمـان آيـة (٢٠) وقولـه تعـالى " وذروا ظاهر الأثم وباطنه " سورة الأنعام آية (١٢٠) ثم يشير إلى اختصاص التأويل بالبـاطن بقوله تعالى " هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسـوه مـن قبـل قـد جاءت رسل ربنا بالحق " سـورة العـراف (٥٣) ويـروى فـى ذلـك حديـث ورد عـن الرسول صلى الله عليه وسلم " ما نزلت على من القرآن آيــة إلا ولهـا ظـهر وبطـن[1]" وهذا الحديث كما ذكرنا سابقاً منتشر لـدى المذاهـب الإسـلامية الأخـرى ، بأسـانيد متعددة[2] .

وتتأكد الصلة بين التأويل ومذهب الباطن عند الإسماعيليــة عنـد مـا يذهـب دعاتهم للقول "لقد أفترى على صاحب الشريعة مـن أنكـر تأويلـها كمـا لا يجـوز أن ينسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن ليس فى شريعته ولا فى كتاب العزيز إلا مـا يحمل على الطبيعة الجسمانية فقط ، هذا ما لا يقوله أحد بل أن القرآن حجتـه علـى العالم .. والرسول يقول ما نزلت على آيــة إلا ولهـا ظـاهر وبـاطن .. ثـم يذكـر فـى موضع أن ، بان لكل مخسوس فى الأرض تأويل موافق لظاهرهـا[3] . ويـرى داع آخـر

---

(١) الداعي الإسماعيلي الأجل النعمان بن محمد بن حيون ، أساس التأويل ،ص٣١،ص٣٢ .

(٢) ذكر الفضل العراقى فى كتابه المغني عن حمل الأسفار فى تخريج ما فى الأحياء من أخبار بـهامش أحياء علوم الدين ، ص٩٩ ، قوله نو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . أن القرآن ظاهراً وباطنـا وحدا ومطلعا الحديث ابن حيان فى صحيحة من حديث ابن مسعود بنحوه .

(٣) الداعى الإسماعيلى ، على بن محمد بن الوليد – ، تاج العقـائد ومعـدن الفوائـد ،ص١١٧ ،تحقيـق عارف تامر المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

أن المؤمن واقف على الظاهر والباطن مثل الموت والنفخ جاريان كليهما عليـه .. وكما أن الموت واحد والنفخة اثنتان كذلك الظاهر شيء واحد وهو الشريعة والباطن شيئان : تأويل وتأييد[1] .

ولما كان الإسماعيلية يذهبون إلى أن لكل ظاهر باطن ، ولكل تنزيل تأويل وقد شملت هذه النزعة اتجاهاتهم وعقائدهم العملية (الشرائع والعبادات) والنظرية (الفلسفية الباطنية) فإنهم أولوا كل ما فى القرآن وقالوا : أن الوحى ليس إلا صفاء النفس ، وإن الشعائر الدينية ليست إلا للعامة ، أما الخاصة فلا يلزمه العمل بها وأن الأنبياء سواس العامة ، إما الخاصة فأنبياؤهم الفلاسفة وليست هناك معنى للتمسك بحرفية القرآن ، فهو رموز لأشياء يعرفها العارفون ويجب أن يفهم القرآن على طريقة التأويل (المجاز أو الرمز) وللقرآن ظاهر وباطن ، ويجب أن نخترق حجب المادة حتى نصل إلى أطهر ما يمكن من الروحانية . ومن ثم أطلق عليهم "الباطنية"[2].

وعلى ذلك فإن الظواهر فى تصور الإسماعيلية تعبر عن القشور والأشياء الحسية .. وهذا ينطبق تماما على عقائدهم الدينية ، أما الباطن فيمثل الحقائق واللب والأساس الذى يجب أن يعول عليه[3] قال المؤيد فى الدين داعى دعاة الإمام المستنصر بالله الفاطمى "فى المجالس المؤيدية" - "أعلم يا أخى أن كل شيء من الموجودات فى هذا العالم ظاهرا وباطنا ، فظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ . وقد سأل الإمام جعفر الصادق عن الحاجة إلى اتخاذ الباطن فى الحجب

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين أبى فراس ، الإيضاح ،ص٤٧، تحقيق عاف تامر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، حـ١ ،(مادة الباطنية) ص٨٨.

(٣) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ،حـ٣ ،ص٢٠٨.

والعدول بها عن طريق الإيضاح والإظهار فأجاب : هى الحاجة لاتخاذ الحب فى أغطية السنابل ، والثمار فى الأغشية يستخلصها ذو البصائر والأبصار ، فيبين الله فضل المجتهدين على المقصرين ، والمجاهدين على القاعدين . ويقول المؤيد فى الدين مشيراً إلى الإمام :

يستخلص الأرواح من ظلامها ∴ يخرج الثمار من أكمامها[١]

كذلك يذهب فلاسفة الإسماعيلية من أخوان الصفاء إلى أن لكل شىء من الموجودات فى هذا العالم ظاهراً وباطناً ، وظواهر الأمور قشور وعظام،وبواطنها لب ومخ ، وان الناموس هو أحد الأشياء الموجودة فى هذا العالم منذ كان الناس وله أحكام وحدود ظاهرة بينه يعلمها أهل الشريعة وعلماء أحكامها من الخاص والعام ولأحكامه وحدوده أسرار وبواطن لا يعرفها إلا الخواص منهم والراسخون فى العلم[٢] .

والذى يتضح لنا من هذه الآراء السابقة والتى تحتوى عليها نظرية الظاهر والباطن عند الإسماعيلية إنها تنطوى على فكرة رئيسية أو مبدأ أساسى وهو (الرئيس الروحى أو الإمام) الذى يعتبر وجود ه ضرورياً فى كل عصر وزمان لينطق بالقرآن ويقوم بالفصل فى القضايا والأحكام[٣] وهذا الاعتقاد السائد فى المذهب الإسماعيلى بصفة خاصة يشير إلى ضرورة وجود الإمام الذى يختص بالتأويل أو يعلم الباطن فى مقابل علم الظاهر .

وبناء على نظرية العلم الباطن أو التأويل ، فإن عقيدتهم تقوم على العمل والعلم (أى ما يعرف بالظاهر والباطن) فالظاهر عندهم هو القيام بأداء جميع

---

(١) لمزيد : محمد بن الحسن الديلمى – بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، ص٢١.
(٢) أخوان الصفاء ، الرسائل ، حـ١ ،ص٢٥٥ ،المطبعة العربية .
(٣) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ، ص٣٤ .

الفرائض التى وردت فى القرآن وفى الأحاديث وقد لا يختلفون كثيراً عن جمهور المسلمين ، ويتضح هذا من خلال مؤلفاتهم الفقهية مثل ما جاء فى كتاب "دعائم الإسلام" فيشير إلى أن دعائم الإسلام هى :الصلاة والزكاة والطهارة والصوم والحج ، والجهاد ،والوصية والاعتراف بجميع الأنبياء والرسل ، على نحو ما يؤمن به المسلمون[١]. وهذا كله هو ظاهر العبادة العملية، غير أن دعاتهم يحاولون تأويل هذه العبادة الظاهرية على معان ودلالات باطنية . وهذا التأويل أو الباطن الذى يختص به أئمتهم ودعاتهم هو ما يعرف عندهم بالعبادة (العملية) أو الباطنية.. وهى تقوم على أساس أن لكل عمل وكل قول تأويلاً خاصاً لا يعرفه إلا أئمتهم وعلمائهم . وهذا التأويل الباطنى هو الذى يفرقهم عن إخوانهم المسلمين ، بل ربما يبعد الهوة بينهم وبين المذاهب الأخرى . وربما نجد أن غلوهم فى التأويل الباطنى حدث بسبب إسباغ مناقب خاصة أو صفات غالية على أئمتهم .. وقد تتابعت هذه النزعة فى مذهبهم حتى العصر الحديث حيث أن طائفة الدروز قد اهتموا بالتأويل وتركوا الظاهرة تركاً تاماً[٢] .

ونجد إشارات واضحة لدى دعاة الإسماعيلية إلى هذه النزعة المزدوجة فى العبادات . يذهب "حجة العراقين" – حميد الدين الكرمانى " بقوله : لما كان لكل شىء طريق ، وطريق الجنة والخلوص إلى النعيم والمسرة (العبادة) وكانت العبادة عبادتين : عبادة بالعمل ،وعبادة بالعلم ، وكانت العبادة بالعمل هى المأخوذة بها أولا فى سلوك طريق الجنة لما فيها من تقويم النفس ورياضتها فى كسبها الفضائل الخلقيةَ التى هى كالمادة للفضائل الصورية التى تكسبها العبادة الأخرى التى تكون

---

(١) نظرنا : دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ، ص٨٣ ، كذلك الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون ، دعائم الإسلام ،حـ١ ،ص٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص٨٣،ص٨٤.

(بالعلم) .. وينبه إلى ضرورة التمسك بالعبادات الشرعية[١] .

وأن كنا نلاحظ مدى تمسك الإسماعيلية أو تعويلهم على الباطن غير أنـهم لا يذهبون إلى ترك الظواهر ، بل يشددون فى ضرورة الجمع بين العبادتين لكى يحضل الكمال يقول الداعى الإسماعيلى : أن الحكمة والفلسفة العقلية هى الحكمة الشرعية سواء لأن الله سبحانه خلق فى عباده حكماء وعقـلاء ، ومحـال أن يشـرع لهـم شـرعاً محكم وغير معقول ، وأن الشارع قد وضع أحكام شريعته وعباداتها متضمنة للأمـور العقلية والأحكام والمعانى الإلهية،وما يتخصص فيـها مـن الأمـور الظـاهرة المشـاكلة لظاهر الجسم ، والأمور الباطنية المشاكلة للعقل والنفس ، فكل من حقق ذلـك كـانت معتقدات سالمة[٢] .

وإذا كان مذهب الباطن عند الإسماعيلية يقوم على ركنين :-

الأول :- تأويل القرآن والشريعة وقد برع فى ذلك دعاتهم أمثال القاضى النعمان بـن حيون وجعفر بن منصور اليمن .

الثانى :- وهو الأهم من الأول (الحقائق) أى ذلـك المنـهج الإسمـاعيلى فـى الفلسـفة والعلم الذى يتسق مع الدين ويكشف عما ينطوى عليه باطنة من أسـرار . وهذا المذهب يمكن أن نعتبره ثمرة للعقل الإسـلامى فـى القـرن الرابـع أو الخامس الهجرى[٣] وهو يشـبه مذاهـب الفلاسـفة ، فـلا شـك أن الفكـرة الظاهرة والباطن أثر واسع فى مذاهب الإسماعيلية وأخوان الصفاء ووجدوا فيها بابا للتأويل ، وأسلوباً لكتابة جعلوا ظاهرهـا غـير باطنـها ..ولكـى يسهل انتشار تلك الأفكار غلفوها بالعلم وصبغوها بصبغة المعرفة ولمحوا

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، احمد حميد الدين الكرمانى ، راحة العقل ،ص٣٠ -ص٣٤.
(٢) الداعى الإسماعيلى : المطلق على بن محمد الوليد ، تاج العقائد ، معدن الفوائد ص١٠١.
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٣ (مادة الإسماعيلية) ص٣٨٩٩.

إليها بالرموز والإشارات[١] .

وحيث أننا نعتقد بأن العقيدة الإسماعيلية تتوقف على معرفة الظاهر والباطن ، وتأويل الباطن بصفة خاصة ، غير أن تطور الأحوال السياسية والاجتماعية عبر التاريخ كان له تأثير على تطور النظريات والعقيدة الإسماعيلية واختلافها من قطر إلى قطر آخر الأمر الذى أدى إلى ظهور عقائد إسماعيلية متضاربة تتراوح بين الغلو والاعتدال ، لذلك ظهر بعض الدعاة فى محاولة للتوفيق بين الآراء المتضاربة أمثال الداعى الإسماعيلى وفيلسوفهم الكبير أحمد حميد الدين الكرمانى[٢] فقد حاول التوفيق بين آراء كل من الداعى التخشبى فى كتابة "المحصول" ،وبين آراء كل من أبى حاتم الرازى فى كتابه " الإصلاح" وآراء الداعى أبى يعقوب السجستانى ، الذى حاول الدفاع عن آراء التخشبى عندما هاجمه أبا حاتم الرازى ، ومن ناحية أخرى فقد ظهر اختلاف التأويلات بين دعاة المذهب . لذلك نلاحظ نزعة الغلو فى التأويل فى بلاد اليمن وفارس حيث نجد التأليه الصريح للأئمة ورفع التكاليف الشرعية .. فتأويل الصلاة مثلا : هو الاتجاه القبلى نحو الإمام ، والصوم : هو عدم إفشاء أسرار الدعوة والحج : هو زيارة الإمام .. الخ[٣] . أما دعاة المغرب ومصر فكانوا يتمسكون بعدم إذاعة الآراء والأسرار للناس ويكتفون بذكرها فى كتبهم السرية الخاصة ، بل ذهب بعض الفاطميين فى مصر إلى إعلان ذم الآراء الغالية إمام الناس مع إيمانهم الحقيقى بها[٤] .

---

(١) حنا فاخورى ، د. خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، حـ١ ،ص٢٤٦.
(٢) نظرنا : الكرمانى - كتابة الرياض فى الحكم بين الصادين (كتاب الإصلاح والنصرة) تحقيق عارف تامر ط بيروت ١٩٦٠ .
(٣) دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٨٣.
- كذلك محمد بن مالك الحمادى ، كشف أسرار الباطنية ، تحقيق أنور العطار .
(٤) المصدر السابق ،ص١٨٣، كذلك دكتور حسين إبراهيم ، طه شرف ، المعز لدين الله الفاطمى (إمام الشيعة الإسماعيلية بمصر) ، ص٣٤٩ .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أنه لما كان علم الباطن أو التأويل الأساس فى الأحكام الظاهرة للعبادات والمعاملات فى التنزيل فى المذهب الإسماعيلى أو عند الباطنية[1] فإن دعاتهم حاولوا المزج بين الجانبين الظاهرى والتنزيل وبين (الباطن) التأويل أو المعانى السرية التى يتضمنها الظاهر طبقاً لمذهبهم ، وذلك فى مؤلفاتهم وكتبهم فى الحكمة والفلسفة والإلهيات وكذلك العبادات والأحكام الفقهية . وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منها .. أن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية وفقهائها دئبوا على ذكر الجانب الباطنى والدلالات الرمزية لمعانى الألفاظ والقضايا العقائدية والفقهية أما خلال مؤلفاتهم وتعاليمهم التى انتشرت فى عهد ظهور الدعوة فى بلاد المغرب أو فى مصر أو فى اليمن وغيرهما ، وأما فى كتبهم السرية والتى امتازت بالإغراق فى فلسفة الباطن والتى لم يكتب لها الذيوع والانتشار ، فقد ضرب الداعى الإسماعيلى "جعفر بن منصور اليمن" بأوفر سهم فى التأويل الإسماعيلى وقد ترك كثيراً من الآثار العلمية التى لا تزال عند البهرة إلى اليوم ، ومن أهم مؤلفاته كتاب "تأويل الزكاة" وفيه تقف على غلو الإسماعيلية فى تأويلهم ، حتى لقد ذهب هذا الفقيه الإسماعيلى إلى تأليه الأئمة – مؤيداً فى ذلك نظرية الدعوة تقول " من عرف إمام زمانه عرف ربه" ولا شك أن كتاب "الزكاة" به كثير من مبادئ القرامطة الخارجة على الدين ، كذلك كتابه "الكشف" وهو فى التأويل الغالى حيث أول بعض آيات القرآن تأويلاً فيه شىء من الغلو فيؤول قوله تعالى"والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد التين " سورة التين (١-٣) على الدلالة الرمزية الآتية :

---

(١) هانز هينرسن شيدر ، نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين (ملحق بكتاب الإنسان الكامل فى الإسلام دراسات ونصوص غير منشورة) ،ص٣٠، ترجمة دكتور عبد الرحمن بدوى ،ط مكتبة النهضة المصرية ،١٩٥٠م .

التين: الحسن ، والزيتون :الحسين ، وطور سينين : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا البلد الأمين : على بن أبى طالب[١] .

وإذا انتقلنا إلى فقيه الدعوة الإسماعيلية القاضى النعمان بن محمد بن حيون نجد صورة واضحة فى ذكر الدلالات الباطنية والرمزية لمعانى الألفاظ والقضايا الشرعية ، غير أنه امتاز بنوع من الاعتدال خاصة فى مؤلفاته الفقهية الظاهرية فى عهد الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر وتحاشى إثارة الدعاية السنية ضد المذهب الفاطمى . لذلك فإنه حاول المزج بين الظاهر والباطن لجذب أفئدة الناس إلى اعتناق وقبول تعاليم الدعوة .. من خلال مؤلفاته الفقهية التى تشمل وجهى الظاهر والباطن .. فقد ذهب القاضى النعمان بن حيون فى كتابه " دعائم الإسلام" إلى شرح الشرائع وأركان العقيدة الإسلامية مستنداً فى ذلك إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وروايات أهل البيت .. والأئمة بصفة خاصة ، على نحو ظاهرى[٢] ، ولكنه شرع بعد ذلك فى تأويل وشرح ظواهر حدود الدين على منهج الباطن من خلال مجالس الدعوة فظهر كتابه المسمى "تأويل الدعائم فى عدة أجزاء حيث يذكر الدلالات الرمزية والباطنية لظواهر حدود الشرع وفرائضه فى العبادات .. ومنهجه فى ذلك أنه يذكر الجانب الظاهرى للشرائع والعبادات ثم يستتبع ذلك بالتأويل الباطنى للظواهر ، طبقاً لتعاليم المذهب الإسماعيلى فى الصلاة ، والزكاة ،والصوم والحج،والجهاد .. وغير ذلك .. وعلى سبيل المثال : يذهب فى تأويل مناسك الحج على الباطن بقوله "تأويل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أنه لما دخل المسجد الحرام فى حجة الوداع بدأ بالركن فاستلمه ثم أخذ فى الطواف

(١) دكتور حسن إبراهيم ، المعز لدين الله الفاطمى ، ص٢٦٨،ص٢٦٩.

(٢) يمكن الرجوع فى ذلك إلى : القاضى النعمان بن محمد ، كتابة دعائم الإسلام فى عدة أجزاء.

.. فهذا هو الواجب أن يبتدأ فى الحج الظاهر باستلام الركن ثم يؤخذ بعد الطواف بالبيت .. وتأويل ذلك فى الباطن هو : مثل مكة (البيت) فى البطن مثل صاحب الزمان من كان من نبى أو إمام فى كل وقت .

ومثل الركن : مثل حجته وأن الدعوة المستورة تكون الحجة إذا أقامه الإمام فيه .. وأن مثل الحجر الذى فى ركنه الذى يستلم : مثل حجته ، وهو وصية الذى تصير إليه من بعده .. أما تأويل ما جاء عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال " ما من عبد مؤمن طاف بهذا البيت أسبوعاً وصلى لله ركعتى طوافه فأحسن صلاته وطوافه إلا غفر الله له " فهذا فى الظاهر كذلك أمر مرغوب فيه مرجو ثوابه ، وتأويله فى الباطن هو : أن البيت : مثله مثل صاحب الزمان من كان من نبى أو إمام، ومثل الطواف به : مثل تمسك أهل الدعوة الحق بإمام زمانهم .. وإقبالهم عليه وابتغائهم فضل ما لديه من العلم والحكمة . ومثل طواف حجيج البيت فى الظاهر بالبيت أسبوعا : مثل إقرار أهل دعوة الحق بالنطقاء السبعة والأئمة السبعة الذين يتعاقبون الإمامة بين كل ناطقين سبعة منهم بعد سبعة . ومثل الركعتين فى الظاهر : مثل إقامة الظاهر والباطن فى دعوة الحق .. فالصلاة مثلها فى الباطن مثل دعوة الحق ،وإذا أقامها المؤمن غفر الله له[1] .

ويذكر فى موضوع آخر وجه التأويل الباطنى فى "غسل البيت" ويعطى مثالاً لذلك أثناء غسل الرسول صلى الله عليه وسلم طبقاً لعقيدة الإسماعيلية فى الوصاية يذكر تأويل قول على عليه السلام " قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل معك يتولى غسلى .. قلت فمن يناولنى الماء قال :" يناولك الفضل وقل له فليغط

(١) القاضى النعمان بن محمد (قاضى قضاه الدولة الفاطمية فى عهد المعز لدين الله الفاطمى) تأويل الدعائم ،حـ٣ ،ص٢٠٩،ص٢١٢. تحقيق محمد حين ألا عظى،ط دار المعارف بمصر ١٩٧٨٢ .

عينه، فإنه لا يرى عورتى أحد غيرك إلا عمى" .. ويذكر المعنى الظاهر من الحديث ثم يقول الفقيه الإسماعيلى فى تأويل الباطن : ومثل العورة هاهنا : مثل خفى علم الباطن ، والتأويل الذى لا يطلع الأنبياء عليه إلا الأوصياء ولا يعلمه غيرهم .. فعلم الباطن الخفى لا ينبغى أن يعلمه من قبل النبى غير الوصى (على عليه السلام) فإذا استرق ذلك مسترق من حيث لم يؤذهن له فيه ولم يعطه عمى العمى الباطن ، والعمى فى الباطن الضلال ، فيضل عن الهدى لاختطافه ما ليس له[1] .. وفى موضع آخر يذكر " أن الله جعل كل شيء مما تعبد العبادية ظاهراً وباطناً وافترض عليهم أن يأتوا به كذلك . ودل بما أودع أولياءه من الحكمة والبيان على ذلك ليؤدوه إلى من استجاب لهم وأقبل عليهم وأخذ منهم[2] .

هكذا نجد أن نظرية الظاهر والباطن أو التنزيل والتأويل من أهم الأصول التى يبنى عليها هيكل المذهب الإسماعيلى وتقوم عليها فلسفتهم الباطنية فى الإمامة والإلهيات وعالم الإبداع .. الخ بل أنها تشمل نظام الدعوة ومناهجها وأن كنا نلاحظ نوع من التقارب بينهم وبين طريقة الصوفية والفلاسفة غير أننا كما سنوضح فيما بعد نجد أن مستوى التقارب قد يكون ظاهرى أما المضمون فهناك اختلاف واضح بين كلا المنهجين الشيعى والصوفى طبقاً للنزعة المذهبية التى تحكم كلاهما .

وبغض النظر قليلاً عن غلو مذهب التأويل الإسماعيلى فى حق الأئمة والنظريات الأخرى ، فإنه من دواعى الأنصاف أن نذكر أن دعاة المذهب الإسماعيلى وفقهائه بصفة خاصة فى عهد ظهور دولتهم الفاطمية كثيراً ما كانوا يشددون فى

---

(١) المصدر السابق ،ص٢١،ص٢٢.

(٢) القاضى النعمان بن محمد ، تأويل الدعائم ، حـ٢ ،ص٨٦.

ضرورة التمسك بالظاهر إلى جانب الباطن ، خاصة فى مؤلفاتهم الفقهية أو التى تضمنت مذاهبهم فى الشرح والتأويل .. إذ يذهب فقيه الدعوة النعمان بن حيون بعد ذكر الجانب الباطنى فى تأول قصة "آدم" إلى القول " فلا يتوهم السامع أنا إذ ذكرنا باطن الجنة نفينا أن يكون ثمة جنة خلد ودار نعيم ، وإذا ذكرنا باطن النار نفينا بذلك أن يكون ثمة نار ودار عذاب ، أو متى ذكرنا تأويل شيء من الباطن أبطلنا من أجله الظاهر نعوذ بالله من ذلك لأنه لن يقوم ظاهر إلا بباطن ، كما أنا لا نشاهد فى هذه الدنيا روحاً تقوم فى البشريين إلا فى جسد ولا باطن إلا وله ظاهر ، ولولا الظاهر الذى يقع عليه أسم الباطن ، فأفهموا هذا معشر المؤمنين فهماً تاماً متقناً فإن أكثر من هلك من أهل العلم إنما هلك من هذا الوجه .. فآمنوا بمظاهر ما انزل الله وباطنه[1]..

ثالثاً : منهج الدعوة الإسماعيلية :-

التأويل من أهم ركائز الدعوة فى المذهب الإسماعيلى ، بل أن ظاهرة التأويل تشمل منهج الدعوة من جميع النواحى الفقهية والفلسفية ، إذ أن التأويل والإغراق فى الباطن أتاح الفرصة أمام دعاة المذهب للتخلص من العقبات المحتملة أمام انتشار الدعوة فى عهد الستر وفى عهد الظهور . وأتاح لحملة المذهب الإسماعيلى المجال فى سبيل جذب أعوان كثيرين وستر الآراء والتعليم أمام خصومهم إذ سرعان ما كان الدعاة ينزلون الألفاظ ويتأولون المصطلحات والنصوص على معانى ودلالات طبقاً للنزعات العقائدية أو السياسية .. وإذا كان للتأويل والباطن أثر فى الفلسفة الإسماعيلية وظهور نظريات فلسفية تعتبر ثمرة التطور العقلى فى القرن الثالث والرابع الهجرى ، غير أنه كان يشكل أكبر خطورة على أركان الدين وأصول العقيدة الإسلامية .

---

(١) القاضى النعمان بن حيون ، أساس التأويل ، ص٥٣ (قصة آدم).

وذلك بظهور نظريات وآراء بعيدة عن روح الإسلام الحقيقى ، إذ يحتم على الناس اعتقاد مبادئ وتعاليم تعسفية دون مناقشتها أو معرفة أسباب وجودها .

وعلى ذلك فإن منهج الدعوة فـى المذهب الإسماعيلى تأسس علـى التـأويل والإغراق فى الباطن – وهذا ما نجده من خلال تتبع نظام الدعوة الإسماعيلية .

كان من خصائص مذهب التشيع استعمال "التقيـة " وهـذا المبـدأ كمـا عرفنـا سابقاً يمثل حجر الزاوية فى الحفاظ على أركان الدعوة وذيوعها عبر الأجيال ، وهى تعنى "المداراة" وعدم إفشاء أسرار المذهب أمام خصومـهم . ولكـن هـذا المبـدأ يشـكل أهمية كبيرة فـى نظـام الدعـوة الإسماعيليـة وبصفـة خاصـة فـى دور "السـتر" قبـل الظهور، بل اعتبره دعاة المذهب وأئمته دين عقيدتهم ، ولا يأتون بـه مـن فـراغ بـل يستندون فى ذلك إلى نصوص القرآن وبعض الروايات عن أئمة الشيعة من أهل البيت النبـوى الشـريف . ونجـد العديـد مـن الروايـات والأحـاديث منتشـرة فـى كتـب الإسماعيلية وثيقة الصلـة بالأئمـة تدعـو إلى ضـرورة المداراة والصمـت وعـدم إفشـاء الأسرار فى دولة الطواغيت .. قال الإمام جعفر الصادق بن محمد علينا منه السلام : "شيعتنا الخرص لا عيب فيهم " وقال.. الصمت فى دولة الطواغيت عبادة . وقال " التقية دين الله والتحصين سيفه ولولاهما ما عبد الله .. وقال "المؤمـن الضعيـف أقـرب إلى الله من الكافر القوى إذا لم يحترز ولم يغتر به والتقية واجب علـى كـل مؤمـن ، كما جاء بالقرآن الكريم "وان تصبروا وتتقـوا فـإن ذلـك مـن عـزم الأمـور " سـورة آل عمران ١٨٦ وقال أيضاً فى تفسير المراد بالتقية : " حيـاة المؤمـن لا تتـم إلا بالصـبر والمداراة ".. "ومداراة الناس دين ثابت (١)" وهكذا نجد أن الإسماعيلية مثل إخوانهم الشيعة الأمامية اصطنعوا مبدأ التقية للحفاظ على كيانهم ، وتعاليمهم وعدم إفشائها إلا لأهلها فقط – خاصة فى دور الستر . وجدير بالذكر أن تعاليمهم ومناهجـهم فـى

---

(١) الإمـام جعفـر الصـادق ، رسـالة مجـالس المؤمنـين (ملحـق بكتـاب الحكـم الجعفريـة) ص٦٠ – ص٦٢، ص٦٨، ص٦٩ ، للمزيد من ص٧٠ إلى ص٧٦ . تحقيق عارف تامر .

التأويل والباطن قد تدعمت وفرحت خلال هذه الفترة التى سبقت عهد ظهور الدعوة على المسرح السياسى والدينى فى جميع أرجاء العالم الإسلامى وأسفرت عن الدولة الفاطمية فى مصر . والمعروف أن من خصائص منهج الباطنية هو التلون حسب البيئة التى يوجدون فيها ، ويتكلمون مع الناس على قدر عقولهم ودرجاتهم[1] ويتضح لنا أن نظام دعوتهم ومنهجهم كثير الشبه بمناهج الفلاسفة وتعاليم اليهودية والنصرانية ، بل وبعض العقائد الأخرى . ورسائل أخوان الصفاء خير دليل على ذلك كذلك فإن النزعة الرمزية الباطنية لدليل يؤكد مدى استعمال التقية والمداراة فى نشر التعاليم وعدم إظهارها إلا للخواص.

أما الخاصية الثانية والتى كان لتأويل أثر كبير فيها فهى "فن الدعاية" فقد جعل الإسماعيلية الدعاية من صميم عقيدتهم وفلسفتهم ، وتقوم هذه الفلسفة المذهبية على التأمل فى نظم الكون والمخلوقات التى تحيط بالإنسان وتطبيق هذه النظم كلها على الدين ، واستفادوا فى ذلك بكل الآراء التى قام بها الفلاسفة القدماء. وبكل الديانات والعقائد القديمة ومزجوا ذلك كله بالدين الإسلامى ، واستنبطوا بذلك عقيدة هى مزيج عجيب من كل الفلسفات والديانات[2] وكان لمنهج التأويل الرمزى والأسلوب الباطنى دور فعال فى التوفيق بين التيارات الفلسفية والثقافية وبين تعاليم الدين الإسلامى ومصطلحاته المختلفة أو فى محاولة دعاة الإسماعيلية وفلاسفتهم إقامة فلسفة دينية عالمية .

ومما يستدعى النظر أن الإسماعيلية جعلوا الدعاة من حدود الدين إمعاناً فى إسباغ الفضائل على هؤلاء الدعاة الذين يبشرون بالأئمة وبعقيدتهم المذهبية حتى يستطيع الداعى توجيه اتباع المذهب كيفما شاء[3].

---

(١) محمد بن الحسن الديلمى ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، ص١٥ .
(٢) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ،ص١٣١.
(٣) المصدر السابق ، ص١٣١ .

لذلك يذهب دعاة الإسماعيلية إلى وصف هؤلاء الدعاة بصفات خاصة فالإمام: يقال له (المتمم) ،لأن بالأئمة تتم أدوار النطقاء .. والحجة : وهو اللاحق : ينوب عن الإمام فى الجزائر ، كل من الإمام والحجة فرعين من الأصليين فى العالم الجسمانى يقومان مقام الأساسين (الناطق والوصى)، وفى العالم الروحانى (مقام الأصليين – العقل والنفس ، أو السابق والتالى) . والداعى ، ويقال له الجناح ويعتمد على اللاحق (الحجة) فى الدعوة وينشر الدعوة ظاهراً أو باطناً .. وهكذا[1]

يضاف إلى ذلك أنهم قسموا العالم حسب دورات الفلك إلى أثنى عشر جزيرة، وجعلوا على كل جزيرة داع يسمى داعى الجزيرة ، وجعلوا لكل داع ثلاثون داعياً لأن الشهر ثلاثون يوماً وجعلوا لكل داع نقيب أربع وعشرين داعياً، اثنا عشر منهم ظاهراً كظهور الشمس بالنهار ، واثنا عشر داعياً محجوباً مستتراً استتار الشمس بالليل .. وهذا لأن فى اليوم أربع وعشرين ساعة[2]وهكذا نلاحظ مدى إغراق الدعوة فى التقسيمات العددية ، وهذا سوف يكون له أثر كبير فى طريقتهم فى التأويل العددى للأسماء وإسباغ لوناً من القدسية على إعداد معينة لها دلالة كبيرة فى هيكل المذهب أخصها العدد (سبعة) والعدد (اثنى عشر) بل أنهم كما سنرى فيما بعد يحاولون تأويل البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) على هذه الطريقة لكى يستخرجوا من حروفها دلالات مذهبية فى الإمامة ونظرية الأدوار السبعة أو الدعاة الأثنى عشر فى جزيرة .. الخ .

وتتجلى ظاهر التأويل والتعمق الباطنى فى طريقة الدعوة وجذب الأفئدة إلى اعتناق تعاليمها من خلال ما أوضحه لنا المقريزى .

---

(١) نظرنا ، الداعى الإسماعيلى أبو يعقوب اسحق السجستانى – رسالته تحفة المستجيبين ، ص١٥١،ص١٥٤ (ضمن خمس رسائل) تحقيق عارف تامر ،حـ١ سليمة سوريا ١٩٥٦م.
(٢)لمزيد ، دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ،ص١٣١ ،ص١٤٦.ط مكتبة النهضة المصرية بمصر ١٩٥٩م.

إذ يذكر المقريزى وصفاً شاملاً لمنازل الدعوة الإسماعيلية من خلال عدة مراتب يقول : فى الدعوة الأولى : تبدأ بسؤال الداعى لمن يدعوه إلى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعانى الأمور الشرعية وشيء من الطبيعيات ومن الأمور الغامضة ،فإن كان المدعو عارفاً سلم له الداعى وإلا تركه يعمل فكرة فيما ألقاه عليه من الأسئلة .. وقال له يا هذا .. أن الدين لمكتوم وأن الأكثر له منكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأئمة من العلم لم تختلف ، فيتشوق حينئذ المدعو إلى معرفة ما عند الداعى من العلم .. وعندئذ يبدأ الداعى فى ذكر معانى القرآن وشرائع الدين.. وهكذا يوهم الداعى المدعو بان الناس صاروا إلى أنواع الضلالات عندما عدلوا عن الأئمة ونظروا فى الأمور بعقولهم . حيث أن دين محمد صلى الله عليه وسلم صعب مستصعب .. وعلم خفى ستره الله فى حجبه وعظم شأنه عن ابتذار أسراره .. وهو سر الله المكتوم وأمره المستور لا يطيق حمله إلا ملك مقرب، ونبى مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى .. وهكذا يثير الداعى عدة مسائل يشتبه فيها الناس مثل السؤال عن .. ما معنى رمى الجمار ، والعدو بين الصفاء والمروة .. ما بال الله خلق الدنيا فى ستة أيام أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة وما معنى الصراط المضروب فى القرآن مثلاً .. والكاتبين الحافظين .. ما تبديل الأرض غير الأرض، وما عذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب .. وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية .. وما سبعة أبواب النار وما ثمانية أبواب الجنة .. وما التين والزيتون والخنس والكنس ، وما معنى ألم،المص ، وما معنى كهيعص .. ولم جعلت السموات سبعاً والأرضون سبعا ، والمثانى من القرآن سبع آيات .. ولم فجرت العيون اثنى عشر عيناً ولم جعلت الشهور اثنى عشر شهراً .. وهكذا ولا شك أن لهذه التساؤلات التى يثيرها الداعى

للمدعو تأويلات فى المذاهب الإسماعيلى - ثم يأخذ عليه العهد بأن لا يفشى سراً ولا يظاهر عليهم أحداً ويأخذ عليه الميثاق مستنداً إلى قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً" [1] سورة الأحزاب آية (٧).

ثم يتنقل الداعى بالمدعو إلى المراتب التالية فيخبر أن الله تعالى لم يرض فى إقامة حقه وما شرعه لعباده إلا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما أراده الله تعالى .. ثم يخبر الداعى المدعو كذلك أن عدد الأئمة سبعة قد رتبهم البارى تعالى كما رتب الأمور الجليلة مثل الكواكب السيارة سبعا ،والسموات سبعا والأرضون سبعا .. ويعدد الأئمة السبعة من على بن أبى طالب .. حتى الإمام القائم (محمد بن إسماعيل) .. ثم يقرر الداعى للمدعو أن محمد بن إسماعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التى لا يمكن أن توجد عند أحد غيره وأن عنده علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الأمور ، وعنده سر الله تعالى فى وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالته فى كل أمر يسأل عنه فى جميع المعلومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات ، وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة .. ثم ينقل الداعى المدعو للاعتقاد بأن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع .. الناطقين سبعة فقط .. كعد الأئمة سواء وأنه لابد من صاحب لكل نبى يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ويكون معه ظهيراً له فى حياته وخليفته له من بعد وفاته إلى أن بلغ شريعته إلى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذى اتبعه .. ويقال لهؤلاء الشيعة (الصامتون) ويسمى الأول من هؤلاء السبعة (السوس) .. ولابد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم من

(١) نظرنا : المقريزى ، الخطط والآثار ،حـ٢،ص٢٢٣،ص٢٢٧.

استفتاح دور ثان يظهر فيه معنى ينسخ شرع من مضى قبله ويكون الخلفاء من بعده امورهم تجرى كأمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبى ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت أبدا .. وهكذا حتى يقوم النبى السابع فينسخ جميع الشرائع التى كانت قبله ويكون صاحب الزمان الخير .. ثم يذكر الداعى عدد هؤلاء السبعة وأئمتهم أو (أوصياؤهم) من آدم عليه السلام حتى النبى محمد ووصيه على بن أبى طالب .. ثم تسلسل الأئمة فى دور سباعى من نسله .. حتى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، الذى انتهى إليه علم الأولين ، وقام بعلم بواطن الأمور وكشفها وإليه المرجع فى تفسيرها ثم ينتقل الداعى بالمدعو إلى منهج المقابلة بين الموجودات العلوية والأمور الفلكية أو الدورية بين عقائد المذهب فى الإمامة وطريقة الدعوة يذكر الداعى : أن الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً ولا بد فى خلق كل شىء من حكمة .. فالله خلق النجوم التى بها قوام العالم سبعة ، وجعل أيضاً السموات سبعا ، والأرضين سبعا ، والبروج اثنى عشر برجاً والشهور اثنى عشر شهراً ، ونقباء بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا .. ويقابل بين هذا السباع وبين الأعداد الاثنى عشر وبين ما ورد فى مصطلحات الدعوة سبعة أئمة واثنى عشر داعياً .. وهكذا .

وإذا أطمئن الداعى أن المدعو قد اعتنق عقائد المذهب الإسماعيلى يبد أبعد ذلك فى الإغريق فى الباطن والتأويل .. يذكر معانى شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والصوم والحج والطهارة .. وغيرها من الفرائض بأمور تأويلات باطنية) مخالفة للظاهر موهما إياه هذه الأشياء وضعت على جهة الرموز لصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد فى الأرض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة فى حسن سياستهم لاتباعهم واتقانا منهما لما رتبوه من قوة النواميس .. فإذا ثبت المدعو أن الشرائع وضعت على سبيل الرمز

لسياسة العامة وأن لها معانى غير ما يدل عليه الظاهر .. يدخل المدعو ويحدثه فى الفلسفة أو النظر فى كلام الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو وفيثاغورث وما فى معناهم، وينهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الاقتداء بالأدلة العقلية والتعويل عليها[1] .

وفيما يتعلق بالحديث الذى يجرى بين الداعى والمدعو فى مسائل الفلسفة فإن الداعى يحاول شرح مسائل الدين وأركانه فى ضوء آراء ونظريات الفلسفة أو بتأويل مصطلحات العقيدة بمصطلحات الفلسفة يتبع فى ذلك طريق التوفيق بين الدين والفلسفة أو بين النصوص وبين المعقولات عند الحكماء .. وهذا الاتجاه كما تعرف يمثل فلاسفة الإسلام وفلاسفة الإسماعيلية ودعاتهم خاصة أخوان الصفاء .. لذا يحاول الداعى أن يؤول العالم السفلى أو عالم الدين بما فى العالم العلوى من موجودات وعوالم روحانية.. أو يشير إلى مصطلحات الفلسفة بما هو وارد من نصوص الدين .. وهذه الطريقة الإشارة والرمزية تزيد من اقتناع المدعو بأصول الدعوة الإسماعيلية ومن أبرع الطرق الإسماعيلية فى مذهب التأويل الإسماعيلى .. أو من الفلسفة الباطنية عند الشيعة عامة .

إذ يقول الداعى للمدعو أن صاحب الدلالة والناصب للشريعة لا يستغنى بنفسه ولابد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الأصل والآخر عنه كان وصدر، هذا هو إشارة العالم السفلى لما يحويه العالم العلوى ، فإن مدبر العالم فى أصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه أول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه .. وإليه الإشارة بقوله تعالى " إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول لـه كـن فيكـون " سورة يس آية (٨٢) إشارة إلى الأول فى الرتبة ، والآخر هو القدر الذى قال فيه تعالى "

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٢٦، وما بعدها .

أنا كل شيء خلقناه بقدر " سورة القمر آية (٤٩) وهذا معنى ما نسمعه أن الله أول ما خلق (القلم) فقال للقلم أكتب فكتب فى (اللوح) ما هو كائن . وكما سنرى أن فلاسفة الإسماعيلية يقابلون بين القلم واللوح كمصطلحات دينية وبين العقل الأول – والنفس الكلية ، وهى مصطلحات وردت فى الفلسفة الأفلاطونية المحدثة يطلق الإسماعيلية عليهما اسم السابق ، والتالى فى العالم الروحانى ، ويقابلان الأسس السلفية الناطق النبى والوصى أو الأساس .. وكما سنرى فى (الإلهيات) يحاول فلاسفة الإسماعيلية تحميل الصفات الإلهية على السابق أو العقل الأول بدعوى التنزيه الإلهى .

ويقر الداعى للمدعو بعد ذلك .. أن معجزة النبى الصادق الناطق ليست غير أشياء تنتظم بها سياسة الجمهور .. وأن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر للذهن إليه وليس هو إلا حدوث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع ..

وهكذا إلى أن ينتهى الداعى بالمدعو من هذه المراتب وما فيها من مقابلات وتأويلات وإشارات رمزية إلى أن الأنبياء النطقاء أصحاب شرائع وإنما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة أنبياء وحكمة الخاصة وأن الإمام إنما وجوده فى العالم الروحانى إذا صرنا بالرياضة فى المعارف إليه .. وظهوره الآن إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه(١) .

وعلى ذلك فإن نظام الدعوة الإسماعيلية تسير وفقاً لمراتب ومنازل نلاحظ فيها التدرج والسير فى خطوات تتلائم وعقول المدعوين – ويقال أن الذى وضع هذه

---

(١) نظر ، المصدر السابق ، ص٢٢٥،ص٢٣٣.

الطريقة هو "عبد الله بن ميمون القداح" ، ثم الاعتماد على الفلسفة واستغلال مبادئ الأفلاطونية الحديثة .. فنظرية العقل الكلى والنفس الكلية وحلولها فى الناطق (النبى) والأساس (الإمام) مأخوذ كلها عن أصول يونانية.. كذلك إعداد الدعاة وتزويدهم بفنون الإلقاء والتأثير على النفوس وإجادة التخفى.؛ والتظاهر بالعلم والمعرفة واللجوء إلى التأويل .. كذلك فإن الاستعانة بالتأويل كان رغبة الإسماعيلية فى محاولة إحاطة جماعتهم وأئمتهم بها له من التقدير والإجلال .. وإيهام المدعوين بان الأئمة وحججهم هم وحدهم الذين يستطيعون فهم الحقائق وبواطن الأشياء وبهذه الوسيلة يمكنهم تأويل القرآن حسبما يرون مدعين أن ذلك من عمل الإمام (المستور) وإنه لا يفهمه إلا طبقة الدعاة والحجج .. كذلك المناداة بنظرية الإمام المستور وهو مصدر العلم والعرفان.. وهو من ولد على بن أبى طالب المنقذ .. وأن الوصول إليه لا يكون إلا عن طريق الدعاة أو الحجج(١) .

وإذا كان ذلك كذلك فلا شك أن الدعوة الإسماعيلية تدرجت فى مراتب وخطوات حسب عقول المدعوين وذلك فى محاولة لإيهام الناس " بأن لكل ظاهر من الأحكام الشرعية باطن ، ولكلا تنزيل تأويل ولهذا سميت دعوتهم بالباطنية(٢) وأن ظاهر الأحكام رموز وإشارات بل حقائق باطنية " وأن الشريعة الإسلامية وتكاليفها وقف على ضعاف العقول ، ومن هذا نرى أن التأويل نوع من الفلسفة المذهبية أريد بها بث الأمل والحيوية فى نفوس طائفة الشيعة الإسماعيلية(٣) وهذا بلا شك درب من دروب الغلو فى العقيدة والابتعاد عن روحها ومعانيها الأصلية .

---

(١) نظرنا فى ذلك أيضاً : دكتور حسن إبراهيم وطه شرف ، عبد الله المهدى (إمام الشيعة الإسماعيلية)،ص٥٨،ص٦٠،ص٦١،ص٦٢.

(٢) المقريزى ، الخطط ، ج٢، ص٢٢٧ ، أحمد أمين ، ضحى الإسلام حـ٣ ،ص٢١٣ .

(٣) دكتور حسن إبراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص٦٢.

إذن فالواضح لنا أن ظاهرة التأويل تستغرق منـــهج الدعـوة الإسماعيليـة مـن ثلاث اتجاهات مختلفة :

الأولى : أسلوب التأويل الباطنى الرمزى وذلـك فـى اعتقـادهم وإيـهام المدعويـن بـأن ظاهر الأحكام الشرعية مجرد رموز وإشارات إلى حقائق باطنة خفية ، وان الظواهر من التكاليف وقف على ضعـاف العقـول والعـوام مـن النـاس أمـا الحقـائق والعلـوم الباطنيـة فـهى مـن خصـائص الأئمـة الذيـــن يلقنونـــها لأدعيائهم وحججهم وهى معدن العبادات ، وهى العبادة العلمية .

الثـانى :- أسـلوب التـأويل الفلسـفى الرمـزى أو المجـازى يناقشـون فيـــه مسـائل الإلهيات والإمامة ومتعلقاتها على نحو رمـزى فلسـفى أو عقلـى مجـازى وإدخـال المصطلحـات والرمـوز الفلسـفية فـى أحضـان الدعـوة والعقيـــدة ومحاولة التنزيه المطلق فـى الإلهيـات . وتحميـل الصفـات الإلهيـة علـى المبدعات الإلهية العقول أو النفوس . ثم تحميل هذه الصفات على شخص الإمام لأنه ممثول لها .

الثالث : محاولتهم الجمع بين الظاهر والباطن مع التعويل على الباطن والإغراق فى التأويل الباطنى للقضايا والمصطلحات – غير أن هـذه الطريقـة كثـيراً مـا يشير إليها دعاتهم وفقهائهم خاصة فى المسائل الفقهية . كما رأينا فى "دعائم الإسلام" – وسوف نتناول هذه النواحى الثلاث فيما بعد .

الفصل الرابع

التأويل فى الإمامة عند الإسماعيلية

أولاً : منهج التأويل الرمزى فى الإمامة

اتجه الإسماعيلية إلى استخدام منهج التأويل الرمزى فى تناول النصوص والقضايا الدينية طبقا لنظريتهم فى (الإمامة) – ولما كان الإسماعيلية يمثلون طائفة من الشيعة الأمامية تقول بولاية على بن أبى طالب الإمامة ووجوبها كحق شرعى منصوص عليه من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تسلسلها بطريقة وراثية فى أبنائه – إلا أنهم غالوا فى هذه النظرية غلوا شديداً . من حيث تطويع النصوص الدينية لأهوائهم الحزبية – كذلك محاولتهم استخراج المنطوق اللفظى والمعنى الباطنى للنصوص بما يرمز إلى عقائدهم – يضاف إلى ذلك منهجهم فى المزج بين النصوص والقضايا الدينية وبين المصطلحات والثقافات الفلسفية . مما أدى إلى بناء نظريات عقائدية ظلت تتضخم شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تعبر عن فلسفة باطنية مليئة بالمبادئ الغريبة عن منهج الإسلام الصحيح – ولعل استخدام الإسماعيلية للتأويل الرمزى دليل واضح على مدى تطرفهم فى تأويل النصوص الدينية بما لا يفيد المعانى الحقيقية المقصودة . إذ أنهم يتناولون النصوص على معانى عقائدهم فى الإمامة .

لذلك سوف نجد أن الإسماعيلية يصرفون الألفاظ الدينية عن معانيها الحقيقية إلى معانى أخرى باطنية ترمز إلى إمامة على بن أبى طالب وولاية أبنائه من بعده حتى قيام الأئمة الفاطميين فى المغرب وفى مصر .

وهم بذلك كانوا أقرب الفرق الشيعية إلى الغلاة ومناهجهم فى تأويل النصوص . بل نستطيع أن تقول بأن أراء الغلاة وتأويلهم للنصوص والقضايا الدينية كان لها تأثير واضح فى نظريات وعقائد الشيعة الإسماعيلية .

والجدير بالذكر أن دعاة الإسماعيلية الفاطمية كتبوا مؤلفات وصنفوا رسـائل جمعوا فيها النصوص القرآنية والأحاديث التى تدل على الإمامة والنـص عليـها فـى حق الإمام على بن أبى طالب وذريته من بعده[١] .. وأن كنا بهذا الصدد نهتم بجانب التأويل فلا شك أننا نهتم فقط بتلك النصوص التى وردت وحاول دعاتهم تأويلها وما يؤدى ذلك فيما بعد إلى ظهور فلسفة باطنية .

كانت عقيدة الإسماعيلية لا إله إلا الله محمـد رسـول الله وعلـى ولى الله غـير إنها تميزت عن غيرها بأن "الإمامة " تكون بالنص أو بالتنصيص أى بوجوب تعيـين الإمام لخلفه وأن الإمامة لخلفه وان الإمامة فى الأعقاب لا ترجع القهقرى فلا تنتقل من أخ إلى أخ (إلا فى حالـة انتقالهـا مـن الحسـن إلى الإمـام الحسـين) - ولا بـد أن تكون من أب إلى الابن[٢] وقالوا : لن تخلو الأرض قط من إمـام حـى قـائم إمـا ظـاهر مكشوف وإما باطن مستور ، فإذا كان الإمام ظاهرا جاز أن يكون حجته مستوراً وإذا كان الإمام مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين[٣] .

لكننا إذا نظرنـا إلى منـهج البـاطن عـن الإسماعيليـة فإنـه يفـرض علـى كـل إسماعيلى أن يقوم على تأويل آيات من القرآن وبعض الأحاديث وعلـى أحكـام دينيـة يقصد بها إثبات الأصـل الإلهـى للإمامـة واقتصـار حـق القيـام بـها علـى الفـاطميين (الإسماعيلية)[٤].

ولما كان الشيعة الإسماعيلية يذهبون إلى أن الرسول (عليـه السـلام) أوحـى إلى على بن أبى طالب بالخلافة (الإمامة فإنهم استندوا إلى نصوص قرآنية وأحـاديث

---

(١) يمكن الرجوع فى ذلك إلى : القاضى النعمان بن محمد ، كتابة دعائم الإسلام (فى ثلاث أجزاء) .
(٢) المقريزى – الخطط ، ح٢، ص٢٤٨، الشهرستانى ، الملل .
(٣) الشهرستانى ، الملل ، حـ١،ص٢.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ، حـ٣،(مادة الإسماعيلية) ص٣٨٩.

وحاولوا تأويلها – يقول فيلسوف الدعوة حميد الدين الكرماني .. " اختار محمد صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب صلى الله عليه يعده فنص عليه وسلم أمر أمته إليه لكونه عاليا فى كل الأحوال متقدما عليهم .. وكانت مرتبته عليه السلام مرتبة الخلافة التى هى القيام مقامه فى كل ما كان متعلقا به فى أمر الدعوى العلمية التى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله "أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب" .. ثم القائمون مقامهما فى حفظ دعوتيهما العلمية والعملية وهم الأئمة عليهم السلام[1] . ولما كان على بن أبى طالب هو باب العلم وهذا العلم هو الباطن . فهو التأويل .. هكذا يسير دعاة الإسماعيلية من خلال تأويلهم لسورة (الحمد . فاتحة الكتاب) .. فيقول صاحب المجالس المستنصريه – فى تأويل "سورة الحمد" ففاتحة الكتاب هى سورة الحمد وهى أم الكتاب وهى السبع المثانى بإجماع المفسرين قوله تعالى " ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم " سورة الحجر آية (٨٧) فالقرآن العظيم هو هذا الكتاب الكريم وقرينه فى التأويل الحكيم أمير المؤمنين على بن أبى طالب لأنه فى زمانه قرين القرآن ، والقرآن قرينه ، وإنما يسمى الكتاب قرأنا لا قرانه بالعتره يبين الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " أنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترنى أهل بيتى فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض " فالقرآن قرين كل واحد من الأئمة الطاهرين ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله المنزل بالقرآن لاقترانه بإمام كل زمان ، لأن القرآن الكريم لا ينطق بما فيه فقرنه الله تعالى بمن ينطق به ويبين عزائبه .. فالإمام فى التأويل كالقرآن لاقترانه به . إذ هو معجزته وفضيلته التى خصه الله تعالى ببيان ما أنزله فيه كما

(١) حميد الدين الكرماني ، راحة العقل ، ص٤٢٤ (هذا الحديث لم أعثر له على أثر نظرنا ، البخارى ، الصحيح "فضائل على "

كانت فضيلة جده محمد صلى الله عليه وسلم أن أنزله عليه وأوصى به إليه وأشير إلى على عليه السلام بأنه القرآن العظيم لأنه أعظم الأئمة قدراً لأن رتبة (الوصى) أزيد من رتبه الإمام فكان على عليه السلام هنا مثال للقرآن العظيم والأئمة من ذريته أمثال السبع المثانى .. فكلما مضى فيهم سبعة أتت بعدها سبعة كالأيام السبعة ويكون السادس متما كيوم الخميس وسابعهم عظيم الرفعة كيوم الجمعة .. وهكذا إلى أن يقوم قائم القيامة على ذكره السلام[1].

والواضح أن دعاة الإسماعيلية يتأولون – القرآن العظيم ، بان يشير إلى الإمام، والسبع المثانى إلى الأئمة السبعة من ذريته – وهى نظرية "التسبيع" وتقديمهم للعدد (٧) سبعة ، بل أن نزعتهم الباطنية فى تأويل مدلولات النصوص طبقاً لمذهب الإمامة يتضح فى تأويل قوله تعالى " وانزل إليك الذكر لتبين للناس ما انزل إليهم " سورة النحل آية (٤٤) فهذه الآية تشير فى رأى الإسماعيلية إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أبان لبعض من إقامة ونصبه بعض البيان من قبل أن يقيم أساسه أطلعهم على انه يقيمه – فيطمع لذلك بعضهم وكان على صلوات الله أحدثهم سنا فانزل الله سبحانه على محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى " لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرأنه فإذا قرأناه فاتبع قرأنه ثم أن علينا بيانه " سورة القيامة آية (١٧) فعلم الرسول صلى الله علية وسلم كما يرى الإسماعيلية انه لم يكون ينبغى له أن يبين بنفسه وأن البيان لا يتكون إلا من قبل الله سبحانه بمن يأمر الرسول أن يقيمه له وقوله تعالى " وانذر عشيرتك الأقربين " سورة الشعراء آية (٢١٤) فهى ترمز فى التأويل الباطنى إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع بنى عبد المطلب على فخذ شاه وقدح من لبن فأكلوا حتى شبعوا

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، ثقة الإمام علم الإسلام ، المجالس المستنصريه ، ص٣٠ .

وكانوا أربعين رجلا - هذا فى الظاهر أما فى الباطن فهو : ما ألقاه إليهم من العلم والحكمة أنذرهم به وإنه قليل فلم يحتملوه ولا اهتدوا لعلمه .. وعجزوا عما أتاهم به الرسول وقد أطلعهم على ما يريده من إقامة أساسه (الوصى) وعرض عليهم ما علمه إياه وكلهم عجزوا عن ذلك وتحمله على فأقامه بحضرتهم أشهدهم على ذلك . فعظم ذلك على مؤمنهم وكافرهم إلا من عصم الله من المؤمنين إذ انهم رأوا انهم أحق بذلك منه وكان ذلك أول استكبار المشركين ونفاق من تسمى بالإسلام - ولما انصرفوا منهزمين عظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاق به صدره- إلى أن أنزل الله عز وجل عليه فى دعوته من حجة الوداع قوله تعالى " يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " سورة المائدة آية (٦٧) وقام الرسول صلى الله عليه وسلم "بغديرخم" بولاية على صلوات الله عليه بقوله "من كنت مولاه فعلى مولاه" .. اللهم وال من والاه، وعادى من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار[1].. وباطن النصوص تشير فى التأويل الإسماعيلى إلى انه لما كبر على الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك انزل الله تعالى قوله " وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق " سورة الحجر آية (٨٥) والسموات فى الباطن أمثال النطقاء والأرض أمثال للأسس وهذه الآية تعنى فى الباطن أن الله تعالى يقول .. وما أقمنا من أقمنا إلا بالحق .. وقوله تعالى " وأن الساعة آتية " سورة الحجر آية (٨٥) فى الباطن نعنى . قائم القيامة . وقوله تعالى " فاصفح الصفح الجميل " سورة الحجر آية (٨٥) أى عز من آذاك فى كره من أقمته .. وقوله تعالى " أن ربك هو الخلاق العليم " سورة الحجر آية (٨٦)

---

(١) نظرنا : الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون ، أساس التأويل ،ص٣٠،٣٣ .
- دعائم الإسلام حـ١ ، لمزيد ،الشيرازى ، المجالس المؤيدية ، مجلس (٦) ملحق بكتاب المجالس المستنصريه ، ص١٨١.

يعنى الذى قدر ذلك بعلمه . وقوله تعالى " ولقد آتينـاك سبعا مـن المثـانى " سـورة الحجر آية (٨٧) ويعنى الأئمة السبعة من بعده من ذريتـه الـذى ينتـهى الفضـل إلى سابقهم " والقرآن العظيم " يعنى أساسه الذى أقامه وهو الإمام .

ولما كان الإسماعيلية يعتقدون بوجوب الوصية إلى علـى بـن أبـى طـالب فـإن الداعى الإسماعيلى على بن محمد الوليد يحاول اثبـات ذلـك مـن اثنـى عشـر وجـها نذكر منها قوله : يعتقد بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى على بـن أبـى طـالب من اثنى عشر وجها : منها : وجوب الوصية : فقد تعرض لها كتـاب الله عـز وجـل بدليل قوله تعالى " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين " سورة البقرة آيـة (١٨٠) والدليـل الثـانى مـن السنة يقول النبى صلى الله عليه وسلم لا يحـل لا مـرىء مسلم أن يبيـت ليلتـين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه .. والقرآن قد نـص بوجـوب الوصيـة فـى الديـن[١] وهـذه الوصية إنما هى تتابع زمنى ومسـتمر عـبر الأجيـال "فالأنبيـاء قبـل الرسـول عليـه السلام كان لهم أوصياء من ولدهـم وأقربائـهم وأهـل بيتـهم دون الأبـاعد – مثـل آدم أوصى لولده ثبت ونوح أوصى لولده سام وإبراهيم أوصى لولده إسماعيل وموسى أوصى إلى أخيه هارون وإلى يوشع بن نون ابن أخيـه وداود أوصـى لولـده سـليمان وحزقيـال أوصى إلى أبن أخيه أرميا وعيسى أوصى إلى شمعون الصفا إبن خالته .. وأمر الله تعالى نبيه بالاقتداء بهؤلاء والجرى على سنتهم لقوله تعالى " ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين " سورة النحل آية (١٢٣)"[٢] .

وإذا كان الإسلام قد أوجب الوصية وأشار لذلك الرسول (صلى الله عليه وسلم

---

(١) الداعى الإسماعيلى ـ، على بن محمد الوليد ، تاج العقائد ومعدن الفوائد ، ص٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص٦٠ ـ ص٦١.

غير أن ذلك ليس بالقطع يتضمن الإشارة إلى وصاية على بن أبى طالب كما تذهب الشيعة والإسماعيلية والواضح أن ما أشار إليه الداعى الإسماعيلى فى وجوب الوصية هو لون من ألوان التأويل التمثيلى . وهم يشيرون لذلك فى اكثر من موضع[١] كذلك يستدلون على الولاية والوصاية لعلى وذريته بأحاديث وروايات وحوادث تاريخية منها أن الرسول صلى الله عليه وسلم استخلف عليا فى المدينة فى غزوة تبوك مقتدياً باستخلاف موسى لأخيه هارون عند مضيئة لميقات ربه .. وقال له الرسول عليه السلام يا على أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى[٢] هكذا ويتفقون فى ذلك مع إخوانهم من طوائف الشيعة الآخرين .. ولكن الذى يستدعى النظر أن الإمامة هى جوهر الدين ومعدن العلم الباطن - والإمام فى آل بيت الرسول عليه السلام من نسل على وفاطمة فرض من الله سبحانه وتعالى اكمل به الدين فلا يتم الدين إلا به ولا يصلح الإيمان بالله والرسول إلا بالإيمان بالإمام والحجة " أن الإمامة وراثة النبوة والوصاية " أن صاحب الوصية هو الذى جوهره لا حق بجوهرة وكماله مشتق من كماله وان معانى أقوال ورموز شريعته وأسرار ملته وحقائق دينه توجد عنده[٣] وهكذا فى أقوال وإشارات كثيرة ولا تجوز غيبته بوجه ولا بسبب وان حدثت فترة فتكون خواص شيعته على اتصال به ويعرفون مقامه ويدلون من حصلت نيته وعمله عليه[٤] ".

والتأويل فى باطن الإمامة عند الإسماعيلية يشير إلى " أن طاعة الإمام واجبه من أطاع الإمام فقد أطاع الله ومن عصى الإمام فقد عصى الله .. فالإمام يعبد الله وبه

(١) يمكن الاستدلال على ذلك من خلال تأويل قصص الأنبياء ، فى المواضع التى يتعرضون لها ، انظر ، القاضى النعمان بن حيون ، أساس التأويل .
(٢) المصدر السابق ، ص٦١ ،ص٦٤ ، أخرجه البخارى والصحيح جـ٢ (غزوة الرسول) .
(٣) المصدر السابق ، ص٦٨.
(٤) المصدر السابق ، ص٦٩.

يطاع الله .. والولاية : هى طاعة الإمام ومعرفته .. أما قوله تعالى " إنمـا أنـت منـذر ولكل قوم هاد " سورة الرعد آية (٧) وقوله تعالى " ولقد كتبنـا فـى الزبـور مـن بعـد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " سورة الأنبياء آية (١٠٥) ترمز إلى الأئمة من أهل البيت وقد جعل الإسماعيلية للأئمة صفات باطنيـة خاصـة .. بحيث أصبح الأئمة عندهم فى مرتبة لا تمت للبشرية بصلة – على الرغم من انهم يدعـون القـول بأن الإمام أو الأئمة من البشـر وأنـهم خلقـوا مـن الطـين ويتعرضـون للمـوت .. لكـن تأويلهم الباطنى يشير إلى أن الإمام هو : وجه الله ويد الله وجنب الله وأنـه هـو الـذى يحاسب الناس يوم القيامة فيقسمهم بـين الجنـة والنـار وانـه هـو الصـراط المستقيم والذكر الحكيم والقرآن الكريم .. وغير ذلك مـن الصفـات ويسـردون الأدلـة للدلالـة على كل صفة من الصفات فمثلاً يقولون: أن الإنسان لا يعـرف إلا بوجهـه ولمـا كـان الإمام هو الذى يدل العالم على معرفة الله فهو إذن يعرف الله فهو وجهه أى الذى به يعرف الله – وهكذا فى بقية الصفات الأخرى [١] .

ويستنبط فلاسفة الدعوى الإسماعيلية من بعض نصوص القرآن الكريم مدلول الإمامة وفحواها الباطنى بما يشبه طريقة فلاسفة الإسلام فى محاولتهم للتوفيق بين الفلسفة ومصطلحاتها وبين ما ورد فى الدين من تعبـيرات دينيـة فآيـة النـور قولـه تعالى "الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجـة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة زيتونه لا شرقية ولا غربية يكاد زيتـها يضىء ولو لم تمسسه نار نور علـى نـور " سـورة النـور آيـة (٣٥) تجـد أبـن سينا يستخرج منـها مذهب الفلاسـفة فـى العقـول .. فيـؤول المشكاة بـالعقل الهيولانـى

---

(١) نظرنا : دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص١٥٥ ،ص١٥٧.
– كذلك ، دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٨٤،ص١٨٥.

والنفس الناطقة . والمصباح بالعقل المستفاد بالفعل والزجاجة الواسطة تصل المصباح بالمشف لأنها من القوابل للضوء الشجرة بالقوة الفكرية التى هى موضوعه ومادة للأفعال العقلية يكاد زيتها يضىء مدح للقوة الفكرية ولو لم تمسسه نار يعنى الاتصال والافاضه ولما كانت النار مستعارة ممثلة بالنور الحقيقى فإنها محيطة بالكل .. تشبه المحيط على العالم أحاطه توليه مجازية وهو العقل الكلى[1] .

أما فلاسفة الدعوة الإسماعيلية فيذكرون المعانى والدلالات الباطنية لهذه الآية الكريمة كدليل على مذهبهم فى الإمامة وعلوم الأئمة فقوله تعالى " الله نور السموات والأرض " يعنى أن الله تعالى هو خالق السموات والأرض ومنورهما بآثار صنعته ليخرج إلى الكون بتأثيرها وفعلها ما كان فى الحكمة أن يوجد من المواليد الطبيعية مؤيد رسله وحدوده الذين جعلهم من دينه بمنزلة السموات والأرض (أى النطقاء والأئمة) ومدهم بفيض بركاته لتحصيل بمكانهم وتعليمهم المواليد الروحانية "مثل نوره" أى ما أيد الله به تعالى النبى صلى الله عليه وسلم من نور كلمته .. " كمشكاة فيها مصباح" تشبيها وتفهيما مثل الناطق مادة وخزانه المعارف الإلهية من الكتاب والشريعة " فيها مصباح" مثل على العلوم الإلهية " المصباح فى زجاجة" مثل على الأئمة والأتماء أى تلك المعانى والمعارف التى هى الأنوار القدسية محيط بها الأئمة والاتماء القائمون بها . فتضىء ذواتهم بها وذوات غيرهم "والزجاجة كأنها كوكب درى" الكوكب الدرى يدل على الوصى .. "يوقد من شجرة مباركة" هى النبى صلى الله عليه وسلم هذه صفة الكوكب الدرى ووجه نوره فالأئمة والأتماء فى إحاطتهم بالمعارف كالأساس (الوصى) الذى تعلمه وتوقد نار علمه من استنباط المعرف من وضائع الشجرة المباركة التى هى (الناطق) المبارك .. "زيتونه "

---

(١) ابن سينا تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ،ص١٢٥،ص١٢٧.

أى أنهم بمثابة الزيتون التى هى ثمرة تلك الشجرة "لا شرقية ولا غربية" فلا هم فى رتبة الوصاية التى لها الدعوى الباطنة فتكون غربية مثلها بل شرقية وغربية جميعا بقيامهم مقامها وحفظهم مكانهما فى التابعين لهما ولهم فى جميعهم وقيامهم بذلك مرتيتان هما المثل بالشرق والغرب المؤول عليهما . "يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار" الزيت مثل على الكلام والفوائد التى تؤخذ عن الأئمة "والنار" مثل على الوصى المشية بالنار " نور على نور" أى تفتح منه أنوار وعلوم زيادة على زيادة[1] وهكذا ويذهب داع إسماعيلى إلى ذكر المدلول الرمزى لهذه الآية .. يقول : جمعت هذه الآية الأيمان فى دور محمد صلى الله عليه وسلم إلى أخره وآياته وفضله وشرفهم وانهم من الشجرة المباركة العظيمة شجرة الزيتونه التى أصلها من الحدين العلويين – السابق والتالى – وهى شجرة طوبى وسدرة المنتهى والزيتونه المباركة القائمة بالحروف الروحانية والحدود الجرمانية والجسمانية – قوله تعالى "مثل نوره " دلالة على الناطق " كمشكاة فيها مصباح" يعنى الوصية . "المصباح فى زجاجة" أى سر أنفسهم فى النفس الكلية . "يوقد" يعنى ما ظهر من التالى أو يوقد من فاطمة وولدها إلى القائم واتصاله بالشجرة التى هى لا شرقية ولا غربية بل كونية إلهية قدسية أزلية تجمع النطقاء والأسس والأئمة .. قال الصادق بن محمد والله هى دالة على الأئمة من ذريتنا " المشكاة" إشارة إلى ظهور الشمس الطالعة من المغرب والمصباح المضيء يدل على النبى صلى الله عليه وسلم والقنديل الزجاجى كتبه إسماعيل – الكوكب الدرى دليل على عبد المطلب بن عدنان إلى حين إتيان السابع الثانى من المغرب صاحب الهجرة المصرية[2] .

هكذا نجد أن منهج الإسماعيلية يسير نحو تتبع ألفاظ النصوص القرآنية

---

(١) حميد الدين الكرماني ، راحة العقل ، ص٤٢٥،ص٤٢٦.

(٢) الداعى الإسماعيلى الجل – أبو المعالى حاتم بن عمران بن زهرة (داعى سرمين) رسالة الأصول والأحكام، (ضمن خمس رسائل) ص١٢٦ تحقيق عارف تامر .

والأحاديث وإنزالها على معان رمزية وباطنية – بل أنهم اتبعوا هذا النهج فى أركان الشريعة – فتأويل صلاة الجمعة ترمز إلى النبى صلى الله عليه وسلم وتأويل يوم القطر يرمز إلى (الأساس أو الوصى) – إذ أنه يوم من أيام الله تعالى بطاعته يتم دين الله – أما تقديم الصلاة على الخطبة فى يوم عيد الفطر فيدل على أن الوصى (الأساس) تحت طاعة النبى صلى الله عليه وسلم وقبوله أمره وشريعته[1] وهذا تأويل مذهبى باطل لا يتفق مع مضمون العقيدة الإسلامية عند جمهور أهل السنة والسلف الصالح . بل وفى ذلك خروج عن مجال الشريعة والعقيدة الإسلامية الصحيحة، وضيوح نحو الخلط والتسويف والتأهل .س

ثانياً : المنهج الفلسفى فى تأويل الإمامة :-

عندما حاول فلاسفة الدعوة الإسماعيلية المزج بين نصوص العقيدة الدينية وقضاياها وبين نظريات الفلسفة ومصطلحاتها فإنهم كانوا حريصين على أن لا يكشفوا مذهبهم لكل شخص إلا بقدر ما يستطيع عقله أن يفهمه كما رأينا فيما سبق فى منهج الدعوة ومراتبها لكن الحقيقة التى تود إيضاحها " أن أهم النقاط التى يدور عليها البحث فى القسم الفلسفى الباطنى هى القضايا الجوهرية التى يرتكز عليها الإسلام مثل – وجود الله تعالى ووحدته المطلقة – ورسالة النبى صلى الله عليه وسلم .. كذلك مذهب الإمامة ومحاولتهم استنباط الرموز والمعانى الباطنية لدلولها العلمى التعليمى والعملى وقد حاولوا تأويل وشرح الآيات القرآنية على ضوء التعاليم الفلسفية التى كانت منتشرة فى عصورهم ولا سيما الفلسفة الإسكندرانية وتعاليم أفلوطين ومذهب الفيثاغورية بالإضافة إلى عناصر من المزوكية والمسيحية والغنوصية وعلم التنجيم[2] .

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، حميد الدين الكرمانى ، كتاب الرياض ،ص٨٦.
(٢) حنا فاخورى ، خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص١ ،ص٢٠٧.

ولعل أهم ما نجده فى النظام الفلسفى عند الإسماعيلية هو تأويل المصطلحات الدينية بالرموز والمصطلحات الفلسفية وخاصة الفلسفة الأفلاطونية المحدثة والفيثاغورية واستخدامهم للرموز العددية فى تحليل مصطلحات القرآن الكريم وأوائل السور لاستخراج وتدعيم نظرياتهم فى النظام الدورى – ونسق السباع الأمامى – كذلك تعمقهم للباطن لاستنباط نظرية الإنسان الكامل أو الإمام الكوزمولوجى القائم ووجود تشابه كبير بين بعض مصطلحاتهم ورموزهم وبين ما هو عند فلاسفة الصوفية والحروفيين وغير ذلك . وقد وجد فلاسفة المذهب فلسفتهم الباطنية فى تأويل حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم " أن بين قبرى وبين هذا المنبر الذى أهدى الناس فيه لروضة من رياض الجنة " .. فالمنبر إشارة إلى الشريعة والقبر هو الفلسفة التى يموت فيها ظاهرة الشريعة أما روضة الجنة : فهى روضة الحقيقة الباطنية ومجال البعث لمن تكتشف له بواطنها إلى حياة جديدة دائمة – وهذا يعنى موقف جديد يستهدف زوال الشريعة وتحولها ثم تبعث من جديد فى ديانة جديدة هى الحكمة الإلهية ودين الحق والتأويل هو أداة التحويل الذى يرد المعطيات الواقعية إلى مصادرها الباطنية حيث منبع الحكمة والفلسفة التى تنتهى بالكشف أو بالعرفأن وهو الطريق إلى الولادة الروحية أى البعث[١] .

وعلى هذا التأويل قامت وتكونت نظرية الإسماعيلية فى الإمامة من الناحية الفلسفية الباطنية – وسوف نتناول هذا الموضع من أربع نواحى الأولى: نظامهم الدورى السباعى فى الإمامة والثانية : المنهج الفلسفى فى المطابقة بين عالمى الإبداع والدين والثالثة : نظريتهم فى الإمام القائم (الإنسان الكامل) – الناحية الرابعة الصلة بين مرتبة الإمام ومرتبة النبى : ..

---

(١) دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٩٥.

١- النظام الدورى السباعى فى نظرية الإمامة :

من الجدير بالذكر أننا نلاحظ تداخل فى استخدام المصطلحات فى الدعوة الإسماعيلية فالنظام الدورى يعبر عن الهيكل السباعى لنظرية الإمامة - كذلك فإن نظرية التسبيع تعبر بطريقة أو أخرى عن نظرية الدور أو الفترات التى يعقب بعضها بعضا . وكلا الطريقتين تعبران عن منهج التأويل الفلسفى الباطنى فى نظرية الإمامة الإسماعيلية . وكما سنرى أن دعاة المذهب وفلاسفته الكبار يحاولون بشتى الطرق تأويل النصوص الدينية طبقاً لهذا الاتجاه الدورى والسباعى .

وتتبلور نظرية "الدور" الإسماعيلية فى أن الحياة تتجدد وهى مقسمه إلى فترات ست وعلى رأس كل فترة نبى وبين كل نبى وآخر أئمة يخلفون النبى من شئون دينهم وان ما يحدث فى فترة من هذه الفترات يحدث ما يشبه تماماً فى الفترات الأخرى .. فما حدث فى عصر آدم هو نفس ما حدث فى عصر إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام لذلك كانت صفات هؤلاء الأنبياء واحدة.. وأن الأئمة الذين خلفوا الأنبياء فى مرتبة واحدة وصفات واحدة .. لذلك فإن إمام العصر هو وارث الأنبياء جميعاً وكل من سبقه من الأئمة فهو صاحب كل صفاتهم ولذلك كان يوصف الإمام الإسماعيلى فى الدور الفاطمى بأنه خليل الله وكليم الله ومسيح الله.. الخ[1] وقد نظم شعراء الإسماعيلية قصائد فى مدح أئمتهم تصفهم بهذه الصفات التى للأنبياء فى أدوارهم كذلك أولوا ما ورد فى القرآن عن الأنبياء تأويلا يتفق مع هدفهم فى إسباغ فضائل خاصة على أئمة عصرهم[2] .

وإذا كانت نظرية الدور فى العقيدة الإسماعيلية الفاطمية تقول بظهور

---

(١) نظرنا : دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ،ص١٦٨، ص١٧٠.
- كذلك دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ص١٨٩.
(٢) المصدر السابق ، ص١٧،٩.

الأنبياء والأئمة فى صور متعددة ولكن أصلـهم واحـد فـآدم ونـوح وإبراهيـم وموسـى وعيسى ومحمد وهم الأنبياء ظهروا فـى هـذه الصـور الآدميـة المختلفـة وفـى عصـور متفاوتة ولكنهم جميعاً شخص واحد فى الحقيقة ولما كان أوصياؤهم وأئمتهم فى كـل دور ورثة الأنبياء ولهم كل خصائصهم فـهم والأنبيـاء شـخص واحـد والجميـع مثـل "للعقل الكلى" فإن هذا يعبر عن فكرة "التناسخ" كما يرى بعض الباحثين[1] أو فكـرة "التمثيل الباطنى لأدوار الإمامة فيما أرى وهذا يعـبر عـن طريقـة التـأويل التمثيلـى والذى يستندون فيه إلى حديث ينسب إلى النبى (ص) انه قال "كائن فيكم ما كان فـى الأمـم السـابقة حـذو القـذة بـالقذة والنصـل بـالنصل حتـى لـو دخلـوا خشـرم ضـب لدخلتموه"[2] وهم بذلك يحاولون مزج الآراء والمصطلحات الفلسفية اليونانية ومـا ورد فى الأديان السماوية السابقة على الإسلام بالآراء الإسلامية والتوفيق بينهما بطريقة عجيبة تثير الدهشة وتنذر بخطورة تسرب العناصر الأجنبيـة فـى أحضـان العقيـدة الإسلامية. ونرى ذلك فى نظريـة المثـل والمثـول الإسماعيليـة والتـى تعنـى تـأويل مصطلحات ومبادئ الدين على أسس وأمثلة ومصطلحات فلسفيه أو أجنبية تتعلق بما حدث الوجود والخلق الإبداعى والعالم العلوى الملكوتى .

وإذا أردنا أن تبلور نظرية الدور الإسماعيلية فلا شك أننا نلتمـس ذلـك مـن خلال ما ورد فى مؤلفاتهم الفلسفية الباطنية خاصة كتاب " أساس التـأويل" للداعـى الكبير النعمان بن محمد حيون المغربى داعى دعاة الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر.

فقد تبلور ذلك من خلال تأويله الباطنى لقصص الأنبياء وتحديد أدوارهم وأدوار أئمتهم وأوصيائهم فقد كان لذلك التاويل الباطنى أثر كبير فى تدعيم نظرية

---

(١) دكتور محمد كامل حسين طائفة الدروز تاريخياً وعقائدها ،ص٨٦.
(٢) الكرمانى ، راحة العقل ، مقدمة ،ص١٧.

الإمامة الإسماعيلية وإعطائها إطاراً فلسفياً نظرياً .

يذكر الداعي الإسماعيلي سالف الذكر بصدد ذلك .. فلما صرنا في هذا الكتاب إلى ذكر الإمامة .. إذ كانت هي قطب الدين الذي عليه يدور ولا يجزى العمل ولا يقبل إلا بعد معرفة إمام الزمان وجب أن نذكر في هذا الكتاب بيانها وتأويلها فاحتجنا أن نبتدئ بذكر ذلك من لدن آدم فكان ابتدائنا فيه وذكرنا قصته ودور كل ناطق بعده وما جرى فيه وما قصة الله سبحانه وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم من أخبارهم في كتابه الذي أنزله عليه وباطن ذلك ومن ذكره الله تعالى من الأئمة الذين كانوا في أدوار الأنبياء ومن اختصه الله تعالى منهم بالنبوة والرسالة إلى أهل زمانه إذ تغيرت وفسدت بشريعة الناطق الذي هو في دوره وشريعته أئمة سبعة ينتهي الفضل إلى السابع منهم ويسمى السادس منهم متماً أي يتم البيان ولا يكون منه بيان ثم يأتي السابع بالبيان وتظهر فيه قوة التأييد فإن تهيأ لكي يكون رسولاً كان وإن تم دور الناطق قبله كان ناطقاً وأن لم يتهيأ ذلك دار بعده أسبوع حتى يتهيأ ذلك . وأن الله سبحانه وتعالى ختم الرسالة والنبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وابقى الإمامة في عقبه وجعلها تجرى كذلك أسابيع يكون السادس منهم متماً مقصوراً على البيان لحجته الذي يكون سابع الأئمة والستة قبله يبينون بيان الناطق ويقوم السابع بالبيان والبرهان لما يظهر فيه قوة التأييد ويجرون كذلك في دور محمد صلى الله عليه وسلم كما جرى لكل ناطق في دوره إلا أنه لا نبي ولا رسول منهم لأن الله سبحانه وتعالى ختم النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي بارتفاع محمد صلى الله عليه وسلم وانقطعت الرسالة وبقيت الإمامة بحالها على ما جرى به سنة الله عز وجل فيها .. وهكذا إلى أن يذكر الداعي الإسماعيلي بأن كل ناطق يبشر بالناطق الذي يأتي من بعده وينذر قومه من أئمة دوره كما بشر عيسى

عليه السلام وأئمة دوره برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فيما يقرأه أهل التوراة والإنجيل فكذلك يشر محمد صلى الله عليه وسلم " بالقائم" من بعده وبالمهدى من قبله وانذر من التكذيب به وإنكاره .. ويؤول قوله تعالى " يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا[1] " سورة الأحزاب آية (٤٥) على ما سبق فيحمل الآية الكريمة على التبشير بالمهدى ثم القائم .. طبقا للنزعة المذهبية الإسماعيلية الفاطمية وهذا التأويل أوضح دليل التعسف فى حمل معانى النصوص الكريمة على أدلة مذهبية ما انزل الله تعالى بها من سلطان ، لا تخلو من التقليل والضلال.

وجدير بالذكر أن نظرية الأدوار "عند الإسماعيلية وفى معتقداتهم تنقسم إلى قسمين :-

الأول : أدوار كبيرة وهى التى تبتدئ بآدم وتنتهى بالقيامة .

والثانى :الدوار الصغيرة وهى التى تبتدئ بقيام الناطق أى النبى المرسل بشريعة وتنتهى بقيام المناطق الذى يليه . والدور الكبير الذى نحس فيه الآن وهو مقسم إلى سبعة أدوار صغيرة وهم : دور آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام والقائم المنتظر . ولكل دور إمام متم وأساس وناطق وسبعة أئمة . ومعنى المقيم هو الذى يرى الناطق فى دعوته والمتم هو الذى يختم الدور والأساس هو حجة الناطق فى حياته ويتسلم الوصية بعده وهو صاحب التأويل الباطنى كما أن الناطق بعده وهو صاحب العلم الشرعى الظاهرى[2] .

ويذكر دعاة الإسماعيلية هؤلاء الأئمة فى الأدوار بالتفاصيل فى مؤلفاتهم

---

(١) نظرنا : الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون التميمى ، أساس التأويل ص٣١٦،ص٣١٩.
(٢) نظرنا : النعمان بن حيون ، أساس التأويل ، ص١٧٥ (بالهامش) .

ومخطوطاتهم التى حققها بعض الباحثين المحدثين[١] .

ولما كان دور محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر أدوار النطقاء والرسل فسوف ينتهى دوره بظهور قائم القيامة وكذلك ينتهى دور آدم الكبير ويأتى بعده آدم آخر وهكذا ونجد أن هذه الأدوار متشابهة الكبرى والصغرى .. والذى يسترعى النظر فى نظرية الدور الإسماعيلية " انه تنبعث من آرائهم تأويلات جديدة لما ورد فى القرآن الكريم من قصص الأنبياء لتحقيق الأدوار الكبرى والصغرى ولأثبات أن ما حدث فى دور كل نبى حدث مثله فى جميع الأدوار الأخرى .. فمثلاً قصة "الطوفان" فى التأويل الباطن عند الفاطميين (الإسماعيلية) تدل على كثرة الأضداد المخالفين لمن أقامه الله وصياً "لنوح عليه السلام " وتغلبهم عليه وان "المؤمنين " هم الذين اتبعوا الوصى الذى رمز إليه بسفينة نوح وفى كل دور من أدوار النطقاء ظهر هذا الطوفان وجرت السفينة ،. وبهذا التأويل يؤولون القول المنسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم " مثل أهل بينى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق فى الطوفان[٢]".

وهناك أمثلة كثيرة فى تأويل قصص الأنبياء طبقاً لهذه النظرية منها : أن حواء أو المرآة التى ترد فى قصص الأنبياء ليس المعنى المقصود من ذكرها الأنثى التى يسكن إليها الرجل إنما هى فى التأويل الباطن رمز إلى حجة الناطق أو الإمام الذى يودعه الناطق علم الباطن فينقله إلى المستجيبين لتغذية أرواحهم وتربية المؤمنين بِهذا العلم[٣] لذلك يؤولون قوله تعالى " وخلق منها زوجها " سورة النساء آية (١)

---

(١) لمزيد : انظر المصدر السابق ، ص٧٥،ص١٠٦،ص١٧٦،ص١٧٧،ص٢٩٨،ص٢٩٩،ص٣١٤،ص٣٦٨ (بالهامش) تحقيق عارف تامر .

(٢) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ،ص٨٦،ص٨٧ كذلك يرجع إلى النعمان بن حيون ، أساس التأويل (قصة نوح).

(٣) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ،ص٨٧.

أى أن الله تعالى أمر آدم عليه السلام فتولى تأييد (حواء) وتعليمها وتبصيرها وقرنها به وجعلها زوجة وهى : حجة عوضه الله تعالى بها بدلا من أبليس .. وفى قصة نوح يؤولون قوله تعالى " واصنع الفلك بأعيننا ووحينا " سورة هود آية (٣٧) . بمعنى أن الله عز وجل أمره بإنشاء السفينة ظاهرا وباطنا وان يكون الظاهر مثلا ودليلا على الباطن .. فأقام السفينة (أى نوح عليه السلام) مثلا لأساس دعوته ونصبه ونصب حدوده ولإقامة الباطن بأمر الله عز وجل ليكون نجاة المؤمنين بحياة العلم الروحانى النورانى من غراق الكفر والضلال .. وهكذا وفى قصة موسى : يؤولون قوله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه " سورة القصص آية (٧) أم موسى ترمز هنا فى الباطن الداعى الذى دعاه .. وقوله تعالى واضمم إليك جناحك من الرهب " سورة القصص آية (٣٢) يحمل على معنى الباطن فالجناح اليد وهو أساسه الذى يقوى برهانه بحجة التأويل .. والتأويل الباطن الرمزى لقوله تعالى " سنشدد عضدك بأخيك" سورة القصص آية (٣٥) أى أن الله تعالى أرسل موسى إلى فرعون يدعوهم إلى الإيمان بالله والدخول فى دعوته وأيده بأخيه هارون وإقامته لتأويل ظاهرة .. كذلك جاء محمد صلى الله عليه وسلم عندما أنزلت الآية قوله تعالى "واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به آزرى وأشركه فى أمرى " سورة طه (٢٩) أنه صلى الله عليه وسلم كما يدعى دعاة الإسماعيلية .. قال " وأنا أقول يارب كما قال موسى : رب أجعل لى وزيرا من أهلى عليا أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى[1]" وهكذا إلى آخر التأويل الرمزى أو الباطن لقصة موسى - بل وجميع قصص الأنبياء مما لا داعى للإطالة فى ذكره[2] والذى يتتبع التأويل الباطنى فى هذا المجال يجد أن فى

---

(١) نظرنا : الداعى الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، أساس التأويل (قصة آدم) ،ص٥٠ ،ص٧٥ (قصة نوح) ص٧٨ (موسى) ،ص١٨٠،ص١٨١.
(٢) وللمزيد يرجع فى ذلك إلى : تأويل قصص الأنبياء بنفس المصدر السابق .

كل دور من الأدوار الصغيرة ناطق وأساس وحجة ودعاه ومستجيبين وأضداد .. الخ وكأن التاريخ يعيد نفسه فى كل دور من هـذه الأدوار حتـى نهايـة الـدور الكبـير - حتى ظهور القائم المنتظـر وفـى كـل دور مـن هـذه الأدوار يـؤول دعـاة الإسماعيليـة النصوص تأويلاً رمزياً باطنياً وفقاً لمعتقداتـهم .. بمـا يخـالف ظـاهر الشـرع ومـرادة الحقيقى وهذا التأويل لا يمثل الروح الإسلامية الأصلية بـل هـو خـروج علـى حـدود الإسلام الحقيقى ،وجنوح نحو تخريب الإسـلام عقيـدة وشـريعة فـى هـذه العصـور المتقدمـة وعلـى ذلـك يجـب التنبيـه إليـها ومقاومـة دعـاوى الإلحـاد والانحرافـات الأخرى.

ومن الواضح أيضاً من خلال تتبعنـا للتسلسـل الـدورى أن كـل دور يسـلم إلى الدور الذى يليه حتى يصل إلى آخر الأدوار . وهو الدور السابع دور " القائم صـاحب الكشف والتأويل إذ أن لكل واحد من النطقاء السبعة أمر وشريعة على حدة فآدم : لم يكن له شريعة وذلك أنه أمر بالأعمال تطوعاً لا شريعة فى دوره دور التطـوع ، أمـا نوح : فإنه قرن التطوع بالشـريعة أمـا إبراهيـم : فـهو صـاحب التطـوع والشـريعة والمنـاهى . فسـمى دوره دور المنـاهى أمـا موسـى : فـهو صـاحب التطـوع والشـريعة والمناهى والحدود والتقية والمعرفة وعقوبات الدنيا والآخرة أما القائم سلام الله علـى ذكره فهو صاحب التأويل الذى هو مجمع جميع شرائع النطقـاء وأعمـالهم وهـو رب يوم الكشف الذى ذكره الله تعالى بقوله " هـل ينظـرون إلا تأويلـه يـوم يـأتى تأويلـه يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا مـن شـفعاء فيشـفعوا لنا ..الخ"سورة الأعراف آية (٥٣).

بل يسرف دعاة الإسماعيلية فى تأويل النصوص القرآنيـة بغـير وجـه حـق لكى تدل على هذا الاعتقاد المذهبى الفاسـد .. " فالسـموات" ترمـز فـى البـاطن : إلى

الأئمة " والأرض" ترمز إلى اللواحق فى "ستة أيام" ترمز فى باطنها إلى النطقاء الستة .. أولياؤهم : باطنها الأسس الستة " استوى على العرش " باطنة يرمز إلى صاحب الدور السابع الذى هو صاحب الكشف والتأويل[1] وهكذا نستطيع أن نقول بان تأويل الإسماعيلية لقصص الأنبياء طبقاً لنظرية الدور يهدف إلى اثبات أن جميع الأنبياء والأئمة ينتهون إلى شخص واحد لأنهم جميعاً مثل لمثول واحد وهو العقل لذلك جعلوا تأويلهم لكل أية أو نص قرآنى أو حديث نبوى يتفق تماماً مع عقائدهم فى الدور أو المثل والمثول بل ومع الهيكل الفلسفى لنظرية الإمامة كلها ، ولا يخفى علينا هنا أن نشير إلى أن تعاليم الإسماعيلية لا تخلوا من الانغماس الكامل فى غنوصات الأفلاطونية المحدثة وشددات من الفلسفة الشرقية القديمة .

وترتبط بنظرية الدور الإسماعيلية فكرة " التسبيع " كما ذكرنا وربما تمتد هذه الفكرة إلى غلاة التشيع .. فقد كان أبو منصورة يتولى سبعة أنبياء من قريش وسبعة من بنى عجل وهو أول من جعل النبوات سلاسل لها عدد ثابت كما فعل الإسماعيليون بعدئذ فى الإمامة فجعلوها سلاسل سباعية بعضها ظاهر والآخر مستور بل أن فكرة العدد (٧) سبعة تمتد إلى المغيرة وهو من غلاة التشيع أيضاً والذى خرج داعياً إلى عقيدته فى سبعة نفر كانوا يدعون بالوصفاء[2].

غير أن العدد (٧) سبعة بالإضافة إلى العدد (١٢) أثنى عشر احتلا مكانة كبيرة فى عقائد الإسماعيلية وحاول دعاتهم إعطاء هذه الأرقام صبغة روحية ودينية وحاولوا كذلك تقسيم أشياء الوجود العلوى والسفلى لكى تدل على هذه الأعداد ثم تأويل نصوص القرآن والروايات طبقاً لمدلولات هذه العداد .

---

(١) نظرنا : الداعى الإسماعيلى شهاب الدين إلى فراس ، الإيضاح ،ص٧،ص٨، تحقيق عارف تامر .
(٢) دكتور / كامل مصطفى الشيبى . الصلة بين التصوف والتشيع ،ص٢٠٨ دار المعارف ١٩٦٩.

وتبدو فكرة السباعات عند الإسماعيلية من اولى العزم وهم سبعة " نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ومحمد بن إسماعيل" ومدلول هذا السباع من العالم السموات السبع والأرضون السبع وأن الإنسان سبع " يداه ورجلاه وظهره وبطنه وقلبه " وأن الأئمة كذلك وقبلهم محمد بن إسماعيل[١] يذكر المقريزى كذلك ادعاء الإسماعيلية أن الأئمة سبعة قد رتبهم البارى تعالى كما رتب الأمور الجليلة فإنه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعا وجعل الأرض سبعاً ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات[٢] .

ولما كان عدد الأنبياء عند الإسماعيلية سبعة أولهم آدم وسابعهم القائم وعلى عهد كل واحد منهم يجرى ما جرى لآدم[٣] فأنهم يرون لكل نبى "أساساً" أى عماداً يعتمد عليه فى تبليغ رسالته وهؤلاء الأسس هم : "شيت لآدم وسام لنوح وإسماعيل لإبراهيم وهارون لموسى وشمعون لعيسى وعلى لمحمد " أما أساس "القائم" فلا يذيعون أسمه حرصاً على سرية المعتقدات الإسماعيلية[٤] .

ولكل واحد من هؤلاء السبعة يوم من أيام الأسبوع : "فآدم صاحب يوم الأحد مبتدأ دور الستر ومنتهى دور الكشف" ،" ونوح صاحب يوم الاثنين ، وإبراهيم صاحب يوم الثلاثاء ، وموسى صاحب يوم الأربعاء ، وعيسى صاحب يوم الخميس ومحمد صاحب يوم الجمعة " وهو ينبوع الحكم وممثول القلم معضداً بأخيه ولى الأولياء الشجرة المباركة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ذو القضاء والمناقب على بن أبى طالب ثم يهتف الداعى الإسماعيلى قائلاً عن صاحب يوم السبت وهو (القائم) " أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون قد جاء الحق

(١) المصدر السابق ، ص٢٠٩ .
(٢) المقريزى ، الخطط ، حـ٢، ص٢٢٩.
(٣) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين فراس الإيضاح ، ص٤.
(٤) عارف تامر ، أربع رسائل إسماعيلية ، ص٦٦.

وزهق الباطل " واستقر الوقت لصاحب يوم السبت القائم فى الأرض فقام العقل فى عالمه محط حال حملة النور فى سالف الدهور مقصد الراحة وعنده تكون الاستراحة.. ذو الكلمة المصونة والجوهرة المكنونة[1] وهكذا إلى آخر ما يذكره الداعى الإسماعيلى فى شأن إمام الزمان من أوصاف جليلة وهو بذلك بدأ إلى الدخول فى نظرية أشبه بالإنسان الكامل أو القطب عند الصوفية .

الأئمة السبعة – الذين تدور حولهم فلسفة الباطن الإسماعيلية وتحدد السباع الأمامى الإسماعيلى فى دور محمد صلى الله عليه وسلم هم : (١)الإمام على بن أبى طالب (٢)والحسن (٣)والحسين بن على (٤)وعلى بن الحسين الملقب (زين العابدين) (٥)ومحمد الباقر (٦)وجعفر الصادق .. والسابع هو القائم صاحب الزمان. ويرى أغلبهم انه (٧) محمد بن إسماعيل ويرى فريق آخر أنه إسماعيل بن جعفر الصادق[2].

ومن الجدير بالذكر أن الإسماعيلية الباطنية تعتبر محمد بن إسماعيل الناطق السابع وان إمامته كانت بداية دور جديدة فى تاريخ الإسماعيلية بل يذهبون للقول أنه آتى بدين جديد نسخ به الشريعة التى سبقته حتى لقد فضله الإسماعيليين على أبيه إسماعيل خاتم لأئمة الصمت فهو فى نظرهم قد جمع بين درجتى النطق والإمامة ورفع عنهم التكاليف الظاهرية للشريعة بمناداته بالتأويل واهتمامه بالمعنى الباطن وغضه من شان المعنى الظاهر[3] وتعليل ذلك عند دعاة الإسماعيلية وفى عقائدهم المذهبية فى ضوء نظرية الأدوار والهيكل السباعى .. أن الإمام محمد

---

(١) الداعى الإسماعيلى أحمد حميد الدين الكرمانى (حجة العراقين)، رسالة أسبوع دور الستر (ضمن أربع رسائل إسماعيلية) ،ص٦٢ ،ص٦٦ ، وتحقيق عارف تامر ، حـ١ دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٣م.

(٢) رجعنا فى ذلك إلى : المقريزى ، الخطط ،حـ٢ ،ص٢٢٩ ، دكتور كامل مصطفى الشيبى ، الصلة بين التصوف والتشيع ،ص٢١٠ .

(٣) دكتور حسن إبراهيم ، طه شرف ، عبيد الله المهدى ، ص٣٩.

بن إسماعيل اختص بذلك لانتظامه فى سلك مقامات دور الستر ولأنك إذا عددت لآدم ووصية وأئمة دوره كان خاتمهم الناطق وهو (نوح عليه السلام) وإذا عددت عيسى ووصية وأئمة دوره كان محمد صلى الله عليه وسلم متسلماً لمراتيهم وهو الناطق الخاتم للنطقاء وكان وصية على عليه السلام منفرداً بالفصل . وإذ أعددت الأئمة فى دوره كان محمد بن إسماعيل سابعهم . والسابع قوة على من تقدمه ولذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع قائماً وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ببيان معانيها وإظهار باطنها المبطن فيها[1] وفى تصورى أن دعاة الإسماعيلية يقصدون بذلك إلغاء الشريعة الإسلامية إلغاء تاماً لكنهم يقصدون إيجاد فلسفة تعتمد على التعميق الباطنى للمعانى ومدلولات الألفاظ الظاهرية طبقاً لمذهبهم وذلك يؤدى إلى تجديد الشريعة وقيام فلسفة باطنية أو عقائد جديدة تتأتى عن طريق لمذهبهم التأويل الذى أختص به فيما يزعمون الإمام السابع محمد بن إسماعيل الذى عنده فيما يرى المقريزى نقلاً عن دعاة الإسماعيلية أيضاً علم المستورات وبواطن المعلومات التى لا يمكن أن توجد عند أحد غيره وأن عنده علم التأويل ومعرفة تفسير الظاهر وعنده سر الله تعالى فى وجه تدبير المكتوم و إتقان دلالته فى كل أمر يسأل فى جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات[2] .

ولا شك أن هذه الشريعة الجديدة والتى تنسخ شرائع النطقاء الستة والتى يبشر بقيامها دعاة وأئمة الإسماعيلية الباطنية سوف تقوم بظهور قائم الزمان وهو الإمام القائم أو السابع فى سلسلة الأئمة السبعة الإسماعيلية ولذلك يؤول دعاة الإسماعيلية وفلاسفتهم قوله تعالى " يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٩.

(٢) نظرنا : اتلمقريزى ، الخطط ، حـ٢ ،ص٢٣٠، كذلك دكتور الشيبى الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٢١٧.

أول خلق نعيده وعدا علينا أنا كنا فاعلين " سورة الأنبياء آية (١٠٤) طبقاً لهذا الاعتقاد بقولهم : عن السماء هى الشريعة العائدة للناطق . وهذه الآية ترمز إلى انه عند ظهور " القائم السابع" ستطوى جميع الشرائع وعددهم السموات أى ستة شرائع وهم : آدم ونوح وإبراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كما يطوى السجل ويضيف إليهم شريعته السابعة التى تلغى جميع ما قبلها وعندئذ يبدأ عهد جديد كما كان فى أول بدء الخلق " وفى سبيل التبشير بظهور قائم الزمان الإمام السابع يؤولون مرور الجبال كمر السحاب قوله تعالى " وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب " سورة النمل آية (٨٨) بأن الجبال ترمز إلى الدعاة . وأن مرورهم معناه يوم ظهور القائم السابع فيمرون للتبشير بظهوره كما يمر السحاب[١] .

ومما سبق يتضح لنا أن الدعوة الإسماعيلية تريد أن تستغرق الشرائع والديانات السماوية كلها وتنحو بها إلى ليل الباطن الإسماعيلى بما يؤدى إلى إيجاد فلسفة عقائدية عالمية تهدف إلى توحيد الديانات كلها فى دين واحد حيث تتوحد الآراء وتتداخل العقائد والثقافات وهذا ما دعا إليه فلاسفة أخوان الصفاء فى رسائلهم .. وكل هذا لا يتأتى إلا على يد القائم – صاحب الزمان الذى هو ممثول العقل الأول .

ومن الأمور التى تسترعى النظر فى منهج التأويل الفلسفى الرمزى عند دعاة الإسماعيلية هو إسباغ المعانى الدينية على الأرقام ومحاولتهم تأصيلها على أسس دينية إسلامية .: والأمثلة على ذلك كثيرة ولكن نقتصر فى ذلك على ثلاثة أرقام هى رقم (١٩،١٢،٧) حيث أن لها أهمية كبيرة فى مسار الدعوة والمذهب الإسماعيلى بالإضافة إلى أنها تقود إلى نظرية فى التجليات الباطنية الروحانية ولها صلة كبيرة

(١) انظرنا : عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء وخلاف الوفء ،ص٤٨،ص٤٩.

بنظرية الفيض الأفلاطونية .

فإذا كان أول ما يقابلنا فى العقيدة الإسماعيلية أنها تدعى السبعيه رمزاً إلى السباعات التى تتحكم فى العقيدة كما رأينا أصوله عند بالغلاة من الشيعة الكوفيين فإن للإسماعيلية تعلقاً برقم آخر هو الرقم (١٢) يذكر الشهرستانى " أن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبعة والنقباء تدور أحكامهم على أثنى عشر (٢) والتقياء هم الدعاة .. ولا شك أن لهذا الرقم (١٢) تعلقاً آخر بغلاة الشيعة الكيسائية كذلك له أهمية بالغة عن الأمامية الأثنى عشرية الذين يختمون أئمتهم بالمهدى المنتظر الإمام الثانى عشر .

أما السند الدينى والقرآنى لهذه الأرقام بالإضافة إلى التعمق الباطنى والصيغة الروحانية يستمدونها من تأويلهم لقوله تعالى " ولقد أتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم " سورة الحجر آية (٨٧) على معنى أن الله تعالى إنما أشار بذلك إلى الحد الجليل وأما السبعة فموجودة دائماً فى العالم البسيط وهى روحانية لطيفة وبواطن سبع رجال من الأئماء يرتقى مرتقى مراتبها السابع وهو الناطق عنها وهى السبعة الشداد أشار لذلك قوله تعالى " وبنينا فوقكم سبعاً شداداً " سورة النبأ آية (١٢)[١] والسبعة الشداد عند الإسماعيلية يرمزون للحدود السبعة الروحانية العلوية التى تقابل السبعة رجال والأئمة فى العالم الأرضى السفلى .. لذلك يحملون قوله تعالى " وبنينا فوقكم سبعاً شداداً " فى التأويل على معنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كما رقى السبع الشداد إلى المقام الأعلى كان العروج وفى العروج سرائر إذ ابلغها الإنسان الكامل ووصل إلى حد هذه السبعة يكون قد بلغ مرتبة النطقاء واكمل

(١) الداعى الإسماعيلى الأجل ، محمد بن سعد داود (الرفتة) الرسالة الكافية ،(ضمن كتاب خمس رسائل إسماعيلية) ص٩٢ ، تحقيق عارف تامر ،ط دار الأنصاف ،سلميه سوريا ،١٩٥٦.

دوره كما قال بعض الأئمة "بسبعة رجال قد كمل دورنا[1]".

وبالإضافة إلى ما سبق حاول فلاسفة الدعوى الإسماعيلية تأصيل الهيكل السباعى وما يتصل به من أرقام (١٢ ،١٩) من خلال التحليل العددى لحروف النصوص القرآنية لذلك يقولون " أن الله سبحانه وتعالى جعل افتتاحية كل سورة من القرآن على سبعة واثنى عشر حرفا وهى " بسم الله الرحمن الرحيم الله الرحمن الرحيم " فبسم الله عددها سبعة أحرف وهى تدل على الأئمة السبعة الرحمن الرحيم أثنى عشر حرفاً وهى تدل على الحجج الاثنى عشر . وأن رسول الله وجميع الأنبياء دعوا الناس إلى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) وهى نفى واثبات تدل على الناطق والأساس كما إنها مركبة من سبع فواصل واثنى عشر حرفاً . وان (لا حول ولا قوة إلا بالله) مثلها .فالحول والقوة تدلان على الناطق والأساس وهى تسعة عشر حرفاً أى سبعة واثنى عشر وأن الملائكة الموكلين عددهم تسعة عشر أيضاً قال تعالى :" عليها تسعة عشر " سورة المدثر آية (٣٠) وقوله تعالى "وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة " سورة المدثر آية(٣١) وأن الجبال سبعة والسموات سبعة والأرض سبعة وأبواب جهنم سبعة وجعل القرآن سبعة أسباع والحواميم سبعة والنطقاء سبعة وجعل سورة الحمد سبعة آيات والطواف حول البيت سبعاً والسعى بين الصفاء والمروة سبعة ثم خلق الإنسان فى نفسه وجعله على سبع طبقاً لقوله تعالى "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً أخر فتبارك الله أحسن الخالقين " سورة المؤمنون آية (١٢ إلى ١٥)[2].

(١) المصدر السابق ، ص٩٣.
(٢) الداعى الإسماعيلى قيس بن منصور الدادنخى ،رسالة الأسابيع (ضمن كتاب خمس رسائل)،ص١٥٨ ،ص١٥٩ ،تحقيق عارف تامر .

وقوله تعالى " ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم أنكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين " سورة المؤمنون آية (٧١٦) ويذهب الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون فى تأويل قوله تعالى " الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن " سورة الطلاق آية (١٢) بأن السموات السبع والأرضون السبع إشارة إلى الأئمة السبعة[١] وهكذا نجد أن لنظرية الأعداد والحروف أهمية بالغة فى نطاق الدعوة الإسماعيلية كما أن للأعداد (١٩،١٢،٧) قدسية خاصة عند فلاسفة الدعوة الأمر الذى أدى بهم إلى تأويل النصوص القرآنية طبقا للنظرية العددية فى محاولة منهم لتأصيل أسس الدعوة على النظام الإسلامى بمنهج متطرف إلى حد كبير وجدير بالذكر أن هناك نوع من التأثير والتأثر فى منهج التأويل فى فلسفة الباطن الإسماعيلية فكما رأينا فيما سبق تمجيد غلاة التشيع للعدد (٧) وكذلك كان للعدد (١٢) أهمية بالغة عند الأثنى عشر أما العدد (١٩) فقد انتقلت قدسيته إلى البهائية فجعلوا له هالة قدسية وأسسوا عليه ركنا من عقيدتهم بل لقد وصلوا به عدد الأشهر وأيامها إذ جعلوا السنة تسعة عشر شهرا والشهر تسعة عشر يوما وبذلك تبدوا الصلة بينهم وبين أسلافهم من الشيعة الغلاة . غير أن الفاطميين أنفسهم قد أهملوا السباعات التى تحدد عدد الأئمة الظاهرين والمستورين بعد أن تأسس حكمهم فى المغرب ثم مصر فكان عدد خلفائهم وهم أئمة ظاهرون بالطبع اكثر من سبعة ولما زالت الدولة لم يلتفت أحد إلى الناحية التطبيقية لفلسفة الأرقام التى أسسوا عليها عقيدتهم[٢] وفى كل ما سبق من تأويلات وتخريجات فيه غلو شديد ، لا يمت للإسلام السنى الحقيقى بصله ، بل هو لون من ألوانا الموجات المذهبية المرفوضة شكلا ومنهجا وموضوعا .

(١) الداعى الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، الرسالة المذهبة (ضمن خمس رسائل) ص٣٧.
(٢) دكتور : كامل مصطفى الشيبى ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٢١٢،ص٢١٣.

ويضاف إلى ذلك أن لفلسفة التأويل العددى للحروف والألفاظ أصول أجنبيــة حيث "مذهب الإسماعيلية فى جملته فلسفى باطنى قد استمد كثـيرا مـن أسســه مـن المذاهب الإيرانية والسامية القديمة كما تطرقت إليــه تعـاليم الأفلاطونيـة الحديثـة والفيثاغورية الحديثة وهو مبنــى فـى كـل تفاصيلـه علـى العـدد الخفـى (٧) سـبعة فهناك سبع فترات فى فترات الأنبياء والرسل .. وكل واحد من هؤلاء الأنبياء أعقبه سبعة من الأئمة ، ومن ناحية أخرى فإن علاقة الفيثاغـورية والأفلاطـونية الحديثـة بالإسماعيليـة كانت علـى صـورة وثيقـة وأن قدسية الرقـم (٧) كـانت موجـودة فـى الفيثاغورية القديمة ويرى جولد تسيهر أن الإسماعيلية يتبعون فى حدوث الكائنات فلسفة غنوصية مبنية على الأفلاطونية الجديدة[١] .

وإذا كان الفاطميون قد اتخذوا الأعداد أصولا لأراء يثبتون بها عقيدتـهم فـى الإمامة فإن اتخاذ الأعداد ليس بجديد على الفكر البشرى وكما ذكرنـا نحـن نعـرف أن الفلسفة الفيثاغورية تقوم على أن كل عدد أصل لآرائـهم ومـن ناحيـة أخـرى فـإن العبرانيين اتخذوا العدد (٧) سبعة أصــلا لكثـير مـن عقـائدهم وانتقـل التسـبيع إلى البابلية القديمة واتخذ الحرنانيون العدد (٥) خمسة أصلا لعقيدتهم ومن الفـرق مـن اتخذ الثنويه ومنهم من اتخذ التثليث .. وهكذا[٢] .

غير أن الفاطميين لم يتخذوا عددا بعينه بـل كـان لكـل عـدد عندهـم فلسـفة (يؤولون على أساسه نصوص القرآن أو الأحاديث طبقا لعقيدتهم) فقد قالوا بالازدواج والتثليث واتخذوا العدد أربعة لفلسفة أركان الطبيعة وقالوا بالعدد (٥) خمسة الذى يمثل الحدود العلوية .. وهكذا إلى أخر الأعداد فلكل عدد أصل عندهم ولم يقفوا عنه

---

(١) نظرنا : المصدر السابق ، ص٢١٣ جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة فى الإسلام ،ص٢١٣.
(٢) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ،ص٨٧.

عدد بعينه[١] .

وفيما يرى بروكلمان : أن الصفة المقدسة التــى كـان يتمتـع بـها العـدد (٧) سبعة فى بلاد المشرق وانحصار آمال هذا الفريق فـى الإمـام السـابع .. هيئـا لهـؤلاء السبعة أساس معتقداتهم[٢] .

ولهذا فإن فكرة التأويل الرمـزى أو العـددى لم تكـن وليـدة فلسـفة التـأويل الباطنى عند الإسماعيلية بل كان لها أصولا أو جذورا وترية متوارثة غـبر التيـارات الفلسفية والدينية القديمة وحاول فلاسفة الدعوة الإسماعيلية أن يجدوا فيها بغيتهم فى تأسيس أصول الإمامة ودوراتها السباعية .

وإذا اتجهنا إلى نـوع آخـر مـن التـأويل الفلسـفى عنـد الإسماعيليـة نجدهـم يغرقون أنفسهم فى محيط من الآراء والمصطلحات الفلسفية وذلك مـن خـلال المطابقـة بين عالم الإبداع العلوى وعالم الدين باعتبار أن العالم الإبداعى مثـل لمثـولات عـالم الدين الأرض ((الأئمة).

٢- المطابقة بين عالم الإبداع وعالم الدين :-

لا يسع أى مؤرخ للعقيدة الإسماعيلية أن يختار نسقا واحدا معينا لكى يعطى صورة حقيقية متكاملة لهذا المذهب الذى اختلف ويختلف المؤرخون فى تحديد هيكله العام وبنيته الحقيقية[٣] .

وهذا يعنى أن العقيدة الإسماعيلية تقوم على أسس فلسفية وباطنية متكاملة عمادها الأول منهج التأويل الباطنى كأسلوب مرن يستخدمه دعاة المذهب فـى سـبيل

---

(١) المصدر السابق ،٨٧.

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ص٢٢٨.

(٣) دكتور محمد على أبو ريان - ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٩٦.

تدعيم عقيدتهم فى الإمامة . وحسب الباحث فى عقائدهم أن يتناول موضوع الإمامة يجد نفسه يسير فى نسق فلسفى متكامل يعبر عن جوانب العقيدة الإسماعيلية المختلفة حيث إننا نعرف جيدا أن "نظرية الإمامة عند الإسماعيلية (وغلاة التشيع كذلك) تدور حولها معظم عقائد الشيعة فى العبادات فالإمامة هو مصدر التعليم لأنه معصوم وفى امور الحياة الآخرة إذ أن دخول الحقيقة والدين الروحانى إلى ليل الباطنية أى إلى دور الستر الحالى بدأ بآدم الجزىء إمام هذا الدور الذى يعبر عن حقب النبوة التشريعية الست الكبرى التى يرمز إليها بالأيام الستة التى خلق فيها الكون حيث تسود الشريعة (الظاهر) وتختفى الحقيقة فى اليوم السابع وهو يوم القيامة والحشر[1] حيث تظهر الحقائق الإلهية بظهور الشمس – وهو إمام الزمان أو القائم – مظهر القيامة الكبرى – أما فى الإلهيات فالإمام هو وجه الحقائق والصفات الإلهية فى الأرض وهو خليفته تعالى وهو الصورة التى تتجلى فيها حقائق عالم الإبداع السماوى العلوى . وهكذا .

وجدير بالذكر كما سترى الآن أن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية تأثروا بمعظم التيارات الفلسفية الأجنبية فى محاولتهم تأويل عالم الإبداع ومطابقة بعالم الدين "خاصة الفلسفة الأفلاطونية المحدثة ونظريتها فى الفيض" كذلك بجعل الإسماعيلية المراتب الدينية مقابلة للمراتب السماوية الإلهية ويستعيرون التفسير السحرى للأعداد عند الفيثاغوريين ويجعلون الأعداد أصولا لعقيدتهم[2].

ويستخدم الإسماعيلية منهج التأويل الفلسفى الرمزى فى محاولة التطابق بين عالم الإبداع العلوى وعالم الدين إذ أن مراتب عالم الدين الإسماعيلية ممثولات

---

(١) المصدر السابق ،ص١٨٧.
(٢) المصدر السابق ،ص١٩٦،ص١٩٧.

للمثل الإبداعية العليا ويستدلون على ذلك بقولهم " أن الله أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه ويدينه على وحدانيته"[١] ولا شك أن هذا المنهج فى التطابق أو التقابل شائع فى الفلسفة الإسماعيلية وتسير عليه الدعوة الباطنية الشيعية منذ نشأتها وبعد تأسيسها .

وإذا كان ذلك كذلك فإن فلاسفة الدعوة دأبوا على طريقة المقابلة والموازنة بين العوالم المختلفة وبين عالم الدين بالإضافة إلى التقسيم العددى للحروف والألفاظ طبقا لنظرتهم فى الإمامة وفى ضوء ذلك كله كما نرى يحاولون تأويل المصطلحات الدينية بالمصطلحات الفلسفية أو شرح المصطلحات ومبادئ العقيدة فى ضوء التعاليم والتيارات الفلسفية ومن الخطأ حقا أن ترد المذهب الإسماعيلى إلى مصدر واحد يعينه بل نجد انه تأثر بمصادر كثيرة فى هذا الصدد – فأخذ مادته من الفلسفة اليونانية مزيجا من فلسفات أفلوطين وأرسطو والفيثاغوريه الجديدة كما أن نظرية العقل الكلى والنفس الكلية نظرية أفلاطونية محدثة استخدامها دعاة الشيعة الإسماعيلية .. أما أهم المصادر الإسماعيلية فى مختلف صورها فهو الفيثاغوريه المحدثة مختلطة بافلوطينية[٢].

ولعل نظرية الموازنة عند الإسماعيلية تتضح من خلال تاويلهم الهام للشرائع فى صور إعداد ترمز إلى أئمة وحجج وأسس ومحاولتهم التطابق بين عالم الإبداع الروحانى (عالم العقول) وبين عالم الدين أو بين مصطلحات الفلسفة وبين مصطلحات الدين .ز وهكذا لذلك قالوا " ما من فريضة وسنة وحكم من الأحكام الشرعية . إلا وله وزان من العالم عددا فى مقابلة عدد ، وحكما فى مطابقة حكم فإن

---

(١) دكتور محمد كامل حسين ، مقدمة كتاب راحة العقل للكرمانى ، ص١٨ .
– كذلك نظرنا ، دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ص٨٧.
(٢) دكتور النشار ، نشاة الفكر الفلسفى فى الإسلام ،حـ٢،ص٤١٦.

الشرائع عوالم روحانية أمريه والعوالم شرائع جمسانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان التركيبات في الصور والأجسام .. وعلى هذا الوزان صاروا إلى ذكر أعداد الكلمات والآيات.. ومن هذه المقابلات كانت طريقتهم وصنفوا فيها كتبا ودعوا الناس إلى إمام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ويهتدى إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم(١).

وهناك أمثلة كثيرة لطريقة التطابق والتوازن عند الإسماعيلية ،باستخدام منهج التأويل الفلسفي الرمزي غير إننا نختار هنا ما يشير إلى الإمامة ونترك الإلهية لحين تناولنا لمنهج التأويل في الإلهيات .

يذهب الداعي الإسماعيلي الأجل في تأويل كلمة "كن" بقوله كلمة الإبداعية (كن) هما الكاف والنون تفرع منهما فرعان هما : الخلق والدين علمان : التنزيل والتأويل . التنزيل : يشرح أمور الخلق . والتأويل : يشرح أمور الدين . وأن أول الوجود العالم الروحاني وملائكته العالون في رتبة الدين ومقرهم "الإمام" الحاد للحدود الظاهرة للوجود ثاني رتبة: الوجود التالي وملائكته هم القربون ومقرهم التالي وهو اللوح المحفوظ . يقابله في عالم الدين "الحجة" ثالث الوجود الجرماني : ملائكته الكروبيون . مقرهم الفلك المحيط يقابلـه فـي الدين علم الظاهر الحقيقي وملائكته الأنسيون وهم المتفقهون في علم التنزيل . رابع الوجود : الطبائع الأربع وهم الأركان الأربعة أولهم الأثير وهو الاستقص الناري وملائكته جنيون . ويقابله في عالم الدين : المأذونون الذين اجتنوا علم التأويل . خامس الوجود المتولدات : المعدن والنبات والحيوان . يقابلهم في عالم الدين : المؤمنون المعاهدون(٢) ..

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ،ص٢٠٢ ،ص٢٠٣.
(٢) الداعي الإسماعيلي : شهاب الدين إلى فراس ، رسالته مطالع الشموس في معرفة النفوس (ضمن أربع رسائل إسماعيلية) تحقيق عارف تامر ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٢م.

وفى نطاق التأويل الفلسفى الباطنى الرمزى لمراتب عالم الدين ومطابقتها بحدود العالم الإبداعى الروحانى يشير فيلسوف الدعوة أحمد حميد الدين الكرمانى إلى وجود مطابقة بين الحدود الباطنية العليا منها والأرضية ويشكل مجمل هذه الحدود الباطنية والأرضية عشر درجات يتصل بعضها ببعض على شكلين "ثلاثى وسباعى " يقول : أن المراتب العشرة ثلاث منها كلية وسبع منها تابعة : فالثلاثة الكلية هى :-

١- **الرسالة** : (يختص بها الناطق) وهى إفاضة البركة بتأسيس قوانين العبادة العملية الظاهرة بالتنزيل والشريعة .. يقابل ذلك فى المراتب العليا الإبداع الذى هو المبدع الأول (العقل الأول) ذو مراتب عشرة يختص فيها بالتصوير الذى هو تكوين الصور التى هى أعيان المبادئ فى الوجود عموما والفلك العلى خصوصا .. لذلك سماه الله تعالى فى كتابه العزيز "المصور" .. والذى بدأ الدعوة فى السماء .

٢- **الوصاية** : (يختص بها الوصى أى الإمام مستودع الوحى النبوى والوريث الروحانى المباشر للنبى ..) وهى قبول البركة بكليتها والقيام بها بجميع التنزيل وتأسيس قوانين العبادة العملية الباطنية بالتأويل .. يقابل ذلك فى المراتب العليا الموجود الثانى الذى ترتب دون الأول بالأنبعاث مالك للمراتب ويختص بالبرء الذى هو إعطاء ما حصل فى الوجود من الصور أليق شىء به على ما يوجبه نظم الحكمة عموما (والفلك الثانى) خصوصا لذلك سماه الله تعالى "البارى " وهذا يقابل (الأساس) المختص برتبة التأويل شبيه بالعقل الثانى (النفس الكلية).

٣- **الإمامة** : (تختص بالإمام الذى يديم التوازن بين الباطن والظاهر خلال الدور وهو شبيه بالعقل الثالث - أى آدم الروحانى) وهى الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين .. وعمارة الحرث والنسل ظاهرا وباطنا وجذب الأنفس إلى الوجود وبذلك سماهم الله تعالى أولى الأمر .. ويقابل ذلك فى المراتب العليا الموجود الثالث المترتب دون الثانى بالانبعاث جامع للمراتب ويختص منها بالخلق الذى هو التركيب عموما والفلك الثالث خصوصا (زحل) ولذلك سماه الله تعالى فى كتابه "الخالق" وهذا يقابل مرتبة الإمام رتبة الأمر .. والله تعالى فيما يرى الكرمانى جمع المراتب الثلاثة فى آية واحدة ونسبها إلى الأول فقال تعالى "هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى " سورة الحشر آية (٢٤).

أما الشبع مراتب التالية وما يقابلها من حدود وعقول عالم الإبداع النورانيه فهى :-

١- **الباب** : رتبة فصل الخطاب - يقابل الموجود الرابع (المشترى).

٢- **الحجة** : الحكيم فى ترتيب المراتب وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق وإظهار تأويل الكتاب .. قال تعالى عن منته لداوود "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " سورة (ص) آية (٢٠) إذ كان حجة فعلت درجته فنال المنة بالبابيه .. يقابل الموجود الخامس (المريخ).

٣- **داعى البلاغ** : الاحتجاج بالبرهان فى إثبات الحدود العلوية ومراتبها فى وجوداتها وتعريف المعاد .. يقابل الموجود السادس (فلك الشمس) .

٤- **الداعي المطلق** : تعليم العبادة ونشر التأويل وتعريف الحدود ويقابل الموجود (السابع فلك الزهرة) رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية

٥- **الداعي المحصور** : تعليم مراسم العبادة العلمية ورتبه تعريف الحدود السفلية وأدوارها صغارا وكبارا .. ويقابل الموجود الثامن (فلك عطارد).. رتبه العبادة الظاهرة.

٦- **المأذون المطلق** : رتبه أخذ العهد والميثاق وتعريف رسوم الدين وأدب الدين .. يقابل (الموجود) الفلك التاسع (القمر) .

٧- **المكاسرة** : رتبة جذب الأنفس المستجيبة - والهداية إلى الحق والاعتصام بالحق. يقابل الموجود العاشر مأذون الفلك من الطبائع.

وكل مرتبة من هذه المراتب العشرة مالكة لما دونها ويؤكد فيلسوف الدعوة هذه المقابلات بقوله " وثبت بما أوردناه أن الموجود عن الإبداع الذى هو المبدع الأول من العقول فى دار الإبداع مثل الموجود من الحدود فى عالم الدين لم يغادر منها شيئا قال تعالى " ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت " سورة الملك) آية(٣) . وهى الحروف العلوية الفاعلة ملائكة مقربون سارية أنوارهم فى عالم الجسم بتدبير المتعالى سبحانه[1] .

وجدير بالذكر أن الكرمانى فيلسوف الدعوة الإسماعيلية يؤول مراتب الدين وحدوده الثلاثة فى ضوء المراتب والحدود والتورانيه أو عقول عالم الإبداع العليا إذ يجعل الأول فى قمة الإبداع ويقصر عليه صفة الإبداع من الله سبحانه وتعالى ويجعل مُنه منبعثا أولا أو عقلا ثانيا .. صدر عنه بسبب تعقل الموجود الأول لله سبحانه

---

(١) أحمد حميد الدين الكرمانى ، راحة العقل ،ص١٣٤،ص١٣٩ .

- كذلك نظرنا : دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ،ص١٩١،ص١٩٢.

وتعالى وصدر عنه المنبعث الثانى (العقل الثالث) بسبب تعقله لذاته .. وهذه المراتب الثلاثة تقابل فى السنن الإلهية :-

١- **الموجود الأول** : (العقل الأول) يقابل المبدع الأول وهو يقابل فى مراتب حدود الدين (الناطق) .

٢- **المنبعث الثانى** : (العقل الثانى) يقابل (القلم وفى حدود الدين الأساسى أو الوصى).

٣- **المنبعث الثالث** : (العقل الثالث) يقابل (اللوح المحفوظ) وهو العقل بالقوة (الهيولى) يقابل الكتاب (الإمام الصامت)[١](مقترنة بالصورة).

ومما سبق يتضح لنا أن نظرية التطابق بين عالم الإبداع والعقول (العالم النورانى) وبين حدود ومراتب عالم الدين فيما يصوره دعاة الإسماعيلية فى نطاق منهج التاويل الفلسفى الرمزى :-

أولا : كما أثبت الكرمانى من الناحية الفلسفية أن المبدء الأول هو الشيء الثابت الذى تنتهى إليه الأشياء كلها فقد أثبت كذلك من وجهة النظر الإسماعيلية أن الناطق هو الأصل الذى يصدر عنه الدين بما فيه من علم وعمل وبمن فيه من أئمة يدعون إلى التحقيق بكمال العلم عن طريق العبادة العملية الباطنية والتحقق بكمال العمل عن طريق العبادة الظاهرة .

ثانيا : أنه عن طريق الناطق وهو أصل عالم الدين وجد الإمام القائم بالفعل وهو الأساس .

ثالثا : وعن طريق الناطق أيضا وجد الإمام القائم بالقوة وهو الكتاب .

رابعا : وعن الإمام القائم بالفعل الذى هو الأساس وجد الأئمة القائمون بحفظ

---

(١) لمزيد من الشرح والتفاصيل يرجع للمصدر السابق ،ص١٠١ ،ص١٠٧ ومن ص١٠٨ -ص١١٥.

الشريعة وهم كثيرون .

خامسا : وجدت الشريعة الجامعة للعبادتين الباطنية والظاهرية وعلما وعملا عن طريق الإمام القائم بالقوة الذى هو الكتاب .

سادسا : يحصل كمال نفس الإنسان عن طريق الأئمة والشريعة إذ بالشريعة يحصل كماله العلمى الذى يأتى من العبادة الظاهرة ومن الأئمة يحصل كماله العلمى الذى يأتى من العبادة الباطنة .

وهذه هى مراتب الدعوى الإسماعيلية التى تقابل عند دعاة الإسماعيلية كما وضح الكرمانى مراتب الموجودات الخلقية ويعبر عما بين كل من هذه المراتب من مقابلة ومطابقة تعبيرا دقيقا يظهر من خلاله مبلغ قدرته فى مزج التعاليم الباطنية بالأنظار الفلسفية[1] وعلى ذلك فإن النسيج الباطنى يتخلل نمط التأويل الفلسفى الرمزى بطريقة عجيبة ولا يقف الأمر عند ذلك بل يحاول دعاة المذهب الإسماعيلى استخراج مدلولات المصطلحات والحدود الإبداعية كذلك الحدود المراتب الدينية من السنن الإلهية أو النصوص والكلمات الدينية .. والأمثلة على ذلك كثيرة .. لذلك يذهب دعاتهم فى تأويل "بسم الله الرحمن الرحيم " بأنها : أربع كلمات دآلات الأصول الأربع .. " بسم " دليل على "النفس " لأنها قامت للعقل مقام الاسم لدلالتها عليه وهى ثلاثة حروف كحروف " إله" وركعات فريضة المغرب ولفظ الجلالة "الله" دليل على العقل وهو أربعة حروف .. الخ "الرحمن" دليل على الناطق الذى بسط الرحمة للأنام بما فرش لهم من الدعوى ..الخ " الرحيم" دليل على الأساس وهو ستة أحرف دليل على أن الأسس ستة فليس للقائم شريعة يحتاج منها

---

(١) دكتور محمد كامل حسين ، محمد مصطفى حلمى ، مقدمة كتاب راحة العقل للكرمانى ، ص٣٩ ،كذلك يرجع إلى ص٦٦ ،ص٦٧.

إلى أساس لبيان تأويلها "لا إله إلا الله " إنها أربعة أشياء منها اسمان لطيفان خاصيان هما "الله وإله" دليلان على العقل والنفس وهما أصل العالمين العلوى والسفلى .. فالله اسم الله الأعظم يتكون من أربعة حروف والعقل يتكون من أربعة حروف وأن العقل لما أبدعه المبدع جمع فى صورته الأصول الثلاثة التى هى : النفس والناطق والصامت .. "وإله " دليل على التالى وهو ثلاثة أحرف مقابل فريضة صلاة المغرب . أى أن الله جمع فى صورتها الأصليين السفليين الذين هما الناطق والصامت .. وهذان الاسمان سبعة أحرف يعنى أن الأصليين مجمع الحروف العلوية السبعة[1] .

يضاف لذلك آراء أخرى منها انبعاث العقول الروحانية من العقل الكلى والنفس الكلية واهم هذه العقول التى أطلقوا عليها "الجد والفتح والخيال " وهؤلاء هم الملائكة الروحانيون ويعرفهم العالم الإسلامى باسم (اسرافيل وميكائيل وجبرائيل) وهؤلاء العقول مع العقل الكلى والنفس الكلية يكونون الحدود العلوية ولذلك جعلوا لها ممثولات للقائمين على الدعوة .. فالعقل الكلى (السابق) : ممثول للناطق والنفس الكلية (التالى) : ممثول للوصى والجد : ممثول للحجة والفتح : ممثول للداعى المأذون والخيال : ممثولا للداعى المكالب الكاسر ..وهكذا فى أمثلة كثيرة حيث جعلوا مراتب الدعاة من المراتب الروحية التى تقام عليها دعواتهم وأطلقوا عليهم الحدود الجسمانية إمعانا فى تقديسهم - كذلك ادعوا أن الناطق والإمام معصومان عصمة ذاتية أما هؤلاء فمعصومين عصمة مكتسبة[2] .

ولا شك أن الإسماعيلية الباطنية قد جعلوا على هذه الحدود العقلية العلوية صفات إلهية مقدسة وجعلوها كذلك على مراتب عالم الدين .. إذ أن المراتب

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين إلى فراس ، الإيضاح ، ص٩٣،ص٨٩،ص٩٠.
(٢) نظرنا : دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ،ص٨٥.

الجسمانية ممثولات للحدود العلوية[١] .

ومما سبق يتضح أن فلاسفة الدعوة الباطنية الإسماعيلية استخدموا أسلوب التأويل الفلسفى فى محاولتهم التطابق والتقابل بين عالم الإبداع الروحانى العلوى وبين مراتب عالم الدين فى الإمامة وما فى ذلك من مزج عجيب بين المصطلحات والآراء الفلسفية وبين السنن والمصطلحات الدينية الإلهية .

٣- نظرية الإمام القائم "الإنسان الكامل " .

وإذا انتقلنا إلى دراسة نظرية الإمام القائم أو ما يعرف بإمام الزمان فى معتقدات الشيعة الإسماعيلية . أو ما يعرف بالإنسان الوجودى أو الكامل نجد فى ذلك نوع من التأويل الفلسفى والتعمق الباطنى فى أصول العقيدة وما فى ذلك أيضا من تتابع يعطى صورة واضحة للنسق المنهجى المتكامل الحلقات فى أصول الإمامة الإسماعيلية .

وكما رأينا فيما سبق أن نظرية الإمامة تستغرق معتقدات الإسماعيلية أو مذهب الشيعة بأكمله وان منهج التأويل الفلسفى والباطنى الرمزى من أهم العوامل التى ساعدت على هذا فلا شك إننا بهذا الصدد نؤكد مرة أخرى أن لهذا المنهج أثر كبير فى تدعيم نظرية الغنوص الكبرى عند الإسماعيلية فى الإمام القائم أو الإنسان الكامل .

ويستمد فلاسفة الدعوى الإسماعيلية ودعاتها الإجلاء جذور هذه النظرية من تأويلهم المتطرف للنصوص القرآنية والأحاديث طبقا لاتجاهاتهم وتدعيما لأصولهم كما نعلم .

ولذلك يؤول دعاتهم قوله تعالى " أنى جاعلك للناس إماما " سورة البقرة آية

---

(١) لمزيد من الدراسة يمكن الرجوع إلى : الدكتور محمد محمد حسين ، المنتهى والقرامطة ، مقال بمجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية مجلد (١٨) ،ص١١.

(١٢٤) بأن المقصود بذلك هو الإنسان الكامل . وهو الذى يحمل الأمانة المعروضة على السموات والأرض التى اصطفى الله لحملـها أنفس أشباح المبدعات وان هذا الأمين المصطفى هو الإمام بالحقيقة وجوهر نفسه القدسية هى الحاملة لأسرار الربوبية وهى الإمامة المرضية(١) ..

ويظهر الإمام يكون وعد الله تعالى لنبيه ولهذا يؤول دعائهم قوله تعالى " هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" سورة التوبة آية (٣٣) يعنى أن الله وعز وجل أرسل محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى وهو البيان الذين يهتدى به المؤمنون إلى الحق ودين الحق يعنى به ما شرعه من شريعته "ليظهره" الله على كل دين من الأديان وتمام وعده يكون بظهور " القائم" فى أخر الزمان من ولده القائم بشريعته .. وتعلو كلمته ويملك أهل كل شريعة بالقهر والغلبة(٢) .

وإذا كان الهدف الذى يسعى إليه دعاة الإسماعيلية من تأويل النصوص هو الإيحاء بظهور "الإمام القائم" الفاطمى فى دور الكشف وتأسيس الدولة الإسماعيلية بعد دور الاستتار من ناحية غير أن النسق الفلسفى الباطنى لتلك النظرية اعمق من ذلك وهو "أن حركة التنوير التى كانت تهدف فى آن واحد إلى هدف سياسى هو تثبيت الإمامة الفاطمية فإنها قامت على أساس الأفكار الغنوصية وإذاعة العلم الهلينى مكان علم الكلام وعلم الفقه الإسلاميين المعاصرين لتلك الحركة الباطنية(٣) .

ولذلك نلاحظ أن فكرة الإنسان الكامل "الإمام القائم" فى الغنوص

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين أبى فراس ، مطالع الشموس فى معرفة النفوس (ضمن أربع ، رسائل إسماعيلية) ص٥٤ .
(٢) الداعى الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، أساس التأويل ،ص٣٤٤.
(٣) هانز هنرش شيدر ، نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين ، ملحق بكتاب الإنسان الكامل فى الإسلام ، ص٣٠ .

الإسماعيلى يصور بوصفة قدرة كونية عليا ومركزا لدائرة الوجود ثم مظـهرا للعقـول الروحانية والإبداعيـة وهـو الإنسـان المطلـق الكلـى وهـو المطبـوع علـى قبـول جميـع الأخلاق وإظهار جميع الصنائع والأعمال .. وان كـل النـاس أشخاص لهـذا الإنسـان المطلق وهو الذى يشار إليه عند طائفة أخوان الصفاء الإسماعيلية أنــه خليفـة الله فـى أرضه منذ يوم خلق آدم أبو البشر إلى يـوم القيامـة الكـبرى وهـى (النفـس الكليـة) الإنسانية الموجودة فى كل أشخاص الثانى .. وهذا فى معتقدهم تأويل لقولـه تعـالى " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة" سورة لقمـان آيـة (٢٨) وهـذا الإنسـان المطلـق المطبوع على قبول جميع الأخلاق والعلوم والصنائع الحكميه والبشرية هو موجود فى كل وقت وزمان[١] .

ويتضح التأويل الفلسفى الباطنى فى هذه الفكرة مـن خـلال الإطـار الفلسـفى الذى يحيط بها باعتبارها فكرة غريبة عـن علـم الكـلام الإسـلامى .. وفيـها تتلاقـى صورة الإنسان الأول فى الغنوص مع التصـورات العليـا فـى علمـى مـا بعـد الطبيعـة والنفس الأفلاطونية المحدثة وإلى جانب ذلك تتبدى الأنظار المتعلقة بحقيقـة النبـوة والإمام .. والولى[٢] ..

ولعل النسق المنهجى لأصول نظرية الإمـام القـائم الإسماعيليـة تسـير سـيرا متوازيا مع التأويل الفلسفى الباطنى لفكـرة الإنسـان الكـامل عنـد الصوفيـة أو فكـرة حلول النور المحمدى فى الأئمة عند الاثنــى عشـريه وهنـاك أصـولا مشـابهة لهـذه النظرية فى الديانات التيارات والفلسفية الغنوصية أو الشرقية السابقة على الإسـلام والتى تقوم على فكرة ظـهور "المخلـص " والـذى يتتبـع ذلـك يجـد شـذرات أجنبيـة

(١) أخوان الصفاء ، الرسائل ،حـ١ ،ص٢٣٥،ص٢٣٦، تحقيق خيرى الدين الزركلى ، المطبعة العربية.
(٢) هانز هنرش شيدر ، نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين ، ص٣١ .

يكون محمد صلى الله عليه وسلم نفسه باعتباره جدا أعلى للأئمة أن يكون له نصيب في الأسطورة التي نسجتها الشيعة حول أهل البيت فحين خلق الله آدم وضع في ظهره محمد وعلى وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين على صورة جواهر مشيرة أرسلت نورها في جميع أنحاء العالمين العلوى والسفلى ولهذه الجواهر الموضوعة في جسم آدم كان السجود الذى أمر الله الملائكة به ..

ثم تقول الروايات الشيعية أن الله أمر آدم أن يرتفع ببصره إلى ذروة العرش فرأى آدم كيف انطبعت صور أنوار أشباح محمد صلى الله عليه وسلم وبقية أفراد أهل البيت والعرش[1] وان كنا نجد بعض التصورات اليهودية ليعقوب تقول بما يشبه ذلك إذ تقول إحدى الروايات (أن صورة الإنسان الموجودة بالجزء الأعلى من العرش السماوى (حزقيل ١ : ٢٦) هى صورة يعقوب التى رفعت إلى عرش الله) غير أن ما يتصل بهذا أوثق اتصال النظرية القائلة أن جوهر النبى النورانى يتوارث جيلا بعد جيل - إذ أن فى النبى جوهرا نورانيا قائما به قياما حقيقيا واقعيا وضع أول ما وضع فى جبهة آدم وانتقل من آدم على توالى العصور وباستمرار إلى حامل الشريعة الإلهية والرسالة الربانية حتى وصل بعد أن مر بأجداد النبى إلى النبى عليه السلام وتجلى فيه نهائيا . وقد توسع الشيعة فى هذه العقيدة توسعا كبيرا فيه غلو وإفراط شديد ولكن عناصرها الأولى كان معترفا بها عند أهل السنة أيضا[2] .

وهناك روايات شائعة فى الأوساط الإسلامية ملخصها .. أن كل الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا ..[3] .

وغير أن الخلاف الجوهرى بين تصور الشيعة لهذه الفكرة وتصوير أهل

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٢٦.
(٢) المصدر السابق ، ص٢٢٧،ص٢٢٨.
(٣) المصدر السابق ، ص٢٢٩ ،ص٢٣٢.

السنة : انه كلما عمل مذهب السنة على التوسع فى استخلاص نتائج فكـرة انتقـال نور النبى من آدم إلى محمد عليه السلام كلما زاد الاعتقاد ينفى إمكان أن يكـون أحـد أجداده كافرا وخصوصا أبوه .. ومن الأولى أن يقال انه منذ آدم لم يكن ثمة مشرك فى سلسلة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بين المدافعـين عـن هـذه العقيـدة فخـر الدين الرازى[1].

أما الشيعة فان هدفهم من استخلاص نتائج هذه الفكرة هـو التـأكيد علـى أن عليا كان له نصيب فى انتقال الجوهر النورانى انتقالا مستمرا جيـلا بعـد جيـل مـن الجد الواحد من أجداده إلى الجد الآخر .. ولهم فى ذلك روايات منها قـول الرسـول صلى الله عليه وسلم " كنت أنا وعلى نـورا بـين يدى الله قبـل أن يخلـق آدم بأربعـة عشر ألف سنة فلما خلق آدم سلك ذلك النور فى صلبه " حتى وصـل إلى عبـد المطلـب وحينئذ انقسم الجوهر النورانى السريانى فذهب قسم إلى عبد الله والد النبى .. وقسم إلى أبى طالب والد على[2] .

ولا شك أن النتائج التى تستخلصها من خلال عرضنا الموجـز لفكـرة تسلسـل النور المحمدى عند الشيعة هو الاعتقاد بوجود سـيدنا محمـد عليـه السـلام وجـودا سابقا اعظم صورة وصل إليها فى النظرية القائلة بأنه هو كل التجليات التـى تجلـت فيها الروح القدسـية فـلا خـلاف بـين الأنبيـاء إلا فى المظـهر الخـارجى . أمـا فـى الحقيقة فانه رسول واحد بعث إلى العالمين فى أزمنة مختلفة وفى مظـاهر جسـمانية متباينة كى يعلن للناس إرادة الله وينبئهم بمشيئته .. فالأنبياء جميعا روح قدسـيه واحدة متجلية فى صور ومظاهر جسمانية مختلفة فجوهرهم جميعا واحد وليس

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣١،ص٢٣٢.

(٢) المصدر السابق ، ص٢٢٩ . (الهامش).

الاختلاف إلا شيئا ظاهريا فحسب[1] .

هذا فى تصورى يشير إلى أن صور الأنبياء كانت تجليات للنور المحمدى خلال الأدوار النبوية السالفة على ظهوره وأن هذه التجليات وتجسيدها تجسيدا حقيقيا بظهور النبى عليه السلام كان إيذانا بظهور الإنسان الكامل فى الوجود ولكن من يمكن أن يكون هذا الإنسان الكامل للبشرية.. فان يمكن أن يكون فهو المختار خاتم رسل الله وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم ولما كان الإنسان هو تاج الخلق والإنسان الكامل وهو تاج البشرية فان الرسول هو إذن "عقل للكل" وان اقنوم "نفس الكل" لا يمكن أن يكون إلا "الوصى" .. وهو منفذ وصية النبى وهو "على" والأئمة الموكلون دائما بهذا العالم هو اقانيم "العقل الأخير" والنفس من حيث هى صورة الإنسان تنتمى إلى العالم الروحى الأعلى ولكنها تخالط الكون والفساد .. ومشاركتها اقرب جوهر علوى وهو الإمام تستطيع النفس أن تصعد وتعود إلى مصدرها الأصلى فتبلغ منتهى الخلاص والطريق إلى هذه المشاركة هى "العبادة العلمية" أى تحصيل العلم الذى كشف عنه الأئمة وطاعة أوامرهم ومن هنا جاء قولهم " من يمت دون أن يعرف إمام عصره مات كافرا[2] .

ولما كانت التجليات النبوية منقطعة بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره خاتم الأنبياء والمرسلين فى معتقدات المسلمين . غير أن غلاة الباطنية من الإسماعيلية يجعلون الإمام مظهرا من مظاهر التجليات الروحية القدسية العليا خلال دورات الإمامة الصغرى والكبرى والتى سوف تنتهى بقيام قائم القيامة "الإمام القائم" .

(١) المصدر السابق ، ص٢٣٥.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ،جـ٣(مادة الإسماعيلية) ،ص٣٦١،ص٣٦٢.

ولعل هذه النظرية فى مذهب الإسماعيليـة تظهر بطريقـة منطقيـة منظمـة وتقوم على التأويل الفلسفى الذى يعبر عن التعمق الباطنى فى عقائد الإسماعيلية والتى تفصح عن تجلى العقل الكونى فى أدوار على صورة النـاطق متأثرين فى ذلك بنظرية الصدور الأفلاطونية المحدثة .

ولما كانت الإمامة عند الإسماعيلية تقوم على دورات سباعية فإن ابتداء هذه الدورات (بدأ بآدم الأول وهو الصورة الأرضية لآدم الملكوتى وقد افتتح به دور الكشف الأول وهو أول الأئمة على الأرض[1]) وسوف ينتهى بظهور الإمام القائم صاحب دور الكشف الذى يكشف ما استتر من أدوار النطقاء ..

يقول فلاسفة الدعوة فى ذلك " أعلم أيها الأخ البـار أن أول الأدوار هو دور آدم وهو أول مرتبة النطقاء وأول مرتبة دور الستر ولم يكن لـه شريعة .. لأن قوته هى ابتداء القطرة وما سطر من الحكمة وسجود الملائكة ولأجل ذلك يكون القائم صلوات الله عليه تمامه وآخره وهو صاحب دور الكشف الذى يكشف ما استتر من أدوار النطقاء كما بدأ الخلق بآدم كذلك بعيده للقائم .. وهذا فى رأى الإسماعيلية تأويل يقوله تعالى " كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين " سورة الأنبياء آية (١٠٤) فيظهر البيان ويزول المستور بقيامه[2] .

والإمام القائم يظهر بجوهرية الفردية فى دور الكشف ويستر بمرتبة الزوجية التى هى مرتبة الرسل فى دور الستر وإذا كانت الأعداد مبدأها من الواحد وعودتها إليه عند انحلالها كذلك الرسل مبدأهم من الإمام القائم بدوره فى ابتداء

(١) دكتور محمد أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ،ص١٨٥.

(٢) الداعى الإسماعيلى الأجل (داعى سرمين) أبو المعالى حاتم بن عمران بن زهرة ، رسالة الأصول والأحكام ،ص١٠٧.

ومنتهى إليه في الانتهاء في دور الكشف[1] .

ومن خصائص وصفات الإمام القائم عند الإسماعيلية " انه علة لمخترعات وحياة الكل وبه ترتيب الخلق والدين تأنس بواحد للوجود وهو موجود غير مفقود لا يدركه الزمان ولا يدخل تحت حوادث الأيام وهو نور سابح في الملكوت الأول أبدع الله به الحدود الروحانية واخترع الهياكل الجرمانية وخلق الأشخاص الإنسانية .. فإذا فرغت مدته وحان وقته انتقل هذا الأمر إلى شخص آخر من ذريته وهو الذى ينص عليه ويشير إليه[2] كذلك يذهب شاعرهم "عامر البصرى" في وصف إمام الزمان يقول :-

بكل زمان فرد ذات بمظهر ∴ بشكل ورسم فيه سر الإمامة
له الكون طوعا والزمان بأمره ∴ وليس سواه ظاهرا بالخليقة
هو الحق والتحقيق في كل مظهر ∴ وفي كل عصر يستجد بصورة[3]

أما التمثيل الروحاني الباطني لشخص الإمام القائم أو الإنسان الكامل أو الشيخ التوراني وممثولاته من عالم الإبداع العقلي يتضح من خلال التأويل الفلسفي الرمزي لهذا المأثور كما يرونه فلاسفة الدعوة بقوله : "أن الله أسس دينه على مثال خلقه ليدل بدينه على خلقه ويخلقه على حدوده وبحدوده على توحيده " هذا يعني أن يكون عقل هذا الشخص البشرى - الرسول الناطق ونفسه الأساس الصادق وقلبه الإمام الباعث وقوة حسه ونموه الكتاب والسنة وصورة أعضائه التأويل والبرهان وكلامه وعظ الأنام واخذ عهد الإيمان الذى هو الوارث لدين الله أو النبأ العظيم الذين

---

(١) الداعي الإسماعيلي ، شهاب الدين آل فراس ، رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس،ص٥٤،ص٥٥.
(٢) المصدر السابق ، ص٥٥.
(٣) عامر البصرى ، قصيدته "إلقائية" (ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية) ص١١١، تحقيق عارف تامر .

هم فيه مختلفون أو سر الله فى العالم والشيخ النورانى والعقل الكلى الـذى قيـل فيـه قوله تعالى " أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكـث فإنمـا ينكث على نفسه " سورة الفتح آية(١٠) ويجعل فلاسفة الدعوة تأويل الآية السـابقة بأن المقصود بذلك هو الإمام فى كل زمان ومكان يقوم بالمقام ويكون من ذرية الأسـاس كما قيل السليمان عليه السـلام " وجعلـها كلمـة باقيـة فـى عقبـه" سـورة الزخـرف آية(٢٨) واحد بعد واحد .. الخ[١] .

ولما كان الإمام من نسـل الأسـاس والإمـام علـى بـن أبـى طـالب هـو الأسـاس والوصى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باعتبار أن النبـى آخـر النطقـاء وخاتمـهم فإن "القائم" أو إمام الزمان الكامل يكون من نسل الإمام على بن أبـى طـالب مـن أولاد فاطمة بنت الرسول وفى ذلك بقول شاعرهم :-

ومن نسله الأمجاد أولاد فاطم ∴ بنى المصطفى والأب أصل الإمامة[٢]

ولا شك أن نظرية "النور المحمدى" كان لها أثر كبير فـى هـذا التصـور فـى الإمامة عند الإسماعيلية .. إذ أن النظرية الغنوصية أو الباطنية فى الإسلام تحـددت خصوصا فى النظرية الشيعية القائله بانتقال فضل الحكمة الإلهية من آدم إلى الأئمـة العلويين مارة بالرسول صلى الله عليه وسلم وهذه الحكمة الإلهية رمزهـا القـائم هـو "النور"[٣] .

كما أن العناصر الأفلاطونية المحدثـة فـى التـأويل الفلسـفى لنظريـة الإمـام القائم أو الإنسان الكـامل عنـد الإسماعيليـة تبـدو واضحـة مـن خـلال شـرح المبـادئ الدينية فى ضوء المصطلحات والآراء الفلسفية فكما حاول فلاسفة الدعوة المقابلـة بـين

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين آلى فراس ، مطالع الشموس فى معرفة النفوس ،ص٤٣،ص٤٣ .
(٢) عامر البصرى ، قصيدته "التائية" ،ص١١١.
(٣) هانزهنرى شيدر ، نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين ،ص٢٤.

الحدود العقلية الإبداعية وبين مراتب الدين فإنهم يحـاولون أن يجعلـوا مـن الإمـام القائم ممثول لتلك العوالم العقلية ومؤيدا بها .. فكما جعلوا من النبى صلى الله عليـه وسلم نموذجا أعلى ينتهى بان يصبح هو العقل الموجود منذ الأزل[١] فإن الإمـام علـى بن أبى طالب كان مؤيدا بتأييد العقل الأول .. وإذا كانت مرتبة النبى مرتبـة العقـل السابق فى وقته فغن مرتبة "على" مرتبة الانبعاث الأول فى عاله .. وأنه قائمـا فـى عالم الدين مقام العقل الأول وحجته مقام المنبعث الأول وقـد صـار فيمـا بعـد النبـى عليه السلام وأمير المؤمنين فى منزلة واحدة .. لا فضلا لأحد منهما على الآخـر بـل قد تساويا كما قال النبى " أنا وأنت يا على كهاتين وجمع بين إصبعيه المسبحتين فى يده اليمنى واليسرى.. وهذا يعنى أن مرتبـة النطق والإمامـة اجتمعتـا فـى شخص واحد هو الإمام بعد الناطق[٢] وعلى ذلك فإن إمام الزمان القائم أو الرئيس المطلق يقوم بوظيفة العقل الفعال بعد زوال الناطق .. وأن له مقام كمقام النفس الكلية التى تقبل صور الموجودات فى عالم الإبداع[٣] .

يتضح لنا مما سبق أن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية قد ارتفعوا بمرتبـة الإمـام القائم أو إمام الزمان فيما يزعمون أنه يمثل الإنسـان الكـامل فـى الوجـود إلى درجـة التقديس المطلق وجعلوه حدودا عليا للدين وللخلق والموجودات .. فالإمـام هـو أقنـوم أمر الله أو كلمته وهو (كن) الواردة فى القرآن .. وهو مظهر النفس الكليـة .. وهـو نقطة دائرة الوجود والأديان وقبله أهل الإيمـان .. وغايـة مقصـود الخلائـق ، وعلـه

---

(١) كارل هنرى بكر ، تراث الأوائل فى الشرق والغرب (ملحق بكتاب التراث اليونـانى فـى الحضـارة الإسلامية) ،ص١٢ .

(٢) لمزيد يرجع إلى الداعى الإسماعيلى – الحسين بن على بن الوليد رسالته المبدأ والمعاد (ضمـن كتـاب ثلاث رسائل إسماعيلية) ص١٣ ، من منشورات المعـهد الفرنسـى للدراسـات الإيرانيـة الإسـلامية بطهران بدون تاريخ ، تحقيق عارف تامر .

(٣) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ، ص٣٦.

وجود السابق والتالى حبل الله المتين ونوره المبين .. الخ[١] ومثل هذه التأويلات المتطرفة من العوامل التى اخترعها دعاتهم لتثبيت عقيدتهم والخلاصة : أن الإسماعيلية قد أضافت إلى الإمامة الدليل العقلى وجعلت الفلسفة فى خدمة العقيدة وذلك أمر شاق ولكنه تحقق[٢] وقد أثر الإسماعيلية بهذه الأفكار والتصورات الغالية والمتطرفة البعيدة عن روح الإسلام المعتدل والتى لا تمت إليه بصلة من قريب أو من بعيد أقول .. أثرت فى طوائف إسلامية أخرى أهمها فلاسفة التصوف وعلى رأسهم ابن عربى والجيلى[٣].. كما سترى . بالإضافة إلى تأثر فلاسفة الدعوة الإسماعيلية والغلاة الباطنية بالتيارات الفلسفية والدينية الأخرى .. والتى أقحموها على العقيدة بالتأويل المتطرف طبقا لأهوائهم المذهبية الغالية الباطنية .

٤- الصلة بين مرتبة الإمام ومرتبة النبى :-

أن مرتبة النبى صلى الله عليه وسلم أو الرسول عند معتدلى الشيعة وسائر المسلمين انه صاحب المرتبة الأولى فى الدين - وهو المشرع للعقيدة وتوضيح أركانها.. ولكن الأمر يختلف عند غلاة التشيع أو الإسماعيلية .

وجريا على طريقتهم المعهودة فإنهم يلجأون إلى التأويل لتحديد العلاقة بين المرتبتين .. وكما نعلم أن النبى أو الناطق صاحب التشريع أو التنزيل الظاهر أما وصية وأساسه .. فهو صاحب التأويل والكشف عن المعنى الباطن والقيادة العلمية ..

---

(١) راجع فى ذلك : دائرة المعارف الإسلامية ،حـ٢ ،ص٣٩٢ كذلك حنا فخورى ، تاريخ الفلسفة العربية حـ١ ،ص٢١٥ ص٢١٦ كذلك الداعى الإسماعيلى ، شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبى، رسالته الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ، ضمن اربع رسائل إسماعيلية ،ص٥٥ . تحقيق عارف تامر .

(٢) دكتور كامل مصطفى الشيبى ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٢٢٦ .

(٣) محى الدين عربى فيلسوف صوفى ، توفى عام ٦٣٨هـ - عبد الكريم الجيلى تلميذ نجيب فى مدرسة الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى ، صاحب كتاب الإنسان الكامل فى معرفة الأوائل والأواخر ، تحدث عن الإنسان الكامل ووقته وظهوره وصفاته ، توفى الجيلى عام ٨٠٥هـ.

غير أن الإطار الفلسفى الذى يحدد كلا المرتبتين يتضح من خلال التأويل الباطنى للجوانب الروحانية إذ أن الأمر ينتهى بالإسماعيلية إلى جعلهم الإمام يتقلد مرتبة الناطق بعد ارتفاع الناطق إلى عالمه الأعلى .

وهناك أمثلة كثيرة للتصوير الباطنى لمرتبة الإمامة تفيد ما ذكرته إذ يذهب فلاسفة الدعوة الإسماعيلية إلى أن "الناطق " إذ وفى دوره فقد قضى ما عليه بما يستحق بعد ذلك الارتقاء .. فحينئذ تقع النقلة ومن قبلها يودع "أساسه " ما معانى ما نصب من شريعته فيكون كذلك قيره ومستودعه فإذا لحق الناطق بعالمه ظهرت المنزلة فى أساسه فينطق بالتأويل وقد فسروا وجود التنزيل بتلك المعانى التى أوقفه عليها الناطق فيشرح معانى الأمثال المضروبة والحدود المنصوبة فصار فى يديه مما أودعه الناطق من التالى (النفس الكلية المنبعث الثانى) لأنه من الأسس ومقيم حدودهم .. ثم يضيف الداعى الإسماعيلى لذلك بان الأساس يكون أساسا للناطق فى حياته مولده من جملة حدود الناطق وهى من الجد والفتح والحيال[١] (وهم اسرافيل وميكائيل وجبريل).

وفى موضع أخر يؤول الداعى الإسماعيلى "الصلاة على النبى" بأن المقصود بذلك هو : تأكيد الولاية إلى أساس الرسول ووصيه أو هو اتصال الوصية بالنبوة والإمامة لا فرق بينهم[٢] ..

ولا يعجز دعاة المذهب الإسماعيلى الباطنى عن إيجاد الأدلة على صحة نظريتهم فى تقليد الإمام أو الوصى مرتبة الناطق "بل أن التأويل الإسماعيلى قد

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، الرسالة المذهبة ، (ضمن خمس رسائل إسماعيلية) ص٥٥.

(٢) المصدر السابق ، ص٨٤.

يفسر لنا أن مهمة الأنبياء والرسل على النحو الذى نذكره باعتبارهم مجرد دعاة للأئمة فى عصورهم[1] مما يؤدى لانعكاس الوضع بين النبى والإمام .

ولذلك يذهب دعاة المذهب الإسماعيلى فى تأويل " تختم الرسول عليه السلام فى اليمن "كالآتى أن المقصود بالخاتم " : انه دليل على الدعوى إلى إمام الزمان والحجر الخاتم : يدل على دعوة الباطن واليد اليسرى : دليل على دعوة الظاهر والنقش على الحجر وهو علم التأويل الذى هو معجزة الإمام وتأثيره .

وفى موضع آخر يوضح الداعى الإسماعيلى مقصودة فى تأويل أسباب تختم الرسول صلى الله عليه وسلم فى يمينه فى بداية أمره بأنه إشارة منه إلى نفسه باستلام منزلة النبوة والنطق وقيامه بتبليغ رسالة ربه .. وإقامة دعوة الظاهر حتى نزل من الله تعالى إليه بنصب أساسه ووصية فبلغ عن الله أمره ونصب وصية (يوم غديرخم وأقامه مقامه واستحلفه من بعده حتى حول خاتمه من يمينه إلى يساره .. وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب بان يختم باليمين ولا يحول إلى الشمال .. ويختم الرسول بالشمال دليل على انقطاع المواد عنه بتسليم الأمر إلى وصية .. الخ[2] ..

وهذا التصور الباطنى فى تقليد الوصى أو الأساس ثم الإمام مرتبة الناطق يتضح من خلال التأويل الفلسفى الرمزى للجوانب الروحانية فى مقابلة عالم الإبداع العقلى – فالنبى صلى الله عليه وسلم أساسه من دونه على مقابلة التالى فى عالم النفس وبالتالى تظهر كلمة السابق فى عالم النفس الروحانى .. لأى موادهم من بقاء العقل الكلى بواسطة التالى فى عالم النفس الروحانى .. وإذا كان الناطق مثلا "رمزا"

---

(١) دكتور محمد أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ص١٨٨.
(٢) الداعى الإسماعيلى : النعمان بن حيون ، الرسالة المذهبة ،ص٨٥،ص٨٣.

على العقل الكلى .. فالأساس مثلا أو (رمزا) على النفس الكلية وهو الناطق بحكمة التأويل ليبين فضل الناطق . والإمام نتاج بين الناطق والأساس مثل الفكرة التى هى نتاج العقل والنفس .. والفكرة تظهر فضائل العقل وعالم الربوبيه وتظهر فضائل النفس وأخلاقها فى العالم الروحانى بغير فناء كذلك الإمام عليه السلام يظهر فضائل الناطق وبكشف رموزه وممثولاته فى ظاهر تنزيله وشريعته ويقوم بتأويل دعوة الأساس وبواطن حكمته ..ولما غاب الناطق وارتقى إلى العالم الروحانى ارتقى أساسه إلى درجته وورث منزلته فأقام نفسه مقام السابق وأقام الإمام المستور دون مقام التالى فى عالم النفس ولما غاب الأساس ارتقى المتم إلى درجة الأساسية .. وأقام ودل عليه وسلم إليه ما كان له فى يده من الوديعة من مواريث الأنبياء والأئمة ولما غاب المتم ارتقى الإمام عليه السلام إلى منزلة الناطق وقابل منزلة السابق فكان هو عقل جميع ما فى عالم التركيب وأقام حجته من دونه بالبيان عنه على مقابلة التالى فى عالم النفس .. الخ وقد دل الرسول صلى الله عليه وسلم على منزلة الوصى فقال " أنا مدينة العلم وعلى بابها " .. وهكذا[1] .

والواضح من خلال هذا التصوير الفلسفى الباطنى فى تحديد العلاقة بين مرتبة الإمام ومرتبة النبى من خلال التأويل الإسماعيلى أن الإمام يمثل مرتبة الناطق فى مقابلة السابق (العقل الكلى) وأن حجته بمثل التالى (النفس الكلية) فى العالم الإبداعى الروحانى غير أن مرتبة الإمام تمثل مرتبة الكشف عن المعنى الباطن أو التأويل ورموز الشريعة وممثولاتها . وتوضيح كيفية العبادة العلمية التى تعتمد على التأمل الباطنى لمعانى الظواهر والألفاظ والقضايا العقائدية .

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، أساس التأويل ، ص٣٦٢،ص٣٦٥ .

ثالثا : التأويل التمثيلى فى الإمامة :

كما رأينا فيمـا سبق أن الإسماعيليـة استخدموا التـأويل لأثبـات عقـائدهم خاصة فى الإمامة وقد امتازت هـذه الطريقـة بـالعمق البـاطنى واستخدام الأسـاليب الفلسفية والرمزية بصورة متطرفة وعالية خاصة بمذهبهم فقط ولا يمكن أن يعـترف بها الدوائر الإسلامية الأخرى خاصة عند معتدلى التشيع وأهل السنة .

وفى هذا الصدد نجد عند الإسماعيلية نزعـة فـى التـأويل التمثيلـى تذكرنـا بالمنـهج اليـهودى والمسـيحى فـى تـأويل التـاريخ اللاهوتـى للمسـيحية مـن ناحيـة ومحاولة الإسماعيلية التمثيل بين ما ورد فى أدوار الأنبياء والأوصياء السـابقين ومـا حدث من أقوامهم وبين ما حدث فى الدور "المحمدى" ووصية وأئمة دوره.. حتـى ظهور قائمهم من ناحية أخرى . وفى سبيل ذلك يخضعون النصوص القرآنية والمأثور من الأحاديث .

وفكرة التأويل التمثيلى فى الفلسفة اليهودية تتبلور فى أن فكرة الوحى مع فكرة إله خفى تحتاج إلى البحث عن معنى خفى وراء المعانى الطبيعية لذلك انتهجوا الطريقة الرمزية فتاريخ الكتاب المقدس عند لاهوتيـى المسـيحية ليـس تاريخـا علـى الإطلاق بل هو حقيقة ايدية غير متغيرة تحت لثام تاريخى وعلى سبيل المثال فان ما ذكر فى العهد القديم عن يوسف وداوود وسليمان هو فى الحقيقـة تـاريخ المسيح وان بيت القربان ومراسيم العبادة الخاصة به تشير (ترمز) إلى المسيحية وما يتصـل بـها وان كان يتعين اكتشاف المعنى الاول وكل تفسير يجب أن يقرأ على انه ينطوى علـى شيء آخر كما لو كانت فى لغز مصور .. ولعل هـذه الطريقـة التمثيليـة الرمزيـة .. سلمت بوجود نوع من سابقيه التوفيق بين العهدين القديم والجديد .. مثـال ذلـك ..

أن من الحقائق الثابتة تاريخيا أن إبراهيم كان مستعد للتضحية بإسحاق (في معتقداتهم) لكن المعنى الأول لهذا أنه تمثيل سابق لتضحية الله بالمسيح[1] .

وأن كانت هذه الطريقة الرمزية التمثيلية تعطى معنى آخر للنص .. إلا أنها تجعل التاريخ في إطار رمزي تمثيلي مترابط الحلقات والدورات .

وهذه الطريقة التمثيلية في التأويل الإسماعيلي تبدوا واضحة في نظرية الإمامة .. وربما يستند فلاسفة الدعوة في ذلك إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال " كائن فيكم ما كان في الأمم السابقة حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا خشرم ضب لدخلتموه[2].

وطبقا لنظرية التمثيل الدوري في الإمامة الإسماعيلية والتي تتخذ شكلا سباعيا على دورات سبع فإن دعاتهم يلجأون إلى محاولة تمثيل ما حدث في دورات الأنبياء وأوصيائهم السابقين على هذا الدور الخير كذلك المطابقة بين هذه الدورات التي ستنتهي بظهور القائم الذي يمثل أحر الأدوار الصغرى. ويمكن أن تعريف ذلك من خلال تأويل دعاة المذهب لقصص الأنبياء .

وعلى ذلك يذهب الداعي الإسماعيلي شهاب الدين أبي فراس في تأويل قصص الأنبياء وأوصيائهم وما يضادهم من شياطين ينكرون عليهم دعواتهم بقوله " أن لكل ناطق من النطقاء السبعة إبليسا يكاشف ويعاديه ويضل أمته عن الصراط المستقيم والدليل على ذلك ذكر قصة آدم عليه السلام سبع مرات في القرآن .. كذلك ما كان من أمر الملائكة بالسجود لآدم ..ورد إبليس أمره من بين جميعهم وقد أراد

---

(١) لمزيد يرجع إلى : دكتور السيد احمد خليل ، نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن،ص٨٧،ص٨٨ .

(٢) ورد هذا الحديث عند الكرماني ، راحة العقل ، ص١٧ كذلك النعمان بن حيون ، دعائم الإسلام،حـ١ ،ص١ ، تحقيق اصف بن على اصغر فيلى . ط دار المعارف بمصر ،١٩٦٩م.

الله جل ذكره فى تكرار هذه القصة سبع مرات فى القرآن أن يبين أن مثل آدم ستة نفر أولهم آدم وسابعهم (القائم) وعلى عهد كل منهم يجرى ما جرى لآدم .. ثم يذكر الداعى الإسماعيلى قصة كل نبى مع قومه وما اعترض الأنبياء والأوصياء من أباليس أو شياطين مضادة لدعواتهم .. إلى أن يذكر تأويل قصة محمد صلى عليه وسلم يقول : وإبليس محمد الذى أنكر وصيته لعلى بن أبى طالب يوم (غديرخم) وشيطانه الذى ساعده على إنكاره والأخذ بما ليس له به حق لهذا التصوير الباطنى يؤول قوله تعالى " وما محمد الا رسول الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا " سورة آل عمران آية (١٤٤) فيقول : كان الإسلام مستورا إلى أن أسلم بعض المنافقين ولا أحد من الابالسه والشياطين يستطيع الأضرار بالوصى وذريته بالمقدار الذى استطاع المنافقون عمله بعد وفاة محمد عليه السلام بمدافعه الوصى عن مقامه .. فالزبير بن العوام كان ناصره ومعينه .. وقال لا أبايع أحدا إلا عليا إلا أنه أرتد وحارب الوصى عليه السلام وعاداه[1].

وينقلنا هذا التمثيل الباطنى إلى تأويل آخر مماثل لما سبق الأخبار عنه عند فيلسوف الدعوة أحمد حميد الدين الكرمانى حيث يذكر فى تأويل "قصة نوح عليه السلام " يقول والتأويل فى التجاء ابن نوح .. فى قوله تعالى " قال ساوى إلى جبل يعصمنى من الماء " سورة هود آية (٤٣) هو أن الابن المنسوب إلى نوح لم يكن من صلبه وإنما كان رجلا دنياويا له رئاسة فى قوله مثل الضدد فى دور محمد (صلى الله عليه وسلم) وأستفاد منه وتعلم ما به وصار إنبأ له من القوة قدر فى نفسه وتوهم الناس أن يكون هو وصيه فلما جاء أمر الله تعالى أن اصنع الفلك .. أى أقام نوح

---

(١) شهاب الدين أبى فراس ، الإيضاح ، ص١٠،ص٧.

للوصاية ابنا له من دونه على أمر الله به ودعا الناس إلى الدخول تحت أمره وطاعتـه بقوله تعالى " اركبوا فيها " سورة هود آية (٤١) فتوقـف : هـذا الرجـل عمـا دخـل غيره من طاعة أساسه بامتناعه عن الدخول فى السفينة ودعاه نوح عليه السلام بقوله " يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين" أى إلى الطاعة والالتزام فاستكبر أن يطيع أساسه لأنه كان يطمع في هذه المرتبة .. ويعلق الكرمانى على ما سبق بقوله " وإنما أورد الله مثل هذه الأخبار فى كتابه الكريم تنبيها للامة لما يجرى عليه أمر الأسـاس بمن يستعصى عليه ولا يلتزم بطاعته .. فتارة يدل عليه نبيا يا بنى آدم وتارة يشـير إليه بناقة صالح وتارة بابن نوح ليعلموا أن دور محمد عليه السلام مثل أحوال الأدوار السالفة[1].

ولا شك أن هذا التأويل التمثيلى تأويل باطل وخطأ ولا يمـت للإسـلام بصلـة وليـس معـترف بـه فـى دوائـر الإسـلام غـير انـه تـأويل يخـدم الأغـراض المذهبيـة الإسماعيلية أو عند غلاة الشيعة بصفة عامة وهو التدليـل علـى مـا حـدث مـن قصـة الأختلاف فى البيعة بعد الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم واعتقـاد هـؤلاء الغـلاة مـن الشيعة بأن أبا بكر وعمر أغتصبوا الخلافة أو سرقوها من على بن أبـى طـالب . وقـد حفزهم ذلك الأعتقاد الباطل إلى وضع مثل هذا الإطار النظـرى الفلسـفى البـاطنى فـى الإمامة .

وجـدير بالذكر أن دعـاة المذهـب الإسماعيلى أستخدمـوا هـذا التأويــل التمثيلى فـى التـأويل البـاطنى لنظريـة "الإمـام المسـتودع والإمـام المسـتقر" فيرجعون بها إلى سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام للاستدلال على صحة

---

(١) احمد حميد الديـن الكرمـانى ، الريـاض (فـى الحكـم بـين الصـادين صـاحبى النصـرة والإصـلاح) ص٢١٠،ص٢١١.

نظريتهم فى تسلسل الإمامة فى الدور المحمدى وفى أعقاب أحقاد الإمام على بن أبى طالب وفى أدوار الظهور وأدوار الستر خاصة فى أعقاب الإمام جعفر الصادق من أبناء ابنه إسماعيل وحتى أئمة الدولة الفاطمية .

لذلك يقول دعاة المذهب الإسماعيلى .. كانت الإمامة تجرى بطريقة التسلسل من أب إلى ابن بدون شذوذ ولكن فى عهد (إبراهيم) اختلف هذا النظام فقضى الله سبحانه وتعالى أن يكون ذرية الناطق إبراهيم أئمة (مستودعين) معروفين بين العامة قائمين بوظائف الدور كما يجب وأن يكون من ذريتهما ناطقين هما (موسى وعيسى) وهؤلاء تسلسلوا من اسحق بينما تبقى الامامة (المستقرة) فى (إسماعيل) وولده إلى نهاية الدور الكبير ويكون من ذريته (محمد عليه السلام) (وقائم الزمان) ولا يكون هؤلاء الا من اب إلى الابن بينما المستودعين يجوز أن تنتقل الإمامة بينهم من اخ إلى اخ أو أبن عم على شرط أن يكون من عائلة اسحق .. ويذكرون الائمة المستودعين والمستقرون من اسحق وإسماعيل .. حتى الدور المحمدى وبعد انتقاله صلى الله عليه وسلم قضت المحكمة أن يتسلم الأمر لآخر أدوار الأئمة فقام بدور الإمامة (الأساسى) وهو الإمام على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ) .. ثم تسلسلت فى ذرته حتى أئمة الفاطميين كما نعلم[(١)].

أما وجه التمثيل فهو أن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام كان بمثابة الإمام المستقر (وهو الإمام المستور) أما أخيه اسحق عليه السلام فكان يمثل الإمام المستودع (الإمام الظاهر) .. لذلك يقابل دعاة المذهب الإسماعيلى بين ذلك وبين توالى أدوار الإمامة فى حالة الستر وحالة الظهور .. بقولهم : وأن قصة إسماعيل بن

(١) نظرنا فى ذلك إلى عارف تامر ، هامش كتاب أساس التاويل (للداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون) ص١٧٦ ،ص١٧٧ ، كذلك ،ص٣٦٨.

جعفر مع أخيه عبد الله الكبر هى كمثل قصة اسحق مع إسماعيل لأن إسماعيل كان مستورا وأخيه مسترا عليه وكذلك غيبته (أى إسماعيل بن جعفر) فى حياة أبيه[1].

ومن خلال هذه الدراسة لظاهرة التأويل فى هيكل المذهب الإسماعيلى يتضح لنا أن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية استطاعوا استخدام ثلاثة مناهج فى التأويل الباطنى (منهج التأويل الباطنى الرمزى – ومنهج التأويل الفلسفى – ثم منهج التأويل التمثيلى) وذلك لا ثبات وتدعيم نظريتهم فى الإمامة وما تخلل ذلك من مزج عجيب بين التيارات الثقافية الأخرى وبين عقائدهم .

رابعا : الصلة بين منهج الصوفية والإسماعيلية :-

هناك صلة قوية بين منهج التأويل الباطنى الرمزى عند فلاسفة التصوف وبين فلاسفة الدعوة الإسماعيلية واهم ما يؤكد ذلك – أن المنهج المشترك بين الصوفية والإسماعيلية يقوم على دعائم وتصورات باطنية أى أن الصوفية يعولون على المعانى والمدلولات الباطنية الكامنة وراء ظواهر النصوص القرآنية ومن ناحية أخرى فإن الإسماعيلية والصوفية لا يعتبرون الظواهر تمثل حقائق الأشياء المقصودة منها بل أن حقائقها كامنة داخلها وهى حاجة إلى من يؤلها ويظهرها – وهذا التأويل موقوف على الخواص فقط اما عوام الناس فلا يستطيعون أن يصلوا إلى هذه المعانى الخفية وراء الأمور الظاهرية ومن ثم فإن ظواهر النصوص وكذلك الأشياء مجرد رموز وإشارات إلى معان باطنية داخلية وهى الحقائق المقصودة منها .

ولا شك أن مؤلفات الصوفية يكثر فيها الإشارة إلى ذلك فكثيرا ما يقابلنا

---

(١) نظرنا فى ذلك : الداعى الإسماعيلى ، محمد بن داود الرقته ، الرسالة الكافية (ضمن خمس رسائل) ص٩٢ .

– للمزيد يرجع إلى : الداعى الإسماعيلى حاتم عمران بن زهرة ، رسالة الأصول والأحكام،ص١٢٧،ص١٣٠.

مصطلحات ورموز وإشارات إلى معان خفية كذلك المقابلة بين ظواهر الأشياء وبواطنها . مثل قولهم بأن الظواهر هي قشور محسوسة أما الباطن فإنه يمثل اللب أو القلب وهى أمور روحانية قلبيه . وهكذا .

ويحق لنا أن نتعرف على الجوانب التى يتقارب فيها الصوفية الإسماعيلية فى استعمالهم لمنهج التأويل الرمزى . لنصوص القرآنية تدعيما لنظرياتهم الصوفية.

١- المنهج المشترك :-

أن المنهج المشترك بين فلاسفة الصوفية الإسماعيلية هو استخدامهم لمنهج التأويل الرمزى الباطنى . لكن كل منهما له مقاصده وأهدافهم مختلفة فإذا كان فلاسفة الدعوة الإسماعيلية يقصدون من تأويلهم الباطنى محاولتهم تدعيم مذهبهم فى الإمامة فإن فلاسفة التصوف كانوا يقصدون استلهام المعانى الذوقية من بواطن النصوص الدينية وإيجاد فلسفة صوفية كشفية تعبر عن نظرياتهم فى الوجود الإلهى والطبيعى والإنسانى وفى المعرفة الذوقية . وبالرغم من أن الأساس الذى تستند إليه كل من الباطنية والمتصوفة قد يبدو مشتركا وهو افتراض معان محبوءة أو باطنية لآيات القرآن إلا أن التفسير الصوفى يختلف جوهريا مع تفسير هؤلاء بل ومع علماء الكلام أيضا - وإذا كان الباطنية والصوفية يؤمنون بثنائية طبيعة التفسير (أو التأويل) أى من الناحية الظاهرية والناحية الباطنية لكن الباطنية من إسماعيلية وغيرهم يرون أن الناحية الباطنية هى وحدها الصحيحة ولا عبرة بالمعنى الظاهر الذى يجب أن يهمل تماما[1] ..

أما المنهج الصوفى فمن الطبيعى أن لا يقف أربابه عند المعانى التقليدية فى

(١) دكتور محمد كمال جعفر ، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا ،ص١٦١ ،ص١٦٢، ط دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠.

أى من القرآن أو السنة قولا وعملا .. بل أنهم يتعمقون إلى معان وراء المعنى الظاهر المباشر[1] .

وإذا علمنا أن منهج الدعوة الإسماعيلية يقوم أولا وقبل كل شيء على التأويل الباطنى حيث أن فلسفة الباطن هى التى تعبر عن العبادة العلمية وعلى ذلك تعويلهم وقضاياهم الاعتقادية فإن فلاسفة الصوفية وأرباب التصوف الإشارى رغم أنهم قد يجمعون بين المدلولين الظاهرى والباطنى للنصوص والعبارات غير انهم يعولون على معانى باطنية ومدلولات رمزية إشارية يعتقدون أنها وقف على الخواص من أربابهم فقط بالإضافة إلى أن مثل هذه التأويلات الإشارية أو الباطنية تتناقض مع المدلولات الظاهرية للنصوص والقضايا الدينية قد يقربهم من المنهج الباطنى الإسماعيلى فى رأى علماء السنة وأهل الظاهر من الفقهاء .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين حاول إيجاد صله بين منهجى الصوفية والإسماعيلية .. إذ يرى نيكلسون **Nichoison** أن الصوفية استطاعوا متبعين فى ذلك الشيعة أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلا يلائم أغراضهم على أن كل آية بل كل كلمة فى القرآن تخفى وراءها معنى باطنا لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعانى فى قبولهم .. لذلك سهل عليهم بعد أن سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلا من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم أيا كانت .. وأن يقولوا أن التصوف فى أى الحقيقة دليلا على العلم الباطن الذى ورثه على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم ويلزم عن ذلك مبدأ "التأويل" إذ أن تأويل الصوفية لتعاليم الإسلام قد يأتى على أنحاء وأشكال لا حصر لعددها وربما أدى إلى تناقض فى العبادات والمسائل العلمية .. كما أن معانى

(١) المصدر السابق ، ص١٦٣،ص١٦٤.

القرآن لا حصر لها وهى تنكشف لكل صوفى بحسب ما منحه الله من الاستعداد الروحى[١] .

كذلك يذهب عارف تامر إلى اننا إذ بحثنا علاقة الإسماعيلية بالصوفية لرأينا تقاربا فى نواح شتى وتباعدا فى نواح أخرى فالمدرسة الإسماعيلية تأثرت فى بعض الأوقات بالمدرسة الصوفية كما أن المدرسة الصوفية اقتبست من المدرسة الإسماعيلية وتأثرت بها[٢] .

ولعل الرواية أو الحديث النبوى الذى يروى بأسانيد مختلف فضلا عما يوجد فيه من تزييد أو تقليل والذى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ما نزل من القرآن آية إلا ولعها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع " قاسما مشتركا بين فلاسفة المذهب الباطنى الإسماعيلى وفلاسفة الصوفية وينشر فى جميع كتب ومصنفات الطائفتين دليل على ضرورة التأويل الباطنى الرمزى للقرآن الكريم وقضايا العقيدة التى تحتويها هذه النصوص أو أحاديث السنة النبوية بل يعتبر فى رأيهم سندا قويا وانطلاقا لتأسيس منهج التأويل الباطنى.

وإذا استثنينا المعتدلين من الصوفية والذين يحافظون على الظواهر دون مغالاة فى الباطن من الذين يستلهمون المعنى الذوقى الروحى والذى لا يوحى بقدر من التناقض مع الظاهر[٣] فإننا نجد مجموعة من فلاسفة التصوف على رأسهم محى الدين بن عربى مدرسته وأمثال عبد الكريم الجيلى ومن الإشاريين أمثال سهل بن عبد الله التسترى وعبد الرحمن السلمى أو غيرهم .. قد يلجأون أحيانا إلى مراعاة

---

(١) نيكلسون (رينولد) ، فى التصوف الإسلامى وتاريخه ،ص٧٦، ترجمة دكتور أبو العلا عفيفى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٩م.
(٢) عارف تامر ، كتاب الإيضاح (الداعى الإسماعيلى [illegible]
(٣) على سبيل المثال ، كتاب الأحياء للغزالى [illegible]

جانبى الظاهر والباطن معا فى فهم آيات القرآن الخاصة بالتشريع لكنـهم فـى معظم الأحيان يحاولون عن طريق التأويل الباطنى أو الرمزى الإشارى اسـتخراج مدلـولات أو رموز وإشارات باطنية قد تبتعد عن المفهوم الأصلى والمعتمد أو المراد من النصـوص والقضايا بل قد تمتزج هذه التأويلات بالتيارات الثقافية والفلسفية الأخـرى ..وهـم بذلك يقتربون كثيرا من منهج التشيع الإسماعيلى أو الباطنى .

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك تشير إلى بعضها بما يوضح التشـابه والتقـارب بين الاتجاهين . منهجا وموضوعا .

٢- الأسلوب الباطنى الرمزى :-

ليس عملا هينا على متصوفة الإسلام أن تبدوا أفكار التصـوف مترائيـة فـى القرآن وان يروا لأنفسهم حقـا فـى اتخـاذ كتـاب الإسـلام المقـدس شـاهد صـدق علـى مذاهبهم الدينية والفلسفية[1] لذلك حاول فلاسفة التصـوف اصطنـاع منـهج التـأويل الرمزى كأسلوب يصل بهم إلى مرادهم .. ولا تسـتغرب عندمـا نجـد جميـع مؤلفـات الصوفية غاصة بمثل هذه الأساليب الرمزية والتنبيه على ضـرورة التعمـق البـاطنى فى النصوص وطلب معانيها الخفية ويرشدنا لذلـك فيلسـوف الصوفيـة عبـد الكريـم الجيلى فى "الباب الحادى والأربعون" فى شرحه للطور وكتـاب مسـطور .. بقولـه " فليكن تأملك فيه مع حضورك فيما يقال لك ولا تكتف بظاهر اللفظ بل اطلب ما وراء ذلك مما نبهنا عليه من الإشارات وأومأنا إليه بلطف العبارات[2] ..

ولما كان لبعض المتصوفة صلات قويـة بالفلاسـفة واهتمـام ظـاهر بالنظريـات الفلسفية يضاف إلى ذلك أن دراساتهم للقـرآن وشـروحهم لـه عليـها طـابع التصـوف

---

(١) جولد تسيهر ، مذاهب التفسير الإسلامى ،ص٢٩.
(٢) عبـد الكريـم الجيلـى ، الإنسـان الكـامل فـى معرفـة الأوائـل والأواخـر ،جـ١ ـص١٣٣،ط الحلبى،١٩٧٠م.

والفلسفة أيضا لذلك يظهر فيها بوضوح أثر التصوف النظرى الذى [illegible] مقدمات علميه تتقدح فى ذهن الصوفى اولا ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك[١] [illegible] أمثلة كثيرة يطبق فيها فلاسفة التصوف ذلك الأسلوب الرمزى فى التأويل حتى يستخرجوا منها دلالات مذاهبهم ونظرياتهم وهم بذلك يتفقون مع مذاهب الشريعة وفلاسفة الدعوة الإسماعيلية من حيث المنهج ويختلفون من حيث المقاصد والأهداف .

فكما رأينا فلاسفة الإسماعيلية يتجهون بالتأويل الباطنى أو الرمزى لخدمة أغراضهم المذهبية فى الإمامة بإخضاع النصوص أو القضايا الدينية بطريقة تعسفية ليست مستساغه وبعيده الصلة بنصوص القرآن والحديث كذلك نجد هذه الطريقة مالوفة ومتعارف عليها عند فلاسفة التصوف الإسلامى والدليل على ذلك أن فيلسوف الصوفية الأكبر محى الدين بن عربى عندما راعى جانبى الظاهر والباطن معا فى فهمه لآيات القرآن الخاصة بالتشريع ، فإنه يعقب عليها بما يسميه "الإشارة" وبين أثرها فى القلب[٢] وهذا يعنى انه كان ظاهرى المذهب معه الظاهريين فى (العبادات) غير انه كان باطنى المذهب مع الباطنيين بل وكان إلى الباطنيين اقرب .. وعلى ذلك فإنه تأويله لآيات الاعتقاد فى كتابه "فصوص الحكم" تدل على مذهبه على أساس فلسفى صوفى بعيد الصلة بنصوص القرآن والحديث بل أنه يتخذ من هذه النصوص سياجا لأفكاره وإطارا ينسخ فيه خيوط مذهبه ولقد أخضعها لمنهج خاص فى التأويل يكون فى معظم الأحيان غير مستساغ ويستخلص من ذلك المعانى التى ينطوى عليها مذهبه فى "وحدة الوجود" ففى كل نص من نصوص هذا الكتاب طائفة من الآيات القرآنية المتصلة بالنبى الذى تنسب إليه " حكمة " الفص فيسرد قصة النبى كما

---

(١) دكتور محمد حسين الذهبى ، الاتجاهات المتحرفه فى تفسير القرآن الكريم ، [illegible] دار الاعتصام ،١٩٧٨م.

(٢) رجعنا فى ذلك ، ابن عربى ، الفتوحات المكية ، [illegible]

وردت فى القرآن .. لكنه يؤول على ذلك ألفاظ النص ويقرأ فيها ما شاء من المعانى والدلالات التى قد تكون بعيدة الصلة جدا بمعناها الظاهر المتعارف عليه وقد يستند إلى قرابة لفظية بين اللفظ القرآنى واللفظ الذى يحتمل المعنى الذى يؤوله به مثال ذلك: يقول " أن التقوى من الوقاية والمتقى هو الذى يجعل من نفسه وقاية للحق (الله)" إذ هو صورة الحق ويؤول " أولوا الألباب هم الناظرين فى (لب) الشىء .. أو يقول : أن الغيرة " مشتقة من (الغير) وهو (أنت) ويستخلص من ذلك (مقام الوحدة الإلهية) يقتضى (الغيرة)التى تنفر من الغير والغير هنا هو (أنت) فمقام الوحدة لا فرق فيه بين الأنا والأنت .

مثال آخر : عندما نضع للفظ القرآنى معنى تحكيما لا يؤيده سند من اللغة أو الصرف . كان يقول فى الفص الموسوى : أن التابوت الذى وضع فيه موسى هو (جسمه واليم الذى القى فيه هو (العلم) الذى حصل له بواسطة هذا الجسم .. وهكذا فى باقى النصوص[1] .

وابن عربى يقترب من منهج فلاسفة الدعوة الإسماعيلية الذين يتبعوا هذا المنهج الذى لا يؤيده سند من اللغة أو العرف فى تأويل قصص الأنبياء طبقا لعقائدهم الباطنية . ونعطى مثالا واحدا على ذلك فى تأويل أية من قصة نوح بقولهم فى تأويل قوله تعالى " فقلت أستغفروا ربكم أنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا " سورة نوح آية (١٠-١١) أى : أسالوه أن يطلعكم على المستور من الباطن يرسل السماء عليكم مدرارا آى أن السماء فى الباطن مثل الناطق ومثل

---

(١) رجعنا فى ذلك : دكتور أبو العلا عفيفى ، ابن عربى فى دراساتى ، مقال ملحق بالكتاب التذكارى محى الدين بن عربى ،ص١١،ص١٢ (فصوص الحكم) ص٩٤ (الفص الموسوى) تحقيق دكتور أبو العلا عفيفى ، ط دار الكتب العربية بيروت ١٩٤٦. ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر دار الكاتب المصرى ١٩٦٩.

الماء- العلم ... وهكذا[١].

ولعل أصحاب المنهج الإشارى من مفسرى الصوفيــة يقـتربوا إلى حـد ... منهج الباطن عند الإسماعيلية – فيؤولون الآيات على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفى ومن ذلك تفسير " الألوس" المتوفى عام (١٢٧٠ هـ) ويسمى "روح المعانى[٢] ".

أما سهل بن عبد الله التسترى .. رغم انه يعرض للقول بالظاهر فـى تفسـير بعض الآيات .. غير انه يذكر بعد ذلك المعنى الباطن لها ويلتزم أحيانا المعنى الباطن وحده .. الأمثلة كثيرة فى ذلك[٣] وفيما أرى أن هذه الطريقـة وجـدت عنـد الشـيعة أيضا – لذلك يعلق الدكتور محمد حسين الذهبـى بقولـه وعندنـا أن هـذا المـنزع فـى التفسير لا يختلف عما تقول به الباطنية فى شىء فالمعانى التى حملوا عليها الألفـاظ فى هذه الآيات لا تعرفها العرب ولا مدلولات لهذه الألفـاظ لا بـالوضع الحقيقـى ولا بـالوضع المجـازى المناسـب وليـس فـى سياق الآيـات مـا يـدل علـى هـذه المعـانى المذكورة[٤] ومثل هذه الأسـاليب (الرمزية) من البحـث معـروفة عند الإسماعيلية الباطنية والظاهر أن الصوفية أخذوه عنهم[٥].

٣- **طريقة المقابلة والاستعمال الحرفى للنصوص :-**

لا شـك أن هناك علاقة قويـة واضحـة بين فـلاسفـة التصـوف ودعـاة المذهب الإسماعيلى فى أستعمالهم الحرفى للنصـوص أو الألفـاظ القرآنيـة أو المقابلـة بينـها

---

(١) الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون ، أساس التأويل ،ص٨٢ ، للمزيد . نفس المصدر بأكمله .

(٢) دكتور صبحى صالح ، مباحث فى علوم القرآن ، ص٢٩٦ ، ط بيروت ،١٩٥٨.

(٣) دكتور الشحات السيد زغلول ، الاتجاهات الفكرية فى التفسير ،ص٢٣٤.

(٤) دكتور محمد حسين الذهبى ، التفسير والمفسرون ...

(٥) نيكلسون ، فى التصوف الإسلامى وتاريخه ...

وبين نظرياتهم أو عقائدهم بـل يتخـذون مـن هـذه الطريقـة أساسـا فلسـفيا . وإطـارا ينسجون فيه خيوط مذاهبهم .

وقـد رأينـا طريقـة المقابلـة والاسـتعمال الحرفـى للنصـوص القرآنيـة عنـد الإسماعيلية وكيف استطاعوا أن يستدلوا بذلك على نظامهم فى "الإمامة" اما فلاسفة التصوف فقد حـاولوا مـا وسـعتهم الحيلـة أن يتلمسـوا مـن خـلال التـأويل الحرفـى للنصوص والألفاظ أن يقيمـوا نظامـا تدريبيـا وروحيـا للوصـول إلى بغيتـهم وتدعيمـا لأصول نظرياتـهم فـى المعرفـة ووحـدة الوجـود والحقيقـة المحمديـة . ونجـد هـذه الطريقة مستعمله وشائعة عند الإشاريين أو فلاسفة الصوفية عامة .

ولذلـك يقـول الدكتـور محمـد كمـال جعفـر " انـه كمـا تبنـى الشـيعة والإسماعيلية الفكر القبالى للحروف معتـبرين أن أجـزاءه المقطعـة التـى تفتتـح بـها السور تطابق نظام أئمتهم كذلك تبنى الصوفية هذا الفكر ليطبقوه على نظـام الوجـود نفسه وليقيموا عليه نظاما تدريبيا روحيا ونظريا وقد حـاول بعـض الصوفيـة إرجـاع المعرفة كلها بالقرآن إلى معرفة الحروف المتشابهة التى افتتحـت بـها بعـض السـور القرآنية .. يقول الحلاج " فى القرآن علم كل شىء وعلم القرآن فى الأحرف التى فـى أوائل السور وعلم الأحرف فى لأم ألف وعلم لأم ألـف فـى الألـف وعلـم الألـف فـى النقطة وعلم النقطة فى المعرفة الأصلية " وهذه المعرفة الأصلية تؤول فى النهاية إلى علم غيب الله لا يعلمه إلا الله هو جل شانه[1].

وإذا أردنا أن نوضح ذلك بمثال فإننا نركـز علـى "البسـملة" فقـد نـالت مـن الصوفية الإشاريين والفلاسفة اهتماما كبيرا ذلك لأهمية دلالاتها الحرفية عندهم .

فقد حاول الإشاريين أن يستنبطوا من الدلالات الحرفية للبسملة منهجهم

---

(١) دكتور محمد كمال جعفر ، من مؤلفات ابن مسرة المفقودة (مقال منشور بمجلة كلية التربية عدد٣)، ص٤٢ وما بعدها بالجامعة الليبية ، ط١٩٧٢م.

في الوصول إلى المعرفة الحقة بالله تعالى وصلته بالمخلوقات لذلك يذهب سهل بن عبد الله التسترى فى تأويل " بسم الله الرحمن الرحيم " بقوله " الباء" بهاء الله عز وجل والسين بناؤه والميم مجده "الله " هو الاسم الأعظم الذى حوى الأسماء كلها وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب وسر من سر إلى سر وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس الأخذ من الحلال فواما ضرورة الإيمان "الرحمن " اسم فيه خاصية من الحروف المكنى بين الألف واللام " الرحيم " هو العاطف على عباده بالرزق فى الفرع والامتداد فى الأصل بالرحمة فى سابق علمه القديم – ونحسب أن قصد التسترى أن الألف إشارة إلى الواحد المنفصل بذاته الصمدية القديمة عن مخلوقاته ولكنه متصل بها بطريق أمره (بكن) ولم يكن ليكون لولا صدور "كن" من الغيب فيها ظهر الكون من العدم وبقيت الألف على انفصالها وأن كانت فيما بعد قد أخذت شكل اللام . فليست اللام إلا ألفا ذات تعويجه وأية هذا الاتصال أن بقية اسم الجلالة بدون الألف هى أن الكون" لله"أو له[1].

ويذهب أبو عبد الرحمن السلمى فى تأويل آخر بقوله "الباء" قيل أن الباء أى بالله ظهرت الأشياء وبه فنيت وبتجليه حسنت المحاسن وباستتاره قبحت وسمجت "اسم" هو وسم الحق على قلوب أهل معرفته أى أنه سمى بأسمه أهل الحقيقة لئلا يتزينوا إلا بالحق ولا يتسموا الا به " الله" الألف الأولى ابتداؤه واللاهى لام المعرفة واللام الثانية لام الالاء والنعماء والسفر الذى يبين اللامين معانى مخاطبات الأمر والنهى والهاء نهاية ما تمكن العبارة عنه من الحقيقة لا غير وقيل: والألف : إشارة إلى الوحدانية واللام إشارة إلى محو الإشارة اللام الثانية

---

(١) نزرنا : دكتور إبراهيم بسيوني : البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة [illegible]
الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٧٢.

إشارة إلى محو المحو فى كشف الهاء "الرحمـن " حـلاوة المنـة ومشـاهدة الفرديـة " الرحيم" نعت محمد صلى الله عليه وسلم أى إنكم بمحمد وصلتم إلى أن قلتم " بسم الله الرحمن الرحيم[1] " وهكذا .

والواضح أن أهتمام الإشاريين نـافذ إلى داخـل (بـاطن) الدائـرة متجـه نحـو مركزها لكن إذا كان للتسترى وغيره مـن الصوفيـة رسـائل فـى الحـروف ومراكزهـا الروحية كرموز كونية وعلوية لم تر فيها أية إشارة إلى قيم عدديـة أو ايـة محاولـة للتنبؤ بالمستقبل ولا نجد فيها تحليلات طلسمية يقصد بها التوصل إلى اكتسـاب قـوة تأثير غايات نفعية – لذلك يمكن أن نقول بأن استعجال بعض الإشـاريين كمـا رأينـا للحروف محاولـة مـن جانبـهم أن يسـموا بـالعدد فـهم بحيـث يجعلونـها روحيـة خالصه كما أن هناك جوانب نفسية وأخلاقية جذبت الخلـص مـن الصوفيـة لدراسـة الحروف تؤكد إمكانية اتصاله بحالفة وهى وسيلة قياسية مفيدة فـى شـرح وتقريـب مشكلة الخلق والعلاقة بين الله والعالم . ومن هذه الناحية اعتبرت الحروف بمعناها الخالص محاكاة لفعل الخالق[2] فمثلا الفكرة الأساسية فى رسـالة خـواص الحـروف وحقائقها وأصولها هى أن العالم بصفوف ظواهره ومشـاهده المتعـددة .. وفـى رسـالة "الاعتبار " يذكر إبن مسره : أن العالم كتاب يمكن أن يقرأه كـل واع مسـتبصر وهـذا الكتاب كان فى مرحلة أكثر معنوية أو روحية أو شفافية لأنه كان فى مرحلة النطـق لا الكتابة أى مرحلة المشيئة والعلم لا مرحلة الإرادة والتنفيذ لذلك تختلـف مظـاهر الكون أهمية وسموا كما تختلف أوضاع الحروف نطقا وأهمية[3] .

وجدير بالذكر أن ابن مسره يبدو وأنه يقتفى أثر أسلافه من الذين عالجوا

---

(١) المصدر السابق ، ص٥٧،ص٦١.
(٢) انظرنا : دكتور محمد كمال جعفر ، من مؤلفا ابن مرة المفقودة (مقال) ص٤٤،ص٤٥.
(٣) المصدر السابق ،ص٤٢.

الحروف على نمط باطنى قبالى أو إسماعيلى شيعى .

وإذا اتجهنا إلى فلاسفة الصوفية نجد أن عبد الكريم الجيلى يتخذ من دراسته للحروف اللفظية وسيلة للوصول إلى تثبيت نظريته (فى الحقيقة المحمدية) أو الإنسان الكامل والتى توصل إلى نظريته فى وحدة الوجود .. ويعتمد الجيلى فى التأويل الحرفى على "البسملة" أيضا بغية الوصول إلى نتائجه فيقول " اعلم أن الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم " من وجوه كثيرة كالنحو والصرف واللغة والكلام فيه على مادة الحروف وصيغتها وطبيعتها وهيئتها وتركيبها واختصاصها على باقى الحروف الموجودة فى فاتحة الكتاب ولسنا بصدد شىء من ذلك بل كلا منها عليها من وجه معانى حقائقها فيما يليق بجناب الحق سبحانه وتعالى – ومعرفته على بابه .. ويريد الجيلى أن ينتهى من ذلك إلى حقائق ومعارف باطنية[1] يبدأ الجيلى فى تحليل البسملة ويورد خبرا عن النبى (ص) انه قال " كل ما فى الكتب المنزلة فهو فى القرآن وكل ما فى القرآن فهو فى الفاتحة وكل ما فى الفاتحة فهو فى بسم الله الرحمن الرحيم وورد أن كل ما فى بسم الله الرحمن الرحيم فهو فى الباء وكل ما فى الباء فهو فى النقطة التى تحت الباء[2] فكأن (النقطة) التى يقصدها الجيلى من هذا الخبر كمنطلق لدراسته .. لا تفارق الحرف وهى على هذا تعد بداية خروجه من العدم إلى الوجود . فهى رمز لحقيقة الحقائق يقول الجيلى " بسم الله الرحمن الرحيم من العارف بمنزلة "كن " من الله وتقع البسملة فى بداية سورة القرآن ويستفتح بها كل أمر ذى بال فإذا تحقق العارف بها تحققا تاما كانت أشبه بـ (كن) التى أخرج الله بها الكون من العدم فهى بداية وجود كل شىء استفتاح

(١) عبد الكريم الجيلى ، الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم ملحق بكتاب (البسملة،ص١١١) تحقيق دكتور إبراهيم بسيونى .
(٢) المصدر السابق ، ص١٠٨ .

تلاه ظهور كل شيء[1] ولذلك يمضى الجيلى قائلا : توجد (الباء) فى كل سورة للزوم البسملة فى جميع السور وهى فى الباء وهى فى النقطة فكذلك الحق سبحانه وتعالى مع كل أحد بكماله لا يتجزأ ولا يتبعض فالنقطة إشارة إلى ذات الله تعالى الغائب خلف سرادق كنزيته فى ظهوره لخلقه . جاء فى الحديث القدسى " كنت كنزا مخفيا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق فبه عرفونى " ولعل النقطة فى حد ذاتها ليس لها مخرج ولا تعطى معنى لكنها مع ذلك حين تقع خلف الباء أو فوق الفاء أو الثاء تعطيها معنى يميز الواحد منها عن الأخرى – وطبقا للحديث القدسى فالخلق هو الذى عرفنا بالله وكذلك النقطة بالنسبة للحروف بحسب هذه الأوضاع وقول الجيلى " وهو مع كل أحد بكماله لا يتجزأ ولا يتبعض " فإنه يريد أن يثبت انه كما يقرأ على الخليفة من الحرف الا النقطة فكذلك ما تعرف من الخلق على الحقيقة إلا الله[2] وكأن الجيلى يريد أن يصل إلى نظريته فى وحدة الوجود يقول : نقطة الباء واحدة فى عالم غيبها التى لا تفرقه فيه على إنها ظهرت فى التاء المثناه اثنتين وفى المثلثة ثلاثة ردعا وتنبيها لمن قال بالشريك انه ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة مشيرا إلى النقطة الواحدة ولو ظهرت متعددة هى فى ذوانها واحدة ويفرق الجيلى بذلك بين عالم الغيب وعالم الظهور فالله من حيث ذاته واحد لا شريك له لكنه من حيث ظهوره فى الكائنات قد يبدو متعددا ولكنه ليس على الحقيقة متعددا إنما هى تجليات كمالية تمنح لكل مخلوق حسب اختصاصه وتخصيصه[3] .

ويتجه الجيلى فى تحليله للبسملة "لاستنباط الحقيقة المحمدية من الآلف امتدادا (للنقطة) يقول : والألف اشرف من الباء لظهور النقطة فى عينه .. ودخول

---

(١) المصدر السابق ، ص١١٠.
(٢) المصدر ،ص١١٢.
(٣) المصدر السابق ،ص١١٤.

النقطة فى الألف وهى أول الحروف وهى أقرب الحـروف إلى الواحـد.. لأنـها عـين الألف متصلة بكيانها المعنوى[١] ومنفصلـة عـن بيانـها الجسمانى بالنسبة للبـاء .. وهذا الألف يرمز إلى الحقيقة المحمدية .. إذ أن البـاء ألـف مبسوطة والجيم ألـف معوجة الطرفين والدال ألف منحنى الوسط ولذلك فإن الألـف ظـاهر بنفسـه فـى كـل حرف .. وكذلك "الحقيقة المحمدية " خلق العالم بأسره منها . كما ورد فى حديث جابر أن الله تعالى خلق روح النبى صلى الله عليـه وسـلم مـن ذاتـه (أى مـن النقطـة) وخلق العالم بأسره من روح محمد صلى الله عليـه وسلم أى مـن (الألـف) لأنـها أول حرف ولأن النقطة داخله فيها دخول عين لا دخول تكميل .. وعلى ذلك يؤول قولـه تعالى" أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله " سورة الفتح آية (١٠) أنـها شـهادة مـن الله لنفسه وانهم ما بايعوا إلا الله فكأنه يقول ما أنت عندما بويعت محمدا إنمـا أنـت الله بـالغيب لأنـهم مبـايعون الله علـى الحقيقـة .. وهـذا معنـى الخلافـة وهـو المقـام المحمدى .. فيما يرى الجيلى[٢] وكأن الجيلى يريد أن يقول بأن الحقيقة المحمديـة – مظهر الحق وهو المتحقق بالحق بل ليس الحـق إلا هـو[٣] يتضـح الآن أكـبر عندمـا يؤول "السين" بقوله أن السين عبارة سـر الله تعـالى وهـو الإنسـان والكـلام مـن بـاب "الإشارة" فى "يس " وأن "ياء" حرف نداء والسـين الإشـارة فـهو سـبحانه يخـاطب محمد بقوله : يا إنسان عين ذاتى والقرآن الكريم .. (فالقرآن) معطوف على (عـين ذاتى) وإنسان مضاف إلى عين الذات فهو محمد صلى الله عليه وسلم سر الـذات وسـر القرآن الحكيم[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص١١٢.
(٢) نفس المصدر ، ص١١٣.
(٣) نفس المصدر ، ص١٢٢.
(٤) نفس المصدر ،ص١٢٣.

أما تأويل الجيلى "للميم " فإنه يوضح مذهبه فى الحقيقة المحمدية الإنسان الكامل بقوله " أعلم أن الميم هو روح محمد صلى الله عليه وسلم لأن المحل الذى ظهر فيه الكنز المخفى هو العالم وقد ورد عن جابر أن أول ما خلق روح محمد ثم خلق العالم رتبه منه[1] وهكذا يتضح أن فيلسوف الصوفية عبد الكريم الجيلى استطاع أن يستخرج من "البسملة" " بسم " وحدها محتويات مذهبه الفلسفى الباطنى ، وهذا المنهج فى التأويل وثيق الصلة بما اتبعه الإسماعيلية الباطنية فى استخراج دلائل مذهبهم من نصوص القرآن والتحليل الحرفى لها .

ولعل طريقة المقابلة بين العوالم العلوية وبين الأشياء أو الموجودات السفلية موجودة عند فلاسفة الصوفية تلك الطريقة التى وجدناها فى ثنايا المنهج الإسماعيلى الباطنى والتأويل الفلسفى الباطنى الصوفى من ذلك يختلف من حيث الأهداف والنتائج غير أن المنهج متقارب المثال على ذلك عند الجيلى يقول فى تأويل المراد من المصطلحات الدينية القرآنية الآتية أعلم أن المراد "بالطور" نفسك أو هو نفس موسى (الكتاب المسطور) هو الوجود المطلق وهو مسطور أى موجود مشهود فى الملكوت وهو اللوح المحفوظ ونظيره فى الملك فى المقابلة الإنسانية (الرق المنشور) – محل تشبيه قابلية الإنسان بالرق وهو وجود الأشياء فيها بالانطباء الأصلى الفطرى (والرق المنشور) هو اللوح المحفوظ ونظيره : روح الإنسان باعتبار قبولهم وانطباع الموجودات فيها إما (البيت المعمور) فنظيره قلب الإنسان وهو محل الحق (والسقف المرفوع) هى المكانة العليا الإلهية .. وهو الألوهية والبيت هو القلب " أما البحر المسجور " هو العلم المصون والسر المكنون الذى هو بين الكاف والنون[2] .

---

(١) المصدر السابق ، ص١٢٥، لمزيد انظر من ص١٢٦،ص١٤٠ .
(٢) انظرنا : عبد الكريم الجيلى ، الإنسان الكامل ، حـ١ ،ص١٣٣،ص١٣٥.

هكذا يتضح أن العلاقة بين التصوف الفلسفى وبين المذهب الإسماعيلى هى علاقة منهجية .. أو اتباع منهج التأويل الباطنى الرمزى لاستنباط نظرياتهم ومعتقداتهم المذهبية وهى وإن كانت محاولات فلسفية باطنية فى محيط تلك المذاهب غير أنها محاولات تعسفية وغالية لا تمت إلى منهج الإسلام السنى بصله . بل هى محاولات تشوبها نزعة التحريف والتشويه لمعانى النصوص الإلهية ومدلولاتها ومرادها الحقيقى ، وهم بذلك التعسف فى التأويل يخدمون أغراضهم المذهبية ويلحقونه الضرر بالإسلام وسلامة بنيانه الإيمانى والسنى الصحيح والمتوارث عن منهج النبى صلى الله عليه وسلم وأئمة السلف الصالح .

الفصل الخامس

منهج الشيعة الإسماعيلية فى تأويل الإلهيات والعبادات وأمور الحياة الآخرة

أولاً : التأويل فى الإلهيات .

١- قضية التوحيد عند الفرق الإسلامية :-

تعتبر قضية التوحيد الإلهى من اكبر القضايا العقائدية التى دار حولها النقاش بين الفرق والمذاهب الإسلامية .

وقد اختلفت هذه المذاهب فى بحث هذه المسألة طبقاً للاتجاهات الفكرية والمذهبية التى تمثلها ، فالأصوليون ناقشوها من وجهة النظر الكلامية التى تعمتد على القياس العقلى والتأويل المجازى ، أما الفلاسفة فقد تناولوا التوحيد قياساً على النظريات الفلسفية والعقلية طبقاً للمنهج الفلسفى التجريدى وإذا نظرنا إلى منهج الصوفية نجدهم يعالجون القضية بالمنهج الذوقى والباطنى الكشفى مستلهمين المعانى الفلسفية الذوقية التى يترقى فيها المريد من درجة إلى درجة أعلى فى نطاق من المقامات والأحوال حتى يصل إلى مرحلة التوحيد المطلق .. وهكذا . أما علماء السنة والسلف الصالح فإنهم قدحوا الفكر إلى جانب النص الإلهى وأعتمدوا فى أكثر أقوالهم على نصوص القرآن الكريم وما ورد فى الحديث النبوى الشريف فجنبوا أنفسهم وطأة الوقوع فى التطرف والابتعاد عن منهج الإسلام الصحيح . غير أن معظم المذاهب الإسلامية قد اعتمدوا على دليل "التمانع" الذى ورد فى قوله تعالى " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا " سورة الأنبياء آية (٢٢) – وسوف نجد الإسماعيلية يقتربون من منهج الفلاسفة فى التأويل والتنزيه المطلق للصفات الإلهية.

ومن الجدير بالذكر أن الاختلاف المنهجى بين الفرق الإسلامية أدى إلى

إثارة الجدل وتعدد وجهات النظر ومناهج التأويل وخاصة فيما يتعلق بالصفات الإلهية وصلتها بالذات الإلهية .

وإذا كان لنا أن نشير باختصار شديد إلى اتجاهات كل فرقة إسلامية فى التوحيد تمهيداً للكشف عن منهج الإسماعيلية فى هذا الصدد تقول " بأن أهل الظاهر قرروا أن العقل لا دخل له فى الإيمان بأصل العقائد جميعها أى (بوجود الله) بل أن ذلك يرجع فى رأيهم إلى الوحى وحده وضرورة التزام النصوص دون محاولة تأويلها[1] أما أهل السنة والسلف ومتكلميهم فبالإضافة إلى أنهم رأوا ضرورة التزام النصوص القرآنية فى اثبات وحدانية الله تعالى وتنزيهه الخالص، غير أنهم رأوا إلى جانب ذلك ضرورة استعمال العقل والاستعانة بالأدلة والبراهين العقلية فى تأكيد وحدانية الله تعالى وتفرده بالقدم ، مثل دليل الحدوث للعالم ودليل قدم الله تعالى وأزليته ودليل التمانع ، ودليل الاستدلال بالصنعة على الصانع .. الخ[2] .

أما أرباب التصوف فإن دليلهم على وجود الله تعالى واثبات وحدانيته تعالى ليس مستمداً من الكتاب والسنة فحسب بل من المعرفة المباشرة بالله تعالى،وعبر عن ذلك الإمام الغزالى بقوله " أن هؤلاء الصوفية العارفون بالله هم الأقوياء الذين يستندون به على غيره .. اما الضعفاء فهم الذين يستدلون بالمخلوقات على وجود الخالق فيعرفون الأفعال ويترقون منها إلى الفاعل وهؤلاء العارفون هم الصديقون أصحاب المشاهدة العيانية[3] .

أما إذا أتجهنا إلى مناهج الفلاسفة الإسلاميين والمعتزلة ، فإن كلاهما كان

---

(١) دكتور محمود قاسم ، نقد مدارس علم الكلام (مقدمة مناهج الأدلة فى عقائد الملة لأبن رشد) ص١١ ،ط مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٥.
(٢) رجعنا فى ذلك إلى : الإمام الغزالى ، الحياء ، جـ١ ،ص٩٣.،ص١٠٥،كذلك الاقتصاد فى الاعتقاد،ص٢٩،ص٧٤.
(٣) دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ،ص٣٨.

ينشد إثبات وجود الله تعالى والتنزيه المطلق لله عن طريق العقل والاستعانة بالمصطلحات والبراهين الفلسفية اليونانية (الأفلاطونية والأرسطية والفيثاغورية).

ولذلك فإن فلاسفة الإسلام أقاموا أدلتهم على وجود الله تعالى ووحدانيته الخالصة على أدلة العقل " وللكندى براهين وأدلة على إثبات وجود الله ونجده يقيم هذه البراهين على وجود : الحركة والكثرة والنظام . كما فعل أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان[1].

أما الفارابى فإنه ينفذ إلى ذلك من خلال دليل "واجب الوجود " وهو الله واحد بالذات بطبيعة وهو غير مركب من أجزاء ولا جنس له حتى يمكن تعريفه .. أما الأسماء التى نطلقها عليه وتتضمن الإشارة إلى صفات معينة كالقدرة والحياة .. الخ فيجب أن نطلقها عليه بالمماثلة ويسميها الفارابى "بالتمثيل القاصر" يعنى ذلك أن هذه المفاهيم أشرف مما لدينا ، أى أن صفات العلم والقدرة والحياة التى نصف بها الله أعلى وأشرف من الصفات التى نصف بها الإنسان . الخ ويستدل على وجود الله أدلة الطبيعيين الذين ينظرون للطبيعة للاهتداء لصانعها ، كذلك يتأمل عالم الوجود المحصل من حيث أفكار " الوجود والوجوب والإمكان[2] ".

أما المعتزلة فقد دافعوا عن وحدانية الله تعالى وردوا على المجوسية القائلين بالهين وأثبتوا وجود إله قديم واحد لا شريك له ، كما ردوا على الدهريه الذين أنكروا وجود الله تعالى ، كذلك أثبتوا وحدانية الذات الإلهية ، فنفوا الصفات الزائدة عن الذات لأنها تؤدى إلى الشرك ولهذا سموا "بالمعطلة" لذلك قالوا : أن الله عالم بذاته لا يعلم زائد على الذات[3] وهكذا . لذلك فإنهم يؤلون جميع الصفات

(١) المصدر السابق ،ص٣٤٦.

(٢) نفس المصدر ،ص٣٦٤،ص٣٦٦.

(٣) نفس المصدر ،ص٢٧٣، كذلك يرجع النشار نشأة الفكر الفلسفى ،حـ١ ،ص٤٩ وما بعدها .

والآيات المتشابهات طبقا لمنهجهم العقلى .. أو المجازى .

ويعد هذا العرض السريع لمناهج الفـرق الإسـلامية فـى إثبـات وحدانيـة الله تعالى نجد أن الفلاسفة والمعتزلة أرادوا التوحيد المحض الخـالص والتنزيـه المطلـق . وهم فى ذلك يقتربون من منهج الشيعة الإسماعيلية على الرغم من وجـود اختـلاف شاسع بين الإسماعيلية فى المسائل الإلهية وبين باقى الفرق الإسلامية الأخرى .

٢- قضية التوحيد فى العقيدة الإسماعيلية :-

يقترب الإسماعيلية فى عقيدة التوحيد الإلهـى مـن الفلاسـفة والمعتزلـة مـن ناحية التصوير الفلسفى للذات الإلهية قياسـا علـى نظريـات الفلاسـفة فـى التنزيـة المطلق والتأويل المجازى للصفات الإلهية مما يـؤدى إلى نفـى الصفات أو تعطيلـها . ولكن هناك فرق جوهرى بـين كـلا المنـهجين . إذ أن الإسماعيليـة يحملـون الصفـات الإلهية على العقول والحدود الإبداعية الروحانية . وبالتالى فـإن هـذه الحـدود مثـل لمثولات أرضية وهم الأئمة – وعلى ذلك فقد وصفوا الأئمـة بصفـات إلهيـة قدسـية سوف نوضحها فى سياق البحث .

وعلى الرغم من حرص الإسماعيلية العديد فـى عـدم الإفصـاح عـن عقـائدهم للجمهور . إلا إننا نجـد أثـرا للفلسـفات الأفلاطونيـة المحدثـة فـى نظريـة الفيـض والصدور ، كذلك الفلسفة الفيثاغورية وذلك فى عقائدهم فى التوحيـد وفـى التـأويل الباطنى الفلسفى للصفات الإلهية . إذ أن التوحيـد المطلـق فـى عقـائدهم يعنـى فصـل الذات الإلهية عنْ الصفات وحملها على الحدود والعقول الإبداعية .

ويتضح لنا ذلك من خلال ما نعرضه لأقوالهم فى التوحيد إذ يذهب أبو يعقوب السجستانى أحد فلاسفة الدعوة إلى القول "بان مبدع المبدعـات خـالق قديـم ، وعال عريق فى إيجاد الأولية ، وأن عالم المبدعات والموجودات محـدث وهـو المتعـالى

عن درك الصفات ، فلا ينال بحس ولا يقع تحـت نظـر ، ولا تدركـه الأبصـار ، ولا يتصف بجنس ولا يخطر فى الظنون .ولا تراه العيون .. وجل أن يحده فكر أو يحيط به تقدير ، ليس له أسماء لأن الأسماء وصف لموجوداتة ، ولا صفات لأن الصفات مـن أيسباته وأن حروف اللغة لا يمكن أن تؤدى إلى لفـظ أسمـه أو أن يطلـق عليـه شـيء منها لأنها جميعا من مخترعاته وأن كل الأسماء التى أبدعها جعلها أسماء لمبدعاتـه ، فهو القديم وقبل الأزل وصاحب الأولية بالترتيب ، لأن الحد الأول أنبثق منـه ، والموجود الأول قاص عنه ، وهـو مبـدع المبدعـات ، ومعلـل العلـل وبـارى البرايـا ، والدائم الموجود بفرادنيته ووحدانيته، وصاحب فعل الإيجاد الأول للعدد الأول الذى جعله أصلاً للأعداد، كما أن العقل جعلـه أصـلاً للموجـودات ، والنـاطق أصـلاً لعـالم الدين ، كما انه لا ينال بصفة من الصفات ، وانه ليس جسـماً ولا هـو فـى جسـم ولا يعقل ذاته عاقل أنه لا ينال بصفة من الصفات ، وأنه ليس جسـماً ولا هـو فـى جسـم ولا يعقل ذاته عاقل ، ولا يحس به حاس ، وهو ليس بصورة ولا بمادة ، ولا يوجـد فى اللغات ما يمكن الأعراب عنه[1] .

ولما كان الله تعالى قديماً ، فإن العالم بجميع أجزائـه مـن العـرش إلى الفـرش محدث ممكـن ،والمحـدث مفتقـر إلى مرجـح وهـو الله تعـالى القديـم الواجـب الغنـى بالذات ، والقيــوم الـذى قـامت ووجبـت بـه الممكنـات ، نصفـه بأوصـاف التقديـس والتنزيه وتتبرأ من التعطيل والتشبيه[2]..الخ .

وخـوفاً من الوقـوع فى شرك التعطيل والتشبيه حـاول فلاسفـة الدعـوة

---

(١) عارف تامر ، كتاب الرياض (المقدمة) ،ص١٣،ص١٤.

(٢) نظرنا : الداعى الإسماعيلى ، شمس الدين بن احمد بن يعقـوب الطيبـى ، رسـالة الدسـتور ودعـوة المؤمنين إلى الحضور ،(ضمن أربع رسـائل إسماعيلية) ،ص٩٠ وللمزيـد مـن الدراسـة بـهذا الصـدد يرجع إلى :الداعى الإسماعيلى اليمنى المطلق : علـى بـن محمـد بـن الوليـد ، تـاج العقـائد ومعـدن الفوائد ، ص١٨،ص٢٠،ص٢٤،ص٣٧ .

الإسماعيلية إثبات الوجود الإلهى – ذاتا مجرداً ، واقتربوا إلى حد ما من منهج المعتزلة والفلاسفة فبالغوا إلى حد كبير فى تنزيه الله تعالى .

لذلك ذهب (الكرمانى) فى السور الثانى من (راحة العقل) إلى إثبات وجود الله تعالى عن طريق إبطال "ليسيته " وضرورة أستناد الموجودات واحتياجها إلى موجد ، كذلك ينفى عن الله "الأيسيه" فالله تعالى لا يمكن أن يكون ليساً أيساً ، أى لا يصح أن يكون الله "غير موجود" ولا أن يكون "موجوداً" من نوع الموجودات التى وجدت عنه .. وقد استدل من وجود الموجودات على وجود الله تعالى ، واستخلص وجود الله من وجود الموجودات .. الخ من خلال سلسلة من المقدمات تتلخص فى أنه لا معلوم بدون عله ، ولا موجود إلا إذا كان له ما يوجب وجوده .. الخ وفى تصورى أن الكرمانى يقترب فى ذلك من أدلة ومنهج الفيلسوف الإسلامى ابن رشد . الذى رأى أن فعل الفلسفة هو النظر فى الموجودات واعتبارها من وجهة دلالتها على الصانع لمعرفة صنعتها ، وكلما كان المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم[1].

وفى تصورى أن الكرمانى كان فيلسوف فى نفيه الليسية عن الله تعالى ، وكان فى نفيه "الايسية " عن الله تعالى متكلماً معتزلياً " إذ أن نفى الايسية عن الله تعالى عندما يعنى أن الله ليس موجوداً كغيرة من الموجودات . ولا يصح أن يقال عنه أو ينسب إليه ما يقال عنها أو ينسب إليها .. وهو بعينه ما تقوله المعتزلة من أن الله تعالى متعالى عن أن يوصف بصفات المخلوقين[2]".

ويستخدم فلاسفة الإسماعيلية فكرة العدد فى الاستدلال على التوحيد الإلهى .. وهو بلا شك نتيجة للتأثير الفيثاغورى ، وإذا كان ذلك كذلك فقد صرح

---

(١) نظرنا : دكتور محمد كامل حسين ، راحة العقل للكرمانى (المقدمة) ص٣٠ ،ص٣١ ، كذلك ابن رشد ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال ص٢ تحقيق البير نصر نادر ، ط دار الشروق بيروت ١٩٧٦م.
(٢) المصدر السابق ،ص٣٥.

أخوان الصفاء "بأن علم العدد هو لسان ينطق بالتوحيد والتنزيـه ، وينفـى التعطيـل والتشبيه ويرد على من أنكر الوحدانية أو قال بالثنوية ، كذلـك مـن أنكـر الواحـد الحق فلا ثبات له من حال من الأحوال ولا عمل من الأعمال " وبهذه الطريقة يرهـن أخوان الصفاء الإسماعيلية على وجود الله وعلى أخص خصائصه وهـى الوحـدة (الله) عن الأخوان ليس بشخص ولا صورة بل هوية وحدانية ذو قوة واحدة وأفعـال كثـيرة وصنائع عديدة لا يعلم أحد من خلقه ما هو وأين هو وكيف هو ، وهـو الفـائض منـه وجود الموجودات وهو الفائض منه وجود الموجودات وهو المظهر صـور الكائنـات فـى الهيولى ، المبدع جميع الكيفيات بلا زمان ولا مكان بل قال "كن فكـان" وهـو موجـود فى كل شيء من غير مخالطة ، ومع كل شيء فمن غير المازجة كوجـود الواحـد فـى كل عدد "كما أن الواحد لا جزء له ، ولا مثل له فى العدد ، كذلك الله لا مثل لـه فـى خلقـه ولا شـبه .. ويسـتنكر الأخـوان كـل مـن ينسـب إلى الله صفـات جسـمانية .. ويقتربون بذلك من منهج المعتزلة . أن الواحد غير مركـب ، والصفـات التـى تنسـب إليه من هذا القبيل إنما تنسب مجازياً إرضاءً للعامة من الجهال[١] .

والواضح أن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية قد جردوا الله تعـالى مـن كـل صفـة، ونزهوه التنزيه ، فتوحيد الله عندهم هو بـأن تبقـى عـن الله تعـالى جميـع مـا يليـق بمبدعاته التى هى الأعيان الروحانية ومخلوقاتـه التـى هـى الصـور الجسـمانية مـن الأسماء والصفات وأن نفى المعرفة هو حقيقة المعرفة ، وسلب الصفة هو نهاية الصفة[٢].

ولا شك أن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية قد غالوا غلوا كبيرا فى نفى الصفـات والأسمـاء الإلهية طبقا لمنهجهـم الفلسـفى والباطنـى فى التأويـل . ولذلك نجدهم

---

(١) حنا فاخورى ، خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ،ط ،ص٢٦٠.
- كذلك - اخوان الصفاء ، الرسائل ،حـ١ ،ص٣٠،ص٣١.
(٢) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ،ص١٥٧.

يلجأون إلى الذات الإلهية من كل الصفات والأسماء التى وصف الله تعالى بها نفسه بما يليق بذاته العلية كما ورد فى نصوص القرآن الكريم وأحاديثه القدسية الشريفة ويلجئون إلى حملها على حدود عقلية وإبداعية تحت دعوى التنزيه المطلق . وسوف يكون للمنهج الفلسفى الباطنى أثر كبير فى تأويلها وحملها على الحدود الباطنية والمبادئ الفلسفية . .

٣- التأويل فى الصفات والأسماء الإلهية ..

أ- نفى الصفات الإلهية :-

يبتدع فلاسفة الدعوة منهجاً عجيباً فى نفى الصفات الإلهية وتاويلها طبقاً لمنهجهم الفلسفى الباطنى ولا شك أن هذا المنهج يختلف عن منهج الفرق والمذاهب الأخرى " فقد أنكر الإسماعيلية الباطنية الصفات إنكاراً تاماً ويقولون أن الله تعالى فوق متناول العقل ، وأن العقل عاجز عن إدراك كنهة .. ويمكن أن نسلم معهم بأن الله تعالى فوق تصور العقل لكن العجيب هو قولهم بأن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً وإنما أبدع (العقل الكلى) يعمل من أعمال الإرادة وهو " الأمر " وان العقل الكلى محل لجميع الصفات الإلهية ، وهو عندهم الإله ممثلاً فى مظاهرة الخارجية، ولما كانت الصلاة لا يمكن أن تؤدى إلى كائن لا يدرك فهى تؤدى فى رأيهم لمظهره الخارجى أى العقل الذى أصبح بذلك الإله الحقيقى عند الإسماعيلية . وبما أنه ليس فى مقدور الإنسان أن يصل إلى معرفة ذات الله وإنما يعرف العقل ولهذا يسمى الإسماعيلية العقل الحجاب أو المحل أو الصلة ، ويقولون أن العقل أبدع "النفس الكلية " وخاصتها الرئيسية - الحياة كما أن العلم خاصية العقل[١] .

وهذا يعنى عند الإسماعيلية أن العقل الأول هو محل الصفات الإلهية. لما

(١) دائرة المعارف الإسلامية ،حـ٣(مادة الإسماعيلية) ص٣٨٢.

كان الله تعالى مجرداً منها فقد قالوا فى البارى تعالى : أنا لا تقول هـو موجـود ولا لا موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز .. وكذلك فى جميـع الصفـات فـإن الإثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فى الجهـة التـى أطلقـت عليه ،وذلك تشبيه فلم يكن الحكـم فـى الإثبـات المطلـق والنفـى المطلـق بـل هـو إلـه المتقابلين ، وخالق المتخاصمين .. ونقلوا عن الإمام محمد بن على الباقر انه قـال" لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيـل هـو قـادر ، فـهو عالم قادر بمعنى أنه وهب العلم والقدرة ، لا بمعنـى أنـه قـام بـه العلـم والقـدرة أو وصف بالعلم والقدرة . فقيل أنهم نفاذ الصفـات حقيقـة ، معطلـة الـذات عـن جميـع الصفات[1]."

ولذلك فإن منهج الإسماعيلية فـى الصفـات يقتضـى تـأويل الصفـات مجازيـاً وحملها على الموجود الأول (العقل الأول) بالمفهوم الباطنى .

وعلى هذا يقولون " أن البارى تعالى وتقدس لما تعاظم عن أن ينال صفة توجد فى الموجودات لقصور الموجودات عن وصفه بما تستحقه الإلهية جعل (موجوداً أولاً) تتعلق الصفات به عطفاً ورحمـة ومنـه علـى عقـول عبـادة أن تـهلك، أو تضـل إذا لم تستند إلى ما تقف عنده ، فتوقع الصفات عليه ، فجعـل للعـالم مبـدأ مبدعـاً ، وهـو الأول فى الوجود من مراتب الموجودات فكان المبدع حق بوجود ه عن المتعالى سبحانه غاية تنتهى إليها الموجودات فى وجودها . ولم يجز أن يكون حقـاً إلا وهـو موجـوداً ولم يكن موجوداً إلا بكونه واحد أولاً ويكونـه تمامـاً .. وكـاملاً وباقيـاً .. وعـاقلاً .. وعالماً لعلمه بذاته أحاطته بها .. ولا يجوز أن يكون عالماً إلا وهـو قـادراً إذ الإحاطـة

---

(١) الشهرستانى ، الملـل والنحـل ،ص٢٠١، كذلـك دائـرة المعـارف الإسـلامية ،حـ٦(مـادة الباطنية)،ص٨٨.

هى العلم بالذات ولا يكون إلا بالقدرة الإلهية الموهوبة له التى بها يقع الفعل الذى هو الإحاطة ولا يجوز أن يكون قادراً إلا وهو حياً وفاعلاً ، فالفعل هو النهاية ووجهة إلى الصدور عن الذات فيكون وجوده خارجاً عنها فى المعقول ، فالحياة ذات جامعة لهذه الأمور .. وجميع الصفات المذكورة متعلقة بوجود الحياة ومستندة إليها، والحياة هى الجوهر القابل فعلها ، واللاحق بها . وهى الذات الموجودة عن المتعالى سبحانه وهى الكمال الاول الحاصلة لغيرها ، أما سواها فتابع وجوده لوجودها . وهى المركز وسائر الصفات كالخطوط .. فأفهم ذلك وتحققه ، وننزه الفاعل للحياة التى لا يعقلها إلا هو ، تقدس وتعالى عن أن تعزى اليه الصفات، الا على وجه الاعتراف بأنه فاعلها فى عالمه وموجوداته ، على إنها لا تلتزم ذاته المقدسة المتعالية المتعاظمة عن هجوم الخواطر عليها[1] .

ومما سبق يتضح أن دعاة الإسماعيلية ينسبون للعقل الأول صفات الكمال الإلهية وحجتهم فى ذلك " أن مبدأ الموجودات كامل أزلى وانه لا يستحيل عما هو عليه وجد ، وانه واحد لا مثل له فى الموجودات وانه عاقل لجميع ما وجد عنه لكون الذى وجد عنه تعالى وراء ما فى الإمكان العبارة عنه بلفظ أو قول ، بل يعتقد بالضمير والاعتراف به خوفا من التعطيل .. وهذا المبدأ الأول واحد .. برئ عن النقصان .. والموجودات مستندة إليه بما حصل له من موجده (الله تعالى) بسبقه لسائر المبادئ .. وهذا الموجود الأول هو الذى أخبرت عنه الشريعة النبوية (بالقلم) صاحب الذات الواحدة المتكثرة بالنسب والإضافات والأوصال فتبارك موجده وفاعله على هذا التمام ولا اله الا من فعل هذا الموجود التام الكامل[2] .

---

(١) الداعى الإسماعيلى اليمنى على بن محمد الوليد ، تاج العقائد ومعدن الفوائد ص٤٠،ص٤٢.
(٢) نظر ، المصدر السابق ،ص٢٢،ص٤٣،ص٤٤.

وآيات نفى الصفات الإلهيـة والحاقـها بـالمبدأ الأول (العقـل - القلـم) عنـد الإسماعيلية هو " أن الصفات تلحق الجوهر أمـا فـى الأجسـام ، وامـا فـى النفـوس، ويكون فى الأجسام كيفيات من خارجها كـالألوان .. الخ وفـى النفـوس كيفيـات مـن داخلها كالعلم والجـهل .. الخ وهـو يتعـالى عـن أن يكـون لـه داخـل أو خـارج..وإذا توهمت شيئا مـن الصفـات ازليـا فـهو الموجـود الاول . وقـد حـق أن التوحيـد نفـى الصفات عن المتعالى سبحانه فاذا اثبتها فلا توحيد لان الدليل قـام علـى انـه كـان ولا صفة ، والقدم له خالص ولا يمكننا التعبير عنه بما فينا من الأعـراض والجواهـر اذ العالم لا يوجد فيه غيرها ، ولا يستقر فى ذواتنا سواهما.. فمنع الصفـات الموجـودة فى الخلقة عن أن تكون مضافة اليه معتقد صحيح[١] .

ويتبع فيلسوف الدعوة الاسماعيلى احمـد حميـد الديـن الكرمـانى الطريقـة العقلية المجازية فى تأويل الصفات بما يذكرنلا بمنهج المعتزلة غير انـه يذهب إلى اكثر مما تذهب اليه المعتزلة فى تـأويل الصفـات أو نفيـها . وهـم (أى دعـاة المذهـب ومنهم الكرمانى) قد استخدموا جدل الأضداد فى وصفهم لله ، فالمبدع بحسب رأيهم هو الأمر وضده فهو فى أن واحد عدم وجود وليس لعدم وجود ، وأيضا هو لا زمانى وليس بلا زمـانى .. الخ ولا يكـون كـل نفـى صحيحـا فـى وصفنـا لله الا إذا تم هـذا النفى، أما حقيقة الوجود الإلهى فهى تتمثل فى وقوع هذين الضدين أو النفيـين فـى أن واحد ، ولا يكتمل الضدان هنا الا بعمليتى التنزيه والتجريد[٢] .

ومما يدل على ذلك قول الكرمانى " وقصد ما قصدناه فـى استعمال حـرف (لا) فى النفى ما يستحق الغير عن الله تعـالى خاصـة المعتزلـة الذيـن صـدروا كتبـهم

---

(١) نفس المصدر السابق ،ص٢٧،ص٢٨.

(٢) دكتور محمد على ابو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص١٩٨ .

وزينوها بقولهم فى أصول مذهبهم بان الله تعالى لا يوصف بصفات المخلوقين . وذلك مثل قولنا بأنه تعالى لا موصوف وانه لا يقال عليه ما يقال على المحدودين وذلك قولنا بأنه تعالى هو (لا موصوف)ولا (لا موصوف) مثل الذى صار سلب جده صفة له ، وهذا من قولهم هو اصل مذهبنا ، وعليه قاعدة دعوتنا بأننا لا نقول على الله تعالى ما يقال على المخلوقين(١) .

وخوفا من الوقوع فى شرك التعطيل فان دعاة الإسماعيلية يفسرون المقصود بمنهجهم فى النفى للصفات من غير الهوية بقولهم " وليس الأمر على ما يتوهمه هؤلاء المتعقلون الذين هم يدعواهم عقلاء ولأنفسهم خصماء أن ذلك تعطيل فان التعطيل إنما نقدح ناره ويعتلى فى الألحاد منارة إذا اعتمد (حرف لا) فى القول قصدا بفعله الذى هو النفى نحو (الهوية المتعالية سبحانها) لتعطيلها ونفيها بان يقال (لا هو أو لا إله فقط) الذى يدل على التعطيل الصريح .. فأما حرف (لا) فيتوجه فعله نحو الصفات لنفيها من دون الهوية سبحانها ، فاصفات هى المعطلة المنفية لا الهوية سبحانها . وذلك مثل قولنا فى الله سبحانه وتعالى :-

أولا : بأنه (اللا موصوف) الذى صار فعل (حرف لا) موجها نحو الصفات والموصوفات من الأجسام لنفيها عنه سبحانه المشار إليه بقولنا انه والمشار الي ثابت والصفات هى المعطلة المنفية . ومثل قولنا .

ثانيا : بأنه تعالى (ولا هو لا موصوف) الجارى مجرى قولنا الأول فى النفى عن الهوية المتعالية سبحانها ما هو غير المنفى أولا بقولنا (لا موصوف) وذلك أن فعل لا فى قولنا (ولا هو لا موصوف) موجه نحو أشياء صار سلب الصفات عنها سمة لها . مثل الأنفس والعقول التى تتعالى عن أن

---

(١) الداعى الإسماعيلى أحمد حميد الدين الكرمانى ، راحة العقل ، ص٥٢،ص٥٣.

توصف بالأجسام وصفاتها لنفى ما تستحقه تلـك الأشياء علـى مـا عليـه ذواتها عن الهوية المتعالية سبحانها المشار إليها بقولنا هو . والمشار إليـه ثابت والهوية قائمة ، وما يقال على تلك الأشياء عنها معطلة وليس فـى ذلك ما يوجب نفيه أو ما يستحق عليه اسم تعطيل[١] .

والواضح أن دعاة الإسماعيلية لا يجـوزون إطـلاق الصفـات علـى الله تعـالى – إثباتا أو مجازا – بل يلجؤون إلى تجريده تجريدا مطلقا وقد أمعنوا فـى ذلـك إمعانـا شديدا إلى الحد الذى دفعـهم إلى نفى صفـة (الوجـود عنـه سـبحانه وتعـالى) يقـول فيلسوف الدعوة (الكرمانى) وهو تعالى برئ مـن الصفـات الواقعـة تحـت اختراعـه ومقتدى عنها وهو تعالى فاعلها والأشياء كلها جـل وتعـالى . هـٰذا والوجـود إذا قلنـا على الله تعـالى فإنمـا نقولـه للاضطـرار إلى العبـارة[٢] إذ أن صفـة الوجـود هـذه إنمـا تنسحب على الموجود أو العقل الأول جريا على طريقهم فى تحميل كل الصفات علـى الإبداع الأول – يقول الكرمانى : وهو (أى الوجـود) مـن صفـات العقـل الصـادر عـن المتعالى سبحانه إلى الكون المعرب عنه بالوجود الأول والعقل الأول[٣] .

لكن الكرمانى الذى يبـدو انـه متكلمـا معتزليـا إلى حـد مـا فـى رأى بعـض الباحثين[٤] الا انه يتناقص مع هذا الاتفاق عندما يظهر تنـاقض منـهج المعتزلـة فـى التوحيـد والصفات يقـول " لكـن المعتزلـة قـالوا بـأقوالهم قـول الموحديـن واعتقـدوا بافئدتهم اعتقاد الملحدين بنقضهم قولهـم أولا بـان الله لا يوصـف بصفـات المخلوقـين بإطلاقهم على الله سبحانه وتعالى ما يستحق غـير الله تعـالى مـن الصفـات مـن القـول

(١) المصدر السابق ، ص٥١،ص٥٢.
(٢) المصدر السابق ،ص٥٦.
(٣) نفس المصدر ،ص٥٦.
(٤) دكتور محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمى ، مقدمة الكتاب راحة العقل للكرمانى ،ص٣٤.

بأنه: حى ،عالم ، قادر .. الخ فسائر الصفات ، نعوذ بـالله ، فقولنـا لا هـذا ، مثـل قولنا لا موصوف ، فهو إيجاب لما هو غير موصوف[١] ".

فالإسماعيلية كانوا اشد إمعانا فى نفى الصفات مـن المعتزلـة أو غـيرهم مـن الطوائـف الأخـرى ، والـذى دفعـهم إلى ذلـك خوفـهم مـن الوقـوع فـى التنـاقض أو الكذب،ـ غير انهم كمـا رأينـا وكمـا سـنرى أيضـا يلجئـون إلى تـأويل هـذه الصفـات وحملها علـى الإبداعـات الروحانيـة .فيقعـون فـى أقـص درجـات التعطيـل والنفـى للصفات بما يخالف الأصول الإسلامية . ويخالف عقيدة الإسلام الصحيحة .

وجدير بالذكر أن الكرمانى مثل غيره من علماء الدعوة وفلاسـفتها يضيفـون على عقيدتهم فى التوحيد والصفات ألوانا مختلفة من علم الكـلام والفلسـفة النظريـة وعقائد الدعوة الإسماعيلية.

ويجمع فلاسفة المذهب الإسماعيلى بين منهجى الفلاسفة وعلماء الكـلام فـى التأويل ونفى الصفات عن الله تعالى وذلك بإثباتهم بطلان "الليسـيه" و"الايسـيه" عـن الله سبحانه وتعالى وفى ذلك أيضـا تدعيمـا وإيضاحـا لبراعتـهم فـى اسـتخدام جـدل الأضداد كما ذكر .. يذهب الكرمانى فى هـذا الصـدد للقـول " أن الـذى تنتـهى إليـه الموجودات التى به توجد واليه تستند وعنه توجد هو الله الذى لا الـه الا هـو محـال (ليسيته) وباطل لا هويته اذ لو كان ليسيا لكانت الموجودات أيضا ليسيا ، لمـا كـانت الموجودات موجودة كانت ليسية باطلة ، ثم لما كان من شأن الأضداد أن لا يكـون لهـا وجود الا بفقد اضدادها وكانت الموجودات متضادة واعيانـها مختلفـة متنـافرة وهـى على ما هى عليه من تضادها موجوده لا يفقد شىء منها بوجود ضده ، وكلـها تحـت الوجود محفوظة كان فى ذلك العلم بان الذى به بطلت طبيعة الضد فـى الخـروج مـن

---

(١) الكرمانى ، راحة العقل ، ص٥٣.

حيز الوجود ضده . وانحفظ الضد عن ضده الذى هو الله الذى لا إله الا هو الذى ليسيته محال إذ لو كان ليسيا لمكان وجود المتضادات ليسا .

وفيما يتعلق بأبطال "الايسيه" عن الله تعالى يقول الكرمانى " لما كان الأيس فى كونه أيسا محتاجا إلى ما يستند إليه فى الوجود وكان هو عز كبريائه متعاليا عن الحاجة فيما هو إليه عفيه يتعلق ما به هو وكان من ذلك الحكم بأنه تعالى خارج عن أن يكون ايسا لتعلق كون الايس ايسا بالذى يتأول عليه الذى جعله أيسا واستحال الأمر فى أن يكون هو تعالى ايسا ولا هو يحتاج فيما هو إلى غيريه هو هو فيستند إليه تكبر عن ذلك وتعزز . وإذا كان الله عز وجل غير محتاج فيما هو هو إلى غيريه يتعلق ما به هو هو فمحال كونه أيسيا[1] ويتابع الكرمانى منهجه العقلى فى التأويل بنفى كونه تعالى جوهرا أو عرضا أو مادة أو صورة[2] الخ .

ثم يشير إلى استحالة التعبير عن الله تعالى أو الإشارة إليه تعالى بالألفاظ أو الحروف التى تتركب منها اللغة لأنها تدل على المحدثات "وهو تعالى كبرياؤه ليس بمحدث .. لذلك فقد أستبان أمتناع الحروف المركبة الحادثة عنها اللغات عن أن يكون سلوك فى الدلالة على ما يليق بكبريائه بكونه تعالى مباينا للمحدثات وغير مناسب لها ولا من جوهرها وإذا كان مباينا للمحدثات فقد حصل اليأس بالكلية عن أن تكون للألفاظ والعبارات دلالة على شىء يستحقه تعالى الله سبحانه .. وهذا فى منهج الإسماعيلية بفرعيه صدق الموحدين بأنه لا يعرب عنه بلفظ قول ولا بعقد ضمير ، فكيف يكون للحروف دلالة على هوية ظهرت عنها المبدعات والمنبعثات المكونات التى منها هو وهو تعالى من ورائها فى ذروة العزة فلا تهتدى العقول إلى

---

(١) الكرمانى ، المصدر السابق ، ص٣٧،ص٣٩.

(٢) نفس المصدر ، نظرنا : ص٣٩،ص٤١،ص٤٢،ص٤٥،ص٤٨.

تناوله بصفة[1] .

وبعد أن اتضح لنا منهج الإسماعيلية في نفى الصفات وتجريد الذات الإلهية تجريدا مطلقا منها وأدلتهم فى ذلك فلا يمكن أن تسلم لهم فى كل ما ذهبوا إليه من غلوا وإسراف خاصة إذا علمنا انهم يتأولون النصوص القرآنية والأحاديث طبقا لمذاهبهم وأغراضهم ، فمثل هذه الاتجاهات والأغراض المذهبية خاصة فى الإمامة لها أثر كبير فى هذا المضار فيجنحون بالنصوص والتعبيرات العقائدية طبقا لمناهجهم دون مراعاة لحرمة النصوص أو القواعد اللغة وقرائنها المعروفة والمعتمدة عند أهل السنة والمعدلين من المذاهب الإسلامية الأخرى . فالله سبحانه وتعالى اثبت لنفسه الصفات اللائقة بذاته العلية ونفى عن نفسه ما لا يليق به ونبه إلى ذلك وأشار فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم فقال تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع العليم " سورة الشورى آية (١١) فالله تعالى يذكره للصفات من باب التقريب للإفهام والعقول ، وهو تعالى متنزه عن كل ما لا يليق بذاته العلية .

ولكن كيف استطاع الإسماعيلية تأويل الصفات وحملها على المفاهيم المجازية أو الباطنية طبقا لمذهبهم وأغراضهم ؟

وقبل أن نستعرض منهج الإسماعيلية وطريقتهم فى تأويل الصفات والأسماء الإلهية وحملها على المفاهيم المجازية والباطنية الحاصلة بمذهبهم نود أن نشير إلى تصنيفهم لأقسام الموحدين لكى تعرف موضعهم من هؤلاء كما وضعوا أنفسهم – لذلك قالوا والناس فى التوحيد على ثلاثة أصناف :-

أولا : صنف وقفوا على ظاهر التنزيل فظلوا فى التشبيه والتمثيل والشرك ، إذ ليس ظاهر التنزيل من أوله إلى آخره إلا التشبيه.

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٩ ،ص٥٠.

ثانيا: صنف تركوا التنزيل وأهله فوقعوا فى التعطيل .

ثالثا: صنف أقروا بالتنزيل وطلبوا التوحيد فى تأويله فهم المؤمنون الموحدون الذين قالوا بتنزيه الله بدون تشبيه وبتجريده من غير تعطيل ، وتوحيده من غير تمثيل .

ثم يشير الإسماعيلية إلى أن الصنف الثالث "وهم المقصود بذلك " على المنهج الصحيح حيث انهم "وصفوا أسماء التنزيل بمواقفها من التأويل إلى اول أسم من أسمائه وهو الاسم الحق الذى ينفى عنه ما لا يليق به من صفات التشبيه واما البارى والمبدع .. وغيرهما من الأسماء فرافعه عليه من جهة إبداعه وتكونه الأشياء ولا يعرف له أسماء من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا .

وأن العجز عن أدارك السابق والتالى يقطع عن أدراك مبدعها[1] .

وهذا الصنف الأخير (الثالث) من أصناف الموجدين كما يذكر الإسماعيلية يدعون إلى تجريد الذات الإلهية من صفاتها وحملها على مبدعاتها الروحانية أو على السابق والتالى .. أو العقل الأول والنفس الكلية أو (المنبعث الأول).

وإذا كان ذلك كذلك فإن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية ذهبوا فى تأويلهم للصفات الإلهية الذاتية وصفات الأفعال – والصفات الخبرية – وكذلك أسماء الله تعالى الحسنى – على هذه المبدعات ويمكن تبين ذلك من خلال تأويلهم للصفات والأسماء الإلهية .

ب- تأويل الصفات الذاتية وصفات الأفعال :-

يشرح علماء الإسماعيلية المقصود بصفات الذات وصفات الفعل بأن هذه

(١) نظرنا الداعي الإسماعيلى ، قبس بن منصور الداديخى ، رسالة الأسابيع (ضمن خمس رسائل الإسماعيلية ،ص١٧٠.
- كذلك شهاب الدين ابن فراس ، الإيضاح ، ص١٠٥.

الصفات على نوعين :

إحداهما صفات الفعل : وهى الصفات التى يوصف بها الله فى شىء دون شىء وهو مثل قولك متكلم – مريد – خالق – وغافر ، فيجوز أن يقول كلم موسى ولم يكلم فرعون فأراد اليسر ولا أراد العسر ، وخلق الإنسان ويخلق أفعاله .

النوع الآخر هو صفات الذات: وهى الصفات التى لا يجوز أن يوصف الله بها فى شىء دون شىء . مثل قولك : عالم – قادر، فإنه لا يجوز أن تقول : علم موسى ولم يعلم فرعون . كما جاز أن يكلم موسى ولم يكلم فرعون ، وكذلك لا يجوز أن يقول : قدر على كذا .. ولم يقدر على كذا . وإذا أثبت ذلك فتقول : أن أسفر الصفان صفات – الفعل مثل الغافر ، والخالق ، ثم صفات الذات ، مثل العالم .. ، وفوقها المصدر الذى هو العلم – والألوهية ، وفوق الألوهية ، الاسم والاسم للمعنى لا محالة ، والمعنى هو – الهوية ، فالاسم إذن محمول على تلك الهوية – والجوهر الذى هو بعد الاسم وفوق الصفة والصفة التى هى – الله – مشتقة من تلك الألوهية التى هى الجوهر.

وباقى الصفات تتبع هذه الصفة الواحدة التى هى الله[1] .

وعلى ذلك فقد نفى الإسماعيلية صفات الذات وصفات الفعل وذلك فى زعمهم يؤكد تنزيه الله التنزيه المطلق حيث أن إطلاق هذه الصفات على الله تعالى يؤدى إلى وصفعه ومن وصف وسمى سار معروفا ، والمعروف لا يكون خالقا العارفة ، لأن المعروف والمعلوم محاط به ، والعارف والعالم محيط به والمخاطبة لا يكون إليها كذلك قوله تعالى " يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما " سورة طه

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين ابن فراس ، الإيضاح ، ص٨٠،ص٨١ .
– كذلك قيس بن منصور الداديخى ، رسالة الأسابيع (ضمن خمس رسائل إسماعيلية ،ص١٦٢.

آية (١١٠) فكيف يسمى ويوصف من لا يحاط به علما فلو قلنا أنه عالم، وزيد عالم – وانه قادر وزيد قادر ، صار كل واحد منها مسمى لصاحبه .. فالعبد لما رأيناه حيا وقادرا وعالما .. الخ نفينا هذه الصفات عن بارية خوفا من التشبيه[١] .

وعلى ذلك فإن هده الصفات تؤول على الله سبحانه وتعال تأويلا مجازيا لا حقيقيا ، وأن كان لابد من إثباتها حقيقة فإنها تؤول على الذوات الروحانية – أو الحدود الروحانية – وفى هذا يقول دعاة المذهب الإسماعيلى فى تأويلها : "أما قول القائل أن البارى تعالى : عالم وفاعل ، وقادر .. الخ – فهو على المجاز لا على التحقيق ، وذلك لأن العالم والفاعل والقادر .. الخ أسماء من أسماء البارى عز وجل والأسماء مخلوقة محدثة كانت بعد أن لم تكن ، وإنها دالة عليه كما أن الاسم دال على المسمى ، فإذا ثبت إنها غير البارى وإنها دالة عليه صح ، لأن لهذه الأسماء والصفات ذوات أخرى[٢] .

ومن هنا يبدأ دعاة المذهب الإسماعيلى فى تحميل هذه الصفات على الحدود الروحانية والحدود الجسمانية – طبقا للمنهج الباطنى ثم يستخدمون فى ذلك مجازات اللغة شأنهم فى ذلك شان متكلمى المعتزلة والاثنى عشرية .. وعلى ذلك يقولون " فإن قال قائل فمن الموصوف بصفات الذات ومن الموصوف بصفات الفعل ؟

قلنا له : أن الموصوف بصفات الذات : هو العقل الذى هو الاسم الحق ، لأنه الأول الذى لا جوهر له – منه أبدع ، والاسم الذاتى لا انشقاق له ، والعالم الذى لا علم له منه علم والقادر الذى لا قدرة له منها قدر ، والحى الذى لا حياة له منها حيا فهو إذن الأول الذى أبدع لا من شيء ، والقادر الذى قدر لا من شيء ، والحى

(١) المصدر السابق ، ص١٠٦،ص١٠٧.

(٢) نفس المصدر ،ص١٠٩.

الذى أحيا لا من شيء ، وأول بذاته وأسم بذاته ، وعالم بذاته ، وقادر بذاته، وحـى بذاته ولما لم يكن كذلك لكان محتاجا إلى علم به يعلـم ، وإلى قـدرة بـها يقـدر .. الخ ولو كان محتاجا ما كان تاما ، وإذا لم يكن تاما لم يكن أول شيء أبدعه المبدع .. (وهو العقل الأول – السابق فى عقائدهم).

أما صفات الفعل : فإن الموصوف بصفات الفعل هـى : النفـس الكليـة لأنـها أخرجت جميع ما كان فى حد القوة بما استفادته من مركزها الذى هو العمـل إلى حـد الفعل ، فهى إذا عالمه بعلم ، وقادرة بقدره ، ومؤيدة بـإرادة ، وان علمـها وقدرتـها وإرادتها هى القوة التى استفادتها من الفعل .. فعلمت بتلك القـدرة ، وكذلـك سـبيل سائر الصفات وكذلك من دون النفس الروحانيين والجسمانيين يعلمون بعلم اسـتفادة من غيرهم ، وبقدر يعطيها إياهم ، قال تعالى " نرفع درجات من نشاء وفوق كـل ذى علم عليم " سورة يوسف آية (٧٦) أما البارى تعالى فـلا يجـوز أن يقـال لـه فـوق ولا تحت ، ولا دون ولا غير ذلك[1] .

وفى مواضع أخرى يؤول دعـاة الإسماعيليـة المقصود بصفـات الـذات : هـى الحدود الروحانية السابق والتالى ، وهما اسم الله وإلـه والحـروف العلويـة السـبعة.. الخ أما صفـات الفعـل فـهى الحـدود الجسمانية : يذكـرون انـهم الحكمـاء الأربعـة وأوصيائهم الأربعة والأسماء الثمانية والعشرون فى أدوارهم الأربعة فى كـور القـرار .. وهكذا حتى يصلوا فـى تعدادهـم إلى تسـعة وتسـعين حـدا[2] ثـم يذكـرون أن هـذه الذوات الذين هم الحدود الروحانيـة والجسـمانية .. يدلـون علـى وحدانيـة البـارى تعـالى ، وأن البـارى لـما خلقـهم أقـام كـل واحـد منـهم بحـال الدعـوة إلى تجريـده ،

---

(١) المصدر السابق ،ص٨٨،ص٨٩.
(٢) لمزيد ينظر المصدر السابق ، ص٨٣،ص٨٨.

وتوحيده وبأمره أصناف الصفات الواقعة عليهم إلى هويته ..(مثلما يضيف السلطان ضرب الجلاد إلى نفسه إذا كان بأمره هذا في المشاهدة).

وكذلك مثل قوله تعالى :" أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم " سورة الفتح آية(١٠) الا ترى أن الله أضاف تلك المبايعة إلى هويته لما كانت بأمره ، وإن كان المبايع غيره .. ومثل قوله تعالى " وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى" سورة الأنفال آية (١٧) فأضاف الرمى إلى هويته وان كان الرامى غيره . كذلك أضاف الصفات إلى هويته وان كان الموصوف بها غيره ، وهكذا فلما كان الأجنحة واللواحق يأخذون العهود والمواثيق على المستجيبين بأمر البارى أضاف ذلك إلى هويته .. فكل هذه الآيات والشهادات تؤكد قولنا أن الأسماء والصفات واقعة على الحدود الروحانية والجسمانية ، وإن كان البارى أضافها إلى هويته[(١)] .

وهكذا فإن دعاة الإسماعيلية أولوا الصفات الذاتية والفعلية على سبيل التأويل المجازى .. لا على سبيل الحقيقة .. فصفة الكلام فى قوله تعالى " وإذ قال ربك للملائكة أني خالق بشرا من طين فإذا سويته فقعوا له ساجدين " سورة ص آية(٧١) يعنى أن القول والكلام المضاف إلى الله تعالى إنما قصد به ما يقع بإفهام السامعين وليس ذلك كما نشاهد من قول القائلين .. وكلام المتكلمين من الأصوات .. الخ تعالى الله عن إضافة ذلك إليه .. فقد يسمع الإنسان الكلام من غير متكلم .. وفى قدرة الله تعالى ما يتأدى عنها أمره إلى المأمور به كما يشاء لا شريك له[(٢)] .

وهكذا فإن صفة الكلام فيما يرى الإسماعيلية منفية عن الله تعالى وإنما الذى كلم موسى هو الحد العلوى الذى أتحد به والشجرة مثل حده الذى أتمت إليه .

---

(١) نظرنا : المصدر السابق ، ص١٠٩،ص١١٠، كذلك الداعى الإسماعيلى قيس بن منصور الداديخى ، رسالة الأسابيع ،ص١٧٠،ص١٧١.
(٢) الداعى الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، أساس التأويل ، ص٥٣.

وتأويل قوله تعالى " إننى أنا الله " سورة طه آية (١٤) يعنى أن حده الذى ناداه بذلك كان عن الله كما يقال فى اللغة نادى السلطان بكذا ، وأنما نودى باسمه وعن أمره[1] .

والجدير بالذكر أن جماعة أخوان الصفاء الإسماعيلية ينظرون إلى الصفات الذاتية والفعلية من ناحية فلسفية أفلوطينية وفيثاغورية . لذلك يؤولونها بهذا المنهج الفلسفى . وعلى سبيل المثال يؤولون صفة العلم الإلهى "بأن علم الله تعالى من ذاته كما أن العدد من ذات الواحد ، كما أن الواحد محيط بالعدد كله وبعده كذلك الله علم بالأشياء وماهياتها أما تأويل قدرة الله عند الأخوان فإنهم ينسبون إليها أعمالا كثيرة ويحملونها على معنى الإبداع والخلق عن طريق الفيض .. وهكذا[2] فقد تطرف علماء الإسماعيلية وأسرفوا فى تأويل الصفات الذاتية الإلهية . وحرفو تأويلها عن مواضعها ، وأحدثوا تأويلات غاية فى الانحراف والتطرف ،لايتفق مع منهج الإسلام الصحيح .

جـ- تأويل الصفات الخبرية :-

وطبقا لمنهج الإسماعيلية فى تأويل الصفات الإلهية على نحو مجازى وباطنى ، فإن دعاتهم يلجئون أيضا فى تأويل الصفات الخبرية على نفس المنهج الباطنى المتطرف – وذلك بصرف هذه الصفات من الحقيقة إلى المجاز اللغوى ثم حملها على المفاهيم والمبادئ الفلسفية الباطنية الخاصة بالمذهب الباطنى الإسماعيلى.

وعلى ذلك يؤول دعلتهم قوله تعالى " وجاء ربك ... " سورة الفجر آية (٢٢) وقول الرسؤل صلى الله عليه وسلم " سترون ربكم " بان المقصود بالمجىء ووقوع الرؤية على (التالى) .. وهذا اللفظ مطلق بين الناس أن يقال لصاحب الشىء

---

(١) المصدر السابق ،ص٢٠٣.
(٢) نظرنا : أخوان الصفاء ، الرسائل ،حـ٣،ص٣١٨،ص٣١٩.
– كذلك حنا فاخورى ، تاريخ الفلسفة العربية ،حـ١ من ص٢٦١،ص٢٦٤.

رب العبد ، ورب المنزل[1] .

وفى تأويل : وجه الله تعالى .. فى قوله تعالى " ولا تدع مع الله إلهـا آخـر لا إله إلا هو كـل شـىء هـالك إلا وجهـه لـه الحكـم وإليـه ترجعـون " سـورة القصص آية(٨٨) دليل على (السابق) الذى به عرفه من عرفه ، ومـن وجهـه نـال أمـره مـن ناله .. يعنى أن كل شىء خلقه الله فهو يستحيل مـن حـال إلى حـال وليـس للسـابق استحالة لأن ابتداءه وانتهاء . كان فى دفعه واحدة بلا زمان واقع عليه.

وتأويل قوله تعالى " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكـرام " سـورة الرحمـن آية (٢٧) يعنى أن (السابق) لا يزول عن حاله ، وكل من هو مخلـوق فـهو فـانى إلا السابق ومن هو متصل من أمر الله من جهته ، فإنه لا زيـادة فيـه ولا نقصـان - لأنـه قام مبدعا بالإبداع التام من مبدع التمام .

أما التأويل عـين الله : فـى قولـه تعـالى " ولتصنـع علـى عينـى " سـورة طـه آية(٣٩) فهى دليل على "السابق " أيضا لأن الله جعله عينا لمن هو دونه مـن الحـدود كلها وتـأويل قولـه تعـالى " تجـرى بأعيننـا " سـورة القمـر آيـة (٥٤) يعنـى بذلـك الأصليين والحدين والخيال ..

ويتابع فلاسفة الدعوة الإسماعيلية التأويل البـاطنى للصفـات الإلهيـة لذلـك يؤولون قوله تعالى " حكاية عن عيسى عليه السلام" وإذ قال الله يا عيسـى ابـن مريـم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقـول ما ليس لى بحق أن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك أنـك أنت علام الغيوب " سورة المائدة آية (١١٦) بان نفس الله هى (النفس الكلية) ونفس

---

(١) قيس ابن منصور الداديخى ، رسالة الأسابيع ،ص١٦٩.
- كذلك شهاب الدين ابن فراس ، الإيضاح ،ص١٠٢.

عيسى عليه السلام هى (نفس الرسالة التى هى روح القدس) ومعنى ذلك فى التأويل الباطنى الإسماعيلى : بأنك محيط بمقدار روح القدس المتحدث بى ومبلغه ،وأنـا لا أحيط بنفسك الكلية التى قد جمعت فيها صور الداريين ،وجعلتها دار المعاد لخلقك وما أوتيت من علمها لأحد إلا قليلا.

وتأويل قوله تعالى " قال يـا إبليـس مـا منعـك أن تسـجد لما خلقت بيـدى استكبرت أم كنت من العالين " سورة ص آية (٧٥) أى دليلتان على الأصلين أى مـا منعك أن تخضع لمن أتصل بيدى بلا واسطة جسمانية ، فصار مؤيـدا مخلوقـا مقـدرا من جهتها . وتأويل قول الرسول صلى الله عليه وسلم " كلتا يدى الرحمـن اليمنـى " أن كل من اتصل بالأصلين أو وقف على مراتبها فهو ممن المثابين الناجين .. فالشمال دليل على الظواهر بلا تأويل واليمنى دليل علـى البـاطن (التـأويل) لذلـك فـإن قولـه تعالى " والسموات مطويات بيمينه" سـورة الزمـر آيـة(٦٧) يعنـى أن الظواهـر كلـها تصير مطويات فى التأويل . لأن السموات دليل على النطقاء الذين هم أرباب الظواهر فدعوتهم جميعا يومئذ تكون مطوية فى التأويل[١] أو البـاطن . وهكـذا غـرق فلاسـفة الدعوة الإسماعيلية وغالوا كثـيرا فـى تـأويل الصفـات الخبريـة الثابتـة لله سـبحانه وتعالى طبقا لعقيدتهم الباطنيـة الفلسـفية. وفـى هـذا تخريـج للنصـوص علـى غـير مرادها الحقيقى .والانحراف نحو نزعاتهم المذهبية .

د- التأويل الباطنى لأسماء الله الحسنى :-

وطبقا للمنهج الإسمـاعيلى فـى التـأويل البـاطنى للصفـات الإلهيـة ،فإنـهم يلجئون إلى تأويل الأسماء الإلهية – أو أسماء الله الحسنى – فيؤلونها تـأويلا باطنيـا

(١) نظرنا : الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين ابى فراس ، الإيضاح ،ص١٠٢،ص١٠٤.
– كذلك ، قيس بن منصور الداديخى ، رسالة الأسابيع ،ص١٦٩.

رمزيا ويحملونها على معان ومبادئ فلسفية وعقائدية خاصة بمذاهبهم الفلسفية المنحرفة . ومعنى ذلك أن الإسماعيلية يحملون هذه الأسماء الحسنى على المبدعات الروحانية (العقل الكلى – والنفس الكلية) أو السابق والتالى ثم ينزلونها على الأئمة باعتبارهم ممثولات أرضية للأمثال العلوية مثلما ذهبوا فى تأويل الصفات الإلهية .

ويعتمد دعاة المذهب على بعض الأحاديث والروايات المأثورة عن امير المؤمنين على بن أبى طالب أنه قال " من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر " – فيقولون: أن الله جل ذكره تسمى بأسماء عرفها قوم وجهلها آخرون ليهلك من هلك عن بينه ، ويحيا من يحيا عن بينه . وقد قال جل وعلا – ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها – فمن دعاه بها سمع دعاه وأجاب نداه ..وعن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال " أن لله تسعة وتسعون إسما فمن أحصاها وعرف معناها دخل الجنة " لكن كثيرا من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والصابئين يعرفون الكثير من هذه الأسماء ويدعوه بها – غير أنهم فى اعتقاد الإسماعيلية لا يدخلون الجنة إذا قنعوا بالظاهر دون الباطن ، وغنوا بالمثل دون المثول ، وعبدوا الأسم دون المعنى(١) .

وعلى ذلك فإن لهذه الأسماء باطن يجب معرفته والإقرار به وهذا يتضح من تأويلهم لقوله تعالى " ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون " سورة الأعراف آية (١٨٠) يعنى أن هؤلاء الحدود الجسمانية والروحانية الذين بمعرفتهم يصل المستجيب إلى التوحيد ، وارفضوا جميع من أنكر هؤلاء الحدود وعدل عنهم وكفر بهم(٢) .

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، القاضى النعمان بن حيون ، الرسالة المذهبية ،ص٢٨،ص٢٩.

(٢) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين ابى فراس ، الإيضاح ،ص٨٣ .

وجدير بالذكر أن الإسماعيلية عندما نفوا الصفات حملوها على الأسماء وجعلوها والصفات تحمل دلالات باطنية واحدة بقول دعاتهم " أن هذه التسعة والتسعين التى عملنا إياها أنا هى صفات كلها ليس شىء منها اسم حق ، وأن هذه الأسماء صفات لأسماء أخرى[1] أى انهم جعلوا أسماء الله الحسنى التى جاءت فى القرآن الكريم أسماء لما سموه (العقل الكلى) زاعمين أنهم ينزهون الله عن جميع ما يليق بمخلوقاته من الأسماء والصفات وأطلقوا على (العقل الكلى) اسم المبدع الأول أو السابق وهو فى زعمهم المرموز إليه فى القرآن (بالقلم) . ثم قالوا أن العقل الكلى أبدع (النفس الكلية) أو المبدع الاثنى أو التالى - وهو فى زعمهم المرموز إليه فى القرآن (اللوح المحفوظ) وقالوا : أن اللوح له صفات القلم نفسها - وهى أسماء الله الحسنى جل وعلا ولكن القلم أفضل بالسبق . وقالوا أن السابق والتالى ، القلم واللوح أشتركا فى إيجاد جميع المخلوقات[2] وعلى هذا فالعقل الكلى - السابق هو : الخالق- المصور[3] الواحد - القهار - الجبار - العزيز - المذل - العلى القدير .. الخ.

وبذلك نرى كيف حمل دعاة الإسماعيلية الأسماء الحسنى الإلهية على الحدود الروحانية إذا عرفنا ذلك كله فلا شك انهم لم يأتوا بهذه الآراء الفلسفية عبثا .. بل جاءوا بها لإشباع صفة خاصة على الإمام الذى قالوا أنه من البشر - إذ أنهم ذهبوا إلى أن العقل الكلى فى العالم العلوى - يقابل الإمام فى العالم الجسمانى، فمعنى ذلك أن كل الأسماء والصفات التى خلعت على - العقل الكلى - هى أيضا صفات وأسماء للإمام - لأن الإمام مثل للعقل الكلى . فالإمام إذن هو الواحد ، الأحد، الفرد ،الصمد ، المنتقم ، الجبار .. الخ لذلك قال ابن هانى الأندلسى فى مدح

---

(١) المصدر السابق ، ص١٥٨ وما بعدها .

(٢) رجعنا فى ذلك إلى : دكتور محمد محمد حسين ، المتنبى والقرامطة ،(مقال منشور بمجلة كلية الآداب ، إسكندرية ،ص١١.

(٣) كذلك دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ، ص١٥٧ وما بعدها .

خليفته المعز لدين الله الفاطمي :

ماشئت لا ما شاءت الاقدار ∴ فأحكم فأنت الواحد القهار[١]

وما يؤيد ما سبق ، ما ذكره دعاة الإسماعيلية في رسائلهم منسوبا إلى الإمام جعفر بن محمد صلوات الله عليهما قال " نحن آيات الله الكبرى وأسمائه الحسنى وأمثاله العليا وكلماته الصدق والعدل فمن توسل بغيرنا لم يعط ومن دعى بغيرنا لم يجب " .. وأعلم أنهم أسماؤه الحسنى وهو قوله جل ذكره " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة " سورة البقرة آية (٣١)[٢].

ومما لا شك أن فلاسفة الدعوة تأولوا الصفات والأسماء على منهج المجاز الباطني تدعيما لعقائدهم في إسباغ لون من ألوان التقديس على الأئمة ، ويختمون هذه التأويلات الغالية المتطرفة بقولهم " فثبت لنا بذلك أن الحدود الجسمانية (الأئمة) والروحانية (العقل الكلي – السابق ، والنفس الكلية – التالي) هي مواقع لحمل الصفات ..وفي موضع آخر تأويل الأسماء الحسنى .. إذن فكل صفة من صفات الله تعالى دليل على حد من الحدود الذين هو وسطاء بين البارى عز وجل وبين الباحث المستجيب والمراد به الله تعالى دونهم[٣] .

هـ– تحليل ونقد :ـ

١– أن المنهج الإسماعيلي الذى يقوم على التأويل الباطني والمجازى للصفات والأسماء الإلهية لا يمثل المنهج الصحيح بما فيه من تطرف وغلو شديد ويعتبر عن أغراضهم المذهبية خاصة في تقديس الأئمة ومزج المبادئ والنظريات الفلسفية بالنصوص والقضايا الدينية بما يخالف شريعة الإسلام

(١) المصدر السابق ، ص١٥٨ وما بعدها .
(٢) الداعي الإسماعيلي ، النعمان بن محمد ، الرسالة المذهبية ،ص٢٩،ص٣٠.
(٣) الداعي الإسماعيلي ، شهاب الدين أبى فراس ، الإيضاح ،ص١٠٤،ص١٠٥،ص١٤٨.

وعقيدة التوحيد الإسلامى الصحيح .

٢- أن هذه الصفات القدسية التى اسبغوها على الأئمة باعتبارهم ممثولات للمثل الروحانية العلوية لم يستطيعوا أن يصرحوا بها للمبتدئين فى دعوتهم ولا يعرفها إلا من استمع إلى داعى الدعاة نفسه فى المجالس الخاصة . وقد عمدوا إلى إخفاء عقائدهم السرية عن الناس خوفا من ثورة عامة المسلمين فى مصر وكانوا يظهرون بالتقرب من المذاهب الفقهية التى سادت فى ذلك الوقت خاصة مذهب الإمام مالك والشافعى[1].

٣- لا شك أن الأفكار الغالية فى تقديس وتاوليه الأشخاص قديمة ظهرت عند المصريين القدماء وعند المسيحيين وعند غلاة التشيع كما ذكرنا من قبل وعند طوائف الاغاخانية والدروز فى تأليه الحاكم بأمر الله[2] .

٤- لقد نظر علماء السنة والمعتدلين لهذا المذهب نظرة ازدراء كالباقلانى والبغدادى والغزالى والإمام السلفى ابن تيميه وأئمة آل البيت وعلماء الكلام ووصفوا هذه المذاهب الباطنية بالزندقة والتطرف ورأوا ضرورة تتبعهم ومحاربتهم وتنقية التراث الإسلامى من أفكارهم ،الضالة والمضلة .

٤- التأويل الفلسفى والباطنى فى عالم الإبداع الإلهى :-

اتجه دعاة المذهب الإسماعيلى اتجاها فلسفيا باطنيا فى تأويل عالم الإبداع والخلق الإلهى كيف أبدع الخلق – هنا نجد الباطنية ينهجون إلى الأفلاطونية المحدثة يلتمسون منها أساسا لفكرتهم[3] واتفق على ذلك الرأى معظم الباحثين والمؤرخين فى العقائد الإسماعيلية[4]إذ يرى دكتور محمد كامل حسين " أن

(١) دكتور :محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ،ص١٦١.
(٢) دكتور: محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ،ص٨٤.
(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ،حـ٢،ص٤٠٦.
(٤)يرجع فى ذلك إلى ، البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص١٧١ ، كذلك الشهرستانى ،الملل والنحل،حـ١.

الإسماعيلية أخذوا راى الأفلاطونية الحديثة فى الإبداع وصدور النفس الكلية عن العقل الكلى ، وان العالم خلق بواسطة اللوجس Logas (الكلمة) فجاء الإسماعيلية فقالوا " أن الكلمة التى خلق عنها العالم فى كلمة (كن) التى وردت فى الآية القرآنية قوله تعالى " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " سورة يس آية (٨٢) وان كلمة (كن) مكونة من الكاف والنون (فالكاف) رمز على القلم أو العقل الكلى (والنون) رمز على اللوح أى النفس الكلية . وبهذا فقد أول الإسماعيلية قوله تعالى " نون والقلم وما يسطرون " سورة القلم آية (١) أى أن الله يقسم بأعز مخلوقين عنده وهما (اللوح والقلم) . وفى ذلك يقول الشاعر الإسماعيلى :-

بديع شكر ووسيع حمد – ٠٠٠ – لمبدع الكاف الرفيع المجد
أكمله سبحانه إذ أبدعه – ٠٠٠ – مبتديا واخترع النون معه
ثم أقام منهما ما قد علا – ٠٠٠ – لخفه وما لثقل سفلا

فاقتبسوا من الأفلاطونية الحديثة كل فلسفة الفيوضات وترتيبها بحيث إذا قرأنا كتب الحقيقة الإسماعيلية نجد أنفسنا أمام الفلسفة الأفلاطونية الحديثة[1] .

إذا كان ذلك كذلك فى فلسفة الباطن الإسماعيلية فى عالم الإبداع والخلق – فنحن إذن بصدد نظرية فى (الكلمة) أو الأمر الإلهى . الذى يشير إلى كلمة (كن) وهو السر المصون بين الكاف والنون – أو عله السابق التالى .

فهناك مبادئ إبداعية ثلاثة فى قمة عالم الإبداع كما يعبر عن ذلك دعاة المذهب الإسماعيلى (الكلمة أو الأمر الإلهى – والسابق (العقل الأول) – ثم التالى (النفس الكلية)فهل يمكن أن تعتبر الكلمة أو الأمر (كن) علة للسابق أم أن الأمر يرمز إلى السابق إذا علمنا أن الكاف ترمز إلى السابق ، والنون ترمز إلى التالى – فى كلمة (كن)؟.

---

(١) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية ،ص١٧٥،ص١٧٦.

هناك اختلافا بين فلاسفة الدعوة الإسماعيلية بهذا الصدد منها ما ذهب إليه الداعي الإسماعيلى (محمد بن احمد النسفى ٣٣١هـ) فى كتابة (المحصول) من أن العقل إنما يفيد الصور من علته التى هى (الكلمة) .. كما أن الشمس تفيد القابسين من ضوئها لا من جرمها ، وإذا كان إخراجه لما فيه من قوة علته التى هى (الكلمة أفادته إياها كذلك منها استبان أن الكلمة هى التى صارت علة الأشياء البارزة من لا هوية العقل إلا أن العقل صار واسطة بين الكلمة وما دونه.. بينما ينفى حميد الدين الكرمانى أن يكون هناك شيء متقدم على العقل الأول .. يقول : كيف يكون شيء يتقدم على العقل الأول فيكون واسطة بينه وبين ما دونه ؟ والعقل هو ذاته (الكلمة) التى هى العلة الموجودة عن الله تعالى ..وإذا كان غير شيء متقدم على العقل الأول .. ليس ذلك هو الكلمة بل هو المتعالى عن الصفات .. سبحانه وتعالى .. فالعقل الأول إذن هو الكلمة . وهو العلة . وهو علة . وهو الوحدة[1] .

غير أن بعض فلاسفة المذهب الإسماعيلى الآخرون ذهبوا فى تأويل ذلك إلى أن الكلمة (كن) أو الأمر الإلهى علة السابق والتالى . المعبر عنهما بالكاف والنون .. أو هو السر المكنون بين الكاف والنون .. يذهب الداعى الإسماعيلى أبو يعقوب السجستانى .. فى تأويل (الأمر) بقولة وهو القادر على التخليق لا من شيء هو مادته ، ولا بشيء هو آلته ، ولا مع شيء هو معينه ، ولا مثل شيء هو شبيهه ، ولا لشيء هو ذو حاجة إليه فصدت الأوهام عن إضافة هذه الأشياء إلا إلى أمره الذى إذا أراد شيئا آمئ يقول له كن فيكون . وقد جرت بذكر الأمر آيات كثيرة فى القرآن الكريم قوله تعالى " إلا له الخلق والأمر " سورة الأعراف آية (٥٤) ويسمى أمر الله تعالى بأسماء كثيرة منها (العلم– والكلمة– والوحدة) فأمر الله تعالى لم يخالف علمه

(١) نظرنا : احمد حميد الدين الكرمانى ، كتاب الرياض (فى الحكم بين الصادين)ص٢٢٦،ص٢٢٧.

ولا علمه يخالف أمره تعالى ، وقد أمر المبدع جل جلاله أن تلحق بأمره كلمته كما تلحق بما دونه من المبدعين فهو أمره والمعنى أن (الكلمة) لا تتعدى إلى ما فوق أمره بل حلت محل أمره وتوجهت على من أتخذ أمره به وهو (السابق) أو العقل الأول . (أما الوحدة) .. معناها الواقع على أمره وبيان ذلك أن الله تعالى مقدر التوحيد الذى منه انبعاث الواحد المتعالى عن سمات البرية ومظهر المبدعات المستغنى عن مشاركة قوة أخرى معه فهو وجدته خرجت الأشياء منه دفعة واحدة.. ويسيق الداعى الإسماعيلى بعض الآيات القرآنية طبقا لهذا التأويل قوله تعالى فى العلم "وأنزله بعلمه " سورة النساء آية (١٦٦) وفى الكلمة قوله تعالى " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا " سورة الأنعام آية (١١٥) وفى الوحدة قوله تعالى " لنعبد الله وحده " سورة الأعراف آية (٧٠)[١] .

فهل هذا يعنى أن الأمر الإلهى – المعبر عنه بالكلمة (كن) اتحد بذات المبدع الأول أو العقل الأول . واصبحا وحدة واحدة ويكون العقل الأول (السابق) هو المعبر عن هذا الأمر أو الكلمة ذلك السر المصون بين الكاف والنون؟

أن التحليل الفلسفة لما ورد من آراء لبعض فلاسفة الدعوة الإسماعيلية فى هذا الموضوع قد يؤدى بنا إلى ذلك ذهب شهاب الدين أبى فراس .. فى تأمله الفلسفى الباطنى لمعانى (التجريد – والتوحيد – التنزيه) حيث يقول : أما التجريد فهو صفة (الأمر) المجرد المعنى لا يحصره عدد ولا يحيا به ولا يجوز مكان ولا يقدره زمان ولا تضاده الجهات ولا تدخل عليه الصفات – فهو السر المصون بين (الكاف والنون) . فالكاف : حرف علوى يمد. والنون : حرف سفلى يستمد ، والأمر : هو

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، أبو يعقوب السجستانى ، رسالته تحفة المستجيبين (ضمن خمس رسائل إسماعيلية)ص١٤٧.

السر الإلهى المكنون بين هذين الحرفين فهو مجرد عن التجريد ، والتوحيد ، منزه عن كل وصف وتحديد يمد ولا يستمد وهو علة السابق والتالى وسبب وجودهما ، والمجرد عن صفتيهما ، فعل علة العلل القديم، الأزلى المجهول الذات والصفات ، الذى عجزت العقول عن إدراك كنه كينونته ، لا إله إلا هو، له كل شىء وهو منتهى كل شىء . سبحانه وتعالى علم الإنسان ما لم يعلم "[١]

فالتجريد صفة للأمر الإلهى ، أما التوحيد – فهو صفة للموجد المجيد، وهو العقل الفعال – المبدع الأول – بنبوع الوجود ومصدر العدد ، منه إشراق أنوار الكلمة العلية ومبتدأ الوجود .. وهو الموجود الاول ، والمبدع الأكمل، والعقل المفضل والسابق التام وهو محدث البداية وأزلى النهاية ، عنه ظهرت المبدعات ، وهو الحجاب الأعظم ، والاسم المعظم .. منزه عن النسبة والإضافات ، وهو حرف (الكاف) من كلمة (كن) ، ثم يقول الداعى الإسماعيلى .. أن الله تعالى لما أظهر العالم من العدم إلى الوجود فتق ورتق وقدر ، فظهر له اسم ليس كمثلة شىء ولا قبله شىء. ولا لخلفه زمان ولا أوان وهو : العقل الأول – الذى جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده حين خاطبه بقوله تعالى " أنت فتقى ورتقى ، والمشرق منى على خلقى ، بك آخذ حقى ، وبك أنجز وعدى فوعزتى وجلالى لا أصل من يجحدك ، ولا يعرفنى من أنكرك ، فأنت منى بلا تبعيض ، وأنا منك بلا حلول فى منتهى لطائف العقول[٢] .

أما الموجود التالى (النفس الكلية فهى التى تأتى بعد الموجود الأول السابق ، وفى المعبر عنها بحرف (النون) بكلمة (كن) والجوهرة المحركة لكلية العالمين

(١) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين أبى فراس ، رسالة مطالع الشموس فى معرفة النفوس (ضمن أربع رسائل إسماعيلية) ص٣٧.
(٢) المصدر السابق ،ص٣٥،ص٣٦.

الروحانى والجسمانى ، الداركة لكلية الصالحين من الملائكة العالين المقربـين " قـوة عقلية حيه بذاتها ، كاملة بصفاتها ، أصلها من السابق منه بـدت وبـه اسـتمدت .. وهى كلمة الله العليا وشجرة طوبى عند سدرة المنتهى وعندها جنة المأوى[(١)]

فالعالم عند الإسماعيلية محدث ، أبدعه الله تعالى بكلمة (كـن) فكـان فيضـا واحدا وهو العقـل الفعـال الأول والموجـود الأكمـل والحجـاب المفضـل ، وظـهر عنـه (التالى) مخترعا من نوره ، ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما .. والعالم كلـه بسيط ومركب ظهر من العدم إلى الوجود بوسـاطة الأصليـين وهمـا : السـابق (العقـل الأول) والتـالى (النفس ووجـود (حركـات العـالم مـن التـالى بواسـطة (الهيـولى) . وروحانيته المحركة له مـن (السـابق) بواسطة التـالى . وعلتـه الموجـودة أصـل هـذا العالم. وهى الكاف والنون (كن) وهذا العالم ينقسم إلى ثلاثة عوالم : عالم روحانى : وهو الإبداعى وجواهره أفراد وهى جواهـر السـابق ، والعـالم الجرمـانى : جواهـر أزواج تركيبه تركبت منها الكواكب والافلال والأمهات الأربع ، والعالم الجسـمانى : تركبـت منـه الأمـهات الأربـع والمتوالـدات الثلاثـة المعـدن والنبـات والحيـوان – والإنسان هو نهاية العالم الجسمانى ، الذى خاطب الله من الخلق بقوله تعـالى " ومـا كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب " سورة الشورى (٥١)[(٢)].

ولا شك أن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية لا يقولون بنظرية الفيض قولا حرفيا مباشرا إذ انهم اثبتوا أن العالم محـدث وان العقـل الأول (السـابق) أبدعـه الله تعـالى بكلمة (كن) ثم فاض عن العقل الأول – العقل الثانى – أو المنبعث الأول كمـا يسـميه الكرمانى .. وهكذا فى تسلسل العقول الإبداعية حتى العقـل العاشـر . لذلـك فإنـهم

---

(١) المصدر السابق ،ص ٣٦ .

(٢) نظرنا المصدر السابق ،ص٣٧ وما بعدها ، للمزيد ص٤١،ص٤٢.

يختلفون عن المذهب الفيضى الأفلوطينى في هذه الناحية أما باقى المسائل الأخرى التى تتعلق بالفيض النورانى والعقلانى فإنهم بلا شك أيضا متأثرين بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة . كذلك بفلاسفة المسلمين أمثال الفارابى وابن سينا كما أن هناك اختلافات واضحة بين فلاسفة الإسلام وبين فلاسفة الإسماعيلية ، والكرمانى وغيره من الإسماعيلية يقولون بمبدأ الإبداع . أى أن العقل الأول إبداعه الله تعالى ... أما فلاسفة الإسلام أمثال ابن سينا فيقول أن واجب الوجود يفيض عنه كل موجود فيضا مباينا لذاته كذلك فإن الكرمانى يحدد العقول الإبداعية بعشرة .. بينما نجد الفارابى لا يكاد يحدد لها عددا معينا.. الخ (١).

ومن الجدير بالذكر أن دعاة الإسماعيلية وفلاسفتهم لا يكادون يختلفون كثيرا فيما بينهم حول ترتيبهم عالم الإبداع ، وأن كانت هناك بعض الاختلافات البسيطة فى المسميات وعلى سبيل المثال : فإن أخوان الصفاء يقولون عن الموجود الأول انه العقل الفعال وقد أيدهم فى ذلك المؤيد فى الدين الشيرازى- أما الكرمانى فقد أطلق عليه اسم العقل الأول ، وسماه السجستانى : السابق ،وقال آخرون الموجود الأول أو الكاف .. أما النفس الكلية كما سماها أخوان الصفاء فقد أطلق عليها الكرمانى المنبعث الأول وقال غيره :الموجود الثانى ، ثم أطلقوا عليهما (العقل والنفس) الحدان والأصلان(٢) وهكذا اما ترتيب عالم الإبداع عند أخوان الصفاء فهو: أن العقل أول موجود أوجده البارى تعالى وأبدعه من غير واسطة ، ثم أوجد النفس بواسطة العقل ثم أوجد الهيولى ، وذلك أن العقل جوهر روحانى فاض من البارى عز وجل وهو باق تام كامل ، والنفس جوهره روحانية غاضت من العقل وهى باقية تامة

---

(١) للمزيد يمكن الرجوع إلى دكتور محمد كامل حسين ، مصطفى حلمى ، مقدمة راحة العقل للكرمانى، ص٢٦،ص٢٧،ص٢٨.

(٢) عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ،ص١٨،الكرمانى ،راحة العقل ،ص١٠١،ص١٠٧.

غير كاملة ، والهيولى الأول جوهر روحانى قاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل[١] بينما ذهب فيلسوف الدعوة (الكرمانى) إلى أن الموجود الأول (العقل الأول) وجد عن البارى تعالى بالإبداع وليس عن طريق الفيض بقوله :فلما بطل أن يكون ما وجد عن المتعالى فيضا لم يبعد الا أن يكون إبداعا فهو الإبداع الذى وجوده لا من شىء[٢] ثم يذكر فى ترتيب عالم الإبداع : أن الحد الأول هو الأول فى الوجود ، والسابق فى الوجود والتام فى الوجود والمبدع الأول .. وقال عن التالى (النفس الكلية) المنبعث الأول أو العقل الثانى – وقال عن الثالث : المنبعث الثانى الأول وهو الهيولى والصورة .. ثم قال أنه بصدد عن العقل القائم بالقوة الذى هو الهيولى والصورة عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها وما فيها من الأشياء الكثيرة . وعن الملائكة وعالم الطبيعة الإنسان . بالنفس والجسم ، فترجع النفس الإنسانية إلى ما عنه وجدت وهو الملائكة – ويرجع جسمه إلى ما عنه وهو الهيولى والصورة ويقول أيضا بان العقول عشرة وهى مرتب الوجود وهكذا[٣].

وطبقا للمنهج الإسماعيلى فى التأويل الفلسفى الباطنى فإن دعاة المذهب يلجئون إلى تأويل المصطلحات الفلسفية بما يقابلها من مصطلحات دينية شرعية وردت فى السنن الإلهية وذلك لإعطائها نوع من الشرعية – يضاف إلى ذلك التكرار الدائم فى التقابل بين كل حدود السموات والأرض فى حركة تصاعدية دائمة . وتظهر هذه الحركة فى ثنائية سارية فى الوجود فنجد فى قمة الوجود علاقة بين الحد الأول (العقل الأول) وبين (العقل الثانى) . كذلك ثنائية بين السابق والتالى ،

(١) أخوان الصفاء ، الرسائل ، حـ٣،١٨٧ المطبعة العربية .
(٢) الكرمانى ، راحة العقل ،ص٧١.
(٣) نظرنا : عارف تامر ، حقيقة أخوان الصفاء ،ص٢٩،ص٣٠ .
– كذلك الكرمانى ، راحة العقل ،ص٢٤،من ص١٠١ ،ص١١٥.

والقلم واللوح . يقابل هذه الثنائية على الأرض – النبى – والوصى .. وتتكرر هذه البنية الثنائية فى مختلف رتب السلسلة الأرضية والسماوية وتتقابل إحداهما مع الأخرى[١] وهكذا نجد أن للدعاة ولــوع شديد بالتقابل بين المصطلحات والآراء والفلسفية الباطنية وبين ما ورد فى الشرع والسنن من مصطلحات وعلى سبيل المثال .. قول السجستانى " ويضاف إلى العقل اسم (القلم) لأن بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء إلى الانتهاء – ويقال للعقل أيضا .. العرش – والأول – والقضاء والشمس . ثم يطلق عليه اسم السابق، والهيولى ..ويطلق عليه الكرمانى اسم (الكرسى) أما النفس (الكلية) وهى الخلق الثانى يقال عنها (اللوح) – المحفوظ والملك – والقدر – والقمر – ثم يطلق عليها أيضا الصورة – والتالى – ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة الأصلان ويطلق عليها الكرمانى اسم "العرش ...الخ[٢] ".

ويتضح لنا مدى التعمق الباطنى والفلسفى فى التأويل الإسماعيلى من خلال مزج الآراء والمصطلحات الفلسفية بالشرائع والمصطلحات الدينية .. ذلك عندما ذهب الكرمانى فى تأويل ركعتى صلاة الفجر لتدل الركعة الولى على أول الوجود – والثانية على ثانى الوجود – ويقول السجستانى (صاحب كتاب النصرة) فى موضع آخر .. أن الركوع يدل على الأساس (يقابل التالى) – والسجود على الناطق (يقابل الأول أو السابق) ثم يؤول قوله تعالى " ثم دنا فتدلى" سورة النجم آية (٨) يعنى أن الناطق دنا إلى الوقوف على مرتبة العقل، فتدلى منه الأساس ، " فكان قاب قوسين " سورة النجم آية(٦) وهما الأصليين (أو أدنى) يعنى به السابق . علما أن النبى

---

(١) دكتور محمد أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص٢٠٠ ، رجعنا كذلك إلى الكرمانى ، راحة العقل ، ص٦٧،ص٦٨.

(٢) نظرنا : الداعى الإسماعيلى ، أبو يعقوب السجستانى ، رسالة تحفة المستجيبين (ضمن خمس رسائل إسماعيلية ،ص٢٤٨.

صلى الله عليه وسلم من علو مرتبته دنا حتى بلغ مرتبة ولم يكن بينه وبين السابق حجاب ، كما أن السابق لم يكن بينه وبين الكلمة فرق ، ولم يبلغ الأساس هذه المرتبة والمنزلة كذلك التالى لم يبلغ مرتبة السابق فبقى ناقصا عن مرتبته[1] .

وهذا التأويل الباطنى يدل على أن مرتبة المعرفة والعلم والتمام أكثر كمالا عند الناطق (النبى) الذى يقابل السابق أو العقل الأول – منها عند الأساس (الوصى) الذى يقابل التالى – أو النفس الكلية ..

وهناك آراء كثيرة فى هذا الصدد[2] يوضح لنا مدى ما وصلت إليه فلسفة التأويل الإسماعيلية من انغماس باطنى وتأثرها بفلسفات وآثار أجنبية خارجية ويعيد عن روح الإسلام وأصوله الحقيقية ، وتعطينا إشارة إلى أن هدف الدعوة الإسماعيلية هو تكوين فلسفى عقائدية خاصة بهم ، تتجمع فيها مختلف التيارات الثقافية من خلال المزج العجيب والتأويل الباطنى بينها وبين أصول الدين ومصطلحاته .

٥- العلاقة بين الإسماعيلية والمذاهب الأخرى :-

إذا حاولنا أن نوجد العلاقة بين النظريات أو النظم الفلسفية والباطنية عند الإسماعيلية وبين النظريات أو النظم الفكرية والاعتقادية فى المذاهب .. اليونانية والإسلامية كالفلاسفة أو الصوفية و حتى عند متكلمى ومتصوفة أهل السنة – وسوف نجد أن هناك أسس متشابهة ومتقاربة بين الإسماعيلية وبين الفلاسفة والصوفية ، وشذرات قليلة جدا بينهم وبين متصوفة أهل السنة (كالغزالى مثلا) . وذلك من خلال الأنساق الفكرية التى تحكم العلاقة بين هذه الجوانب – غير أن الإسماعيلية

---

(١) نظرنا ، الكرمانى ، كتاب الرياض (فى الحكم بين الصادين) ،ص٨٥.
(٢) يرجع إلى ، الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين أبى فراس ، الإيضاح ،ص١٥٥،.

كانت تحكم النزعة المذهبية الباطنية فى (الإمامة) ولذلك وجدناهم يؤولون العقائد الدينية فى الإلهيات والعبادات تأويلا باطنيا ورمزيا طبقا لهذه النظرية واستخدموا المبادئ الفلسفية كذلك .

إذن فإن العلاقة بين فلسفة التأويل الباطنى عند الإسماعيلية فى الإلهيات أو عالم الإبداع وبين المذاهب الفلسفية والصوفية الأخرى إنما تتبلور من خلال نظرية (الكلمة) أو الوجوس Logas والمشهورة فى المذاهب الفلسفية وان كانت تصطبغ هذه النظرية بالصبغة المذهبية طبقا للنزعة الخاصة بكل مذهب دينى أو فلسفى .

وكما رأينا فى التأويل الباطنى لعالم الإبداع الإلهى عند الإسماعيلية أن الكلمة الإلهية (كن) والتى تشير إلى "الأمر الإلهى" فى قوله تعالى " ألا له الخلق والأمر " سورة الأعراف آية (٥٤) هى السر المصون بين حرف الكاف والذى يرمز إلى العقل الأول (السابق) – وحرف النون (الذى يرمز إلى النفس الكلية – التالى) – هى ذات الموجود الإبداعى الأول – ؟(العقل الأول – السابق) – وهذا العقل الأول الكلى كما يقول فلاسفة الإسماعيلية ودعاتهم تحمل عليه الصفات الإلهية وينسبون إليه الأسماء الحسنى كما رأينا ذلك فى تأويلهم للصفات والأسماء الإلهية – فهذا الموجود الأول يمثل الكلمة الإلهية التى بها الإبداع والانبعاث وفيها الأمر الإلهى (كن) – فيما أرى من خلال تأويلهم – وطبقا لنظرياتهم الباطنية فى الإمامة فإن الإمام يمثل هذا العقل الكلى أو المبدع الأول (مظهر التجليات الإلهية) فى عالم الأرض – ولذلك وجدنا مدى غلو العقيدة الإسماعيلية فى الإمامة ووصفهم للأئمة بصفات قدسية أو إلهية – فهو خليفة الله فى أرضه – فيمثل القدرة الإلهية .. الخ وهكذا يمكن أن نبين كيف استطاع فلاسفة الدعوة الإسماعيلية أن يربطوا بين عالم

الوجود الإبداعى أو الإلهى – وبين العالم الأرضى (الإمام) ممثـول الكلمـة أو العقـل الأول .

ولكن ما هو المقصود بالكلمة The Logas فى المذاهب الفلسفية والصوفية التى تشترك مع المفهوم الإسماعيلى فى معناها ؟

إذا تطرفنا إلى الفلسفة اليونانية . نجـد أن "الكلمـة" معناهـا القـوة العاقلـة المنبثة فى جميع أنحاء الكون . وقد استعملها هـيراقليطى Heracli بـهذا المعنـى (٤٧٥هـ) فهى مبدأ الحياة والإرادة الإلهية التى تخضـع لهـا كـل مـا فـى الوجـود. ومعنى الكلمة فى فلسفة "انكساغوراس Anaxagaras, : العقـل Naus, أو القوة المدبرة للكون – والواسطة بين الذات الإلهية والعالم .

وفى عرف الراقيين The Staics العقل الفعال ، أو العقل الكلـى المدبـر للكون وفى الفلسفة اليهودية القديمة فإن "كلمة الله" من آثارها الخلق .

God Spoke " a Ward " And The Warld Was Made, Then , At Once, His Breath Gave Life To What The "Ward A Greated".

وكان اليهود يستعملون كلمة " ممرا" Memra, فى هـذا المعنـى وبسـبب امتزاج الفلسفة اليهودية بالفلسفة اليونانية أصبحت تسـتعمل الكلمـة ويـراد بـها " العقل الإلهى " وقد اسـتعمل فيلـون Philon, الكلمـة بأوصـاف متعـددة بفعـل التأثيرات اليونانيـة ونجـده يسميها : ابـن الله الأول . البرزخ بـين الله والعـالم – الصورة الإلهية – الإنسان الأول – حقيقة الحقائق – الإمام الأعظم .. الخ .

أمـا فـى الفلسـفة المسيحية : فمعنـى الكلمـة – ابـن الله وصورتـه ، الـروح السارية فى الكون الواسطة فى خلق العالم مشخصة فـى صـورة – المسـيح – فـالابن، وعن الابن ، وفى الابن ، وفى الابن ظهر كل شيء وهو الكون الجامع . وهو مبدأ

الحياة الظاهر روحه فى كل أتباعه والمد لهم بكل علم ومعرفة ..[١].

ولا شك أن مفهوم الكلمة فى هذه المذاهب الفلسفية الدينية يشير إلى مفهوم الإسماعيلية فى العقل الأول - أو السابق .

وإذا تطرقنا إلى المذاهب الإسلامية نجد أنهم قد اهتموا اهتماما بالغا بدراسة وبحث هذه النظرية - فى الكلمة - باعتبار أنها تعبر عن الكلام الإلهى - أو القرآن الكريم غير أن بحث هذه الفكرة اصطبغت بالصبغة الفلسفية والباطنية عند الفلاسفة والصوفية . واتخذت معانى ومدلولات أخرى غير ما هو مقصود بها عند أهل السنة ومتكلميهم .

لقد كانت مسألة (الكلام الإلهى) فى مقدمة المسائل التى شغلت جميع الدوائر الإسلامية لتعلقها بصفة الكلام الإلهى - وبالتالى القرآن الكريم من حيث كونه .. قديم أم حادث ؟

وباختصار : فإن المعتزلة كان موقفهم محددا منذ البداية حيث أنكروا الصفات الإلهية كأمور زائدة على الذات .. وعلى ذلك قالوا انها واحدة لا تتعدد ، أما الكلام الإلهى فلم ينكروا أن الله كلاما أو انه تعالى كلم موسى وغيرة من الأنبياء ، لكنهم قالوا أن هذا الكلام مخلوق حادث .. اما الأشاعرة فقالوا : بان مفهوم الصفات مفهوم ثبوتى زائد على الذات ، وأنها قديمة كما أن الذات المتصلة بها قديمة[٢] ..

ولما كان الاهتمام ينصب على بحث مدلول الكلمة عند متكلمى أهل السنة هنا - فإننا نركز فقط على ما ورد عند متكلمى أهل السنة من الأشاعرة من بحث

---

(١)نظرنا فى ذلك : دكتور أبو العلا عفيفى - نظريات الإسلاميين فى الكلمة ، ص٣٤ وما بعدها - بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب (مجلد (٢) عدد (١) ط المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة بدون تاريخ .

(٢) المصدر السابق ، ص٣٨.

حول .. (صفة الأمر الإلهى) – المتعلق بكلمة (كن) – وعلى ذلك قال الأشاعرة : أمر الله – كلام قديم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى " ومن آياته أن تقوم السموات والأرض بأمره" سورة الروم آية (١٥) وقوله تعالى " الا له الخلق والأمر " سورة الأعراف آية (٥٤) وقوله تعالى " لله الأمر من قبل ومن بعد " سورة الروم آية (٤) ففهموا من الأمر الوارد فى هذه الآيات كلام الله – بمعنى الصفة الذاتية غير المدايله لله – وزادوا على ذلك بقولهم أن الأمر هو المقوم للسموات والأرض وانه قديم وجد قبل الخلق وبعده وانه من عالم غير عالم الخلق بدليل مقابلته به . وقالت الأشاعرة فى كلمة التكوين (كن) فى قوله تعالى " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " سورة يس آية (٨٢) بأنها من كلام الله القديم – ومن غير أن نستغرق فى التفاصيل فإن بعض الباحثين ذهب إلى أن تأويل الأشاعرة – للأمرين الإلهى – وكلمة التكوين (كن) من خلال الآيات السابقة قد يظهر فيه تجسيم (الكلمة) – كلمة التكوين أو على الأقل إظهارها بمظهر "شخصية " لها قوة الخلق والتكوين .. وإذا قارنا أقوالهم فى الأمر الإلهى من انه كلام الله الأزلى الذى تتقوم به السموات والأرض ، بما قالوه فى كلمة التكوين من أنها كلام الله الأزلى الذى عنه يصدر الخلق وبواسطته تعمل الإرادة الإلهية عملها عرفنا إلى أى شخص الأشاعرة صفة الكلام واسندوا إليها اختصاص : التدبير والكون والعناية – والخلق والإيجاد .. وهذا ما فهمه فلاسفة اليهود من الكلمة ممرا[1] .

ولكنى لا أوافق على هذا الرأى – فالأشاعرة لم يقصدوا من هذا الإطلاق تشخيص الكلمة أو تجسيمها – كما قد يوحى تأويلهم فى ذلك فيما فهم الدكتور أبو العلا عفيفى ، غير أنهم أرادوا بذلك أن يتبنوا بها منهج أهل السنة فى الصفات

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص٣٧،ص٤٠ ، الأشعرى ، الأبانة ،ص٣٤.

الإلهية بان الأمر الإلهى وكلمة التكوين (كن) من كلمة الله تعالى القديمة وهى الكلام – وبذلك يكون القرآن الكريم باعتباره كلاما إلهيا قديما وليس بحادث أو مخلوقا كما قالت المعتزلة أو الجهمية من قبلهم .

والواضح أن الأشاعرة لم يتعمقوا فى المدلول الباطنى لكلمة التكوين كن أو الأمر الإلهى ولم يهتموا بمدلولاتها الميتافيزيقية أكثر من ذلك حيث أنهم لم يقولوا. أن الأمر الإلهى أو كلمة كن – تمثل العقل الأول أو العقل الكلى .. وهم بذلك يختلفون اختلافا كليا وجزئيا عن الإسماعيلية أو الفلاسفة .

وإذا كنا بصدد بحث فكرة "الكلمة " أو الأمر الإلهى عند الأشاعرة فلا يمكن أن نغفل الفيلسوف الصوفى المتكلم حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى ،إذ أضاف إلى هذه الفكرة الكلامية مسحة صوفية ميتافيزيقية " فنجده تجاوز نظرية الأشاعرة البسيطة وعمقها ووضعها فى صورة نظرية جديدة من نظريات المسلمين فى الكلمة .. وأوجد لها أصولا مقررة فى نصوص القرآن[1] .

وقد قمت بأعداد دراسة تحليلية نقدية لفكرة "المطاع" عند الإمام الغزالى تلك الفكرة التى تناول من خلالها بحث مسألة الأمر الإلهى بمنهج فلسفى ميتافيزيقى وحاول تعميق مضامينها الروحية والميتافيزيقية[2] وقد انتهيت من خلال دراستى لهذه الفكرة الميتافيزيقية فى المطاع إلى أن الغزالى بحث مسألة الأمر الإلهى فى كتابه " معارج القدس" عندما تحدث عن إثبات الأمر لله عز وجل .. فقال: أن من لم يعترف بأمره لم يعترف بالنبوة قط ، فالنبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) دكتور أبى العلا عفيفى ، مقدمة مشكاة الأنوار للغزالى (تحقيق نقدى للرسالة) ص٢٥ ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦م.

(٢) راجع فى ذلك إلى : محمد محمود أبو قحف قضية التأويل عند الإمام الغزالى،ص١٤٠،ص١٥٧(رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير) غير منشورة مكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٧٦ م (إشراف الأستاذ الدكتور / محمد جلال شرف).

متوسط الأمر ، كما أن الملك متوسط الخلق والأمر .. وكما أن أمـر التدبـير جـار علـى عموم الخلق لنظام وجود العالم الكبـير كلـه ، وذلـك قولـه تعـالى "والشـمس والقمـر والنجـوم مسـخرات بـأمره ، ألا لـه الخلـق والأمـر تبـارك الله رب العـالمين " سـورة الأعراف آية (٥٤) كذلك أمر التكليف جار على خصوص الخلق لنظـام وجـود العـالم الصغير وذلك قوله تعالى " يا أيها الناس أعبدوا ربكم الـذى خلقكـم " سـورة البقـرة آية(٢١) .

وكما أوحى فى كل سماء أمرها بواسطة ملـك ، كذلـك أوحـى فـى كـل زمـان أمره بواسطة نبى ، فذلك هو التقدير والتكليف .

وقد أضاف الغزالى فكرة ثانية (فى الطريق الثـانى فـى إثبـات الأمـر الأول) فقال : قد ثبت وتحقق بالبراهين أن الأول المبدع ملك مطـاع . فلـه الخلـق كلـه ملكـا وملكا ، ولكل ملك فى سلطانه أمر ونهى وترغيب ووعد ووعيد ، ولا يجوز أن يكون أمره (الله تعالى) محدثا مخلوقا فإن المخلوق من حيث مخلوق لا يـدل إلا علـى خـالق .. ومن لم يثبت لله تعالى أمرا يطاع فقد أحال كل هذه الأوامر والنواهى على من أدعى النبوة مقصورة عليه[1] .

ويبدوا مما سبق أن الغزالى يقصـد بـالأمر الأول – هـو الملـك المطـاع – وهـو الأمر الإلهى . فإذا كان ذلك كذلك فقد أضاف فكرة ثالثة عن الأمر الإلهى – فهو فى نظره (القوة الإلهيـة) وهـذا الأمـر الأعلـى بالنسبة للعقـل الإنسـانى – تكليـف – وبالنسبة إلى جزئيات المكلفين عبارة عن القول وهـو الأمـر والنـهى .. الخ – فظـاهر الأمر التكوينى أوضاع الملائكة وسوقها الموجودات إلى كمالاتها .. بقبولها للأمر[2] .

---

(١) الغزالى ، معارج القدس ،ص١٤٩،ص١٢١، تحقيق مصطفى أبو العلا ط الجندى ١٩٦٨م.
(٢) المصدر السابق ، ص١٩٦،ص١٠٠ .

ونستخلص من تحليل الغزالى للأمر الإلهى : انه القوة الإلهية السارية فى الوجود وهو مصدر التدبـير والتكويـن والإبـداع كما أنـه مصدر التكليـف والكمـال للموجودات .. وهو المطاع .

تطرق الغزالى فى بحث هـذه الفكـرة مـن المنـهج العقلـى إلى المنـهج الصوفـى الباطنى فى الفصل الثالث من كتابه (مشكاة الأنوار) من خلال تأويله الصوفى الاشراقى لآية النور (فى حديـث الحجـب)[1] وهـو حديث قدسـى ورد عـن النبى (ص) قال "أن لله سبعين حجابا من نور وظلمه ، ولو كشفها لأشرقت سـبحات وجهه كل من أدركه بصره ، وفى بعض الروايات سـبعمائة ، وفـى بعضـها سـبعين ألفا " فأقول أن الله تعالى قائم فـى ذاتـه بذاتـه لذاتـه وكـون الحجـاب بالإضافـة إلى محجوب لا مكان . وان المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام.. يذكرهم الغزالى : طائفة حجبت بمجرد الكلمة (الدهرية والملاحده) وطائفـة حجبـت بنـور مقـرون بظلمـة (عبـدة الأوثـان الذيـن يفكـرون فـى صفـات الألوهيـة ويجعلونـها علـى المخلوقـات المحسوسة) ويضاف إلى هؤلاء المحجوبون بالأنوار الإلهية مقرونة بمقاسات وأدلة عقليه فاسدة (وهؤلاء هم الصفانيه – الذين يقيسـون الصفـات الإلهيـة علـى الصفـات الإنسانية – وهاتين الطائفتين فى رأى الغزالى لم يثبـت للصفـات الإلهيـة خصـائص التنزيـه الواجبـة بسـبب الحجـب الظلمانيـــه (الماديـــة)[2] أما الطائفـــة الثالثـــة : المحجوبون بمحض الأنوار (العقلية) فيقسمهم الغزالى إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : عُرفوا معانى الصفات تحقيقا .. وأدركوا أن إطلاق اسم الكلام والقدرة .. الخ ليس مثل إطلاقه على البشر – فللرب القدرة المنزه

---

(١) يقول الإمام السبكى ، لم أجد له سندا – طبقات الشافعية الكبرى حـ٤،ص١٤٦، ط المثيرة ، بدون تاريخ ، (أخرجه العراقى – المفتى – هامش الأحياء ،جـ١،ص١٠١ سنده ضعيف .

(٢) الغزالى ، مشكاة الأنوار ، ص٨٤،ص٩٠.

عن معانى هذه الصفات هو محرك السموات ومدبرها .

الصنف الثانى : ظهر لهم أن فى السموات كثرة وأن محرك كل سماه خاصة موجود آخر يسمى ملكا وفيهم كثرة ..وإنما نسبتهم إلى الأنوار الإلهية نسبة الكواكب وأن هذه السموات فى ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته فى اليوم والليلة مرة ، فأثرت هو المحرك للجرم الأقصى المنطوى على الأفلاك كلها ...

الصنف الثالث : قالوا أن تحريك الأجسام بطريقة المباشرة ينبغى أن يكون خدمة لرب العالمين ، وعبادة له ، وطاعة من عبد من عباده يسمى ملكا . نسبته إلى الأنوار الإلهية المحضة نسبة القمر فى الأنوار المحسوسة فزعموا أن الرب هو المطلق من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى محركا للكل بطريق الأمر ..

ويبدوا أن الإمام الغزالى لم يرض عن أقوال هذه الأصناف جميعا وإنما رضى بأقوال الواصلين " وهم الصنف الرابع من طائفة المحجوبون بمحض الأنوار .. حيث تجلى لهم أن هذا "المطاع" موصوفا بصفات تنافى الوحدانية المحضة والكمال البالغ، وأن نسبة هذا المطاع نسبة الشمس فى الأنوار ..ويقول الغزالى أن هؤلاء " وصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر من قبلهم ، فأحرقت سبحات وجهة الأول الأعلى جميع ما أدركه بصرا لناظرين وبصيرتهم ، فإذن وجدوه مقدسا منزها عما وصفناه من قبل[1] .

يتضح لنا أن المطاع عند الغزالى ليس ملكا من الملائكة بالمعنى الدينى ، ولا هو العقل الأول الذى قال به فلاسفة الأفلاطونية المحدثة – وتابعهم فى ذلك

---

(١) نفس المصدر ، ص٩٢.

فلاسفة الإسماعيلية – ولا هو الله نفسه ولا هو شيء من العالم ، بل هو واسطة بين الله والعالم ، تعمل الإدارة الإلهية عن طريقة ونسبته إلى الله نسبة الشمس إلى النور المحض وإذا كان ذلك كذلك فلا شك أنه شيء غير الذات الإلهية . إذ أنه يتصف بصفات تتنافى مع الوحدانية المحضة والكمال البالغ الذى لا يتصف به غير الله تعالى .. وإذا أضفنا إلى ذلك تحليل الغزالى للأمر الإلهى لما ذكرنا وما نسبة للأمر من التدبير والتكوين والإبداع وأنه القوة الإلهية السماوية فى الوجود .. الخ . فإن هذا "المطاع" الذى عن طريقة يصل الواصلون إلى معرفة الله تعالى ما هو إذن إلا أن يكون المقصود به " الأمر الإلهى " الوارد ذكره فى القرآن الكريم بقوله تعالى " لله الأمر من قبل ومن بعد " سورة الروم آية (٤).

هكذا يتضح لنا كيف استطاع الغزالى أن يعالج مشكلة الصفات الإلهية من خلال منهجه فى التأويل الصوفى الباطنى – وأن يضيف فكرة جوهرية ميتافيزيقية أشبه ما تكون بفكرة " الكلمة " عند المسلمين .. لكنه اختلف اختلافا كبيرا فى ذلك عن الشيعة الإسماعيلية الباطنية – الذين أرادوا بتأويلهم الباطنى للأمر الإلهى وكلمة (كن) أن يستنبطوا مبادئ الفلسفة الأفلاطونية المحدثة – فى العقول الإبداعية . كما ذكرنا سابقا ..وأن يربطوا بينها وبين نظريتهم فى الإمامة . ويخطئ كل من حاول أن يربط بين " المطاع" عند الغزالى وبين نظريات الصوفية فى (القطانيه أو الحقيقية المحمدية) ، أو كذلك بينه وبين نظرية الشيعة الباطنية فى – الإمام أو أزلية النور المحمدى[1] حيث أن الغزالى كان يرفض نظريات هؤلاء وأولئك رفضا تاما وهاجمهم هجوما عنيفا .

---

(١) حاول نيكلسون أن يوجد تفسيرا للمطاع عند الغزالى ، حاول أن يربط بينه بين ما ورد عن الشيعة الصوفية ، نظرنا فى ذلك : فى التصوف الإسلامى وتاريخه ، ص١٣٩ ، ص١٤٠ .

ومن الجدير بالذكر أن الأفكار الأفلاطونية المحدثة كانت منتشرة فى أوساط فلاسفة الصوفية كما كانت كذلك فى أوساط الإسماعيلية الباطنية . وقد عنى الصوفية بتصوير الكثير من هذه الأفكار فى صور إسلامية . خاصة الأحاديث التى تتعلق بعالم الإبداع الإلهى والمعرفة الباطنية مثل حديث "العقل" والذى شاع ليس بين الباطنية أو الصوفية فحسب بل انتشر فى أوساط المعتدلين من الصوفية من أهل السنة – كالإمام الغزالى فى كتابة الأحياء حيث ذكر فى بيان شرف العقل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر ، ثم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثبت وبك أعاقب"[١] وفى موضع آخر يذكر الغزالى فى حديث طويل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أن الملائكة قالت ياربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل"[٢] ويبدوا أن هذه الأحاديث إنما وضعت تحت تأثير الفكرة القائلة بان العقل الكونى هو أول جوهر روحى صدر عن الذات الإلهية[٣] وهذا ما تعنيه الأفكار الإسماعيلية الباطنية فى تأويل عالم الإبداع .. واستطاعت من خلاله أن تقيم نظرية فى (الكلمة) كما رأينا ، ولكن عند الصوفية وفلاسفتهم نجد تأثرا شديدا بهذا الحديث الموضوع ويبدو من خلاله نظريتهم فى الحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل ، الكونى ، الذى يربط بين عالم الوجود الإبداعى الإلهى وعالم المعرفة الباطنية الصوفية ..

وعلى ذلك فقد بحث فلاسفة التصوف الإسلامى نظرية "الكلمة" فى إطار

---

(١) الغزالى ، الحياء ، ط١ ،ص٨٣ (قال أبو الفضل العراقى ، ورد هذا الحديث عند)

(٢) نفس المصدر ، حـ١ ،ص٨٨ (الترمزى الحكيم فى النوادر بسند ضعيف ، هامش الأشياء) ،ص٨٥ .

(٣) جولد تسيهر ، العناصر الأفلاطونية والغنوصية فى الحديث ، مقال ملحق بكتاب التراث اليونانى.. ص٢٢٠ .

نظريتهم المشهورة فى الحقيقة المحمدية " وأما ما أسموه بالروح المحمدية – أو ألهو هو – أو القطب أو الإنسان الكامل وقالوا (الحقيقة المحمدية) يماثل القلم الأعلى أو العقل الأول أو العقل الكلى – الذى صدرت عنه النفس الكلية – (اللوح المحفوظ) .

لذلك يقول عبد الكريم الجبلى : (فى القلم الأعلى) : وهو أنموذج بنقش ما يقتضيه فى اللوح المحفوظ ، كالعقل فإنه أنموذج بنقش ما يقتضيه فى النفس ، فالعقل بمكانة القلم والنفس بمكانة اللوح .

والقضايا الفكرية التى وجدت فى النفس القانون العقلى هى بمثابة الصور الوجودية المكتوبة فى اللوح المحفوظ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام "أول ما خلق الله تعالى العقل " وقال " أول ما خلق الله القلم " – والقلم هو العقل الأول ، وهما وجهان للروح المحمدى قال صلى الله عليه وسلم " أول ما خلق روح نبيك يا جابر " فصار القلم الأعلى والعقل الأول والروح المحمدى عبارة عن جوهر فرد ، وهو بنسبته إلى الخلق يسمى القلم الأعلى وبنسبته إلى مطلق الخلق يسمى العقل الأول ، وبإضافته إلى الإنسان الكامل يسمى روحا محمديا صلى الله عليه وسلم[1] .

ويحاول فلاسفة الصوفية المزج بين المصطلحات الدينية وبين النظريات والمصطلحات الأفلاطونية المحدثة فأنهم فى ذلك شأن فلاسفة الإسماعيلية وأخوان الصفاء .. من خلال منهج التأويل الباطنى الفلسفى فيذهب الجيلى بتمثيله فى تعبيراته عن القلم الأعلى – بالعقل الأول ، وعن اللوح المحفوظ – بالنفس الكلية[2].

وهذا العقل الأول – أو الملك السمى بالروح – نظر الله تعالى إليه بما نظر

(١) عبد الكريم الجبلى ، الإنسان الكامل ، حـ٢،ص٩.
(٢) المصدر السابق ،ص١١ .

إلى نفسه فخلقه من نوره وخلق العالم منه ، وجعله محل نظره من العالم، ومن أسمائه أمر الله - وهو أشرف الموجودات ليس فوقه ملك .. جعله الله قطب فلك المخلوقات له ثمانية صورهم حمله العرش . ولهذا الملك في العالم الأفقى والعالم الجبرونى (والعلى) والملكوتى .. هيمنة إلهية خلقها الله فى هذا الملك وقد ظهر بكماله فى الحقيقة المحمدية ولهذا كان الرسول عليه السلام أفضل البشر وبه أمن الله تعالى عليه وأمده من اجل النعم التى أسداها الله تعالى إليه .. فقال تعالى .. " وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا " سورة الشورى آية (٥٢) يعنى إنما جعلنا لروحك وجها كاملا من وجوه هذا الملك الذى هو أمرنا " وهذا الملك مرآة لذاته تعالى".. وهو قطب العالم الدنيوى والأخروى وقطب أهل الجنة والنار .. ولا يتعرف ذلك الملك لأحد من خلق الله تعالى إلا إلى الإنسان الكامل فإذا عرفة الولى علمه أشياء- فإذا تحقق بها صار قطبا يدور عليه رحا الوجود جميعه بحكم النيابة عن الملك والقطبية فى هذا الوجود لهذا الملك بحكم "الأصالة والملك " وجميع الملائكة المقربون مخلوقون منه مثل اسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل ومن هو فوقهم وهذا الروح له أسماء كثيرة منها : القلم الأعلى - روح محمد صلى الله عليه وسلم والعقل الأول- الروح الإلهى(١).

ونستنتج من هذه التحليلات الصوفية الميتافزيقية فى " الحقيقة المحمدية " أنها تعبير عن نظرية فى (الكلمة) التى هى مظهر من مظاهر التجليات الإلهية فى عالم الوجود والإبداع والمعرفة .. فالنور المحمدى إذن مظهر التجليات الإلهية فى الوجود - التى خلق منها كل شىء .. فهو العقل الأول- القلم الأعلى " خلق الله تعالى جبريل عليه السلام منه منذ الأزل فكان أبا لجبريل وأصلا لجميع العالم(٢)".

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص١٥،ص١٦،ص١٨.
(٢) نفس المصدر ، ص٢٩ ،ص٣٠.

ويذكر الجيلى فى ذلك : أن الله خلق وهم محمد صلى الله عليه وسلم من نور اسمه الكامل وخلق الله عزرائيل من نور وهم محمد صلى الله عليـه وسلم فأظـهره الله بالوجود بلباس القهر .. وفى موضع آخر يقول " لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أم الكتاب والمعنى دون غيرة بالخطاب .. خلق الله منه جميع العالم ، وكانت كل رقيقـة منه أصلا لحقيقة من حقائق الأكوان ، وكان بجملته مظهرا لجملـة الرحمـن ويقـول أيضا " خلق الله من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم أرواح ملائكة السموات والأرض، ووكلهم بحفظ الأسافل والأعالى .. " ويقول كذلك " أن الصورة المحمديـة لـما خلـق الله منها الجنة والنار " خلق الله تعالى صورة آدم عليـه السـلام نسـخة مـن تلـك الصـورة المحمدية فلما نزل آدم من الجنة ذهبت حياة صورته لمفارقتـه عـالم الأرواح .." ثـم ينتـهى الجيلـى إلى أن الصـورة المحمديـة تعـبر عـن الإنسـان الكـامل . بقولـه " أن الإنسان الكامل هو القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود من أولـه إلى آخـره ، وهـو واحد منذ كان الوجود إلى ابد الآبدين ثـم لـه تنـوع فـى ملابـس يظـهر فـى كنـائس فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر ، فاسمه الأصلى الـذى هـو له محمد عليه السلام وكنيته أبو القاسم ووصفه عبد الله ثم يتدرج الجبلى فى ذلك إلى أن يذكر بأنه يظهر فى صورة شيخه شرف الدين إسماعيل الجبرتى .. الخ[1].

ومما سبق يتضح أن الحقيقة المحمدية – بالمفهوم الصوفى أو الكلمة بالمدلول الفلسفى هى الروح السارية آثرها فى الوجـود منـذ الأزل إلى الأبـد .. وإنـها مجلـى للصفات الإلهية فى الوجود .. والتى عن الإنسان الكامل – أو القطب وله ظهور فى كل زمان فى صوره الآدميين .

وجدير بالذكر أن فيلسوف التصوف محى الدين بن عربى . ذهب إلى مثل

---

(١) نظرنا فى ذلك : نفس المصدر السابق ،ص٣٠ ،ص٣٧ ،ص٤٠ ،ص٥٨ ،ص٧٤.

هذا التأويل للكلمة س - أو الحقيقة المحمدية .. أو كما يسميها حقيقة الحقائق - والعقل الأول والروح الأعظم - والإنسان الكامل .. الخ متأثرا فى ذلك بالآراء الأفلاطونية المحدثة إذا أن الكلمة الحقيقة المحمدية إنما تعبر عن شيء واحد منظور إليه من وجوه متعددة فهى أول تجلى إلهى ، وأول صورة ظهر فيها الحق وخاطب نفسه بنفسه فقال : "ما خلقت خلقا أعز منك ، بك أعطى وبك آخذ .الخ[1]".

وهناك آراء كثيرة بهذا الصدد لدى محى الدين بن عربى لا يمكن أن نحصيها خوفا من الإطالة[2] .

وإذا أردنا أن نحدد وجه العلاقة بين الإسماعيلية الباطنية وبين فلاسفة الصوفية فى - مفهوم الكلمة - الحقيقة المحمدية - من خلال تأويلهم الباطنى الفلسفى لعالم الإبداع يكون ذلك كالآتى :-

أولا: أن المنهج الذى يحكم العلاقة بين الجانبين هو التاويل الباطنى الفلسفى واستخدام الإسماعيلية الباطنية والصوفية للآراء والمصطلحات الفلسفية الأفلاطونية المحدثة العقل الأول - الكلى - والنفس الكلية .. والمزج العجيب بين الآراء الفلسفية وبين المبادئ والمصطلحات الدينية القرآنية والأحاديث النبوية - ووجود أحاديث مروية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى العقل ، القلم - عند الجانبين ضعيفة الإسناد الصحيح .

ثانيا: بحث فلاسفة الإسماعيلية - الأمر الإلهى - وقالوا أنه السر المصون بين الكاف والنون فى كلمة التكوين (كن) وانه ذات (الكلمة) التى فى العقل الأول أو الكلى أو السابق أو الكاف - وهو الابداع السارى اثره فى الوجود. ومصدر

---

(١) نظرنا فى ذلك : دكتور أبو العلا عفيفى ، نظريات الإسلاميين من الكلمة ،ص٤٠،ص٥٨.
(٢) للمزيد يمكن الرجوع إلى : المصدر السابق من ص٤٠،ص٥٨،ص٧٠ ،ص٧١ .

العلم والمعرفة وهو مثال الناطق أو النبى عليه السلام أو الإمام فى الأرض . فالنطقاء أو الأئمة المعصومين مظاهر (ممثولات) للعقل الكلى - فهم الكلمات.. أو الكلمة بالمعنى الفلسفى .. وقد ذهب فلاسفة الصوفية إلى أن الملك المسمى (بالروح) من أسماء الأمر الإلهى - وله أسماء منها القلم الأعلى - العقل الأول - الروح المحمدى - كما ذكر الجبلى - وأن هذا الملك المسمى بالروح أو العقل الأول - هو مجلى الحقيقة المحمدية - أو الروح المحمدى وهو منبع كل باطنى - والذى خلق الله منه كل شيء فى الوجود وهو صورة الإنسان الكامل فى كل زمان .. حيث يظهر بصورة الآدميين .. وغير ذلك من النظريات الفلسفية الصوفية المتطرفة .

ثالثا : رغم أن الصوفية لا يؤمنون بنظريات الشيعة أو الباطنية خاصة فى الإمامة - غير أن معظم آرائهم فى التأويل الباطنى فى الكلمة أو الإنسان الكامل أو القطب فيها مؤثرات إسماعيلية(١).

ثانيا : التأويل فى العبادات وأمور الحياة الآخرة :-

يقوم أساس المذهب الإسماعيلى فى العبادات على اعتقادهم السائد أنه لا ظاهر إلا وله باطن ، ولا صورة إلا ولها معنى كامل ، ولا قشر إلا وله لب ، ولا مدينة إلا ولها باب ولا نور إلا وله حجاب ولا شريعة إلا ولها طريقة ، ولا طريقة إلا ولها حقيقة ولا حقيقة إلا ولها تنزيل ، ولا تنزيل إلا وله تأويل خاص بالعلماء الراسخين ، ولا راسخ فى العلم إلا التأويليين(٢) .

---

(١) لمزيد من الإيضاح فى ذلك يرجع إلى : دكتور أبو العلا عفيفى نظريات الإسلاميين فى الكلمة ص٧٠،ص٧١. .
- كذلك دكتور : الشيبى - الصلة بين التصوف والتشيع ،ص٢٢٦،ص٢٢٧ .
- كذلك أحمد أمين ، ضحى الإسلام ،حـ٣،ص٢٤٥،ص٢٤٦.
- كذلك هانرهنزى شيدر ، نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين ،ص٤٦.

(٢) الداعى الإسماعيلى شمس الدين احمد بن يعقوب الطيبى ، رسالته ، الدستور ودعوة المؤمنين إلى الحضور (ضمن أربع رسائل) ص٩٢.

وعلى هذا المنهج الثنائى تأسس علم الفقه الإسماعيلى لذلك يجد الباحث فى التراث الفقهى الإسماعيلى أن أرباب المذهب قسموا أركان الشريعة إلى أمور ظاهرية خاصة بظواهر العبادات وهى العبادات العلمية ، وأمور باطنية خاصة بما وراء العبادات من تعاليم خفية وهى عبادات علمية وعلى هذا فإن هذه الظواهر رموز وإشارات إلى حقائق باطنية يمكن تاويلها عن طريق الدعاة وفلاسفة المذهب وتقتصر معرفتها عليهم فقط ، وإذا تناولنا كتاب دعائم الإسلام للقاضى والفقيه الإسماعيلى النعمان بن حيون نجده يشرح أمور العقيدة وأركان الشريعة على الظاهر فقط ، بينما يتبع الأزدواجيه فى ذكر المدلول الباطنى التعليمى للعبادات فى كتابه " تأويل الدعائم " كما سنرى الآن . ومع تظاهر الإسماعيلية الفاطمية بأتباع المنهج الإسلامى فى العبادات وأمور الشريعة بما يوافق مذاهب جمهور المسلمين ، غير أنهم ينقضون ذلك الاتفاق عندما يؤولون أركان الشريعة طبقا لمذهبهم الباطنى – وفى هذا تطرق خطير وإسراف بالغ لا يجب التهاون أو الإقلال فى شأنه بل يجب كشفه ونقده وإظهار ما فيه من ضلال وفساد . ونحاول هنا أن نتناول مذهبهم فى تأويل العبادات وبعد ذلك أمور الآخرة.

١- التأويل الباطنى والرمزى فى العبادات :-

يؤمن الإسماعيلية " بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وان الجنة حق والنار حق والبعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها والتصديق بأنبياء الله تعالى ورسله حق وكذلك الأئمة " (غير انهم يزيدون على ذلك بضرورة معرفة إمام الزمان والتصديق به، والتسليم لأمره) والعمل بما أفترض الله تعالى على عبادة والعمل به والانتهاء عما نهى عنه (ويقولون بطاعة الإمام والقبول منه)[1].

(١) القاضى الجل : أبى حنيفة النعمان بن محمد بن حيون .. دعائم الإسلام حـ١ ،ص٣.

وعلى ذلك فإن الشيعة الباطنية ينادون بضرورة الأخذ عن الإمام المعصوم - وبذلك يبطلون الاجتهاد بالرأى أو القياس فى أمور الشرائع والعبادات - وقد خالفوا بذلك جمهور المسلمين - يضاف إلى ذلك انهم يأخذون رواياتهم عن أئمة آل البيت فقط - وهذا فى كتبهم الفقهية والفلسفية الباطنية[1] .

ويمكن أن نعطى نماذج لهذا الاتجاه أو المنهج الباطنى فى تأويل الشرائع والعبادات .

مثال (١) : أبطالهم للرأى والقياس وأخذهم بمبدأ التعليم عن الإمام المعصوم : يقول الداعى الإسماعيلى " يعتقد أن البحث والنظر فى علوم الدين عن طريق الاستفادة ممن نصبه الله تعالى لذلك واجب . فالبحث والنظر بغير معلم ينصبه الله ورسوله - ضلال لأنه راجع إلى الاجتهاد - وأصل الدين والشرائع محمول على التعليم ، والعصمة ومنع الزيادة فى الدين وما ليس منه إذ أن الشرع تلقين محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين ، ولم يكن فيه اجتهاد ولا رأى وهو المعصوم[2] .

ويؤكد فقيه الدعوة الإسماعيلية على ذلك بقوله " أن الذى يجب قبوله وتعلمه ونقله من العلم ما جاء عن الأئمة من آل محمد ، لا ما يؤخذ عن المنسوبين إلى العلم من العامة المحدثين .. الذين قالوا فى دين الله عز وجل بآرائهم وحملوه على قياسهم .

ويعطى أمثلة كثيرة فى أبطال القياس - وضرورة الأخذ عن الأئمة المعصومين[3]وطبقا لهذا المنهج التعليمى يؤولون بعض النصوص القرآنية والأحاديث عن أئمتهم منها : يذكر صاحب المجالس المستنصرية فى تأويل قوله تعالى " أتجعل

---

(١) يرجع فى ذلك ، إلى المصدر السابق ، كذلك ، كتاب تأويل الدعائم للقاضى النعمان بن حيون .. الخ
(٢) الداعى الإسماعيلى اليمنى المطلق - على بن محمد الوليد ، تاج العقائد ومعدن الفوائد ، ص١٠٥، ص١٠٦.
(٣) النعمان بن محمد بن حيون ، دعائم الإسلام ، حـ١ ،ص٨٤،ص٩٠،ص٩١.

فيها من يفسد فيها" إلى قوله تعالى "أنى اعلم ما لا تعلمون" سورة البقرة آية (٣٠) تأويل ذلك .. انه سبحانه علم من يجب اختياره ما لا يعلمون .. كذلك وصف من اختاره من صفوته وخصه بعد آدم بخلافته من أئمة الدين فقال تعالى "ولقد أخذناهم على علم على العالمين" سورة الدخان آية (٣٢) وفى هذه الآيات دلالة على بطلان قول من يرى فى دين الله القياس والاستنباط[١] .

وجاء فى الخبر عن الإمام على بن أبى طالب إقراره بتعليمه من الرسول وقرب درجته منه بقوله "والله لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا" تأويل ذلك: انه حصل على كشف الأشياء[٢].

ويروى علماء الإسماعيلية فيما جرى بين أئمتهم وبين فقهاء السنة من مناظرات حول مسألة القياس والاجتهاد - بما رفضهم لهذا المبدأ - وأخذهم بالتعليم .. ما ذكره المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الشيرازى (ت ٤٧٠هـ) يقوله " قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يوما لأبى حنيفة : يانعمان ما الذى نعتمد عليه فيما لم نجد فيه نصا من كتاب الله ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقال النعمان : أقيسه برأيى قال الصادق أن أول من قاس ابليس حين رأى عنصر النار أشرف من عنصر الطين ، فخلده الله تعالى فى العذاب[٣] وهكذا فى كثير من المجالات والتغليطات التى لا فائدة من ورائها ، إلا الاختلاف بين المسلمين ، مما لا داعى للأستطراد فى ذكره ، وهؤلاء الشيعة عموما غافلين عن حقيقة هامة هى أن الله سبحانه وتعالى لن يغلق أمام المسلمين باب الاجتهاد ونبه على ذلك فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم - بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لمعاذ بن جبل

(١) الداعى الإسماعيلى ، ثقة الإمام علم الإسلام ، المجالس المستنصريه ، ص١٠٦ .
(٢) الداعى الإسماعيلى على بن محمد الوليد ، تاج العقائد ، ص٤٧ .
(٣) الداعى ، المؤيد فى الدين ، سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، ص٢٤،ص٢٥.

بالتوفيق عندما ما أرسله إلى اليمن مجتهدا برأيه إذا لم يجد ما يعتمد عليه فى النصوص .

وعلى ذلك فإن القاعدة الفقهية الشرعية عن الباطنية الأولى تؤكد على ضرورة معرفة الإمام والآخذ المباشر عنه " لأن من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية[١] لذلك ليس لأحد أن يعلم أحدا شيئا من الدين ورسوم العبادة والإيمان واليقين بغير أمر من القائم مقام النبى عليه السلام الذى هو "الإمام"[٢] وبذلك أطلق عليهم التعليمية : لأن مذهبهم أبطال النظر والاستدلال- والدعوة إلى الإمام المعصوم[٣].

مثال (٢) : التأويل الباطنى فى أركان العبادات أو الإسلام : -

لا شك أن هذا الذى يطلع على الكتب الفقهية للإسماعيلية يجد أنهم يعتقدون فى أركان الإسلام فى العبادات والشرائع مثل جمهور المسلمين غير أنهم يزيدون أصولا أخرى كما نعرف أهمها : ضرورة الولاية للأئمة من آل البيت - ذلك من خلال كتبهم الفقهية الظاهرية[٤] .

أما مؤلفاتهم الأخرى ومجالسهم فى الحكم التأويليه - فإنهم يتبعون فى ذلك منهج التأويل الباطنى الرمزى[٥] - ولا يصرحون بمثل هذه التأويلات الباطنية السرية إلا فى مجالسهم الخاصة فقط - خوفا من ثورة المسلمين عليهم فى البلاد التى ملكوها - فى المغرب أو مصر على سبيل المثال .. وقد نرى فى مثل هذه المؤلفات

(١) القاضى ، النعمان بن حيون ، دعائم الإسلام ،حـ١ ،ص٢٧.
(٢) الداعى الكرمانى ، راحة العقل ،ص١٨.
(٣) محمد بن الحسن الديملى ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، ص٢٤،ص٢٥.
(٤) يرجع فى ذلك فى إلى الفقه الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، كتابة ، دعائم الإسلام ، فى ثلاثة أجزاء .
(٥) يرجع كذلك إلى الفقيه الإسماعيلة ، النعمان بن حيون ، تأويل الدعائم فى ثلاثة أجزاء حيث يتبع فيه منهج الباطن إلى جانب الظاهر .

السرية الباطنية تأويلات عجيبة لأركان الشريعة افسلامية -طبقا لمذهبهم الخاص بهم - ولا نريد أن نتوسع فى ذلك لأنه يخالف ما عليه جمهور المسلمين وما تدعوا إليه العقيدة الإسلامية . ومن أمثلة هذه التأويلات الباطنية التى تخالف ما عليه جمهور المسلمين ما ذهبوا إليه فى تأويل أركان الدين فى العبادات والشرائع .

تأويل كلمة الشهادة - لا إله إلا الله : يقولون : أنها تتكون من سبعة حدود (إله - الله) - دليل على أئمة الدين - وهو سبعة مترددون فى العالم كأيام الجمعة إلى حين قيام القائم .

واثنى عشر حرفا (لا إله إلا الله) - دليل على الحجج الاثنى عشر . فمن أدى حقوق الشهادة بالقيام بالفرائض (الصلاة - الزكاة.. الخ) ولم يعرف حدودها (الأئمة) فهو مسلم غير مؤمن[1] .

وفى تأويل باطنى رمزى آخر لكلمة الشهادة يستخرجون نظريتهم فى المثل والمثول : يقولون (لا إله إلا الله - محمد رسول الله) : هذه الكلمة لا إله إلا الله - نفى واثبات - فمثل حد الإثبات فى الباطن مثل على الحد العلوى - ومثل الحد الذى هو النفى فى الباطن مثل على الحد السفلى (وإله - الله) يدلان على القلم واللوح وقد أقام الله تعالى بازاء هذين الحدين العلويين الروحانيين حدين سفليين هما : الناطق والصامت ، فالناطق بازاء العلم ، وهو صاحب الشريعة - وإذا الصامت بازاء اللوح وهو أساس الشريعة فى عهد الناطق وصاحب تأويلها[2] .

وفى موضع آخر يقول : لا إله إلا الله : سبعة واثنى عشر مجموعهم تسعة عشر وهم الذين عناهم الله عز وجل بقوله " عليها تسعة عشر " سورة المدثر آية

(١) نظرنا الداعى الإسماعيلى ، ثقة الإمام علم الإسلام ، المجالس المستنصرية ،ص٣٧،ص٣٨.
(٢) لمزيد يرجع إلى ، الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون ، أساس التأويل ، ص٣٨،ص٤١ .
- كذلك محمد بن الحسن الديملى ، بيان مذهب الباطنية ،ص٢٦،ص٤٢ .

(٣٠) ولقد جمعتهم الشهادة – ثم يقول بكلمـة الشـهادة (محمـد رسـول الله) وهـى ثلاثة كلمات مثل الحدود الروحانية العلويين الفرعيـين وهـم : اسـرافيل وميكـائيل وجبريل – تقابل الثلاثة حدود السـفيه الجسـمانيين بعـد النـاطق والأسـاس وهـم : الإمام – والحجة واللاحق[١] .

تأويل الصلاة : عن صلة الداعي إلى دار السلام بصلة الأبـوة فـى الأديـان إلى الإمام[٢] ويقول صاحب الرسالة المذهبة : أن عددها خمس صلوات : اولهما : الظهر دليل على محمد عليه السلام ثم العصر دليل على القائم المنتظر صـاحب التـأويل ثـم صلاة العشاء الأول وتسمى باسمين العشاء والمغرب – دليل على آدم أبو البشـر – ثـم صلاة الفجر ، أربع ركعات – ركعتين دليـل علـى الإمـام والحجـة فـى كـل عصـر ، وركعتين فرض : دليل على الحديـن العلويـين همـا السـابق والتـالى .. الخ[٣] ويـؤول الباطنية أركان الصلاة كلها على منهج الباطن الرمـزى – غسـل الوجـه هـو الإقـرار بالناطق ، غسل اليدين هو طاعة الوصى – المسح على الـرأس : هـو الإقـرار بالسـابق المسح على الرجلين – هو الإقرار بمعرفة الأصليين[٤] .

تأويل الزكاة : هو إيصال الحكمة إلى المستحق وإرشاد الطالب إلى منهج الحق[٥].

تأويل الصوم : هو كتمان العلم عـن أهـل الظـاهر وكذلـك كتمـان المذهـب أو الإمساك عن كشف حقائق النواميس الشرعية من غير أهلها فى دور الكشف[٦] الخ .

---

(١) المصدر السابق من ص٤٢ ،ص٤٧.
(٢) الداعـى الإسمـاعيلى شمـس الديـن بـن أحمـد الطيبـى ، الدسـتور ودعـوة المؤمنـين للحضـور ، ص٦٦ ،ص٦٨ ،ص٧٧.
(٣) الداعى الإسماعيلى ، النعمان بن حيون ، الرسالة المذهبة ،ص١١ ،ص٣٤.
(٤) المصدر السابق ، ص٨٢، للمزيد يرجع إلى تأويل الدعائم ، حـ١ ،صحـ٣ – كذلك محمد يـن الحسـين الديملى ، بيان مذهب الباطنية ص٤٣ ،ص٤٤ ،ص٤٦ -كذلك المجالس المستنصريه،ص٤٨ ،ص٤٩ ،ص٥٦.
(٥) نظرنا : الداعى الإسماعيلى ، شمس الدين .. الطيبى ، الدستور ودعوة المؤمنـين للحضـور ، ص٩٦ كذلك الديلمى بيان مذهب الباطنية ،ص٨ .
(٦) المصدر السابق ، ص٩٦ وما بعدها .

تأويل الحج : هو طلب العلم الذى تشد رحال العقل إليه أو هو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت الذى هو بيت العلم والحكمة .. وقيل : الكعبة: هى النبى عليه السلام الباب : على ، الصفا : النبى والمروه : على ، الميقات : الإمام التلبية إجابة الداعى إلى باطنهم .. الخ[1].

وهناك تأويلات باطنية رمزية فى هذا الصدد لا داعى للإطالة فيها – ويمكن الرجوع للمصادر المتعددة التى ذكرناها[2].

مثال (٣) التأويل الباطنى الرمزى فى الأمور الشرعية : هناك أمثلة كثيرة على ذلك ولكن تقتصر على بعضها حتى لا نطيل إذ أنها أنماط متشابهة وتهدف إلى فلسفة باطنية تدور حول نظريتهم فى الظاهر والباطن .

– الحلال تأويله الباطنى : هو ما يجب إظهاره وأعلانه .

– الحرام : سترة وكتمانه .

– الطاعة : الدخول فى عهد إمام الزمان .

– المعصية : الميل إلى أئمة الضلال والعدوان .

– الإفطار : إظهار المعانى الإلهية وإظهار السرائر المكنونة والعلوم المخزونة .

– الإحسان تأويله الباطنى : هو العلم بإحاطة الإمام وقدرته على ما بطن وظهر وتجلى واستتر .

– الظلم تأويله الباطنى : هو وضع الإمامة فى غير آل محمد عليه السلام .

– القتل بغير حق تأويله الباطنى : هو المجادلة له بغير بيان .

---

(١) الديملى ، بيان مذهب الباطنية ،ص٨.
(٢)يمكن الرجوع في طريقة المزج بين الظاهر والباطن فى التأويل للمسائل الفقهية والشرعية فى العبادات إلى كتاب القاضى النعمان بن حيون ، تأويل الدعائم فى ثلاثة أجزاء .

- المسكرات تأويله الباطنى : هو ما يصرف العقل عن التوجه إلى طلب معرفة الإمام ومشاهدة أتواره المحيطة
- النبوة تأويله الباطنى : هو مادة ترد عن (السابق) على قلب من وقعت به التالى عناية.
- الوحى تأويله الباطنى : هو ما قبلته نفس الرسول من العقل وقبله العقل من أمر باريه .
- الرسول تأويله الباطنى : هو الناطق الداعى إلى الأصيلين السابق والتالى والفروع الثلاثة والخمسة العلوية العاملة للكمال .
- الأديان تأويله الباطنى : هى موضوعات العقول الإلهية لأصلاح وتكميل أحوال الأجسام الأرضية وعلوم نفوس البشرية .
- الميتة تأويله الباطنى : هو الظاهر .
- الدم تأويله الباطنى : هو الشك – وحرام مفاتحة الشاك .
- لحم الخنزير تأويله الباطنى : المنافق الذى ليس لك أن تسمع منه ظاهرا أو باطنا .. وهكذا..[1].

وعلى كل حال فإن فلسفة التأويل الباطنى الرمزى فى العبادات والشرائع عند الباطنية تقوم على أساس فرائض الدين أمثال مضروبة – لمثولات خفية يجب معرفتها وهى أصولهم الاعتقادية – كما رأينا من خلال الأمثلة السابقة .

---

(١) رجعنا فى ذلك إلى : الداعى الإسماعيلى : شمس الدين بن أحمد الطيبى ، رسالة الدستور،ص٩٣،ص٩٦، الديلمى ، بيان مذهب الباطنية ،ص٨،ص١٠،ص٤٨، الداعى ، على بن محمد الوليد ، تاج العقائد ومعدن الفوائد ،ص٤٨، النعمان بن حيون ، تأويل الدعائم ،حـ١،حـ٣.

٢- التأويل الباطني في أمور الحياة الآخرة :-

نحن تعلم أن منهج الشيعة الإسماعيلية هـو المنـهج البـاطني - الـذى يقـوم على أساس أن لكل ظاهر باطن ، ولكـل تـنزيل تـأويل - ولكـل شـريعة حقيقـة هـى باطنها ،وعلى هذا المنهج كما رأينا فى عقائدهم تأولوا النصـوص القرآنيـة والقضايـا الدينيـة بدعـوى أن ظواهـر الشـرائع أمثـال لمثـولات باطنيـة ، أو أن الشـرع رمـوز وإشارات لحقائق لا يستطيع الوصول إليها إلا الخاصة والحكمـاء ، أو دعـاة المذهـب فقط .

وعلى ذلك فإنهم يتبعون هذا المنـهج فـى تأويلـهم لأمـور الحيـاة الآخـرة ، ويستخدمون فى ذلك خليطا من العناصر والثقافـات الفلسـفية الخارجيـة عـن أصـول الدين الإسلامى ومعتقدات الجمهور ، كما يتضح أيضا أن هدفـهم هـو إيجـاد فلسـفة باطنية طبقا لأصولهم الاعتقادية . ولما كانت أركان الشرائع ظواهر مادية لها حقـائق باطنية فـلا شـك أنـه يجـب فيمـا يعتقـدون تأويلـها .. طبقـا لمذهبـهم البـاطنى فـى (الإمامة) ، وعلى هذا نجدهم يذهبون في تأويل القيامة والآخـرة .. ويربطـون فـى تأويلهم بين الجوانب الطبيعيـة والجوانـب الشـرعية الميتافيزيقيـة الخاصـة بحيـاة العالم الآخر من حيث الثواب والعقاب . يضاف إلى ذلك انـهم يؤمنـون بشـىء مـن " عقيدة التناسخ" ويحاولون تغليفها بسياق دينى طبقا لأصولهم العقائدية فى الإمامة- ونظام الأدوار السبعة . حيث يظهر القائم - صاحب الزمان - علامة القيامة .

ولا نريد أن نستطرد فى ذلك بالتفصيل - هذه التأويلات الباطنية غريبة عن الإسلام - ومعظمها باطل ليس فيه فائدة . ولكن الغرض من ذلك هو الكشف عن مثل هذه المذاهب الباطنيـة وتحليلـها وبيـان بطلانـها لكـى يمكـن لنـا تنقيـة العقـائد الإسلامية من شوائبها .

ويذهب دعاة الإسماعيلية فى توضيح منهج التأويل فى امور الحياة الآخرة بقولهم " أن كل ما ورد ذكره فى القيامة من الصراط والميزان والحساب والجنة وأنهارها وأفتان ثمارها ، والنار وشرارها ، وما ورد فى المذاهب الظاهرة من أمثال ذلك الموجود . فى الدنيا ، فالموجود فى الدنيا هو ظاهره ، والمقصود به فى الآخرة هو باطنه الذى يقضى إليه الأمر وأنتم معشر المؤمنين مأمورون بتصديق الظاهر والباطن جميعا[1] .

ولما كان فقهاء الإسماعيلية يدعون تمسكهم بالظاهر إلى جانب الباطن فإنهم قد يلجئون فيما أرى إلى تأويل أنفسهم من الاتهام بأبطال الظواهر والمثال على ذلك ما ذهب إليه دعاتهم فى تأويل : الجنة : بأنها دعوة الحق يقول " أن بعض من قل فهمه كان إذ مر به ذكر (الجنة) قال : تأويلها دعوة الحق ، فأدى ذلك إلى أبطال الجنة - ونعوذ بالله من ذلك - وإنما دعوة الحق وما فيها من العلوم موجودة فى الدنيا فهى الظاهرة لوجودها ، وباطنها الجنة التى وعد الله بها وجعلها جزاء لطائعى أوليائه .. فدعوى الأئمة هى موجودة تؤدى إلى الجنة التى هى تأويلها وباطنها ، وكل نوع من علوم الدعوة يؤدى إلى التنعيم بجنس من ثمار الجنة[2] .

وهذا نوع من التأويل المذهبى الرمزى ويزداد ذلك إيضاحا عندما يؤل الصراط بولاية الأئمة الطاهرين . حيث أن اتباع الأئمة فى الدنيا هو الطريق إلى الصراط المستقيم المؤدى إلى النجاة فى الآخرة[3] ... وهكذا فى الأمور الأخرى .

ولكن ما هو التأويل الباطنى للقيامة عند فلاسفة الدعوة الإسماعيلية ؟ من هنا نبدأ فى الكشف عن المعانى الباطنية والعناصر الفلسفية فى التأويل الباطنى

---

(١) الداعى ثقة الإمام علم الإسلام ، المجالس المستنصرية ،ص٤٦.
(٢) المصدر السابق ، ص٤٦.
(٣) نفس المصدر ،ص٤٥.

للقيامة (اليوم الأخر) وما يتعلق بذلك من مسائل أخرى . يذكر الشهرستانى قولهم " وكما تحركت الأفلاك والطبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والأشخاص بتحريك النبى والوصى فى كل زمان دائرا على سبعة حتى تنتهى إلى الدور الأخير ، ويدخل زمان القيامة ، وترفع التكاليف ، وتضمحل السنن والشرائع وإنما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لبلغ النفس إلى حال كمالها ، وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحادها به . وذلك هو القيامة الكبرى فتنحل تراكيب الأفلاك والعناصر .. وتنشق السماء ...وتبدل الأرض غير الأرض وتطوى السماء ..وفيه يحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر .. وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلية،وجزئيات الباطل بالشيطان المضل[1] وهذا الذى يسميه الباطنية البعث[2].

ويتضح ذلك من خلال آراء الباطنية فى "النفس الناطقة " هو " أن الله تعالى بذر فى العقل كلية الأشياء ، والنفس الناطقة من جملة الأشياء المبذورة إبداعا .. ولا ينبغى عودتها إلى العدم .. بل تعود إلى مجاورة العقل الذى برزت منه ، فهو مخترعها وموجدها وإليه معادها . إذا تغذت الأغذية العلمية .. ويكون بعد أن تنص بها مواد الحدود السفلية الدينية .. النطقاء – والأسس – والأئمة .. الخ وعندما يتم انتقالها من الصورة الإنسانية إلى الملكية تتصل بها عند هذه الدرجة مواد (التالى) فإذا كملت بها (مواد السابق) . فإذا نالت مواده ارتقت إلى عالم الكلمة ومركزا الربوبية عندئذ ياتيها النداء بقوله تعالى " يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى"سورة الفجر(٢٧– ٣٠)[3].

وعلى ذلك فإن قيام القيامة يعنى " كمال الإخلاص والنجاة واتصال النفوس

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ،حـ١،ص١٩٤ ، تحقيق ، عبد العزيز محمد الوكيل ط الحلبى بدون تاريخ .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ،حـ٦،ص٨٧"مادة الباطنية " .
(٣) الداعى الإسماعيلى ، شهاب الدين أبى فراس ، مطالع النفوس معرفة النفوس ، ص٤٤ وما بعدها .

بعالم القدس ومحى الأنوار وانقضاء مدة الساعات الكبيرة ، واجماع السيارات بعد افتراقهم فى نقطة الاعتدال الأول بقيامة الكل وانقضاء البعثيين، وحصول العلم ، وخلع الهيولى لباس الصورة .. وتحقيق قوله تعالى "وإليه يرجع الأمر كله" سورة هود آية (١٢٣) .

ويكون هذا فى التأويل الباطنى بقيام الدور الأخير " بقيام النفس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان ، وقيام الدور ببروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية[١] .

وقد ذهب اخوان الصفاء الاسماعيلية فى هذا الصدد إلى تأويل المعاد " فيكون برجوع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية .. وقالوا أن القيامة نوعان : قيامة كبرى: بمفارقة النفس الكلية لعالم الافلاك – والقيامة الصغرى : بمقارنة النفس الجزئية لجسدها[٢] وهذا يعنى .. رجوع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية .. للحساب . إذ أن " الحشر فى لغتهم معناه " حشر النفوس الجزئية إلى النفس الكلية "[٣] ومن الجدير بالذكر أيضا أن فلاسفة الدعوة الإسماعيلية وأخوان الصفاء عندما يتصدون لتأويل الألفاظ أو العبارات التى تتعلق بالبعث والحشر والثواب والعقاب . وما إلى ذلك فانهم يؤولونها تأويلا يتفق مع نظرياتهم الباطنية السبعية . وهذا يعنى انهم يرجعون معنى القيامة إلى أمور لا تخرج عن نطاق الطبيعة – والمبادئ الإبداعية ..

وإذا تعين علينا بعض التأويلات الباطنية فى أمور الآخرة فنعطى هنا أمثلة لذلك طبقا للمنهج الذى نبهنا عليه عند الأسماعيلية وعلى سبيل المثال يقولون فى

---

(١) الداعى الإسماعيلى ، شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبى ، الدستور ودعوة المؤمنين إلى الحضور ، ص٩٣،ص٩٤.

(٢) نظرنا حنا فاخورى ، تاريخ الفلسفة العربية ، حـ١،ص٢٥٦،ص٢٥٧.

(٣) المصدر السابق ،ص٢٥٧،أخوان الصفاء ، الرسالة الجامعة، حـ١،ص٢١١.

تأويل هذه الأمور ما يأتى :-

- القبر : هو الصورة الجسمانية والهياكل الجرمانية .
- عذاب القبر : هو تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطباع على سبيل التعبير .
- إتيان منكر ونكير : هو إستيلاء الشهوانية والغضبيه الداعيتين إلى الهلاك .
- الحشر : هو انحطاط النفوس فى سلف انقيادها إلى ما فيه ذاتها وحقيقة يوم تدعو كل أناس بإمامهم .
- الحساب : هو أن توقف النفس الكلية العالية النفوس الجزئية على ما صدر منها من الأقوال والأعمال .. الخ .
- الميزان : هو الالات التى يستعملها العقل الدارك .
- الوزان : جوهر العقل الدارك المحيط مميز المركب من البسيط .
- الصراط : هو البرزخ معيد النفس إلى العالم الاعلى .
- الجنة : هى عالم الأرواح .. درجاتها مراتب العلوم ومقادير الفهوم فى كل مقام اللذات والنعمات هى جولان النفوس فى صفاء معارجها .. الأرائك والظل والنمارق والحلل - هى مظاهر النفوس فى الصور المتفاضلة وخلعها للصور المخالفة وتبسها بالأشخاص المشاكلة والتراب - آلات المدارك ، وعلوم الملكوت، الساقى : هو إمام الدور الدائر الكاس ، ما الفه الناطق من الظواهر ، التراب : المظهور من تأويل التنزيل وكشف المستور .

-النار : هى العوالم السبعة المتولدة من الأركان أولها لظى وهى كره الأثير ثم الجحيم مركزا الهواء . ثم السعير مقر الماء - ثم الهاوية - الخ وهذه هى عالم الأجسام تحت فلك القمر كما يرى أخوان الصفاء .. وهذا إلى آخر ما هنالك من تأويلات باطنية[١] يظهر من خلالها تأويل النصوص الدينية والقضايا على غير ومرادها الحقيقى كما وصفها الشرع وعلماء أهل السنة .

ومن الجدير بالذكر أيضا أن فلاسفة الدعوة الباطنية يربطون بين المبادئ الإبداعية (النفس الكلية - التالى) وبين نظريتهم فى الإمامة الباطنية- ظهور القائم - صاحب الزمان الذى بيده الثواب والعقاب يقول دعاتهم " أعلم أيدك الله أن متوفى الأول هو ملك الموت وهو (التالى) لأن الأول عنده محبوسة إلى ظهور القائم فإذا ظهر القائم على ذكره السلام أثاب المثاب وعاقب المعاقب وهذا هو العذاب الأكبر .. وذلك قوله تعالى " خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء الله ربك إن ربك فعال لما يريد" سورة هو أية (١٠٧)[٢] وفى هذا الصدد يذكر الكرمانى " تأويل قوله تعالى " يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا" سورة النبأ آية (١٨) أشارة إلى صاحب الدور السابع الذى يحصل فى الوجود آخر دور حين يبعث فى عالم الطبيعة أولا كما يبعث أصحاب الأدوار فيطيعونه أمة بعد امة .. الخ . ويذكر أيضا "فالبعث يتم لصاحب الدور السابع" ويربط بين العقول الإبداعية - وظهور صاحب

---

(١) نظرنا : الداعى الاسماعيلى ، شمس الدين .. الطيبى ، رسالته الدستور ، ص٩٣،ص٩٥، أخوان الصفاء ، الرسائل حـ١ ،حـ٢ فى مواضع مختلفة يرجع كذلك حنا فاخورى ، تاريخ الفلسفة العربية ،حـ١ ،ص٢١١ ،ص٢٥٥، .
- للمزيد يرجع : الداعى الاسماعيلى ، شهاب الدين ابى فراس ، كتبه الإيضاح،ص١٢١،ص١٤٣.
(٢) النعمان بن حيون ، الرسالة المذهبة ، ص٨٠.

الدور السابع بقوله " وأما ما يكون وجوده فلا الآخرة فهو من جهة العقول الإبداعية والانبعاثية بما يسرى من روح القدس فى الأنفس الحاصلة بحصانة التعليم بظهور النفس الزكية صاحب الدور السابع فى العالم الطبيعى[١] .

وعلى ضوء الأمثلة السابقة هل يمكن أن نقول أن الباطنية أنكروا القيامة والبعث والنشور والجنة والنار على ما ورد به القرآن وما عرف من دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة فإذا كان ذلك كذلك من حيث تأويلهم للقيامة وحمل أمور الآخرة على مدلولاتهم الباطنية بما يخالف شرائع الإسلام السنى الحنيف وما عليه جمهور .. فإننا نلاحظ لديهم بعض النزعات والاستعدادات للقول بعقيدة التناسخ.

قد اعتقدت بعض الإسماعيلية الباطنية " أن الجنة رمزا إلى حالة النفس التى حصلت العلم الكامل .. ويرمز للجحيم بالجهل – وانه لم يحكم على نفس قط بالجحيم الأبدى لكن النفس تعود ثانية إلى الأرض بالتناسخ إلى أن تعرف الإمام الموجود فى العصر الذى عاد ت فيه إلى الأرض ، وتأخذ عنه المعارف الدينية[٢] كذلك قولهم : أن الإنسان بعد الموت يتحول جسمه إلى ما يجانسه من تراب أما نفسه وروحه فتصعد إلى الملاء الأعلى ، فإذا كان مؤمنا بالإمام فى حياته فإن نفسه تحشر مع الصالحين وقد تصبح ملكا مدبرا ، وهذه هى (الجنة) ، وأن كان شريرا للأمام أو منكرا له حشرت روحه مع الأبالسة والشياطين أعداء الإمام وهذه هى(النار) .. وهكذا نجدهم يؤولون الثواب والعقاب والجنة والنار[٣] .

---

(١) الكرمانى ، راحة العقل ، ص٣٦٧،ص٣٦٨،ص٣٧٤.
(٢) دائرة المعرف الإسلامية ،حـ٣(مادة الإسماعيلية) ص٣٨٣.
(٣) نظرنا : دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ص١٩٤، كذلك الداعى الإسماعيلية ، شهاب الدين أبى فراس ، كتابة الإيضاح ، ص٤٢،ص٤٣،ص٢٨،ص٣١.

ويقول شاعر الإسماعيلية فى ذلك بالتجدد باستمرار رغم انهم ينفون عن أنفسهم القول بالتناسخ – أو شبهة الوقوع فيه[١]

وما عدمت تلك النفوس وإنما -٠٠- تغيب وتبدو تارة بعد تارة

ولا شك أن هناك تأثيرات خارجية فى عقائد الباطنية الإسماعيلية تظهر من خلال تأويلهم لأمور الآخرة .. وهى أغلبها عن طريق الفلسفة اليونانية المحدثة . الفيثاغورية والعقائد التناسخية أيضا . كذلك نجد علاقة غير مباشرة بين التأويل الفلسفى الرمزى عند الفلاسفة الإسلام كأبن سيناء مثلا وبين التأويل الباطنى فى أمور الآخرة من حيث .. إنكارهم لظواهر النصوص ومحاولة تأويلها طبقا لمذاهبهم ونظرياتها الفلسفية أو الباطنية ، فكما ذهبت الباطنية إلى القول بان ظواهر النصوص القرآنية الواردة فى ذكر ووصف أمور الآخرة رموز وإشارات وأمثال مضروبة لتقريب الإفهام للعامة – وان لها حقائق وممثولات باطنية روحانية طبقا لنظرياتهم فى الإمامة الباطنية– كذلك ذهب فلاسفة الإسلام – منهم ابن سينا إلى تأويل النصوص القرآنية الواردة فى وصف أمور الآخرة غير أنه البقاء فى العناية الإلهية الأولى مع عدم النزاع إلى ما لا سبيل إليه من الأشياء العملية والعلمية .. الخ ويؤول الصراط : بأن العقل يحتاج فى تصور أكثر الكليات إلى استقراء الجزئيات فإنه يحتاج إلى الحس الظاهر . فنعلم أنه يأخذ من الحس الظاهر إلى الخيال إلى الوهم وهذا هو من الجحيم طريق وصراط دقيق صعب حتى يبلغ إلى ذاته العقل.. الخ كذلك يؤول: عالم العقل: بالجنة ،عالم الخيال الوهمى: بالغضب ، عالم الحس: القبور[٢].

وهكذا نجد أن فلاسفة الباطنية حاولوا تأويل النصوص الدينية والشرعية طبقا لنظرياتهم الباطنية – من اجل إيجاد فلسفة باطنية خاصة بهم.

---

(١) عامر البصرى ، قصيدته (التائبة) ،ضمن أربع رسائل ، ص١١٨ .
(٢) ابن سينا ، تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ، ، ص١٢٩،ص١٣٠،ص١٣١ .
– للمزيد : دكتور جلال شرف ، الله والعالم والإنسان من ص٢٠٧،ص٢٤٨ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٥م.

البـــاب الثالـــث

التشيع المعتدل

وموقف علماء السنة والعصر الحديث من الشيعة الباطنية

الفصـل الأول : التشيع المعتدل .

الفصل الثانى : موقف علماء السنة والعصر الحديث من الشيعة الباطنية

الفصل الأول

التشيع المعتدل

أولاً : بعض الأئمة من آل البيت الشريف :

بحثنا فى الفصول السابقة مذهب التأويل عند فرق وطوائف الشيعة الباطنية ، وقد وضحنا كيف كان لمذهب التأويل الأثر الكبير فى تدعيم عقائدهم السياسية والدينية وبصفة خاصة فى نظرية الإمامة ، وقد اتضح من خلال التحليل النقدى والتتبع التاريخى لتطور هذه المذاهب والطوائف الباطنية والغالية أنها أحدثت انقساماً خطيراً فى وحدة المسلمين من ناحيــة ، ومن ناحيـة أخرى أنها لا تمثل عقيدة جمهور المسلمين من الشيعة المعتدلة او من أهل السنة ، وذلك لما فى مذاهبهم من تخريجات خطيرة للنصوص القرآنية والأحاديث الموضوعة طبقاً لأهوائهم السياسية وتأويلات فاسدة تبتعد بمعانى النصوص عن حقائقها المراده منها إن مثل هذه التأويلات المقصود بها تحميل النصوص معان ومدلولات رمزية أو باطنية غير صحيحة دون سند سليم من الرواية أو الدراية أو حتى القرائن اللغوية السليمة إنا نعتبرها تأويلات ممجوجة لا تستقيم مع حقيقة النصوص وبلاغة القرآن وإعجازه كوحى إلهى ورساله سماوية لها قدسيتها وأصولها .

ولكن لا يجب أن نغض النظر عن مذهب التشيع المعتدل الذى يقترب فى أصوله العقائدية والسياسية والفكرية من مذهب الجمهور .. هؤلاء المعتدلين قد استطاعوا التحرر من الأرث الغالى ونفوا عن التشيع التجسيم وعن الإمامة الغلو وعن القرآن الاتهام بالنقص[1] وعلى ذلك فأننى أود أن أعطى فكرة واضحة وموجزة عن هذا الاتجاه المعتدل فى مذهب الشيعة لكى تدلل على أن الإسلام فى صدره الأول يعتبر وحدة واحدة وكيان واحد حيث يوجد الاتفاق حول أصول عقائدية واحدة ،

---

(١) دكتور : كامل الشيبى ، الفكر الشيعى ، ص ٥٨ .

أما الاختلاف الفكرى والنظرى فإن مرجعه إلى الاجتهاد واختلاف وجهات النظر فى مسائل فرعية يمكن التوفيق بينها ما دام ذلك فى صالح المسلمين ، بل يجب أن تكون دعوى الوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية هى قضية المسلمين فى العصر الحديث .

وأدعو الله تعالى أن يوفق قادة المسلمين وعلمائه إلى نبذ الفرقة والاختلاف وأن يحررهم من ربقة الماضى وان يجمع كلمتهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح وأهل التقوى والورع وأئمة أهل البيت الشريف وأن .. يفطنوا إلى دعاوى الضلال والفتنة والفساد والتخريب الداخلى لأركان العقيدة الإسلامية من جانب الخارجين والمدعين والغلاة من الشيعة وغيرهم .

ومن هذا المنطلق فأننى سوف أركز على ثلاثة من أئمة آل البيت العظام الذين عاصروا تيارات الغلو الشيعى ، وكانت لهم مواقف مضادة وعنيفة تجاه هؤلاء الغلاة ومدعى التشيع كذلك لما كان لسيرتهم ومنهجهم من هدى وتقوى وورع ودعوى إلى التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكى تبطل دعاوى الغلاة المضلين فى حقهم .

١- الإمام على زين العابدين : ت (عام ٩٤ أو ٩٥ هـ) :

الأمام على زين العابدين بن الأمام الحسين بن على رضى الله عنهم يمثل الإمامة الروحية والعلوم وجوهرها عند الشيعة والصوفية ، وقد ضرب مثلاً رائعاً فى التقوى والعبادة حتى لقب " بالسجاد " وقد شاهد وعاصر ما تعرض له آل البيت الشريف من قتال- غير أنه اعتزل السياسة وانقطع للعبادة ، وقد قطع على الغلاة الطريق فى نسب أفكار أو عقائد غالية أو تأويلات متطرفة فى حقه وقد أورد بن سعد هجومه الشديد على للغلاة وأصحاب التأويلات المتطرفة فى حق آل البيت بقوله رواية عنه " أنه قال لأهل العراق ما أكذبكم وما أجراكم على الله . نحن من صالحى

قومنا وبحسبنا أن نكون من صالحي قومنا ، وأعلموا - أن القرشي عليه ما على الناس ، وأنه لا فضل لقرشي على أعجمي إلا بالتقوى وقال لمن قال له : أنت تفعل هذا بنفسك وأبوك الحسين وأمك فاطمة وجدك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال هيهات ، هيهات دع عنك حديث أبي وأمي وجدي ، خلق الله تعالى الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ، ولو كان شريفا قرشيا فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون " (١). ويذكره شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية بقوله " أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علما ودينا ، أخذ عن أبيه وعن أبن عباس وأبي رافع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة وسعيد بن المسيب ، وكذلك تلميذا للتابعي الكبير سعيد بن جبير ويذكر أن يحي بن سعيد قال " هو أفضل هاشمي رأيته " وقال سمعت عليا بن الحسين يقول " يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح حبكم حتى صار علينا عارا وحتى بغضتمونا إلى الناس " (٢)

وحيث أن عليا زين العابدين يمثل تيار أهل السنة العام " فلا عجب أن نراه يتولى أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوا لهم في الصحيفة السماوية المنسوبة إليه وأن نرى ابنة الإمام زيدا يتابع أبيه ويختلف مع غلاة الشيعة في الكوفة فيما بعد حين يتولى الشيخين " (٣).

ويذهب الشيخ محمد أبو زهرة إلى مثل هذا الرأي مستخلصا أياه من الرواية التي ذكرها ابن كثير " البداية والنهاية " - وخلاصتها أن عليا بن الحسين جلس إلى قوم من أهل العراق فنالوا من أبي بكر وعمر فسألهم : أأنتم من المهاجرين الأولين

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ٥ ، ص ٦٠ " ترجمة زين العابدين " .
(٢) ابن تيمية ، منهاج السنة ، جـ٢ ، ص ١٢٣ ، كذلك محمد أبو زهرة ، الأمام زيد " حياته وآراءه وفقهه " ، ص ٢٦ ، ط دار الفكر العربي بدون تاريخ .
(٣) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، جـ٢ ، ص ١٢٦ .

الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله " قالوا : لا فقال لهم : فأنتم من الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، فأجابوا بالنفى للمرة الثانية.. فقال لهم " أم أنتم قد أقررتم على أنفسكم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله فيهم " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قولبنا غلا للذين أمنوا " سورة الحشر / ١٠ فقوموا عنى لا بارك الله فيكم ولخرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالإسلام ولستم من أهله " (١)

ومن الجدير بالذكر أن الفرق تنازعت فيما بينها . وضمته أهل السنة والجماعة إلى صفوفهم وأعتبرته الشيعة الأثنى عشرية أحد أئمتهم الذين انتقلت إليهم الإمامة الروحية بعد أبيه الحسين – غير أن الشيعة تمشياً مع نزعة الغلو والتطرف قد أحاطوه كذلك بالأساطير والآراء الغالية – وأضافوا إليه العلم بالغيبيات، وقد رجح إمامته – دون عمة محمد بن الحنفية إلى نتيجة التحكيم عند الحجر الأسود حيث نطق الحجر"أنه الإمام الحق "..فأصبح هو الإمام بعد أبيه الحسين(٢).

وعلى الرغم من تلك التيارات الغالية إلا أن الإمام على زين العابدين لم يكن يستسلم لها بل كان يقف فى وجهها بشدة ويتبرأ من معتنقها كلما تناهى إلى سمعة بعضها .

وباختصار فإن الإمام على زين العابدين كما كان يمثل أهل السنة كذلك فأنه كان يمثل أهل الزهد والتقوى والورع دون مغالاة أو تطرف وأن كان بعض الصوفية سينتسبون بطريقتهم إليه غير أن المصادر تذكر قوله " من عف عن محارم الله كان عابداً ، ومن رضى بقسم الله كان غنيا ، ومن أحسن مجاورة من جاوره كان مسلماً ،

---

(١) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص ٢٣٤ ، ص ٢٣٥ .
(٢) للمزيد يرجع إلى المصدر السابق ، ص ٢٣٢ ، ص ٢٣٣ .

ومن صاحب الدنيا بما يجب أن يصاحبوه كان عدلاً ، بئس القوم اختلوا الدنيا بالدين، وبئس القوم قوم عملوا بأعمال يطلبون الدنيا .. الخ كذلك وضع فكرة " المحاسبة " فقال " ابن آدم لن تزال بخيرها ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همتك ، وما كان لك الخوف شعاراً والحزن دثاراً [١]، ونذكر المصادر أنه دعا إلى التقية " وانه اتقى مسلم بن عقبة يوم الحرة كما اتقى الحجاج [٢] وقد كانت دعوته إلى التقية من السلطان الجائر هو الحفاظ على دماء الشيعة وآل البيت ومن يقى منهم .

والخلاصة أن الإمام عليا زين العابدين كإمام من أئمة الشيعة أثنى عشرية أو إسماعيلية تمثل سيرته سيرة المعتدلين الذين لم ينالهم الغلو ولم يكن من طلاب الدنيا والسلطان بل سار سيرة آبائه وجده الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ترك أولاداً كثيرين غير أن ما يهمنا هنا هو – بحث سيرة أبنه الإمام محمد الباقر – وكذلك الإمام زيد نظراً لموقفهما الواضح والدقيق فى الرد على الغلاة والهجوم الشديد على تيارات الغنوص الباطنى والتأويلات الفاسدة فى الدين وفى آل البيت .

٢- الإمام محمد الباقر (٥٧-١١٩هـ) :

هذا هو الإمام محمد بن على زين العابدين – الملقب بالباقر رمزاً للعلم الذى تفرغ له فى عزلته بالمدينة ، وقد عاصر أهم الحركات العقلية التى أسست التفكير الإسلامى ، كما عاصر أهم الحركات السياسية التى سادت فى العالم الإسلامى – لكنه أعتزل هذه الحركات السياسية وأنصرف إلى العلم والزهد وفيما يذكر أنه أرسى قواعد عقيدة الإمام ووضعها فى أسلوبها المنهجى وأعتنى بالحديث وروايته وروى عن العظماء والثقاه من محدثى المدينة كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير – وقد

(١) دكتور – النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ٣ ، ص ١٢٨ .
(٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، جـ٣ ، ص ٤٨ .

تخرج على يديه جيلاً من تقاة المحدثين أمثال زرارة بـن أعـين ، وجـابر بـن يزيـد الجعفى وغيرهما .. وتذكر الأخبار أن أبا حنيفة كان يـروى عنـه – وقـد عـاصر أبـا هاشم بن محمد بن الحنيفة وما أحاطه مـن حركـات الغلـو فـى الكوفـة وفـى المدينـة نفسها ، لكنه حاول أن يوقف تيار الغلـو فتـبرأ مـن " حمـزة بـن عمـار الـبربرى " ولعنه فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كذلـك تـبرأ مـن غـلاة ومدعـى التشـيع كبيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد (١).

ومن الجدير بالذكر أن الإمام محمد البار قد أحاط به الغلاة مـن كـل جـانب شانه فى ذلك شأن أئمة آل البيت وبصفة خاصـة فـى وضـع أدق نظريـات التشـيع أى نظرية – الإمام الصامت والإمام الناطق – ويعلق الدكتور النشار على ذلك " بأنه إذا صح حقا أنه دعا إلى هذه النظرية فقد دعا إلى نظرية أو وضع أساسـاً لنظريـة مـن أدق النظريات الغنوصية والتى استخدمت لـدى الإسماعيليـة والغـلاة فيمـا بعـد (٢) لكـن يبدوا أن الغلاة انتهزوا فرصة أحاطته بالعلوم – علوم الفقه والحديث – وكثرة عـدد من يقصدونه من العلماء والمستفسرين عما أستشكل عليهم نم أمـور ليدرسـوا مـا شـاء لهم الدرس – إذ يذكر علماء المذاهب (أن مجلسه العلمى كان يضـم العلمـاء مـن كـل حدب وصوب ومع اختلاف المذاهب والأهواء فمن زواره علماء يتشيعون لآل البيت ، وآخرين من أهل السنة ومنهم الإمـام أبـو حنيفـة وبعـض الغـلاة الذيـن أفرطـوا فـى تشيعهم فكان يبين لهم الحق فان اهتدوا أخذ بيدهم إلى الحـق الكـامل وأن اسـتمروا على غيهم صدهم وأخرجهم من مجلسه (٣).

وقد نسبت إلى الإمام الباقـر الكثـير من الأحاديث – التى كان يؤولها

---

(١) رجعنا فى ذلك إلى (١) دكتور النشار ، نشأة الفكر ، جـ٢ ، ص ١٣٤ . اليعقوبى تاريخ اليعقوبى ، جـ٣ ، ص ٦١ . دكتور كامل الشيبى جـ٥ ، ص ٣٩٥ . التشيع ص ١٦ ابن سعد ، الطبقات الكبير ، جـ٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص ٢٣٧ .

غلاة التشيع والباطنية على مذهبهم وتدعيما لنظرياتهم فى الإمامة والتشيع لآل البيت ذكرها علماء الاثنى عشرية ومحدثيهم (منهم الكلينى فى كتابة أصول الكافى) غير أن الباحثين فى التراث الإسلامى والشيعى بصفة خاصة لم يسلموا بمثل هذه الأقوال المنسوبة والأحاديث المدسوسة فتناولوها بالنقد والتقيد العلمى – ومن هذه الأحاديث المنسوبة خطأ إلى الإمام الباقر فيما يذكر رواه محدثى الشيعة أن الإمام الباقر سئل عن الحاجة إلى الإمام فقال " ليرفع العذاب عن أهل الأرض " كذلك يروى عنه قوله لا تبعد الأرض يوما واحد بغير حجة الله على الناس منذ خلق آدم وأسكنه الأرض " وسئل أيضاً أفكانت طاعة " على " واجبة على الناس فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ؟ فقال نعم ولكنه صمت فلم يتكلم فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم [1].

ولكن مكانه الإمام محمد الباقر وغيره من أئمة آل البين النبوى الشريف تنفى عنه وعنهم التأثر بأى مؤثرات خارجية – أو الخروج عن منهج الكتاب والسنة وما أجمع عليه جمهور المسلمين منذ الصدر الأول للإسلام فلم يكونوا طلاب دنيا أو سلطة سياسية – وكان عمادهم إقامة الحق وأقرار العدل والتفرغ للعبادة والتقوى – إرضاء لله تعالى وإصلاحها لأمور الدين والمسلمين جميعاً وعلى ذلك فقد حفظت لهم مكانتهم العلمية والدينية عند علماء أهل السنة والسلف الصالح – وكذب أهل السنة كل ما نسب إليهم من أقوال أو رويات غالية – وأهم الدلائل على ذلك أن أئمة علماء المسلمين أخذوا عنهم الفقة والحديث لذلك يقرر الإمام بن تيمية أن الباقر كان من خيار أهل العلم والدين ولكنه لا يرى أنه أعلم أهل زمانة كما يسميه الحلى [2].

---

(١) رجعنا فى ذلك إلى الدكتور أحمد صبحى ، نظرية الإمامة (النظام النتائجى) كذلك الدكتور النشار نشأة الفكر جـ٢ ، ص ١٢٣ .

(٢) ابن تيمية ، منهاج السنة جـ٢ ، ص ١٢٣ .

يضاف إلى ذلك أن أهل السنة يعتبرونه ممثـلا لمنـهج أهـل السـنة وجمـهور المسلمين فيذكرون أنه سئل : هل من البيت من أشـرك بـالله تعـالى ؟ قـال لا . قيـل : وهل منكم أهل البيت من يعتقد بالرجعة ؟ فقال لا وسئل هل منكم أهـل البيـت مـن يبغض أبا بكر وعمر ؟ قال لا . بل نحبهما ونودهما وندعوا لهما ويروى عنــه قولـه أيضا من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر فقد جـهل السـنة . ويقـر قولـه تعـالى " أنمـا وليكم الله ورسوله " سورة المائدة / ٥٥ بقوله هم أصحاب محمد صلى الله عليــه وسـلم فقيل له هو على قال على من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (١).

ويذكر أنه يكره الكلام فى الديـن – فقـد تفتقـت بعـض المسـائل الكلاميـة . كمشكلة كلام الله تعالى مخلوق أم غـير مخلـوق – وكذلـك بعـض المسـائل المتشـابهة . وكان يقول " لا تجالسوا أصحاب الخصومات فانهم الذيـن يخوضـون فـى آيـات الله – والخصومة عنده تفسـد القلـب وتـورث النفـاق – " ويذكـر عنـه قولـه كـلام الله غـير مخلوق(٢) وهذا يعنى أن الإمام الباقر كره الإسراف فى التأويل أو حمل الألفـاظ علـى معان مجازية أو غير حقيقية وهكذا يتضح لنا أن الباقر يمثل تيار أهل السنة وأئمـة الشيعة المعتدلين .

٣- الإمام جعفر الصادق ت (١٤٨) هـ:

هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق – أكبر أئمة الشيعة الإماميـة ومنه تشعبت إلى فرقتين كبيرتين هما : الإمامية الاثنا عشرية – والإسماعيلية وقـد سار على منهج أهل السنة وجمهور المسلمين – وعنه أخذ كبار أئمة السنة والفقـهاء لذلك فإنه يمثل تيار الشيعة المعتدلة ولذلك نجد علمـاء السـنة ومؤرخيـهم يذكـرون فضائله وعلمه وتقواه وورعه وتبرأه مـن الغـلاة ومدعـى التشـيع وطعنـه فـى آرائـهم

---

(١) رجعنا فى ذلك إلى الشيخ محمد أبو زهرة – الإمام الصادق ، ص ٢٤ . كذلك ابـن سـعد ، الطبقـات الكبير جـ ٥ ، ص ٣٢٥ . دكتور النشار ، نشأة الفكر ، جـ٢ ، ص ١٣٦ وما بعدها

(٢) للمزيد ، دكتور النشار ، نشأة الفكر ، جـ٥ ، ص ١٤١ – ص ١٤٦ .

وتأويلاتهم الفاسدة التى تخرج عن نطاق الكتاب والسنة إذ يعتبره الشهرستانى " ذا علم غزير فى الدين وأدب كامل فى الحكمة – وزهد بالغ فى الدنيا – وورع تام من الشهوات – ويذكر سيرة حياته وموقفه من الطوائف الشيعية المنتمين إليه فيقول وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ثم دخل العراق وأقام بها مدة – ما تعرض للإمامة قط ولا نازع أحد فى الخلافة قط – ثم يبين عزوفه عن الخلافة بتعليل علمى دقيق ورائع – بقوله ومن غرق فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط ومن تعلىَّ إلى زروة الحقيقة لم يخف من حط – وقيل من انسى باله توحش عن الناس – ومن أستأنس بغير الله نهبه الوسواس [1].

أما موقف الإمام الصادق من تيارات الغلاة والمدعين للتشيع فيذكر الشهرستانى أنه قد تبرأ عما كان ينسب إليه بعض الغلاة – وبرئ منهم ولعنهم – ويرئ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبداء والتناسخ والحلول والتشبيه لكن الشيعة بعده أفترقوا وأنتحل كل واحد منهم مذهباً، وأراد أن يروه على أصحابه وربطه به ، والسيد برئ من ذلك أيضاً ومن الاعتزال والقدر أيضاً [2].

وهذا هو موقف جمهور أهل السنة من الإمام الصادق إذ أنه لم يكن خليفة ولم يطالب بها ولم ينازع – ولكن الشيعة رأوا طبقاً لمذهبهم أنه لم يخرج داعياً لنفسه لأنه عمل بمبدأ التقية – وينقلوا عنه قولا " التقية دينى ودين أبائى [3].

يتضح لنا أن أئمة الشيعة المعتدلين لا يقترفون ولا يخرجون عن نطاق منهج أهل السنة وجمهور المسلمين ولذلك يجب العمل على ضرورة التقارب بين المذاهب الإسلامية .

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، حـ١ ، ص ١٦٦ .
(٢) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٦٦ .
(٣) نظرنا ، الشيخ محمد أبو زهرة ، الإمام الصادق ، ص ٤٠ .

ثانياً : الشيعة الزيدية :

تنتسب الشيعة الزيدية إلى الإمام زيد بن على بن زين العابدين بن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه " ولد عام ٨٠ – وقتل عام " ١٢٢ هـ " وقد أجمعت المصادر على أن الإمام زيد اختلف فى سيرته ومنهجه عن أئمة آل البيت . وأظهر مذهباً متميزاً واضحاً وقريباً من مذهب أهل السنة والمسلمين – فترك منهاج أبيه وأخيه ولم يقم بالمدينة ولم يجعلها مقراً له ، بل أكثر من الترحال والانتقال – فكانت له جولات سياسية أصاب فيها وأصيب ولكنه لم يترك ميدان العلم ، فقد تلقف التركة التربة من الفقه والحديث كشان باقى أفراد البيت النبوى الشريف ، فأصبح بذلك عالماً واسع الأفق مستبحر المعرفة عالماً بآراء فقهاء ما بين حجازيين وعراقيين وعلم الناهج الفقهية كلها – وكان عالماً بحديث آل البيت وغيرهم وكان عالما بالفرق الإسلامية – ولعله أول علوى جاهز بانتحاله مذهباً من المذاهب [١].

وبدون أن ندخل فى التفاصيل التاريخية الخاصة بسيرة الإمام زيد رضى الله عنه حيث أننا نهتم فقط بأصول المذهب الزيدى – ومنهج التقارب بين الزيدية وجمهور المسلمين . فإننا نقول وبصدق أن الزيدية لهم أثر بين واضح فى تاريخ المذاهب الفقهية والأصولية فى الإسلام كما أن هذا المذهب يكفى لتصحيح مذهب التشيع بما يوافق منهج أهل السنة وقد يتضح لنا ذلك عندما نستعرض بإيجاز قواعد وأصول مذهب الزيدية – فكرياً وسياسياً وعقائدياً .

لقد حدد الإمام زيد موقفه السياسى فى مسألة الإمامة تحديداً واضحاً ودقيقاً فقال أن " الإمامة " ليست وراثة مطلقة وقد تكون فى بيت معين من ناحية "

---

(١) رجعنا فى ذلك إلى المصدر السابق ، ص ٢٤٦ – ص ٢٤٧ . كذلك الشيخ محمد أبو زهرة ، الإمام زيد، ص٢٢ – ص٢٣ – ص٧٢ . أبن النديم ، الفهرست ، ص ٢٥٣ . البغدادى ، الفرق بين الفرق، ص ٢٤ .

الأفضلية " لا من ناحية الأصل فاشتراط بين معين إنما هو شرط أفضلية ولا يمنع أن تكون الخلافة فى غيره على الا تتعارض مع مصلحة المسلمين[١] ولم ينكر الإمام زيد والزيدية أن الإمام على كان أفضل من الشيخين لكنه اعتقد أن خلافتهما حق وطاعتهما واجبة – وعلى ذلك فالزيدية يرون أن أبا بكر وعمر مستحقان الإمامة لأن عليا سلم ذلك إليهما ... [٢].

وعلى ذلك فقد كره الإمام زيد والزيدية الطعن فى خلافة أبى بكر وعمر كما فعل مدعى التشيع الإمامية أثنا عشرية وإسماعيلية – فالإمام زيد مع تفضيله لجده الإمام على بن أبى طالب على سائر الصحابة -إلا أنه كان يتولى – الشيخين وقد راى الخروج على أئمة الجور وعندما ظهر بالكوفة بعض أصحابه ممن طعنوا فى أبى بكر وعمر أنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه – فقال لهم " رفضتمونى " وأصبح يطلق عليهم الرافضة [٣].

ويؤكد الشهرستانى المبدأ السياسى الزيدى فى " ولاية المفضول مع وجود الأفضل " فى شرح طويل نختصر منه هذه العبارة من قول الإمام زيد .. قوله كانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن " يعنى الخلافة – الإمامة " لمن عرفوه باللين والتقدم بالسن والسبق إلى الإسلام والقرب من الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك يجوز أن يكون المفضول أماماً والأفضل " قائماً " فيرجع إليه فى الإحكام ويحكم بحكمه فى القضايا [٤].

يضاف إلى منهج الزيدية فى الإمامة أنه يختلف عن سائر الشيعة فقد أنكروا كل ما يتعلق بمسألة الإمامة عند الشيعة كالقول بالوصية أو مبدأ التقية التقية والعصمة والغيبة والرجعة والمهدى المنتظر وغير ذلك .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ص ١٨٤ .
(٢) المقدس ، والبدأ والتاريخ ، جـ٥ ص ١٣٣ .
(٣) الاشعرى مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ص ١٣٢ ، دكتور مصطفى حلمى نظام الخلافة ص ٢٤٨ .
(٤) الشهرستانى ، املل والنحل ، جـ١ (الزيدية) .

فالإمام زيد رأى أن الأفضل أن يكون الإمام فاطمياً ولكن يجب أن تتوفر فيه صفات العدل والزهد والشجاعة والسخاء لكى يجب طاعته سواء من أولاد الحسن أو أولاد الحسين [١]. وبذلك ينكر مبدأ الوصاية أو النص والتقية كذلك فإن الإمامة الزيدية – عملية إيجابية وليست سلبية كما هى عند الشيعة الإمامية والتى تنتهى بالإمام المختفى [٢].

وجدير بالذكر أن الزيدية أنكروا فكرة " العصمة فى حق الإمام " فالإمام زيد والزيدية الحقيقية يؤمنون إيماناً قاطعاً أن الإمام الفاطمى غير معصوم " ولا علم لديه مخزون " ومما يؤيد ذلك أن الإمام زيد قد عاصر غلاة التشيع وتعرف على آرائهم فى هذا الصدد وحاربهم وحاول بكل الوسائل تحطيم نظرياتهم الباطنية والقنوصية وتأويلاتهم الفاسدة ووضع أصول مذهبه على أساس من الكتاب والسنة والاجتهاد والقياس فاجتهد وقاسى وآمن بالعدل والتوحيد فى عقائده [٣].

فإذا كانت مسألة الإمامة مصلحية فهذا يعنى انتقاء النص كذلك يعنى انتقاء الوراثة وانتقاء الوراثة يعنى عدم العصمة حيث أنها تكون متوارثة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

كذلك فإن فكرة " المهدى " عند الزيدية لا تعنى ما تحمله من معانى باطنية أو تأويلات غنوصية فاسدة كما هى عند الغلاة أو الأمامية بل تعنى المدلول العملى وهو الإصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى فالمهدى هو الثائر على الظلم والمحدد الفقهى الذى يهدى الناس وهكذا لا نجد المهدية بالمعنى الغنوص أو بمعنى الغيبية والرجعة أو التأويل فلا مهدى منتظر ولا رجعة [٤].

---

(١) المصدر السابق الزيدية للمزيد الدكتور مصطفى حلمى نظام الخلافة ص ٢٥٤ .
(٢) أحمد أمين فجر الإسلام ص ٢٧٢ .
(٣) دكتور النشار نشأة الفكر الفلسفى جـ٢ ، ص ١٦٣ .
(٤) للمزيد يرجع إلى محمد أبو زهرة الإمام زيد ، ص ١٩١ ص ٢٠٩ .

وتمشياً مع نظرية الإمام زيد فى الإمامة فضلا عن تلمذتـه لواصـل بـن عطـاء المتكلم العقلى المعتزلى فإن فكرة الإمام المستور أو المهدى المنتظر تبدوا غير مقبولة (١).

ولما كان خروج الإمام زيد مطالباً بحق بيته فى الخلافة ضد خلفاء بنى أميـه فقد بايعه الناس على أن يتخذ كتاب الله وسـنة رسـوله صلـى الله عليـه وسلم هاديـاً وإماماً وعلى أن يقاتل الحكام الأثمين وأن يقيم العدل فأنـه لم يعتمـد فـى ذلـك علـى أفكار أو تأويلات باطنية وغنوصية أو أفكار أسطورية كما كان شائعاً فى أوسـاط غـلاة التشيع بل كان على منهج الكتاب والسنة والاجتهاد بالعقل - وربما كـانت للنزعـة العقلية التى أخذها عن واصل بن عطاء من أثر فى ذلك إذ يذكر بعـض البـاحثين " أن مذهبهم أعدل من مذاهب الشيعة وأقربهم إلى أهل السنة ولعل هذا راجع إلى أن زيداً تتلمذ لواصل بن عطاء رأس المعتزلة وأخذ كثيراً من تعاليمه (٢) وإن كان بعض العلماء يرى أنها لم تكن تلمذة بل كانت مذاكرة فى الآراء ومزاملة فيها (٣). وعلى ذلك فـإن الإمام زيد أسس أصول المذهب الزيدى على الكتاب والسـنة المقـرون بالمنـهج العقلـى والقياس فى الفقه وعلم الأصول ويمكن أن نعرض بإيجاز شديد لبعض هذه الجوانـب التى تمثل المنـهج الشيعى المعتـدل - كـرد فعـل حاسـم وقـوى ضـد تيـارات الغـلاة والباطنية والمؤولين منهم . وفى ذلك رد على ما صدر على الغلاة من ضـلال أو انحـرافات.

فقد كان الإمام زيد وهو يضع أصول الزيدية على علم تـام بكثـير مـن أصـول المعتزلة - ففى مسألة " الصفات الإلهية " نجده يقترب من منهج المعتزلة العقلى فى تأويل هذه الصفات يذكر الشيخ محمد أبو زهرة فى بحثـه هـذه المسـألة فـى المذهـب الزيدى بقوله " وإذ كان زيد يتفق فى جمله من الآراء مع واصل بن عطاء ورأى واصل

---

(١) دكتور مصطفى حلمى نظام الخلافة ، ص ٢٥٨ .
(٢) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، الإمام ، ص ٢٧٢ .
(٣) محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ص ٣٩ - ص ٤٠ .

فى " الصفات " أنها عين الذات فأنه يصح لنا أن نقول رأى زيد فى الصفات كان هو رأى واصل وتفصيل ذلك هو أن الله تعالى يتصف بأنه حى قادر سميع بصير ولكن بذاته – ومن غير قدره زائدة على الذات ولا سمع زائد على الذات ، ولذلك ليتفادوا أقوال الحشوية والنصارى الذين ادعوا أن الأقانيم الثلاثة صفات للذات العلية [١].

وإذا كان علم الله تعالى هو الذات والذات هو العلم ، والذات قديمة والعلم من حيث هو ذات قديم فلا بداء فى علم الله – لان البداء تغير ، والقديم لا يتغير والإرادة قديمة ولا تتغير والإرادة لا تتغير العلم كما يذهب القائلون بالبداء [٢] وفى هذا الرأى رد على آراء غلاة التشيع من الكيسانيه والسبأية وكذلك الباطنية من الإسماعيلية أما مسألة " الكلام الإلهى " فلم يثبت أن الإمام زيد أدلى فيها برأى صريح ولعله كره الخوض فيها [٣] ولكن بعض المؤرخين يذكرون أن الزيدية لم ياخذوا بآراء المعتزلة فى دقيق الكلام واقتربوا إلى حد ما من قول الأشاعرة وأهل السنة مثال ذلك قولهم : بأن البارى عز وجل عالم يعلم لا هو ولا غيره وأن علمه شىء – وأنه قادر بقدرة لا هى هو ولا غيره .. وهكذا قولهم فى سائر الصفات وقالوا كذلك أن البارى تعالى شىء لا كالأشياء ولا تشبيه الأشياء وهذا أتجاه سنى سلفى وقال فريق آخر من الزيدية أن الله تعالى ليس بشىء وهكذا [٤].

أما فى مسألة العدل الإلهى فقد آمن الإمام زيد بالعدل الإلهى – وأن الله عادل فى حكمه بمعنى أنه لا يجبر الناس على المعاصى – لذلك أنكر الإمام زيد فكرة " الجبر " ودعا الجبرية باسم " القدرية " عندما رأى المعاصى ترتكب بالبصرة باسم القضاء والقدر – كذلك أنكر قول المرجئة بأنه لا يضر مع الإيمان معصية [٥].

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٤ ص ٢١٥ .
(٢)نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .
(٣) للمزيد الدكتور النشار ، نشأة الفكر ، جـ٢ ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ .
(٤) للمزيد الأشعرى ، مقالات الإسلاميين جـ١ ، ص١٣٨ .
(٥) محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ص ٢٠٤ .

أما بحث الزيدية فى خلق الأعمال – فيذهبون إلى آراء معتزلية مشوبة بأشعرية ففريق يرى أن الأعمال مخلوقه لله – خلقها وأبدعها بعد أن لم تكن والفريق الثانى يزعم أنها غير مخلوقه لله تعالى " وإنما هى كسب للعباد أحدثوها وأبدعوها .. وهكذا أما قولهم فى الإيمان والكفر فقد ذهب فريق منهم إلى القول : أن الإيمان المعرفة والإقرار واجتناب ما جاء فيه الوعيد وقال فريق آخر أن الإيمان هو جميع الطاعات وليس ارتكاب كل ما جاء فيه الوعيد كفراً [1].

ويبدو أن هذا الرأى يعنى ارتباط الإيمان بالعمل وأن ارتكاب المعاصى لا تنفى الإيمان وقد يختلفون فى بعض النواحى مع المعتزلة وأبى حنيفة فالإيمان عند المعتزلة " هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح وأن كل عمل يدخل تحت الإيمان – وكلما أزداد الإنسان خيراً ازدياد أيماناً وكلما عصى نقص أيمانه – ويذهب أبو حنيفة بأن الإيمان معرفة وإقرار بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى الجملة دون تفصيل وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه – وهذا القول ينفى ارتباط الإيمان بالعمل – وهو قول الخوارج والمعتزلة – بان الإيمان عقد وعمل فمن لا يعمل لم يكن مؤمناً [2] ويختلف الإمام زيد عن المعتزلة فى مسألة " مرتكب الكبيرة " فقد ذهب المعتزلة بأن مرتكب الكبيرة " مخلد فى النار " بينما ذهب الإمام زيد إلى أنه لا يذهب عنه اسم الإيمان ولا أسم الإسلام بل يعذب حيناً من الدهر ثم مرده إلى الجنة [3] ولكن بعض الزيدية تابعوا المعتزلة والخوارج فى تخليد مرتكب الكبيرة فى النار فيما بعد [4].

وقد اختلف المذهب الزيدى عن المذهب الاعتزالى كذلك فى فكرة " الحسن

---

(١) الأشعرى ، مقالات ، جـ١ ، ص ١٣٩ ص ١٤٠ .
(٢) رجعنا إلى ابن حزام – الفصل فى الملل واللاهواء والنحل ، جـ٣ ، ص ١٠٦ .
كذلك دكتور – النشار نشأة الفكر ، جـ١ ، ص ٢٧٠ ، ط دار المعارف ١٩٦٦
(٣) محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ص ٢٠٠ ، دكتور النشار نشأة الفكر جـ٢ ، ص ١٧ .
(٤) للمزيد الاشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ١ ، ص ١٤٠ .

والقبح العقليين " فالزيدية يرون أن العقل قد يحسن ويقبح ويصل إلى ما فـى الإشـياء من حسن وقبح لكنها ترى أن العقل فى عمله يحتاج إلى السمع وأنـه غـير منفـك عـن سمع بنيه الغافل – كذلك رفضوا فكرة وجوب الصلاح وفعل الاصلح على الله تعالى (١).

ومن خلال بحث هذه المسائل الأصولية الدقيقة مع ما فيها من إيجـاز يتضـح لنا أن مذهب الإمام زيد – والزيدية الحقيقية لم يكن مذهباً شيعياً خالصاً بل يعتـبر مذهباً أسلامياً اسـتهدف الخـروج علـى أئمـة الجـور مـن ناحيـة – وتدعيـم مذهـب جمهور المسـلمين مـن أهـل السـنة القـائم علـى الكتـاب والسـنة والاجتـهاد بـالرأى والقياس وجواز ذلك فى الأحكام وإقامة الحق يضاف إلى ذلك أن الإمام زيد كان يدعو إلى أحياء السنن وأماتة البدع ويتضح لنا ذلك من خلال صيغة البيعة التى أبرمها مـع أتباعه فلم يذكر فى بيعته وجهاده نصاً أو وصية أو حقا ألهيـاً – وقـد كـانت دعوتـه ثورة عارمة على الدعاة المفسدين من الغلاة والإمامية – فـأنكر عقـائدهم وتأويلاتـهم الباطنية الفاسدة للنصوص الدينية وأركان الشريعة وتتلمذ الكثير من الأئمة والفقهاء للإمام زيد وأخذوا الكثير من المسائل الفقهية والأصولية من المذهـب الزيـدى – مثـل أبو حنيفة – وسفيان الثورى – وأبو خالد عمـرو بـن خـالد الواسـطى صـاحب كتـاب المجموع (٢).

ومع ذلك فإن المذهب الزيـدى لم ينـأى عـن تيـارات الغلـو – والارتـداد عـن أصول المذهب الأولى وذلك عند بعض الطوائف الزيديـة – ومـن هنـا يمكـن القـول أن الزيدية بدأت تفْقد خصائصها العامة والأساسية فى بعض المناطق التى أنتشروا فيـها خاصة فى العراق وخرسان ولكن لا يجب أن نسترسل فى بحث هذه الناحية حتى لا

---

(١) للمزيد ، محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ص ٢١٦ ، ص ٢٢٠ .
(٢) للمزيد ، الأشعرى مقالات ، جـ١ ، ص ١٤٠ ص ١٤١ ، كذلك ابن الأثـير ، الكـامل جـ٥ ص ٨٦ ، دكتور النشار ، نشأة الفكر ، جـ٢ ، ص ١٥٧ ، ١٦٠ .

تخرج عن نطاق الموضوع – بل يمكن أن نشير فقط إلى بعضها بإيجاز على سبيل المعرفة فقط – فقد مالت الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول ، وطعنت فى الصحابة طعن الإمامية وقد وصف المؤرخون هؤلاء إلى ثمانية غالية وهم : الجارودية– والمرتدية – والابريقية – واليعقوبية – والابترية – والحريرية – واليمانية – والعقبية – فقد غلا هؤلاء فى المذهب وقرعوا مذاهب على ما سلف من أصولهم [١].

وقد ظهر عند هؤلاء الغلاة أفكار مثل الأفكار التى انتشرت فى أوساط الكيسانية والسبأية والإمامية مثل القول بالوصاية ، والغيبة والرجعة والعلم السرى أو الباطنى [٢].

وفى مقابل هؤلاء الغلاة من الزيدية – ظهر بعض المعتدلين الذين أصلوا المذهب الزيدى ورجعوا به إلى أصوله ومنهم – " السليمانية " نسبة إلى سليمان بن جرير الزيدى – حيث رأوا أن الإمامة شورى وتصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين– وأنها قد تصلح فى المفضول وإن كان الأفضل فاضل فى كل حال – وأثبتوا إمامة أبى بكر وعمر – كذلك ظهرت فرقه " الصالحية نسبة إلى الحسن بن صالح بن حى الهمزانى الكوفى . فقد كان من أكبر فقهاء الزيدية ومتكلميهم – وقد ذهبوا فى الإمامة على ما ذهب إليه الإمام زيد والزيدية المعتدلين[٣].

وقد كان لهم أثر كبير فى نقد وتقييد آراء الغلاة وتأويلاتهم فأنكروها وطعنوا فى منهج غلاة التشيع كذلك الإمامية الباطنية .

---

(٢) للمزيد الشهرستانى للملل والنحل (الزيدية) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٤ – ص ٢٦٧، البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٤ ص ٢٦ .
دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ص ٢٥٨ ص ٢٦٦ .

(٢) للمزيد ، الاشعرى مقالات ، جـ١ ، ص ١٣٣ ، محمد أبو زهرة الإمام زيد ، ص ١٩٤ ، دكتور النشار نشأة الفكر جـ٢ ، ص ١٩٠ ص ١٩١ .

(٣) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٩ محمد أبو زهرة ، الإمام زيد ، ص ١٩٥ ، ١٩٨ .

ومع أنحسار المذهب الزيدى إلى حد ما على مر العصور ، ومع تأثيره وتأثره ببعض المذاهب الإسلامية الأخرى من حيث التأثير الفقهى وتأثره ببعض الأفكار الفلكلورية فى مسألة العصمة والقداسة خاصة فى العصر الحديث وفى بعض المناطق فى اليمن إلا أننا لا يمكن أن ننكر مدى أعتدال هذا المذهب ونقائه واختلافه عن سائر المذاهب الشيعة كذلك يرجع إليه الفضل فى تخريج صفوة من العلماء والباحثين الزيديين – الذين تناولوا مذاهب التأويل الشيعى الإمامى عند الإسماعيلية الباطنية– بالنقد والتنقيد وصنفوا فى ذلك كتبا ومقالات عديدة مازال يعتمد العلماء والباحثون فى الرد على مذاهب الشيعة الغلاةحتى الآن (١).

ثالثا : الاتجاه العقلى المعتدل عند الاثنا عشرية :

لقد أجمع علماء المذاهب وبعض الباحثين فى التراث الشيعى والإسلامى على أن الزيدية والاثنا عشرية من أكثر الفرق الشيعية اعتدالا بغض النظر عن بعض الآراء والتيارات الفكرية والباطنية والغنوصية التى سادت لدى الغلاة الاثنا عشرية كما وضحنا ذلك فيما سبق " فى بحث منهج التأويل عند غلاة الاثنا عشرية " وأن كنا نأخذ بهذا الرأى ونحن هنا بصدد الكشف عن الاتجاه المعتدل فى التأويل عند الاثنا عشرية كرد فعل قوى وحاسم ضد تيارات التأويل الباطن والتأثير الأسطورى الذى ساد عند غلاتهم وهم بسبيل تدعيم نظريتهم فى الإمامة وما يتعلق بها من

---

(١) من هؤلاء العلماء الزيدية الذين رجعنا إليهم فى نقد العديد من المسائل والنظريات الباطنية عند الشيعة – خاصة فى مذهب التأويل :

(أ) محمد بن مالك الحمادى كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، ط الأنوار ١٩٤٩م وكان من الزيدية الذين ظهروا فى غضون القرن السادس هجرى

(ب) محمد بن الحسين ت ٧٠٧ بيان مذهب الباطنية وبطلانه تحقيق شدو طمان ط استامبول ١٩٣٨ ، ظهر فى القرن السادس الهجرى

(جـ) يحيى بن حمزة بن على العلوى الطالبى من أئمة الزيدية ظهر فى غصون القرن السابع والثامن الهجرى والافحام لافئدة الباطنية الطغام – تحقيق فيصل عون دكتور النشار – ط دار المعارف

مسائل أخرى – فلاشك أننا نحاول بيان هذا الاتجاه المعتدل وتدعيمه – وخاصة وأن الكثير من علماء المسلمين المحدثين والمعاصرين من أهل السنة والاثنا عشرية يرغبون رغبة أكيدة وصادقة فى التقريب بين المذاهب الإسلامية – وبدون أن نبالغ فى هذه النظرة فإن هناك العديد من علماء المذاهب الاثنا عشرية يرغبون رغبة صادقة فى تنقية تراثهم مما علق به من آثار غريبة عن روح الإسلام وأصوله الصحيحة كما سنرى الآن وندعو الله سبحانه وتعالى أن يحقق هذه الرغبة الصادقة فقد آن الآوان لرأب الصدع الذى فرق بين الأخ وأخيه ولم شمل الأمة الإسلامية ووحدتها .

وعلى ذلك – فإذا كانت الشيعة الاثنا عشرية تعد من أكبر الفرق الشيعية وأكثرها عدداً بالإضافة إلى حرصهم الشديد على ترسيخ تعاليم التشيع فى الفقه وأساليب ممارسة الشعائر وما يحيط ذلك من عادات وتقاليد تتخللها تأثيرات أسطورية مستمدة من البيئة التى نشأت فيها الصابئة والغنوصية الأمر الذى أدى إلى إنزلاق بعضهم فى الغلو – ألا أن كبار مفكرى الشيعة وعلمائهم المعاصرين تبرأوا من هذا التيار الغالى فلدينا بالفعل عدداً كبيراً من الأحاديث التى يوردها الكلينى ويقبلها ويشم منها رائحة الخروج عن الاعتدال ولكن بعض أئمة الشيعة المعاصرين ومن بينهم الإمام الصدر – والإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء يرون أنه لا يجوز أن يلصق بالتشيع كل ما يكتبه المؤلفون الشيعة فهؤلاء آرائهم التى تعبر عن مواقفهم وحدهم – ولا شك أن هذه المحاولات فى نقد هذه المبالغات التى يوردها بعض كتاب الشيعة يعد دلالة على استعداد الشيعة المعاصرين فى تهيئة المناخ للتقريب بين المذاهب الإسلامية وأن تكون الخلافات حول الفروع فحسب ولا نمس جوهر العقيدة ومن ثم فلا يكره مسلم أخاه لاختلافه عنه فى الرأى [١].

---

(١) دكتور محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ص ١٣٥ – ص ١٣٦ .

فى موجة احياء يسودها الكثير من النزاهة والموضوعية وعكوف علماء الاثنا عشرية المحدثين المعاصرين على تدارك الأمور والتخفيف من حدة الغلو أو التمسك بالنظريات القديمة فى الإمامة وتأويل النصوص الدينية على غير حقائقها .. فإننا نجد بعض هذا الاعتقاد لدينا .

فأئمة الشيعة وعلمائهم رغم إيمانهم العميق بأحقية على بن أبى طالب فى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وولاية أبناءه من بعده . غير أنهم يخففون من حدة التمسك بهذا المبدأ خاصة عند المعاصرين – ويلتمسون التبريرات المناسبة لعدم ولايته بعد النبى صلى الله عليه وسلم والاعتراف بفضائل الشيخين أبى بكر وعمر.. ولذلك يقولون " كان من جملة وصايا النبى صلى الله عليه وسلم قوله لعلى " يا علىّ أنت مثال الكعبة إذا أتوك القوم فأقبل منهم وأن لم يأتوك فلا تهتم " وذلك رمز لقبوله الخلافة الدنيوية ولذلك لم يطلب علىّ الخلافة وكان يعلق ذلك على دعوة المسلمين له وقد كان هذا مستحيلاً لوجود أعداء كثيرين له خصوصاً من بنى أمية وكان من جملة وصايا النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يسل سيفه إلا بعد ثلاثين سنة ولو أن علياً طلب الخلافة فى ذلك الوقت " وقت حروب الردة " لا نشطر المسلمين إلى شقين لذلك أمتثل علىّ وظل ساكنا حرصا على مصلحة الإسلام [(١)].

وإن كان هذا الادعاء غير صحيح إلا أننا نعتبره نوع من الملائمة والتقزيب .. كذلك يذهب الشيخ محمد آل كاشف الغطاء إلى الاعتراف بحق الخلفاء الراشدين والاعتراف لهم بالفضل فيقرر بنزاهة موضوعية وحياد أن السلطة الدينية والمدنية كانت مجتمعة فئ الخلفاء الراشدين ، ثم انفصلت أحدهما عن الأخرى يوم خلافة معاوية وزيد [(٢)].

---

(١) محمد أمين غالب الطويل ،تاريخ العلويين،ص ٨٠ ، ٨١ ط الترقى باللاديقية بدمشق ، سوريا ١٩٢٤م.
(٢) دكتور مصطفى حلمى ، نظام الخلافة ، ص ١٢٣ ، كذلك محمد آل الحسين ، آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، ص ٦٢ .

ولا نجد اختلافا كبيرا بين عقائدهم وعقائد جمهور المسلمين إلا فى مسألة الإمامة وبعض الفروع – وعلى سبيل المثال نجد أن " أركان الإسلام عندهم خمسة " التوحيد – النبوة – والمعاد – وهذه الأركان الثلاثة تشمل : معرفة الخالق – ومعرفة المبلغ عنه – ومعرفة ما يعيد به والعمل به – والأخذ بالفضيلة ورفض الرذيلة – والاعتقاد بالمعاد والدنيوية أما الركن الرابع : فهو العمل بالدعائم التى بنى الإسلام عليها وهى خمس الصوم – والصلاة والزكاة – والحج والجهاد – أى أن الإيمان قول ويقين وعمل – فهذه الأركان هى أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين – لكن الشيعة يزيدون ركناً خامساً وهو الاعتقاد بالإمامة[1].

والاعتقاد بالإمامة هو الإيمان بالمعنى الأخص ، أما من لا يعتقد بالإمامة فلا يخرج عن الإسلام – ولكن التبرين عن طريق الاعتقاد بالإمامة يؤهل المؤمن لنازل القرب والكرامة لا فى الدنيا لأن المسلمين فيها سواء ولكن فى الدار الآخرة [2].

كذلك نجد أن هذه النزعة المعتدلة عند علماء الاثنا عشرية سادت عند السيد محسن الأمين العاملى – حيث نجده يمتاز بتأصيل أسس العقيدة الأثنا عشرية المعتدلة فى الأصول والفروع – ويشجب محاولات التشكيك فى أصالة المذهب ويدعوا إلى التبرؤ من الغلاة والمؤولين للنصوص الدينية على منهج الباطن بما لا يتفق مع العقل والنقل .. ويسير على منهج سلفه الذين يحاولون التماس التبريرات المناسبة فى مسألة " الإمامة " [3].

ومن غير أن نطيل فى هذه الناحية فأننا نجد كبار متكلميهم يستخدمون منهج التأويل العقلى فى تناول النصوص الدينية وتأويل متشابهاتها دون أن يلجأوا إلى الباطن ، وهم بذلك يمثلون المنهج الاعتزالى فى التأويل .. ومن الجدير بالذكر

---

(١) محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ص ٧١ – ٧٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧٤ ص ٧٥ .
(٣) رجعنا ، السيد محسن الأمين العاملى ، أعيان الشيعة ، جـ١ .

أنهم قد حددوا هذا المنهج من البداية .. فيقول عالم الاثنا عشرية المعاصر محمد جواد . مغنية فى ذكر منهج التأويل " أن الإسماعيلية غزقوا فى تأويل القرآن الكريم وسنن النبى صلى الله عليه وسلم على موافقة أساسهم بما لا يحتمله اللفظ ولا يشهد عليه شاهد من عقل أو نقل أو إجماع . أما الاثنا عشرية فيتركون بعض الآيات التى يشتبه معناها على العقول – كفواتح السور وما إليها فيتركونها بدون تأويل ، ولا يؤولون " أية او حديثاً إلا بشروط منها : أن يتنافى المعنى الظاهر مع ما يقطع به العقل وبقوم الاجماع على خلافه كذلك أن يحمل اللفظ على معنى صحيح وهو المعنى المؤول به وأن يصرف اللفظ عن المعنى الحقيقى إلى المعنى المجازى مع وجود القرينة [١].

ولا شك أن هذا المنهج يتبع الشروط والأسس التى يجب على المؤولين أتباعها عند تناول النصوص القرآنية – وقد نبه على ذلك علماء التفسير من أهل السنة – فشرط التفسير هو رد المتشابه إلى المحكم والاستعانة بالأدلة النقلية والعقلية على وضوح المعانى والألفاظ بما تتفق مع أصول العقيدة وفروعها – والقرآن الكريم وحدة واحدة – وظاهر الألفاظ توافق معانيها – ولكن مع اجتهاد العلماء فى المذاهب الإسلامية نجد أنهم يختلفون بعضهم عن البعض الآخر فالمعتزلة يختلفون فى نظرتهم العقلية للقرآن الكريم وما فيه من آيات فى الصفات أو الشرائع عن أهل السنة ومتكلمى الأشاعرة – كذلك فإن النظرة الذاتية عند الصوفية تختلف عن النظرة عند فلاسفة الإسلام – وهكذا غير أن هذه المناهج تختلف عن منهج وفلاسفة وعلماء الشيعة الغالية والإسماعيلية الباطنية – الذين تأولوا النصوص على أصولهم العقائدية فخرجوا عن المنهج السليم كما ذكرنا .

وعلى ذلك نجد أن منهج متكلمى الاثنا عشرية يختلف عن منهج الشيعة الإسماعيلية الباطنية – وبالمقارنة بين المنهجين نجد أن : الاثنا عشرية يعتبرون

(١) محمد جواد معينة ، الشيعة فى الميزان ، ص ١٤٩ ، دار التعارف للمطبوعات بيروت ، بيروت ، ١٩٧٩م.

أكثر اعتدالاً فى تأويل نصوص القرآن الكريم وبصفة خاصة فى تأويل الصفات الآلهية ويقتربون فى ذلك من منهج المعتزلة العقلى المجازى - وأن كانوا يؤولون بعض الآيات طبقاً لاعتقادهم فى الإمامة .

إذ يذكر الشهرستانى : أنهم كانوا على مذهب أئمتهم فى الأصول ثم سارت الإمامية بعضها معتزلة ، أما وعيدية ، وأما تفضيلية وبعضها إخبارية أما مشبهة وأما سلفية [(١)] وأن كانت نزعة التشبيه قد صارت عند بعض متكلميهم فى مدرسة هشام بن الحكم [(٢)] لكن هذه الناحية بعيدة عن موضوعنا وهى نزعة بعيدة عن منهج الإسلام ويجب رفضها نهائياً وتنقية التراث الاثنا عشرى منها .

ولكن على آية حال فإن منهج التأويل المجازى ساد عند كبار متكلمى الاثنا عشرية ويعتبر منهجا معتدلاً إلى حد كبير بالمقارنة بالمنهج الباطن والتأثيرات الأسطورية الغالية سواء عند غلاة الاثنا عشرية أو عند الإسماعيلية الباطنية

وعلى ذلك يمكن أن نلقى بعض الضوء على هذا المنهج العقلى المجازى فى التأويل من خلال بعض الأمثلة الموجزة .

ذهب الشريف المرتضى " على بن الحسن الموسى العلوى " ٣٥٥ - ٤٣٦ هـ " فى توضيح هذا المنهج مدعماً رأيه بالأدلة والأسانيد التقلية والعقلية يقول فى بحث " وجوب العصمة للأنبياء " إذا ثبت بالدليل عصمة الأنبياء عليهم السلام - فكل ما ورد فى القرآن مما له ظاهر يتافى العصمة ويقضى وقوع الخطأ منهم فلابد من صرف الكلام عن ظاهره وحمله على ما يليق بأدلة العقول - ألا ترى أن القرآن قد ورد بما لا يجوز على الله تعالى من الحركة والانتقال كقوله تعالى " وجاء ربك والملك صفا صفا " سورة الفجر /٢٢ وقوله تعالى " هل تنظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام " سورة البقرة / ٢١ ولا يدفع وضوح الأدلة على أن الله تعالى ليس بجسم واستحالة

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ١ ، ص ١٦٥ .
(٢) دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ٢ ، ص ١١٤ .

الانتقال عليه تعالى الذى لا يجوز ألا على الأجسام من تأويل هذه الظواهر والعدول عما يقتضيه صريح ألفاظها . ثم يضيف الشريف المرتضى إلى ذلك بأنه إذ أجهلنا العلم بالتأويل جملة لم يضر ذلك مع التمسك بالأدلة – كذلك فإن ظواهر الآيات التى خوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم كالعتاب والتأديب وغير ذلك المقصود به تعليم الأمة وتوجيه الخطاب إليهم (١).

وعلى هذا المنهج المجازى تأولوا الصفات الآلهية الواردة فى النص القرآنى بما يوافق أدلة العقل ومجازات اللغة – فمثلاً قوله تعالى " وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداعى " سورة البقرة / ١٨٦ – تأويلها – أن المراد بقوله تعالى أجيب دعوة الداعى – أى أسمع دعوته – والمراد " قريب " ليس قرب المسافة – بل أراد أننى قريب باجابتى ومعونتى ونعمتى أو بعلمى بما يأتى العبد ويذر " وما يسر وما يجهر تشبيها بقرب المسافة (٢) أما تأويل قوله تعالى " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى " سورة ص / ٧٥ هو أن يكون معنى " اليد " هنا " النعمة " أما التثنية " بيدى " فالمقصود بها نعمة الدنيا والآخرة ويحتمل اللفظ أيضاً معنى أخر هو " القدرة " وهو أحد محتملات اللفظ كقول القائل – مالى بهذا الأمر يد – كذلك يؤول وجه الله تعالى فى قوله " فأينما تولوا فثم وجه الله " سورة البقرة / ١١٥ على معنى رضا الله وثوابه والقرب إليه(٣) وهكذا وهناك أمثلة كثيرة لا داعى للاستفاضة فيها ويكفى الإشارة فقط"(٤) ومن هنا نستطيع أن نفرق بين النزعة المعتدلة القائمة على أساس من العقل والمنطق وبين الغلو والانزلاق إلى ظلمة الباطن عند الغلاة .

---

(١) الشريف المرتضى – آمالى المرتضى (غرر الفوائد ودرر الغلائد) جـ٥ ، ص ٣٩٩ ص ٤٠٠ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / ط دار الحياء الكتب العربية ١٩٥٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٦٠٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٦٥ – ص ٥٦٦ كذلك ص ٥٩٣ .
(٤) للمزيد – المصدر السابق ، ص ٥٩٠ ، ص ٥٩٣ ، ص ٥٢٦ ، ص ٥٣٨ كذلك العاملى ، أعيان الشيعة، جـ١ ، ص ٤٥٢ ، ص ٤٥٥ ، ص ٤٥٦ .

الفصل الثانى
موقف علماء السنة والعصر الحديث
مـــن الشيعـــة الباطنيـــة

أولا :- موقف علماء السنة :

أنتقد علماء السنة وأهل السلف مذاهب الشيعة بصفة عامة ومذاهب الباطنية بصفة خاصة نظراً لابتداعهم أصولا وقواعد عقائدية تختلف اختلافاً كثيراً عن مذهب جمهور المسلمين والرعيل الإسلامى الأول وقد أنصب انتقاد علماء السنة على أصولهم فى الإمامة وما يتعلق بها من مسائل أخرى عرضنا لها فى سياق البحث.

ورغم هذا الاختلاف المشين بين مذهب الشيعة وبين جمهور المسلمين من أهل السنة فى بعض الجوانب الأصولية – غير أن أكثر ما شغل علماء المسلمين هو مذهب التأويل الشيعى وقد رأينا مدى الخطورة الكامنة فى هذا المذهب سواء على أصول العقيدة فى التوحيد ومسائل الصفات الإلهية أو على أركان الشريعة فى العبادات وأمور الحياة الآخرة – ولئن وجد علماء السنة فى مذهب الزيدية ومتكلمى الاثنا عشرية وعلمائهم المحدثين والمعاصرين من الاعتدال بما يقربهم من مذهب الجمهور – إلا أنهم قد هاجموا غلاة التشيع والباطنية من الإسماعيلية هجوماً عنيفاً ورأوا انهم قد ابتدعوا فى الدين – وضلوا ضلالاً بعيداً فى التأويل وحملوا النصوص وخرجوها على عقائدهم بما لا يفيد الحقيقة دون مراعاة لحرمة الدين ونصوصه وأدلة العقل وقرائن اللغة ومجازاتها .

وقد أشار بعض الباحثين إلى هذا الموقف النقدى تجاه مذهب التأويل الشيعى الباطنى فقد ذكر دكتور حسن إبراهيم ذلك بقوله أن المتكلمين والفقهاء والسنيين عابوا عليهم طريقتهم فى التأويل[1].

---

(١) دكتور حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى ، جـ٣ ، ص ٣٨٢ .

كذلك فقد نظروا إليهم نظرة ازدراء حيث أن طريقتهم فى تأويل القرآن على غير ظاهرة يخرجه عن المراد منه(١) ولا شك أن الإمام أبو الحسن ألاشعرى حينما واجه المعتزلة حاملاً لواء تعاليم أهل السنة كان مؤذناً ببدء ثورة فكرية جامحة على المذاهب الباطنية والتأويلية – بحيث أننا لم نلبث أن واجهنا شخصية أشعريه جبارة هى شخصية الإمام الغزالى المدافع عن المذهب السنى ، وانتشرت موجة شديدة من الاضطهاد والتعصب ضد الفلاسفة والباطنية من إسماعيلية وشيعة وأمامية ...(٢)

وقد تتابعت حركات الجهاد والدفاع عن مذهب أهل السنة وعن أركان العقيدة الإسلامية ضد تيار التأويل الباطن من جانب متكلمى أهل السنة وأهل السلف .. نذكر منهم على سبيل المثال فقط أبن قتيبة الدينورى

.. حيث أنتقد بشدة عقائد الروافض خاصة فى "الإمامة" والتفسير بقولة "وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر ، حيث ادعوا أنه كتب فيه لهم الأمام كل ما يحتاجون إلى علمه وكل يكون إلى يوم القيامة .. ثم يهاجم تأويلهم الباطنى للنصوص القرآنية طبقاً لمذاهبهم فى الإمامة .. ثم يظهر أباطيلهم ..(٣).

كذلك ما ذهب إليه متكلمى أهل السنة أمثال الغزالى والبغدادى وابن الجوزى من تساؤلات عن عقائد الباطنية من الشيعة وكلهم متفقون على بطلان تعاليمهم وأغراضهم وعقائدهم ..فالبغدادى يقول " ذهب أكثر المتكلمين إلى أن أغراض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التى يتأولون عليها القرآن

(١) دى بور ، تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ص ١٣٦ ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٤م .

(٢) دكتور محمد أبو ريان ، أصول الفلسفة الأشراقية السهرودى ، ص ٣٤ ، ط دار الطليعة العرب بيروت ، سنة ١٩٦٩م .

(٣) أبن قتيبة الدنيورى ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٨٤ – ص ٨٨ .

والسنة . واستدلوا على ذلك بان زعيمهم الأول "ميمون بن ديصان "كان مجوسيا من سبى الأهواز .. ومنهم من نسب الباطنية إلى الصائبين .. ثم يقول والذى يصح عندى من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع .. وفى مواضع أخرى يهاجم تأويلات الباطنية ويصفها بالبطلان .. فيذكر : أن الباطنية يرفضون المعجزات ، وينكرون الملائكة من السماء بالوحى .. ويتأملون الملائكة على دعاتهم ، والأبالسة على مخالفيهم وتأولوا لكل ركن من الأركان الشرعية تأويلاً يورث تضليلاً .. مثل تأويلهم للصلاة أن معناها موالاة أمامهم ، والحج : معناه زيارة الأمام .. الخ ولهم مناهج فى التشكيك فى العقيدة والتدليس عليها .. الخ[1].

كذلك يذهب الأمام أبن الجوزى فى نقد مذهب الباطنية وإظهار بطلان عقائدهم بقوله " الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمره ، فحصول .. قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات ، وإنكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم ، بل يزعمون أن الله حق وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم والدين الصحيح لكنهم يقولون : لذلك سر غير ظاهر ، وقد تلاعب بهم ابليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء .. منها الباطنية – الإسماعيلية ثم ينتقد عقيدتهم فى الباطن . بأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والحديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر .. وأنها توهم الخيال صورا جلية ، وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية .. وأن من تقع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى التكاليف الشرعية ، ومن ارتقى إلى علم الباطن أنحط عنه التكليف وهذا مرادهم أن ينزعوا من العقائد بموجب الظواهر

(١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٨٧٧ ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٠ ، ص ٢٨٢ .

ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطن على إبطال الشرائع .. كذلك يهاجم مذهبهم في التعليم وإبطالهم للرأى والقياس بدعواهم الأخذ من الأمام المعصوم .. وهم في ذلك كله يجارون .. الملاحدة والمجوس والمزدكية والثنوية ... الخ [1].

ويضاف إلى هؤلاء المتكلمين من الزيدية ممن انتقدوا وهاجموا مناهج وعقائد الشيعة الباطنية في التأويل الباطن للقرآن والسنة عالمان كبيران هما محمد بن الحسين الديلمي حيث صنف كتاباً " في بيان مذهب الباطنية وبطلانة " فتناول مذاهبهم بالتحليل والنقد وأظهر بدعهم حيث ذكر " أن ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض .. ثم ينسبهم إلى الملاحدة والمجوس والفلاسفة وبقايا الخرمية .. وغيرهم من أرباب الديانات الذين يكيدون للإسلام .. وأثبت بالأدلة العقلية والنقلية كفرهم .. وقولهم بإلهين قديمين هما العقل والنفس ، ويقول وغرضهم في نفى الصانع تعالى بوجه يدق على عوام الخلق ..وبعد ذلك تناول تأويلهم في العبادات والشرائع والحياة الآخرة بالتحليل .والنقد مبيناً ضلالهم ،وبطلان مذاهبهم.

كذلك أظهر مدى إنكارهم للنبوات والمعجزات . وحقيقة البعث وتأويل أركان العبادات على مذهبهم بما يظهر بطلانه[2].

وإذا كان لنا أن نذكر بعض الردود على دعاوى الباطنية في التأويل لأركان الشرع بالحجة والدليل العقلى عند أهل السنة فنعطى أمثلة قليلة لذلك – يذكر الديلمي في رد دعاوى الباطنية ومظهراً بطلانهم بقوله : " أن المخالف أثبت

---

(١) الأمام الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن أبن الجوزى البغدادى المتوفى عام "٥٩٧هـ" ، نقد العلم والعلماء " تلبيس إبليس " ص ٩٩ – ١٠٣ ط دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر بالاسكندرية ط حديثة بدون تاريخ .

(٢) محمد بن الحسين الديلمي ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، ص ٣ ، ص ٦ ، ص ١٩ ، ص ٢٠ ، ص ٧١ – ص ٨٠ .

تأويلات لا توافق ظاهر الخطاب " وهذا لا يذهب إلى تجويزه أحد من الأئمة – وأن ما يذهب إليه أهل التحصيل أن خطاب الله تعالى " القرآن " يجب أن يحمل على فوائده التى تطابق ظاهرة لان الله تعالى يقول " بلسان عربى مبين " سورة الشعراء/١٩٥ فيجب أن يحمل على لغة العرب من الحقيقة أو المجاز .. كما أن فى الكتاب " القرآن " ما هو ظاهر جلى فلا يحتاج إلى تأويل مثل قوله تعالى " ولا تقربوا الزنا " الإسراء / ٣٢ – وقوله تعالى " ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق " سورة الأنعام / ١٥١ وغير ذلك من الآيات الظاهرة المحكمة[1].

وفى هذا رد لدعوى الشيعة الباطنية بأن لكل ظاهر بطاناً – ويذكر الديلمى بعض الردود على الباطنية فى تأويلهم للصلاة على نحو باطنى رمزى طبقاً لعقائدهم " فيذكر تأويلهم فى " صلاة الفجر " انهم قالوا صلاة الفجر كانت ركعتين .. وهى فى أول النهار تدل على العقل والنفسى أى السابق والتالى – وإنما يجهر فيها لأن الأمام له حالان ظاهر وباطن كذلك يؤولون صلاة العشاء بأنها تدل فى الباطن على المستجيب الضال .. ولهذا كانت فى الليل لأنه فى الظلمة والحيرة يخرجه الأمام منها ، وإنما كان الجهر فى بعضها والإخفاء فى بعضها ، لان المستجيب يجب أن يستتر بالظاهر ويتمسك بالباطن .. إلى آخره " ونقتصر على هذين المثالين من تأويلات الباطنية الباطلة – ونذكر ما قاله " الديلمى " فى الرد عليهم وإظهار أضاليلهم بمثل هذه الأدلة التى يتدرعون بها – فيقول " يقال لهم " أى الباطنية " ما أنكرتم أن يكون إنما أمر الفجر ركعتين لان الليل والنهار أثنان وفى كل واحد منهما لله نعمتان ، فأما نعمتا الليل : فالنوم والأمن ، وأما نعمتا النهار فهما الأنس الذى لنا بضيائه وإمكان التصرف فيه ، وبهذا المعنى جهر بالقراءة فى الركعتين لان نعمتى النهار أظهر من نعمتى الليل ويقال لهم :إنما صلى

(١) المصدر السابق ، ص ٦١ ، ص ٦٢ .

الظهر أربعا فى نصف النهار ليدل على أن حجج الله أربــع " هـم العقـل والكتـاب ، والسنة والإجماع .. وصلاة العشاء أربعـا فـى الليـل: ليـدل علـى أن مـن طلـب لهـذه الحجج الأربع باطنا فهو من ضلال[1]، وهذا هو برهان الخلف ، الذى افترضه الإمام الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) مـن قبـل ، لكـى يـرد الحجـة بعكسـها ، ضـد آراء الفلاسـفة والباطنية .

وهناك أمثلة كثيرة على رد هذه الدعاوى غير أن الديلمى فى النهاية يذكر " إنما أوردنا هذه الهوسات والخرافات وهى معارضة الفاسد ليعلموا أن أحداً لا يعجـز عن الهذيان ويعارضهم بمثل مـا قـالوا ، فمتـى حملـوا ظواهـر الشـريعة علـى معـان باطنية لا تدل عليها تلك الظواهر ولا تقيدها بحقيقتها ولا بمجازاتها ، كـان لمبطل آخر أن يجعلها على معان أخرى مما يناقض ما ذكروه أو يهدمه ، فمذهبهم فى مثل هذه التأويلات الباطنية للعبادات والشرائع الالهية " كسراب بقيعة يحسبه الظمـآن ماء "[2].

أما العالم الآخر فهو " محمد بن مالك الحمادى " فـى كتابـه كشـف أسـرار الباطنية وأخبار القرامطة " هاجم فرق الباطنية والقرامطة وأنتقد عقائدهم وتأويلـهم الباطنى لأركان الشرائع والعبادات ونسبهم إلى الضلال..والفساد..والزندقة .. الخ[3].

وجدير بالذكر أيضاً أن علماء الشيعة المعتدلين من الأمامية الأثنـا عشـرية ، هاجموا مذهب غلاة التشيع والباطنية وأنكروا أن ينسـبهم أحـد إليـهم . أو إلى أهـل التشيع الأماميـة . فـهم يتـبرؤن مـن غـلاة التشـيع كالسـبأية والقرامطـة والباطنيـة وغيرهم[4].

---

(١) نفس المصدر السابق ، من ص ٦٧ – ص ٧٠ .
(٢) نفس المصدر ، ص للمزيد من الرد على البطانية ، ص ٥٨ – ص ٦٦ .
(٣) يرجع محمد بن مالك الحمادى ، كشف أسرار الباطنية ، ص ٢٧٦ .
(٤) نظرنا : محمد الأمين العاملى ، أعيان الشيعة جـ١ ص ١٠٠ – ص ١١٣ .

وقد ذكر المؤرخون العديد من المقالات التى تطعن فى عقائد ومذاهب الشيعة الغلاة أو الباطنية عموما الخارجة عن مذهب الإسلام الصحيح ومن ذلك ما ذكره أبن الأثير فى " ذكر القدح فى نسب العلويين المصريين فيقول " ابن الأثير فى الكامل بشأن حوادث سنة ٤٠٢ هـ فى هذه السنة كتب ببغداد محضر يتضمن القدح فى نسب العلويين خلفاء مصر وكتب فيه المرتضى ، وأخيه المرضى، وابن البطحاوى العلوى ، وأبو حامد الاسقرابينى وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم[١].

ومما سبق يتضح أن متكلمى أهل السنة والزيدية ومعتدلى التشيع انتقدوا مذهب التشيع الباطنى خاصة فى التأويل الباطنى واتفقوا جميعا على أن أمثال هذه العقائد باطلة ويجب كشفها .

وعلى ذلك فأننا نريد أن نحدد موقف اثنين من اكبر علماء السنة وأكثرهم نقدا لمذهب الشيعة الباطنية وهما : حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى والإمام أحمد عبد الحليم ابن تيمية .

١- الأمام الغزالى : " ٤٥٠ - ٥٠٥ هـ " (معبرا عن الاتجاه الأشعرى)

لقد حارب الإمام الغزالى مناهج الفلاسفة ونقد المتكلمين ، ولكنه لم يهاجم فرقة من الفرق أو مذهب من المذاهب بمثل العنف الشديد الذى هاجم به فرق الشيعة الباطنية، فقد كان لهذه الفرق الباطنية خطر كبير على الكيان الإسلامى والوحدة الإسلامية على المسرح السياسى والعقائدى ، وكانت مناهجهم أشد غلوا وإسرافا فى تأويل النصوص القرآنية والحديث بل والمسائل الإسلامية الأخرى طبقا لعقائدهم الباطنية التى يكاد يعصف بالحقائق الدينية والعقائدية ، ونظرا لهذه الخطورة التى سببتها أمثال هذه الفرق والمذاهب على الإسلام فقد استطاع علماء السنة ومتكلميهم وأهل السلف التصدى لهذه التيارات الهدامة – بإظهار بدعهم وإسرافهم وغلوهم فى

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، مجلد (٩) ، ص ٢٣٦

تأويل العقائد الدينية بالأدلة والبراهين العقلية والسمعية والنقلية .. وقد صنف علماء السنة والسلف العديد من الكتب والمقاولات فى ذلك وأتبعوا فى ذلك منهج التحليل النقدى لعقائد الباطنية كما لاحظت ذلك عند الإمام الغزالى وغيره .

وإذا اتجهنا إلى الإمام الغزالى نجد أن موقفه من الشيعة الباطنية كان موقفاً سياسياً بقدر ما كان دينياً وعقائدياً ، وعلى ذلك فقد صنف كتبه "فضائح الباطنية " بالإضافة إلى ما تناوله من نقده وتحليل وأبطال لعقائدهم فى مؤلفاته الأخرى .

والإمام الغزالى يهاجم مذهب الباطنية بقدر ما يهاجم مذهب الظاهرية الحشوية يقول " فان أبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء إلى أحد العاملين وجهلوا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه كما أن أبطال الأسرار مذهب الحشوية فالذى يجرد الظاهر حشوى والذى يجرد الباطن باطنى – والذى يجمع بينهما كامل[1].

وكما هاجم الغزالى مذاهب الشيعة الباطنية كذلك هاجم ورفض مذاهب فلاسفة التصوف الذين يؤولون النصوص والحديث على معان رمزية أو إشارية باطنية خاصة بعقائدهم " فقد كان يرفض التفسير أو التأويل الرمزى الإشارى ، وإن كان يوافق على تفسير القرآن عن طريق التصوف السنى[2] لذلك كان موقفه حاسماً فقد رفض منهج هؤلاء وأولئك ممن يصطنعون منهج الباطن فى التأويل أو حمل النصوص على معان ومدلولات باطنية لا توافق الظواهر – لذلك وصفهم بأنهم أهل الطامات الكبرى .. ويعطينا مثالاً للخطأ الذى وقع فيه أمثال هؤلاء فى تأويل بعض النصوص بقوله " أن قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى " أذهب إلى فرعون أنه طغى " (طه ٢٤) انه أشار إلى قلبه وهو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وقول بعضهم فى

(١) الغزالى ، مشكلة الأنوار ، ص ٣٢.
(٢) جولد تسيهر ، مذاهب التفسير الاسلامى ، ص ٢٢١ .

تأويل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " تسحروا فان فى السحور بركة " أن المراد به الاستغفار في الاسحار هذا التأويل حرام وضرره عظيم إذ أن حمل لفظ " فرعون " على القلب تأويل خاطئ لأن فرعون شخص محسوس تواتر النقل بوجوده ودعوة سيدنا موسى له كأبى جهل وأبى لهب وليس من جنس الشياطين او الملائكة، ما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه ، كذلك " لفظ السحور " فإن حمله على معنى الاستغفار باطل فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم " تسحروا وهلموا إلى الغذاء المبارك[1]. ويقول الغزالى فى نقده ورفضه لهذا المنهج فى التأويل الباطنى الإشارى " بأن هؤلاء حرفوا الألفاظ عن مقتضى ظواهرها ، ما يؤدى إلى بطلان الثقة بالألفاظ الشرعية والنبوية ، إذ أن الباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ، وهذا من البدع التى يقصد أصحابها الإغراب[2].

وقد اتجه الغزالى فى كتابة فضائح الباطنية إلى تحليل مذاهب الباطنية وتأويلهم الباطنى للنصوص والقضايا الشرعية والعبادات وأمور الآخرة – وأنتقدها وأظهر بدعتهم فيها عن طريق الأدلة النقلية والبراهين العقلية العقلية ، فيقول فى نقد منهجهم فى الباطن " أن دعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر .. وهى رموز وإشارات إلى حقائق معينة .. أدى ذلك بهم إلى القول بأن من أرتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكاليف .. وغرضهم الأقصى أبطال الشرائع بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين .. إذ تسقط الثقة بموجب الألفاظ الصريحة فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه[3] وفى موضع آخر يقول " أنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحصن ،

---

(١) الغزالى ، الأحياء ، جـ١ ، ص ٣٧ ، (حديث صحيح – البخارى – الصحيح – والنسائى – وأبو داود – نظرنا – العراقى – المغنى عن حمل الأسفار – هامش الأحياء حـ ٣٧)

(٢) المصدر السابق ، جـ١ ص ٣٧ .

(٣) الغزالى ، فضائح الباطنية ، ص١١ – ص١٢ .

ومفتتحه حصر مدارك العلوم فى قول الإمام المعصوم وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لما يعتريها من الشبهات ويتطرق إلى النظار من الاختلاف .. ثم أنهم بالآخرة يظهرون ما يناقض الشرع وكأنه غاية مقصدهم لأن سبيل دعوتهم ليس بمتعين فى فن واحد ، بل يخاطبون كل فريق بما يوافقه رأيه بعد أن يظفروا منهم بالانقياد لهم والموالاة لإمامهم فيوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونهم عليها(١).

ويتناول الغزالى مسائلهم العقائدية وتأويلهم للنصوص والقضايا الشرعية والعبادات فيحكيها عنهم ثم يبدأ فى ردها وإظهار بطلانها الواحدة تلو الأخرى . بمسالك ثلاثة " أبطال ومعارضة وتحقيق يقول " أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ وأبطال معانى الشرع وبما زخرفوه من التأويلات وقالوا كل ما ورد من الظواهر فى التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية كلها أمثلة ورموز إلى بواطن .. ففى الشرعيات: أن معنى الجنابة عندهم : مبادرة المستجيب بإفشاء سر إلية قبل أن ينال الأستحقاق والغسل : تجديد العهد من فعل ذلك العبادات : عبارة عن أخبار الأبرار الذين أمرنا لأتباعهم وأخذوا يؤولون كل لفظ ورد فى القرآن والسنة " طبقاً لمعتقداتهم " قالوا " أنهار من لبن " سورة محمد / ١٥ أى معادن الدين والعلم الباطن " أنهار من خمر " سورة محمد / ١٥ هو العلم الظاهر " انهار من عسل مصفى " سورة محمد / ١٥ هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة إلى آخر ما هنالك من تأويلات باطنية فاسدة(٢)وهذا كما يقول الغزالى من هذيانهم فى التأويلات حكيناها لنضحك منها ، ونعوذ بالله من صرعة الغافل .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

وكيوة الجاهل ويبدأ الغزالى فى رد دعاوى الباطنية وتأويلاتهم بمسالك ثلاثة :

أولاهما : الإبطال وهو أن يقال لهم بم عرفتم أن المراد من هذه الألفاظ ما ذكرتم؟ فان أخذتموه من نظر العقل فهو عندكم باطل ، وأن سمعتموه من لفظ الأمام المعصوم فلفظه ليس بأشد تصريحا من هذه الألفاظ التى أولتموها فلعل مراده أمراً آخر أشد بطوناً من الباطن الذى ذكرتموه لكنه جاوز الظاهر بدرجة فتزعم أن المراد بالجبال : الرجال فما المراد بالرجال . لعل المراد به أمر آخر والمراد بالشياطين أهل الظاهر فما أهل الظاهر؟ .. الخ ثم معارضة الفاسد بالفاسد وهو أن يتناول جميع الأخبار على نقيض مذهبهم ، فمثلاً يقال أن المراد من قوله صلى الله عليه وسلم " لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة "[1] أى لا تدخل العقل دماغاً فيه التصديق بالإمام المعصوم" .. الخ

ثانيهما : المعارضة : ويخص ذلك الغزالى بمعارضتهم فى محاولتهم الاستدلال بالحروف والأعداد اللفظية على مذهبهم .. يقول " هذا من الجهالة اختصت به هذه الفرقة من بين الفرق قالوا : الثقب فى رأس الآدمى سبعة ، والسموات سبعة والأرضون سبعة والنجوم والسيارة سبعة ، وأن البروج أثنى عشر .. وهذا يدل فى عقائدهم على الأئمة السبعة والحجج أو الدعاة الأثنى عشر فى كل جزيرة .. الخ " ويرد الغزالى على ذلك بقوله لهم من أين عرفتم هذه الدلالات؟ ولو حكم الإنسان بها لحكم على نفسه بأنه من سوء مزاجه وقد أضلكم الله إلى هذا الحسد " الخ ويمكن القول فى معارضتهم " مهما رأيت شيئاً واحداً فاستدل به على محمد صلى الله عليه وسلم وإذا رأيت أثنين فقل هو دلالة على الشيخين أبى بكر وعمر وأن كان ثلاثة : محمد وأبى بكر وعمر – وأن كان أربعة فالخلفاء الأربعة الخ .

ثالثهما التحقيق : أن تقول هذه البواطن والتأويلات التى ذكرتموها لو

(١) البخارى – الصحيح – حـ٢ ، ص ٢١٤ .

سامحتكم أنها صحيحة فى حكمها فى الشرع؟ أيجب إخفاؤها أم يجب إفشاؤها؟ فان قلتم يجب إفشاؤها إلى كل أحد قلنا : فلما كتمها محمد صلى الله عليه وسلم فلم يذكر شيئاً من ذلك للصحابة فان زعموا انه يجب إخفاؤه من سر الدين كيف حل لكم إفشاؤه .. وكيف استجاز كتمان دين الله على أن الدين لا يحل كتمانه إلى آخر ما هنالك من براهين عقلية وأدلة نقلية على بطلان عقائدهم وأدلتهم(١).

وينتقد الغزالى مذهبهم فى الإلهيات فيقول أنهم قائلون بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى واسم العلة " السابق " واسم المعلول " التالى " وهما العقل والنفس ويؤولون عليها المصطلحات القرآنية – القلم – اللوح كذلك يذكر الغزالى أن مذهبهم فى النبوات ومعتقداتهم فى هذه المسألة قريب من مذهب الفلاسفة .. فالنبى عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالى قوة قدسية صافية .. الخ وينقد الغزالى مذهبهم فى الإمامة – وأنه على دورات سبعة .

وكما ذكرنا عنهم يقول فى هذا المذهب " أنه خرافات " ويشير الغزالى إلى ما لديهم من عقائد فى التناسخ – وأن النفوس المنكوبة تبقى أبداً الدهر فى النار بمعنى أنها تبقى فى العالم الجسمانى تتناسخها الأبدان – وهذا مذهبهم فى المعاد – وهو بعينه مذهب الفلاسفة – وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الخلق حتى تبطل به الرغبة والرهبة .. ولذلك فانهم أنكروا القيامة والبعث على نحو ما ذكره الشرع الصحيح وتواترت بشأنه الأحاديث(٢).

ويوجه الأمام الغزالى النصيحة لأحد الشيعة الباطنية الذى جادله فى مسألة الأخذ المباشر عن أمامه المعصوم وتركه لموازين الشرع بقوله " اتق الله ولا تنعسف فى

(١) نظرنا نفس المصدر السابق من ص ٥٨ إلى ص ٧١ .
(٢) المصدر السابق من ص ٣٨ إلى ص ٤٨ .

التأويل وأعلم أن الميزان هو ميزان بمعرفة الله تعالى ومعرفة ملائكتـه وكتبـه ورسـله وملكه وملكوته لتتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموها مـن ملائكتـه فـان الله هو المعلم الأول والثانى جبريل والثالث الرسول صلى الله عليـة وسلم والخلـق كلـهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق إلى المعرفة به إلا بهم(١).

ومما سبق يتضح أن الأمام الغزالى باعتباره معبرا عن الاتجـاه الأشـعرى مـن متكلمى أهل السنة أحاط بمذاهـب الشيعة الباطنيـة وتأويلاتـهم الغاليـة والمتطرفـة الأركان الشريعة والعبادات – واستطاع نقدها والرد عليها بـالنقل والعقـل – ويمكـن لنا أن نتناول عالم سلفى من أكبر الشخصيات الإسلامية التى كـافحت وجـاهدت مـن اجل الدفاع عن الإسلام ضد تيارات الإلحاد والزندقـة والغلـو عنـد أربـاب التصـوف والفلاسفة والشيعة أمامية وإسماعيلية ومحاولته تثبيت منهج أهـل السـنة والسـلف الصالح وهو الإمام السلفى ابن تيمية .

٢- الإمام السلفى تقى الدين أحمد بن عبد العليم بـن تيميـة : " معبـرا عن المنـهج السلفى " (ت : ٧٣٧ هـ) :

أنتقد الأمام السلفى تقى الدين أبـن تيميـة مذاهـب الباطنيـة علـى اختـلاف أنواعها ومناهجها خاصة فى تناولهم النصوص القرآنية والقضايا العقائدية وتأويلـها طبقا لنزعاتهم المذهبية – وذلك فى معظم مؤلفاته ومقالاته – غـير أنـه حـدد موقفه النهائى من مذاهب هذه الطوائف وصرح أنهم خارجون على حدود المنهج الإسـلامى الصحيح – وإذا كان الأمام بن تيميـة يسـتعمل عـادة لقب الباطنيـة بمعنـاه الواسـع والغير محدد أحيانا فيستعمله بالنسبة للصوفية أو الفلاسفة كـابن سـينا والقرامطـة وأخـوان الصفـاء والإسماعيليـة – لقولهـم بـأن للقـرآن ظـاهر وبـاطن – أو أن ظواهـر

---

(١) الغزالى ، القسطاس المستقيم ، ضمن مجموعة القصور العـوالى ص ١٥ ، تحقيـق محمـد مصطفى ابـو العلا ، ط الجندى ، ١٩٧٠ .

النصوص رموز وإشارات لمعان باطنية خاصة بالعقلاء ذوى الحكمة – غير أن الأمام ابن تيمية يعتبر " الباطنية " امتدادا طبيعيا للغلو فى التشيع حيث أن أمثال هؤلاء وجدوا فى البيئة الشيعية التربة الصالحة لنشر أفكارهم يضاف إلى ذلك أن الأمام ابن تيمية عندما يتحدث عن الروافض أو الباطنية فانه لا يفرق بينهما سوى فى اللفظ لأن كليهما يمثل مذهب شيعى باطنى واحد لذلك نجده يوضح العلاقة بين الروافض والباطنية يقول " بان هؤلاء وأولئك وأن اختلفت مشاربهم فلأنهم يجمعهم أمور منها الطعن فى خيار الأمة وفيما عليه السلف وأهل السنة والطعن فى أصول الدين وقواعد الله ، ثم تحريف القرآن وادعاؤهم أن هناك باطنا إمتازوا به واختصوا به عن سواهم[1].

ويوضح أبن تيمية موقفه من مذهب الرافضة – عندما يصفهم بأنهم أئمة التحريف وفى مبادئهم وجد الإسماعيلية والقرامطة والباطنية الطريق معيدا لتنفيذ مبادئهم فتأولوا الواجبات واستحلوا المحرمات ، ورفعوا الشريعة بالكلية[2]

وعلى ذلك فإن الأمام بن تيمية يرفض دعاوى المذاهب الخارجة عن منهج أهل السنة والسلف بصفة عامة من والباطنية أو الروافض بصفة خاصة ، فقد تتبع دعاوى هؤلاء وفندها فى كثير من كتبه أهمها " منهاج السنة " وبغية المرتاد فى الرد على القرامطة أهل الإلحاد ".. وغيرها تكرار وأظهر للناس كذب ما يدعيه هؤلاء من الجفر والباطن والعلوم الباطنية التى يدعون نقلها عن " على بن أبى طالب " وما وضعوه من أحاديث مكذوبه على الرسول صلى الله عليه وسلم والتى يؤيدون بها دعواهم فى العلم الباطن وما اختلقوه من الأقوال التى أستدلوا بها فى أحقية الأمام المعصوم وأختصاصه بعلم التأويل وبين لهؤلاء جميعا أن " عليا وجعفرا " براء

---

(١) نظرنا محمد السيد الجلنيد ، الإمام بن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٩٨ .

(٢) أبن تيمية ، منهاج السنة ، جـ٢ ، ص٩٠ .

مما يقولون وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخص عليا بنوع من العلم قد حجبه عن بقيه الصحابة مثل أبى بكر وعمر ولا شك أن العلماء بأحوال جعفر الصادق يعلمون تماما كذب ما يدعيه من الكتب المنسوبة إليه وهى كثيرة[1].

وجدير بالذكر أن الإمام ابن تيمية له مع كل فكرة من أفكار الباطنية موقف ومع كل رأى من آرائهم حجة وبرهانها – ولذلك يمكن أن نستعرض هذه المواقف والأفكار التى يتعرض لها الأمام السلفى ابن تيمية بالنقد والتفنيد – يقول ابن تيمية " أن السلف آمنوا بما أخبر الله عن نفسه وعن اليوم الآخر ومع علمهم بالمباينة التى تبين ما فى الدنيا وبين ما فى الآخرة وأن مباينة الله لخلقه أعم .

أما أهل الكلام فقد أثبتوا ما أخبر به فى الآخرة من الثواب والعقاب ونفوا كثيرا مما أخبر به من الصفات أما الفريق الثالث فقد نفوا هذا وهذا وهم القرامطة والباطنية والفلاسفة الذين ينكرون حقائق ما اخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر، ثم أن كثيرا منهم يجعلون الأمر والنهى من هذا الباب ، فيجعلون الشرائع المأمور بها ، والمحظورات المنهى عنها لها تأويلات باطنية تخالف ما يعرفه المسلمون منها ، كما يتأولون الصلوات الخمس والصيام فى رمضان وحج البيت ، مثال ذلك الصلوات الخمس ، معرفة أسرارهم ، صيام رمضان ، كتمان أسرارهم وحج البيت ، السفر إلى شيوخهم .. وغير ذلك من التأويلات التى يعلم بالاضطرار أنها كذب وافتراء على الرسل وتحريف لكلام الله ورسوله عليه السلام عن مواضعه- وقد يقولون أن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة ، فإذا صار الرجل من معارفيهم ومحققيهم وموحديهم رفعوا عنه الواجبات ، وأباحوا له المحظورات – وقد يدخل فى المنتسبين إلى التصوف وهؤلاء الباطنية الملاحده الذين أجمع المسلمون على أنهم

(١)محمد السيد الجلنيد الأمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ، ص ٢٩٩ .
كذلك أبن تيمية ، القانوى الكبرى – جـ ٥ بقية المرتاد ص ٥٨ – ص ٥٩ ط الكردى .

أكفر من اليهود والنصارى[١].

ويذهب ابن تيمية إلى أن هؤلاء الرافضة والباطنية وأمثالهم أخطأوا فى الدليل والمدلول معا وأعتقدوا مذهبا وأرادوا حمل النصوص القرآنية عليها وتأويلها طبقا لعقائدهم يقول " الذين أخطأوا فى الدليل والمدلول طوائف من أهل البدع وأعتقدوا مذهبا يخالف الحق الذى عليه الأمة الوسط وعمدوا إلى القرآن فتأولوا على آرائهم تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها ، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلام عن مواضعه .. فيذكر من هؤلاء الخوارج والروافض[٢] ثم يذكر طعن تأويلات الروافض والباطنية للنصوص القرآنية بما فيه من الطعن فى سلف الأمة والخلفاء الراشدين " بأن هؤلاء فسروا القرآن بأنواع لا يقضى العالم منها عجبه " أمثلة هذه التأويلات الباطلة تأويلهم لقوله تعالى " تبت يدا أبى لهب " سورة المسد / ١ هما أبو بكر وعمر وقوله تعالى " إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " سورة البقرة / ٦٧ هما عائشة وغير ذلك من التأويلات الباطلة – الفاسدة ويعلق على ذلك أبن تيمية بأن أمثال هذه الخرافات تتضمن تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال ، هذه الألفاظ لا تدل على هؤلاء الأشخاص[٣].

بعد ذلك أتجه الأمام ابن تيمية إلى نقد وتفنيد دعاوى ومزاعم الباطنية والروافض فى " الصفات الإلهية " فيذكر المذهب الصحيح فى ذلك وهو الذى عليه سلف الأمة يقول أن الله لا مثيل له ، بل له المثل الأعلى فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوقات فى قياس تمثيل ولا فى قياس شمول تستوى أفراده – ولكن يستعمل فى

(١) أبن تيمية ، الرسالة التدمرية ، (ضمن كتاب نفائس ص ٢١ – ص ٢٢) .
(٢) ابن تيمية ، مقدمة من أصول التفسير ص ٢١ ، للمزيد أنظر ص ٢٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢ ، ص ٢٣ للمزيد أنظر ص ٢٤ .

حقه المثل الأعلى وهو أن كل ما أتصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به ، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه ، فإذا كان المخلوق متنزهاً عن مماثلة المخلوق مع الموافقة فى الاسم فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة فى الاسم .. وهكذا[1].

وفى التوحيد والصفات يقول ابن تيمية أن منهج أهل السنة وما عليه السلف هو " أن يوصف الله بما وصف بـه نفسـه ، وبمـا وصفـه بـه الرسـول نفيـاً وإثباتـاً ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه ونفى عنه ما أنفاه عن نفسه وقد علم أن طريق سلف الأمة، وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ومـن غـير تحريـف ولا تعطيل .. ومن غير إلحاد فى أسمائه ولا فى أياته فالله سبحانه وتعـالى ذم الذيـن يلحدون فى أسمائه وآياته فقال تعـالى " ولله الأسمـاء الحسـنى فـأدعوه بـهـا ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون " سورة الأعراف ١٨٠ [2].

وبعد ما يذكر مذهب أهل السنة والسلف – يبدأ فى إظهار بطلان اعتقـادات مذاهب الباطنية والروافض ، وغـيرهم فـى الصفـات يقـول " أمـا مـن زاغ وحـاد عـن سبيلهم من الكفار والمشركين الذين أوتوا الكتاب ومن يدخل فـى هـؤلاء مـن الصائبـة والمتفلسفة والقرامطة الباطنية – فانهم على ضد ذلك " يقصد ضد مذهب أهل السنة " يصفون " الله تعالى " بالصفات السلبية ، ولا يثبتـون إلا وجـوداً مطلقـاً لا حقيقـة لـه عند التحصيل إنما يرجع إلى وجود فى الأذهـان يمتنـع تحققـه فـى الأعيـان فقولهـم مستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فانهم يمثلونـه بالمتنعـات ويعطلـون الأسمـاء والصفات تعطيلا يستلزم نفى الـذات يسـلبون عنـه النقيـض ويقولـون لا موجـود ولا معدوم ولا حـى ولا ميت ولا عـالم ولا جـاهل الخ لأنـهم يزعمـون انـهم إذا وصفـوه

(١) ابن تيمية ، الرسالة التدمرية ، ص ٢٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٦ .

بالإثبات شبهوه بالموجودات وإذا وصفوه بالنفى شبهوه بالمعدومات ، فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع فى بداهة العقول وقد شاركهم فى مثل ذلك الفلاسفة(١).

وبعد ذلك يتجه الأمام السلفى ابن تيمية إلى نقض وتنفيد دعاوى الروافض الأمامية الإثنا وعشرية فى عقيدتهم فى المهدى المنتظر أو طاعة الأمام – نختصر من ذلك بعض أقواله يقول " أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يجب طاعته على الناس لكونه إماماً ولكن لكونه رسولاً ونبياً وهذا المعنى ثابت له حيا وميتا .. الخ أما صاحب الزمان الذى يدعون إليه لا سبيل للناس إلى معرفته ولا معرفة ما يأمرهم به وما ينهاهم عنه وما يخبرهم به فان كل أحد لا يصير سعيداً إلا بطاعة هذا الذى لا يعرف أمره ولا نهيه لزم أن لا يتمكن أحد من طريق النجاة والسعادة وطاعة الله وهذا من أعظم تكليف ما لا يطاق وهم من أعظم الناس أحالة له وعلى ذلك فان أصل دين هؤلاء الرافضة مبنياً على مجهول ومعدوم لا على موجود ولا معلوم يظنون أن أمامهم موجود معصوم وهو مفقود معدوم(٢).

ويذهب ابن تيمية إلى أن أقوال واعتقادات هؤلاء الرافضة فى الأمام المعصوم المهدى المنتظر – يقاربه وأعتقادات " الصوفية " وهذا مثل إيمان كثير من شيوخ الزهد والدين بإلياس والخضر والغوث والقطب ، وهذا القطب هو الغوث الذى عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله من العالم فى كل زمان وهو على قلب أسرا فيل عليه السلام ويقول ابن تيمية أن الإيمان بوجود هؤلاء ليس واجباً عند أحد من علماء المسلمين وطوائفهم المعروفين .. والذى يوجب ذلك من الصوفية على أحد كان قوله مردوداً كقول الرافضة(٣).

والخلاصة أن الأمام السلفى ابن تيمية يرفض دعاوى هذه الفرق والطوائف

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ٩ – ص ١٠ .
(٢) ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، جـ١ ص ٤٦ ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ .
(٣) المصدر الابق – جـ١ ص ٦٠ ، ص ٦١ .

من الرافضة والباطنية والإسماعيلية والفلاسفة ومن يشاركهم عقائدهم ومناهجهم بما يخالف منهج أهل السنة والسلف[1] ولا يتبع طريق الإيمان بالله تعالى ورسوله ومنهج القرآن الكريم .

ثانيا : موقف علماء العصر الحديث من التشيع الباطنى :

كما رأينا فيما سبق أن موقف أهل السنة وعلماء السلف من مذاهب الشيعة الباطنية يشكل موقف المعارضة والرفض وحاولوا رد دعاوييهم وعقائدهم وتأويلاتهم للنصوص القرآنية والأحاديث طبقا لعقائدهم خاصة " نظريتهم فى الإمامة " وذلك عن طريق الأدلة النقلية والبراهين العقلية وقد كان لكبار علماء السنة والسلف أمثال الأمام الغزالى وابن تيمية – والديلمى وابن مالك الحمادى وغيرهم الأثر الكبير فى كشف هذه الدعاوى المتطرفة والرد عليها أما جمهور المسلمين " وإذا حاولنا أن نتعرف على موقف العصر الحديث من هذه التيارات الغالية عند الشيعة الباطنية ومذهبهم فى التأويل الباطنى فانهم يتفقون تماما مع موقف علماء السنة والسلف السابقين فى رفض دعاوى الباطنية من الشيعة .

فقد أهتم العديد من العلماء والباحثين المعاصرين بدراسة هذه المذاهب والتيارات الغالية عند الشيعة وغيرهم من أرباب المذاهب الأخرى نظرا لخطورة هذه التيارات وما فيها من آراء ومبادئ ضارة بالدين الإسلامى وأيضا كمحاولة من اجل تنقية التراث الإسلامى العقائدى والفقهى مما علق به من شوائب هذه التيارات والآراء الباطلة الفاسدة والتى قد تدخل فى أحضان العقيدة أما بقصد أو بغير قصد .

ونحن إذ نولى هذه الناحية أهتمامنا وبحثنا فيجب أن نتصرف على آراء وتحليلات وانتقادات هؤلاء العلماء والباحثين لهذه المذاهب الشيعية وتياراتها

---

(١) للمزيد فى ذلك يرجع إلى – ابن تيمية – الفرقان بين الفرق أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ط صبيح بولاق ،١٩٣٦م.

لها فى تقويم الأشخاص فالصلاح والتقوى والعلم لا يورث – قال تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره شرا يره " سورة الزلزلة / ٧ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة بنت محمد " يا فاطمة أعملى فلن أغنى عنك من الله شيئا "[١] وعلى ذلك فدعوى أن الإمامة ارث وان الإمام معصوم وأن الإيمان بالإمام يجب المعاصى " أى يمحيها " قلب لنظام الإسلام وهدم لأهم مبادئه[٢].

اتجه العلماء والباحثون إلى محاولة البحث عن المصادر الخارجية أو المؤثرات التى أدت إلى الغلو والتطرف فى مذهب التشيع – فاتضح أن الباطنية استمدوا عقائدهم الفلسفية أو الباطنية من التيارات الفلسفية والدينية الخارجة عن الإسلام وان هذه التيارات دخيلة على المذهب الشيعى ولا تمثله ولا تمثل العقيدة الإسلامية مطلقا .

كذلك ذهب الشيخ الكبير محمد بن زاهد الكوثر فى بحثه وتحليله لمذاهب الباطنية بقوله " لقد خلط الباطنية كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج ولدعوتهم تسع منازل يتدرجون بها إلى المكاشفة بالإلحاد المكشوف " ويستمر فى وصف هؤلاء الغلاة ويدلل على أن آرائهم هى نفس آراء مذاهب الفلاسفة وأهل الديانات الأخرى – اليهودية والنصرانية – والمجوسية – وأن أغراضهم توحيد – الديانات كلها فى دين واحد[٣].

كذلك يذهب بعض الباحثين إلى أن " الإسماعيلية " أخذوا مقالة الفلاسفة

---

(١) البخارى – الصحيح – حـ٢ – ص ١٢٨ .
(٢) أحمد أمين – ضحى الإسلام – جـ٣ ، ص ٢٢٢ – ص ٢٢٥ .
(٣) نظرنا محمد بن زاهر الكوثرى ، مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك الحمادى – ص ٨ – ص ٩ .

الفيثاغورين القدماء الذين جعلوا كل الأعداد أصولا لعقيدتهم وصيغوا آراء الفيثاغوريين بالصيغة الإسلامية على حسب العقيدة الإسلامية ومن ثم ظهرت عندهم عقائدهم فى الإعداد وما يقابلها من أصول دينية دون أن يقفوا على عدد بعينة والأمثلة كثيرة كما ذكرنا فى البحث الواحد : هو العقل الكلى " القلم " الاثنان العقل والنفس أى " القلم واللوح " الثلاثة محمد وعلى وفاطمة ..وهكذا . جعلوا لكل عدد ما يقابله فى الدين – وهذه العقائد مزيج عجيب من مجموعة المذاهب والديانات والآراء الفلسفية والغنوصية القديمة التى انتشرت فى الأقطار الإسلامية وقد أخذ الإسماعيلية هذه الآراء والمعتقدات وأخضعوها لفكرتهم فى الإمامة[١].

كذلك فان عقائدهم الباطنية مثل المهدى – البداء والعلوم السرية – وغير ذلك فيها التأثر بمصار خارجية وهى أفكار غريبة بلا شك عن الإسلام قد ترجع إلى اليهودية والنصرانية والغنوصية[٢].

ويذهب الدكتور أحمد شلبى فى بحثه لآراء وعقائد التشيع إلى أن معظم كتب ومؤلفات علماء الأمامية قد لا تصلح لدراسة المذهب الشيعى المعتدل نظراً لما يتطرق إليها من تأويلات باطنية أو آراء وتيارات غالية وأحاديث موضوعة فى صالح المذهب يقول " أن كتاب (الكافى) لا يمثل مذهب الشيعة بقدر ما يمثل أفكار مدعى التشيع والوضاعين والمضللة ، وأنه من الضرورى أن تحذف من الشيعة تلك الفرق التى تكونت لتفسير الإسلام وأننا نعترف بأن فرق الشيعة أصابها شىء قليل أو كثير من مدعى التشيع " وفى مواضع أخرى يذكر أن موضوع الإمامة والعصمة والتقيه والرجعة والمهدية كلها موضوعات غريبة على التفكير الإسلامى تلك أفكار

---

(١) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية – ص ١٧٤ لمزيد ينظر دكتور النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ٢ – ص١ – ص ٤٠٠ – ص ٤٠١ .

(٢) دكتور النشار ، المصدر السابق جـ٢ – ص ٥٧ – ص ٥٨ ، ص ٣١

وعقائد الشيعة الباطنية من الإمامية والغلاة ويستطرد الدكتور احمد شلبى فى نقد وتقيد مزاعم ودعاوى الشيعة الباطنية والغلاة وينتهى إلى أن الدراسات الحديثة كشفت للثام عن كثير من الأباطيل التى أضيفت ظلماً إلى الشيعة المعتدلة الاثنا عشرية والزيدية وهذه حقيقة تنبه إليها المثقفون فى كلام الفرقتين – أما غير المثقفين فلا يزالون فى ظلام حالك من البدع والخرافات .. الخ(١).

ويذهب العالم الكبير الدكتور محمد حسين الذهبى فى نقد مذاهب الشيعة فى التفسير يظهر أن تفسيرات هذه المذاهب وتأويلاتهم للنصوص القرآنية تمتاز بالطابع المذهبى طبقاً لعقائدهم وأهوائهم دون مراعاة لحرمة النصوص وقواعدها اللغوية والتشريعية " يقول " " وكان طبيعياً وكل حزب – من أحزاب الشيعة ينتسب إلى الإسلام ويعترف بالقرآن ولو بالجملة – أن يبحث كل من مستند يستند إليه من القرآن الكريم ويحرص كل الحرص على أن يكون القرآن شاهداً له لا عليه فما وجده من الآيات القرآنية يمكن أن يكون فى نظره دليلاً على مذهبه تمسك به وما وجده مخالفاً لمذهبة حاول بكل ما يستطيع أن يجعله موافقاً له أو على الأقل غير معارض له ولو أدى ذلك إلى الخروج بالنص القرآنى عن معناه الذى سبق من أجله ثم يستعرض العديد من تأويلاتهم المذهبية للنصوص والأحاديث طبقاً لعقائدهم فى الإمامة ، والعصمة ، والمهدية .. الخ(٢).

ولاشك أن للمدرسة المصرية الحديثة وعلى رأسها الأستاذ الإمام محمد عبده مواقف واضحة ومعارضة لمثل هذه التيارات والعقائد الشيعية والباطنية الفاسدة والغالية لدى أرباب المذاهب الفلسفية والصوفية الذين شاركوا الشيعة فى أصطناع

---

(١) نظرنا دكتور أحمد شلبى ، التاريخ الإسلامى والحضارى الإسلامية جـ٢ ص ١٥٦ ، ص ١٧٢

(٢) دكتور محمد حسين الذهبى ، الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم ، ص ٥٧ – ص ٥٨ للمزيد انظر ص ٥٨ – ص ٦٥ .

مذهب الباطن فى التـأويل وبـدون أن نسـتطرد فـى ذلـك تركـز علـى بعـض المواقـف والردود المعارضة والواضحة لمذهب الباطنية فى مدرسة التجديد المصرية .

إذ يذكر الشيخ محمد رشيد رضا التلميذ النجيب للأستاذ الأمام محمد عبـده فيما يتعلق بمفهوم التأويل " بأن لفـظ التـأويل لم يـرد فـى القـرآن إلا بمعنـى الأمـر العملى الذى يعنى المآل ، تصديقاً لخـبر أو رؤاً أو لعمـل غـامض يقصـد بـه شئ فـى المستقبل ويستشهد على ذلك بقوله تعالى " سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليـه صـبرا " الكهف / ٧٨ وقولـه تعـالى " ذلـك تـأويل مـا لم تسـطع عليـه صـبرا " الكـهف / ٨٢ فالأنباء بالتأويل أنباء بأمور عملية ستقع فى المآل لا بالأقوال – لذلك يجب أن يحمل التأويل فى سورة آل عمران آيه (٧) على المعنى الذى أصطلح عليـه قدمـاء المفسـرين بمعنى التفسير – لا على المعنى الاصطلاحى – وهو صرف النظر عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل[1].

وفى هذا الرأى للشيخ محمد رشيد رضا بشأن التأويل رد ومعارضـة لأربـاب المذاهب الذين شرحوا المقصود بالتأويل على أنه ترجيـح لأحـد محتمـلات اللفـظ ممـا أدى إلى فتـح المجـال للمؤولـين كـى يدلـوا بآرائـهم فـى التــأويل طبقــاً لنزعاتــهم ومذاهبهم– متكلمين أو فلاسفة – أو صوفية .

لذلك يقول الشـيخ محمـد رشـيد رضـا " أن الباطنيـة تمسـكت بـهذا المعنـى الاصطلاحى فى دعواهم – إذ قالوا إن أحداً لم يفهم القرآن فى زمن التنزيل ولا بعـده وأن الله وعد بتأويله فلابد من انتظار من يبعثه الله تعالى بهذا التأويل والباطنية وهـم آخر فرقة ظهرت من الباطنية تدعى أن الباب هو ذلك المدعـو بـه واليهائيـة ومنـهم يقولون بل هو البهاء[2]

---

(١) محمد رشيد رضا ، جـ٣ ، ص ١٧٥ .

(٢) المصدر السابق ، جـ٣ – ص١٧٥

وفى هذا الموقف معارضة شديدة لمنهج التأويل عند الشيعة الباطنية حيث أنهم كما علمنا فى سياق البحث - يخرجون بالألفاظ والنصوص عن مدلولاتها ومعانيها الحقيقية إلى معان ومدلولات باطلة خاصة بمذهبهم بدعوى التأويل أو الباطن أو الرمز .

وإذا اتجهنا إلى استعراض موقف الإمام المجدد محمد عبده المتوفى عام/١٩٠٥م من مذاهب الشيعة أو الباطنية فانه يمثل موقف الإمام الغزالى من جميع المذاهب الباطنية من الصوفية او الشيعة من حيث دعوته إلى ضرورة نبذ دعاوى هؤلاء أولئك خاصة فى التأويل المذهبى ، بالإضافة إلى دعوته المستمرة إلى التجديد والإصلاح الدينى وعدم الوقوف على التقليد طبقا لمتطلبات العصر الحديث إذ أن ، الشريعة والعقيدة الإسلامية صالحة لكل زمان وفى كل مكان عندما تستخدم المنهج العقلى السليم فى استنباط الأحكام النصوص القرآنية - دون تطرف أو تقليد فقد رأى الإمام محمد عبده أن العقل كفيل بحل ما يعترضه من مشاكل عقائدية فلم يفرط فى حق العقل ولم ينقصه قدره ، بل لقد ذهب بعض المعاصرين بان الإمام محمد عبده قد جاوز بالعقل حده فدفع به ليقول فى حوادث المستقبل ومعارفه أقوالا يقينية تعتبر من مشاكل العصر الحديث(١).

وكذلك لم يكن الإمام محمد عبده من المتشككين فى قيمة العقل ، وكان له بعد ثقة فى العقل وآثاره فى الدين والأخلاق(٢) وعلى ذلك فان الذى يقلد فى أصول دينه ليس بمستيقن وكل من ليس مستيقن فى الأصول فهو على ريب منها وكل من كان كذلك فهو كافر(٣).

---

(١) دكتور سليمان دنيا ، الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين - القدسة ص ٩ ط دار إحياء الكتب العربية - الحلبى - ١٩٥٨م .
(٢) دكتور عثمان ، رائد الفكر العربى - محمد عبده ص ٣٣٥ ، ط مكتبة النهضة المصرية
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠ ، ط القاهرة ١٩٥٥ .

وبهذا المنهج العقلى فى دراسة وبحث أمور العقيدة يتجه الإمام محمد عبده إلى نقد وتحليل مزاعم الباطنية وأصحاب منهج الباطن من الصوفية يقـول " كـان مـن غلو بعض الصوفية أن أفرطوا فى الكلام على حكمة الدين وأسراره حتـى يعـدوا بـها عن النصوص والسنن ثم زعموا أن للقرآن ظـاهراً وباطنـاً ، وأن مدلـول النصـوص هـو الظاهر وأما الباطن فلا يعرف إلا بالكشف والإلهـام ومـن هـذه الثغـرة دخلـت علـى هؤلاء دسائس الباطنية الذين أوجسوا خلال الأمة يبغونها الفتنة بتحريف النصوص وتأويلها وفيها سماعون لهم منخدعون بزخرفهم(١).

ومن المآخذ التى يعيبها الإمام محمد عبده على غلاة الصوفيـة منهجـهم فـى التأويل الباطنى " فقد تصرفوا فى المعانى والألفاظ وسلكوا سبيل التعمية والألغاز فهم فى رأى محمد عبده مثل غلاة الفلاسفة الإسلاميين بل وأكثر منهم مخالفـة للفلسـفة ومخالفة للشريعة حتى أنهم قالوا شريعة وطريقة وحقيقة – وفى موضع آخـر يقـول عنهم والـذى استنبطه مـن طـول البحـث والمقارنـة أن اكـثر الذيـن خـالفوا نصـوص الشريعة بأقوالهم وكتبهم من لبس لباس التصوف هم باطنية فى الحقيقة وأقلهم قـد مرق من الدين بشبهات عرضت له من تلك الفلسفة الباطلة التى كانت رائجة فى تلك القرون ثم قلدهم فى هذه الأباطيل كثير من المسلمين وهم لا يعرفون أصلها ولا الغاية التى وضعت لتؤدى إليها(٢).

وبهذا نبه محمد عبده إلى ضرورة التنبيه إلى ما صاب الإسـلام مـن تأثـيرات فلسفية خارجة عن الدين دخلت فى أحضان الفكر الإسلامى منذ القرون السـابقة عـن طريق الفلاسفة والباطنية .

وعنـدما ينتقد الإمام محمـد عبده مذهب الصوفية ومنهجهم فى تأويل

---

(١) محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، جـ١ ، ص ١١٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١١٤ – ص ١١٥ .

النصوص طبقاً لآرائهم فانــه ينتقـد كذلـك مذهـب التشيع البـاطنى لا كـلا المذهبـين يشترك فى مذهب الباطن ، وتأويل النصوص طبقاً لعقائدهم يقول " مثل الصوفية فـى ذلك كمثل الشـيعة فقـد كـان هـؤلاء حزبـاً سياسياً مـن المسـلمين يـرى أن الحكومـة الإسلامية يجب أن تكون حكومة أشراف وأن أحق النـاس بـها بعـد النبـى صلـى الله عليه وسلم هو على بن أبى طالب فجعل الباطنية من أصول تعاليم الوضعية الغلو فـى على وولده والقـول بعصمتـهم وأنـه لا يعـرف بـاطن الديـن ولا حقيقتـه إلا منـهم – وهكذا – وينسب دعوة الباطنية هذه إلى المجوس – أصحاب الملل الأخرى الذين أرادوا طمس الإسلام الحقيقى ويستبدلون به ديناً جديداً "[1].

ومن الجدير بالذكر أن الإمام محمد عبده عندما كان يدعو للتجديد والإصلاح الدينى والبعد عن التقليد الأعمى الـذى يـؤدى إلى الخطـأ لم يكـن يعـادى مذهبـاً مـن المذاهب الإسلامية المعتدلة – حتى انه لم يعادى الشيعة المعتدلة أنفسهم – بـل علـى العكس وهو فى تفنيده لمزاعم الباطنية كان يفرق بين المذاهـب المعتدلـة وبـين غيرهـا مـن المذاهـب الغاليـة – فـالمذهب الشـيعى المعتـدل عنـده مذهـب إسـلامى صحيـح لا يختلف عن المذاهب الإسلامية إلا فى بعض الفروع فقط يقـول فـى ذلـك " لما ظـهرت تعاليم الباطنية فى بعض فرقهم أمتاز مسلموا الشيعة وثبتوا على الإيمان بوحدانيــة الله ورسالة محمـد عليـه السـلام خـاتم النبيـين والمرسلين – وإقامـة أركـان الإسـلام الخمسة بالعمل لا يخالفون غيرهم من المسلمين فيها إلا ببعـض الفـروع الاجتهاديـة والباطنية هدموا كل هذه الأركان والعقـائد الأساسـية ولكـن بقـى فـى كتـب الشـيعة وتقاليدهم شيء من أحاديثهم الموضوعة . أما الصوفية فلا تزال كتبهم حاوية لجميـع أضاليلهم وأكثر الخلق لا يستطيع التمييز بينها وبين التصور الصحيح إلا أفراد

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١١٥ .

المحققين[1] وهكذا .

غير أن الأستاذ الإمام محمد عبده يدعو إلى ضرورة تنقية التراث الإسلامى فى جميع المذاهب الإسلامية المعتدلة مما علق بها من مؤثرات خارجية وتعاليم وثقافات فلسفية أو باطنية تخالف منهج الإسلام السنى والسلفى الذى يقوم على منهج التجديد والإصلاح الدينى والعقائدى طبقاً للمنطق الصحيح والاجتهاد العضلى ونبذ دعاوى الفرقة والاختلاف بين المسلمين جميعاً وعدم الأخذ بالتعاليم والمبادئ الفاسدة التى ذهب عصرها وانتهت منذ زمن بعيد وقد سبقه إلى ذلك أستاذه جمال الدين الأفغانى حيث هاجم أرباب التشيع وتعاليمهم التى تدعوا إلى الفرقة بين المسلمين ودعا إلى ضرورة رأب الصدع الذى حدث فى الصف الإسلامى وما زلنا نعنيه حتى الآن فقال " إما أن ، المسلمين أن ينتبهوا من هذه الغفلة ومن هذا الموت قبل الموت؟ بالقوة وعزة الحق أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا يرضى عن العجم وعن هموم أهل الشيعة إذا هم قاتلوا اهل السنة او افترقوا عنهم لمجرد تفضيله على أبى بكر وجميعهم لا يحسنون امر دنياهم والناس أبناء ما يحسنون وكذلك أبى بكر لا يرضيه أن يدافع أهل السنة عنه وأن تقاتل الشيعة لأجل تلك الأفضلية التى مضى زمنها والتى تخالف روح القرآن[2].

ونخلص مما سبق إلى إيضاح منهج محمد عبده فى تناول النصوص القرآنية وبحث قضايا العقيدة طبقاً للمنهج الإسلامى الصحيح بأنه يجب أن يكون القرآن أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء فى الدين لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذى يحمل عليها ويرجع بالتأويل والتحريف إليها كما جرى عليه المخذولون وناه فيه

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٢) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ص ٣٢٥ ، ص ٣٢٦ ط دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

الضالون لذلك يجب أن ينظر إلى القرآن كأصل تؤخذ منه العقيدة ويستنبط منه الرأى[1].

وعلى ذلك فإن المنهج الصحيح فى التأويل يقوم على فهم روح القرآن والوقوف على معانيه دون التمسك بحرفية الكتاب وقد أعرض الإمام محمد عبده عن اختراع الوجوه فى التأويل والأغزاب والأبعاد عن مقاصد التنزيل[2].

وأعتبر القرآن كله وحدة واحدة ، لا يصح الإيمان ببعضه وترك بعضه الآخر إذ أن فهم بعضه متوقف على فهم جميعه وقد رأى أن يفسر القرآن بالقرآن لا بالطن والرأى[3]. ويتفق فى ذلك مع الإمام الغزالى – الأحياء – حـ١ .

فإذا كان الإمام محمد عبده قد نزع نزعة عقلية صريحة فى التأويل فى " لحاشية على شرح العقائد العضدية " فإن ذلك يدافع النهوض لمعارضة تأويلات الظاهرية المشبهة الذين تناولوا نصوص الدين بالتفسير الحرفى[4].

وينتهى به الأمر فى رسالته " فى التوحيد " إلى التصريح " بأنه يجب أن يفسر أى نص يوهم ظاهرة التشبيه متجنبين المعنى الظاهر وعلينا أن نسلك أحد الطريقتين .

أما تفويض أمره إلى الله – وهذا يفيد التوقف عن التأويل مع الاعتقادات بان المعنى الظاهر غير مراد .

وأما أن تؤوله تأويلاً يستند إلى قرائن مقبوله ويراعى فى ذلك قواعد اللغة وأحكامها[1].

---

(١) دكتور محمد حسن الذهبى للتفسير والمفسرون –جـ٣ ، ص ٢١٢ نقلاً عن تفسير المنار جـ١ تفسير سورة الفاتحة ص ٥٤ .

(٢) دكتور عثمان أمين ، رائد الفكر العربى محمد عبده ، ص ١٤٨ .

(٣) دكتور محمد البهى ، الفكر الإسلامى الحديث ص ١٥١ ط دار القلم القاهرة – ٦٠ كذلك – الغزالى الأحياء جـ١ ص ٢٩٠

(٤) دكتور عثمان أمين – رائد الفكر العربى محمد عبده – ص ١٤٩ .

كما انه لا يجوز الطعن فى إيمان من لم يصدق بأخبار الآحاد إذا لم يبلغه الخبر أو عرضت شبهة فى صحته وهو ليس من المتواتر(٢).

والخلاصة : أن الإمام محمد عبده فيما ذهب أليه نشارلز أدمز .Charles c .Adam رأى أن ا فى العقيدة من قضايا فوق طور العقل البشرى الذى أعطاه للناس حتى لا يقعوا فى الخطأ وبينما يعمل الدين على مساعدة العقل فإن العقل أيضاً يسلم بقضاياه العادلة ومن ناحية أخرى فقد ادرك محمد عبده بأمانة منهج البحث العلمى الحر، وفاق فى دفاعه عن الإسلام غيره من الكتاب بمثل هذه الروح الحرة المتسامحة(٣).

وننتهى من ذلك كله إلى أن أهل السنة والسلف وعلماء العصر الحديث قد حددوا المنهج الإسلامى الصحيح الذى يتفق مع الكتاب والسنة وأصول الدين من الإجماع والقياس . ووقفوا باستمرار ضد تيارات الغلاة من الشيعة والباطنية والفلاسفة وغيرهم . وفندوا آرائهم ومذاهبهم . ورأى أنه يجب أن نثور على دعاوى الجهل والتشكيك والغلو فى العقيدة ومحاربتها بأسلحتها ومحاولة التجديد والإصلاح الدينى ومحاربة التقليد بكل صوره الذى أدى بالمسلمين إلى التفرقه على مر العصور " اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه".

وآخر دعوانا :

"أن الحمد لله رب العالمين "

---

(١) الإمام محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ص ١٧٤ تحقيق محمد أبو رية ، دار المعارف .

(٢) المصدر السابق – ص ١٧٤ .

(4) Charles. C. Adams' Islam and Madernism in Egypt' O Oxford university press' Hum phery milford' lon den' 1933' pp' 127' 142 .

خاتمة :

كانت الأمة الإسلامية منذ صدر الإسلام الأول جبهة قوية متماسكة البنيان وأشاعت فى أرجاء العالم ضوء الحضارة والتقدم فى العلم والأدب وأصول الحكم فى النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى استمدها من أصول الدين القائم على الكتاب والسنة الشريفة المطهرة – فى الوقت الذى كان العالم يرزح تحت أغلال الظلم وحكم الفرد فى القرون الوسطى – وما يزال علماء الاستشراق يولون جهودهم فى دراسة أصالة هذه الحضارة الإسلامية العريقة رغم ما ألم بالعالم الإسلامى من اضطرابات وقتن كان الهدف منها تحطيم الإسلام غير أن الله سبحانه وتعالى حفظ الإسلام مصداقاً لقوله تعالى " أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون"

ولما كان الإسلام لا يعرف الفرقة أو الأختلاف فى صدره الأول غير أن العوامل الخارجية والداخلية والمكائد التى كانت تدبر لزعزعة أركانه كان لها تأثير كبير وخطير فى إثارة الفتنة بين الأخوة فكانت الحروب . وكانت الفرقة بين الطوائف بعد مقتل الخليفة الثالث ذى النورين سيدنا عثمان رضى الله عنه حول " الإمامة " وتولية أمور المسلمين فكانت الحرب بين الإمام على بن أبى طالب زوج فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وبين معاوية بن أبى سفيان وأراد على رضى الله عنه بعد أن بايعه بعض المسلمين أن يقيم الحق ويدافع عنه بينما أراد معاوية أن يناوئ علياً مستنداً إلى حجج ودعاوى واهية وحباً فى السلطة والحكم –،وبدأت النزعات والانشغافات بين المسلمين بعد مقتل الإمام على وأبنه الإمام الحسين رضى الله عنهما عام "٦١ هـ" وظهر الغلو ، وبدأ غلاة الشيعة ينسجون الأساطير والأفكار والقداسة حول على وأبنائه واستعانوا بأفكار وعناصر خارجية ويهودية ومسيحية وفارسية وغير ذلك من الثقافات التى كانت تسود البلاد التى فتحها الإسلام فى ذلك الوقت – وبدأت تتكون فرق وطوائف الغلاة من الشيعة أو مدعى التشيع – وحاولت

كل فرقة وطائفة أن تستنبط من القرآن الكريم ما يؤيد أفكارها وعقائدها وهنا ظهر التأويل بمذاهبه المختلفة كمنهج مجازى أو باطنى رمزى بهدى صرف الألفاظ عن ظواهرها إلى معانى مجازية أو باطنية تخدم أعراضهم وأهوائهم دون سند من اللغة أو أدلة من العقل فظهرت تأويلات باطنية ممجوجة وممسوخة لا يرى فيها المسلم إلا العجب ، العجاب سواء فى محيط الغلاة أو الإمامية "غلاة الأثنا عشرية والإسماعيلية الباطنية" بطوائفهم المتعددة المتشابكة والمتنابذة .

ولما كان موضوع رسالتى " مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية دراسة تحليلية نقدية " فأنى بعد طول بحث وتحليل ومناقشة لكل التيارات الفكرية والثقافية التى سادت طوائف الشيعة والتى كانت لها أثار خطيرة فى مذهب التأويل عند الشيعة خرجت بالنتائج التالية :

أولاً : لم يكن هناك شيعة او سنة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو فى عهد خلفائه الراشدين ولم يكن ثمة نزاع أو طائفة تقابل بعضها البعض بل كان المسلمون يكونون وحدة واحدة لا يفضل أحدهم عن الآخر إلا بالتقوى ، فلا فرق بين عربى أو عجمى أو أبيض أو أسود إلا بقدر طاعة الله تعالى ورسوله الكريم وكلهم يلتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته يولونهم حباً وتقديراً وتقرباً .

ثانياً : بدأت الفتن والدسائس بعد مقتل الخليفة عثمان رضى الله عنه وبدأ الخلاف حول توليه الإمامة " الخلافة " بين الإمام على رضى الله عنه وبين معاوية بن أبى سفيان وبدأ المؤيدون لعلى من أصحابه وأرباب المذاهب الأخرى يلتمسون الأدلة فى توليه على الخلافة وكانت الفرصة سانحة للغلاة مثل السبئية لكى يحيطوا الإمام على وآل بيته بالأساطير وأفكار القداسية وقد أنكر الإمام على عليهم ذلك وحرقهم بالنار – وحتى مقتل الإمام على وابنه

الإمام الحسين رضى الله عنه وشهيد كربلاء عام (٦١ هـ) لم تكن الشيعة قد تكونت كفرقة مميزة عن غيرها سياسيا أو عقائديا أو اجتماعيا أو أن هناك بوادر لوجودها ما تزال فى مرحلة التكوين إلى أن ظهرت حركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعى الملقب بشيخ الشيعة والتى قامت من أجل الثأر لدم الحسين رضى الله عنه إلا أنها باءت بالفشل .

ثالثاً : لقد أثبت بالأدلة المستمدة من المصادر الأساسية والبراهين العقلية الخطأ الفادح الذى وقع فيه علماء ومؤرخى الشيعة أنفسهم فى أعدائهم بان الشيعة ظهرت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو فى عهد الخلفاء من جماعة كانوا يولون حبهم وتأييدهم لولاية الإمام على وأبنائه من بعده وأن أبا بكر اغتصب الخلافة بمبايعة عمر رضى اله عنهما وسائر المهاجرين والأنصار دون وجه حق – كما أثبت أن كلمة الشيعة " كاصطلاح فنى لم يكن من تأصيل هذه الفرقة – أو أطلق للدلالة عليهم فى فترة متقدمة حيث انه مصطلح قديم الاستخدام فى اللغة العربية قبل الإسلام وبعده فى القرآن الكريم كذلك ثبت استخدامه فى حق أنصار الإمام على بن أبى طالب وفى حق أنصار معاوية بن أبى سفيان – فى صيغة صك التحكيم بينهما وبذلك تبطل تأويلات الشيعة ومدعى التشيع فى استنباط مدلولات هذا اللفظ من القرآن الكريم أو الروايات المأثورة عنهم بصفة خاصة بل وربما يرجع الأمر فى ذلك إلى عبقرية الظروف التى جعلتهم يلقبون أنفسهم بهذا المصطلح بما له من دلالة فنية تثبت أمام التاريخ فى مقابل مصطلحات أخرى مثل أهل السنة والجماعة مثلا .

رابعاً : بدأ التكوين الطائفى للشيعة اجتماعياً وسياسياً وعقائدياً عندما امتزجت النظريات والآراء السياسية بالعقائد الدينية ومحاولة استنباط نظرياتهم من

النصوص الدينية والمأثور من الأحاديث النبوية عن طريق التأويل بأساليبه المختلفة طبقاً لأهوائهم المذهبية الأمر الذى أدى إلى استحداث أفكار ونظريات غالية و بعيدة كل البعد عن منهج الإسلام الصحيح وظهر أن كل هذه الأفكار الغالية مستمدة من عناصر أجنبية وغنوصية فارسية او يهودية أو مسيحية – وغير ذلك وأن هذه التأويلات بما فيها من أفكار غالية تركزت فى محيط الغلاة أو مدعى التشيع وهم السبأية ، والكيسانية بطوائفها والخطابية والعينية والميمية والسينية والراوندية وغيرهم وحتى ظهور الشيعة الإمامية بعد عهد الإمام جعفر الصادق عندما انقسمت الشيعة إلى فرقتين كبيرتين ذابت خلالها باقى الطوائف الشيعية الأخرى – وهم الاثنا عشرية والإسماعيلية الباطنية .

خامساً : عندما أخذ غلاة الشيعة يؤولون نصوص القرآن الكريم وقضايا العقيدة الدينية لكى يلتمسوا ما يؤيد مذاهبهم كان النسيج الباطنى يحيط بعقائدهم من اتجاه وهو يحتضن أفكار القداسة والتألية للأئمة – والتوفيق بين النظريات الغنوصية والفارسية واليهودية والمسيحية والفيتاغورية العددية وبين ما ورد فى النصوص من مصطلحات ومبادئ دينية وذلك بإنزالها على معان ومدلولات باطنية أو رمزية وقد وجدنا أمثلة كثيرة لهذا التأويل الباطنى عند الشيعة – سواء بتأويل النصوص على أشخاص الأمة أو على أنفسهم أو على أشياء الوجود ومبادئه – فلا شك أن فكرة تطبيق عالم الأفاق على عالمْ الأنفس ، وفكرة التنزيل الظاهر والتأويل الباطن والإمام الناطق والإمام الصامت – كانت أفكار متقدمة الظهور عند غلاة الكيسانية وكذلك فكرتى التأويل العددى والرمزى على أشخاص الأئمة واستنباط المدلولات اللفظية من النصوص القرآنية على شخص محمد الرسول صلى الله عليه وسلم

وعلى فاطمة والحسن والحسين والإمام محمد بن الحنفيـة ظـهرت أيضا فـى محيط هؤلاء الغلاة – وكل هذه الأنمـاط وغيرهـا ممـا أثبـتناه خـلال البحـث ليدل دلالة واضحة على مدى اسـتغراق الغـلاة فـى مذهـب البـاطن أو تـأويل النصوص على دلالات باطنية تخـدم أغراضـهم بـلا مـبرر عقلـى أو سـند مـن الشريعة أو قواعد لغوية صحيحـة كمـا أن هـذا الأسـلوب أثـر تأثـيراً كبـيراً وواضحاً عند الإسماعيلية وغلاة الاثنا عشرية الأمر الذى جعلنا نعتبر هؤلاء الغلاة ممهدين لحركات الغلو الباطنى فى التأويل عند الإسماعيلية الباطنيـة فيما بعد .

سادساً : اصبح مذهب التأويل يشكل ركناً أساسياً مـن أركـان عقـائد الشـيعة عندمـا انقسمت إلى فرقتين كبيرتين تضمان جميع الطوائف الشيعية ما عـدا " فرقـة الزيدية " التى ظلت محتفظة بكيانها السياسى والعقـائدى فظـهرت الشـيعة الاثنا عشرية حيث تعتقد فـى ولايـة علـى ابـن أبـى طـالب وأبنائـه الحسـن والحسين وعلى زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصـادق ثـم ابنـه موسـى الكاظم – وهكذا حتى الإمام الثانى عشر محمد المـهدى المنتظـر المختفـى فـى السرداب عام ١٦٠ هـ وينتظرون ظهوره والشيعة الإسماعيليـة التـى تشـترك مع الاثنا عشرية فى ولاية الأئمة حتى جعفـر الصـادق ثـم تنقـل الإمامـة إلى ابنه إسماعيل – ثم تتوالى حتى ظهور الخلفاء الفاطميين فى بلاد المغـرب ثـم مصر حتى الاختفاء مرة أخرى أو من دور الاستيداع إلى دور الاسـتقرار فيمـا يعرف عندهم بنظرية الإمام المستودع والإمام المستقر.

وفى هذه الفترات الطويلة وبعد أن أصبـح للشـيعة كيـان طـائفى متمـيز مـن الفرق الأخرى بدأ علماء المذهب الاثنا عشرية وإسماعيلية يؤلفون الكتب فى الأصول والشريعة والفقـه والأدب والعلـم والفلسـفة والتـاريخ وغـير ذلـك – وهـم فـى ذلـك

يضعون أصول وقواعد عقائدهم المذهبية وان كانت تختلف من عالم إلى آخر أو من زمان إلى زمان ومن قطر إلى قطر طبقاً للتطورات المذهبية وما يُملى عليهم من ظروف سياسية أو فكرية إلا أن الأهداف كانت واحدة – وهى تدعيم أصول المذهب على مذهب الباطن بما يميزهم عن غيرهم من المذاهب الأخرى .

وهكذا ظهر عندهم نوعين من العبادة ظاهرة وعبادة باطنية المقصود بالعبادة الظاهرة وهى العبادة العملية – ظاهر أركان الشرع أما العبادة الباطنية فهى العبادة العلمية وهى باطن الشريعة أو التأويل وهذا العبادة موقوفه على الخاصة منهم وعليها يؤولون النصوص وأركان العبادات والشرائع وأصول العقيدة الأمر الذى جعلهم خاصة الإسماعيلية وغلاة الاثنا عشرية يخرجون من دائرة الاعتقاد الإسلامى الخالص كما هو عدد جمهور المسلمين من أهل السنة الجماعة إلى الانغماس فى أحضان الفلسفة الباطنية – القائمة على التأويل الباطنى أو الرمزى والتوفيق بين مبادئ الفلسفة ونظرياتها وما ورد من أفكار ومصادر خارجية غنوصية أو يهودية او مسيحية وبين ما ورد فى النصوص القرآنية طبقاً لنظرياتهم فى الإمامة وما يتعلق بها من أمور أخرى .

سابعاً : كان لفكرتى " الظاهر " والباطن " أثر كبير فى تدعيم مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية سواء عند غلاة الاثنا عشرية او عند الإسماعيلية فقد اعتقدوا أن للقرآن ظاهراً وباطناً وأن لكل تنزيل ظاهر تأويلاً باطناً وأن الظاهر هو المحسوس أما التأويل الباطن فلا يعرفه إلا الخاصة أو الأئمة لأنه أسرار الدين التى لا يحتمل العامة فهمه والوصول إليه – وقد شاعت هذه الفكرة بين أوساط الفلاسفة والصوفية كما هى عند الشيعة غير أن الشيعة عمقوها واستخدموها أسوأ استخدام – فى تأويل النصوص والأركان الدينية لكى ترمز وتشير إلى مضمون عقيدتهم فى الإمامة وما يتعلق بها

من مسائل أخرى – بالإضافة إلى محاولتهم استخراج مدلولها من القرآن الكريم مثل ثقوله تعالى" وذروا ظاهر الإثم وباطنه " سورة الأنعام ١٢٠ [١].

ثامناً: إذا نظرنا إلى الإمامية الاثنا عشرية نجد انهم أن كانوا أكثر اعتدالاً من إخوانهم الإسماعيلية – إلا أننا لا نؤكد ونطمئن إلى هذا الرأى اطمئناناً كاملاً – فهم على طرقى تفيض من أهل السنة والزيدية مثلاً ، كذلك فان اعتقادهم فى ضرورة ولاية على وأبنائه وتشديدهم فى مسألة وجوب العصمة للأئمة والوصاية لعلى – والتقية واختصاص العالم الباطن بالإمام ومسألة الغيبية والرجعية أو المهدى المنتظر وما يستوجب ذلك من أفكار ومبادئ أسطورية لا يبرئ ساحتهم كاملة – بل أن ذلك يدعونا إلى القول بوجود نوع من الغلو فى عقائدهم خاصة فى الفترات المتأخرة وعند طوائف البابية والغنوصية دخلت فى عقائدهم بما يؤدى إلى اعتبارهم يؤولون للنصوص على مذاهب الباطنية بغض النظر عن متكلميهم وبعض فقهائهم والمعاصرين المجددين منهم.

وعلى ذلك فقد أدرجت الغلاة من الاثنا عشرية فى إطار التيار الباطنى الذى يمثله الشيعة استناداً إلى مذهبهم فى تأويل النصوص القرآنية والقضايا العقائدية طبقاً لعقائدهم فى الإمامة فمثلاً وجدناهم يحملون معنى الآية الظاهر على المذلول الباطن فى الإمامة أو الولاية فقوله تعالى " جعلنا له نورا يمشى به فى الناس " سورة الأنعام / ١٢٢ أن النور يعنى الإمام بأتم به كذلك يحمل قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله خير منها وهم فى فزع يومئذ أمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار " سورة النحل / (٨٩ – ٩٠) على معنى أن المراد " بالحسنة " هو معرفة الولاية وحب أهل البيت ، أما المراد بالسيئة أنكار الولاية وبغض أهل البيت

(١) نظرنا : الداعى الإسماعيلى القاضى للنعمان بن حيون – أساس التأويل ص ٣١

وهكذا كذلك يؤولون آيات كثيرة على معنى العصمة للأئمـة حيـث انـهم المختصـون بأسرار الدين وعلومه الباطنية وهـم الوارثـون لعلـوم الأنبيـاء – ولاشـك أن نظريـة النور المحمدية لها دور كبير فى محيط الاثنا عشرية لما لهـا مـن دلالات روحانيـة متوارثة إلى الأئمة المعصومين كذلـك وجدنـا أن عقـائدهم فـى الغيبيـة والرجعيـة – المهدى المنتظر يحيط بها التراث الأسطورى والنسيج الباطنى فـى محاولتـهم تـأويل النصوص القرآنية وما ورد فيها مـن قصص الأنبيـاء كقصـة موسـى مـع وفرعـون ، وعيسى عليه السلام وربط أحداثهم بما حدث للمهدى المنتظر وموقف بنـى العبـاس منه ويؤولون على ذلك قوله تعالى " ونريد أن نمن على الذين اسـتضعفوا فـى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين " سـورة القصـص / ٥ ويحـاولون أن يربطـوا بـين فكرة الغيبة وطول البقاء حتى ظهوره وبـين مـا ورد مـن المـأثور فـى غيبـة الخضـر والياس .. وهكذا .

بـل ومـن نتـائج الحاسمـة التـى خرجنـا بـها هـو ادعـاء بعـض علمائـهم باختصاصهم " بالعلم الباطن " دون غيرهم من الشيعة .. ويؤولون على ذلك قوله تعالى " وأوحينا إليـك روحـاً مـن أمرنـا مـا كنـت تـدرى مـا الكتـاب ومـا الإيمـان " سـورة الشورى٥٢ بأنه منذ أن نزال الروح على النبى صلى الله عليه وسلم ما صعد إلى السـماء " الأئمة " . فالإمام لديه العلم الخفى الباطن ، وهو التـأويل والأئمـة يعلمـون القـرآن وتأويله .. وقد تطرف هؤلاء الغلاة من الاثنا عشرية وادعوا أن الأنبياء كانت تنقصهم " علوم الباطن " التى توجد لدى الأئمة .. فموسى كان ينقصه علم الباطن الذى هو عند الخضر .. وهكذاً نجدهم بالغوا فى تقديس الأئمة وعلومهم الأمر الـذى دفـع بـهم إلى إنكار قواعد الفقه الشرعى . مثل القياس والاجتهاد والإجماع .

وقد انتهينا إلى نتيجة حاسمة أخرى وهـى أن طوائـف البابيـه والبهائيـة (المنسلخين من فرقة الشيخة الاثنا عشـرية) لا يمثلـون مذهـب الشـيعة الأماميـة ولا

يجب إدراجهم فى إطار الفكر الإسلامى حيث يتجهون فى تأويل النصوص والقضايا الدينية اتجاهاً فاسداً وغير صحيح وكل هذه التأويلات فاسدة وباطلة شرعاً .

تاسعاً : يقوم مذهب التأويل عند الأثنا عشرية على الرمز والإشارة . بما يشبه منهج الصوفية والفلاسفة – وقد استنتجنا ذلك من خلال تأويل مفسريهم للآيات القرآنية على أشخاص الأئمة .. فالطبرس فى " جامع البيان " يؤول آية النور / ٣٥ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة .. " على الرمز والإشارة إلى عقيدة الإمامة والأئمة . بما يشبه تأويل ابن سينا غير أن ابن سينا كان يهدف إلى التوفيق بين الفلسفة والدين .

بتأويل مصطلح دينى بآخر فلسفى أو تأويل وشرح المضامين الدينية فى ضوء نظريات وتعاليم الفلسفة اليونانية .

أما علماء مفسرى الشيعة فكانوا يهدفون من التأويل الباطنى أو الرمزى الإشارى إلى إثبات عقائدهم فى الإمامة واستخراج مدلولات من نصوص القرآن الكريم دون مراعاة لحرمة العقيدة الإسلامية – بنوع من التطرف والتعسف فى جذب النصوص والألفاظ إلى مناهجهم وعقائدهم ومن ناحية أخرى كانوا يرفضون كل الأحاديث الوارد عن أهل السنة مكتفين بأسانيد أئمتهم .

عاشراً : قام منهج الدعوة الإسماعيلية على نظرية الظاهر والباطن تلك النظرية التى تأسست عليها الفلسفة الباطنية والإسماعيلية بكاملها . فالإسماعيلية يعتقدون بأن ظاهر النصوص والأشياء المحسوسة مجرد رموز وإشارات إلى معان باطنية لا يدركها إلا الأئمة – ويجب تأويلها للخاصة منهم فقط – وكانت قبل ذلك هذه العقائد سرية متداولة فى أوساطهم حرصاً على سرية العقيدة الإسماعيلية – ومن ثم فقد تدرجت مراتب الدعوة عندهم إلى درجات بالنسبة لمستوى الناس واستعدادهم

العقلى وثقافتهم مهما اختلفت أديانهم وعناصرهم وهى عشر مـرات لهـا خصائص وشروط معينـة وقـد شـهد القرنـين الثـالث والرابـع الهجريـين أزهى عهود الدعوة الإسماعيلية وفلسفتها الباطنية وبرز إلى جلسة العلـم والفلسفة دعاة إسماعيليون تحرروا مـن كـل المؤثـرات والقيـود والتبعـات وعملوا على نقل الكثير من علـوم الفـرس والهنـد واليونـان – وشـرحوها وكيفوها ووضعوا فى أسســها النظريـات ورتبوهـا وحـاولا تطبيقـها علـى العقيدة الإسـلامية بمـا يخـدم أغراضـهم المذهبيـة وخاصـة فـى نظريـة " الإمامة " بطريقة فلسفية طبقاً للأسس وقواعد عقلية وباطنية – فـأوجدوا نظريات فلسفية دينية فى الإطار الشيعى الإسمـاعيلى البـاطنى وقـد كـان لأخوان الصفاء بالإضافة إلى دعاة المذهب وفلاسفته الأثر الكبير فى تطوير وتدعـم أركـان الفلسـفة الباطنيـة الإسماعيليـة عـن طريـق التوفيـق بـين النظريات والأفكار الفلسـفية اليونانيـة والفارسـية والهنديـة والمسيحية وبين ما ورد فى العقيدة الإسلامية عن طريق التأويل الرمزى الباطنى وقد أثبتنا بمـا لاشـك فيـه أن أخـوان الصفـاء إسماعيليـة وأن رسـائلهم تمثـل الأفكار والنظريات والتأويلات الإسماعيلية وأنها وضعت خصيصاً لتدعيـم المذهب الباطنى الإسماعيلى .

إحدى عشر : عندما وضع أئمة الدعوة الإسماعيلية وفلاسفتها أصول وقواعد المذهب البـاطنى اتجـهوا ثـلاث اتجاهـات فـى التـأويل البـــاطن للنصــوص والقضايا الدينية :

الاتجاه الأول : هـو منـهج التـأويل الرمـزى وفـى ذلـك نجدهـم يتنـاولون النصوص القرآنية وبعض الأحاديث ويؤولونها بحيث يجعلونها ترمـز أو تشـير إلى ولاية على بن أبى طالب والأئمة من ذريته " الفاطميون " ولما كان أصول الدعوة يقوم

على اعتقادهم بولاية الوصى أو الأساس " على " والسبعة أئمة :

لذلك فان قوله تعالى " ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم " سورة الحجر / ٨٧ فأنها تؤول بحيث تشير إلى أن المقصود " بالقرآن العظيم " هو على بن أبى طالب " الأساس أو الوصى " ذلك لأن قرين القرآن الكريم فى التأويل هو أمير المؤمنين على رضى الله عنه .

أما السبعة المثانى : فهم السبعة أئمة من ذريته – وكلما مضى سبعة منهم أتى سبعة آخرون كالأيام السبع ويكون السادس منهم متما كيوم الخميس وسابعهم عظيم الرفعة كيوم الجمعة كذلك يؤولون ما ورد فى القرآن الكريم من آيات تشير إلى السموات والأرض ، بأن المقصود بالسموات فى التأويل الباطن هم النطقاء " الأنبياء " أما المقصود بالأرض فى التأويل الباطن فهم الأسس – أو الأوصياء أو الأئمة .. وهكذا كما أن طاعة الإمام واجبة لأنه معصوم – ومقدس طاعته من طاعة الله تعالى ويؤولون على ذلك نصوص كثيرة فالإمام هو مثال وجه الله تعالى ، ويد الله تعالى وجنب الله تعالى وأنه هو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، إلى آخر ما هناك كذلك يؤولون آية النور قوله تعالى " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاه " النور : ٣٥ – على مذهبهم فى الإمامة فيأخذون كل لفظ من ألفاظ الآية الكريمة ويؤولونه على مدلول عقيدتهم فى الولاية والعصمة والعلم والباطن .

أما الاتجاه الثانى : فهو منهج التأويل الفلسفى فى الإمامة فقد وضع فلاسفة الدعوة الأسس النظرية الفلسفية فى الإمامة وحاولوا التوفيق بينهما وبين الواقع العملى لذلك بتأويل النصوص الدينية فى ضوء نظريات الفلسفة التى استمدوها من الفلسفة اليونانية الأفلاطونية المحدثة والفيتاغورية خاصة فى نظام الأعداد وعلى سبيل المثال وضعوا نظام الأدوار السباعى فى تسلسل الأئمة ففى كل

دور من أدوار الإمامة يتولى سبعة أئمة ثم ينتهى لكى يبدأ دور سباعى آخر وهكذا إلى أن يقوم القائم المبشر بالقيامة .

وعلى هذا النظام يؤولون ما ورد من نصوص دينية تتحدث عن قصص الأنبياء – والتمثيل الباطنى لأدوار الأنبياء وأئمتهم يعنى انهم جميعا من آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون شخصا واحدا وأن ظهروا فى صور آدمية مختلفة – وهم مثال " العقل الكلى " ولعل ما ورد من تأويل لقصص الأنبياء فى كتاب " أساس التأويل " للداعى الإسماعيلى القاضى النعمان بن حيون – وغيره لخير دليل على ذلك كذلك جعلوا ما ورد فى النصوص من إشارات إلى العدد (٧) سبعة أو (١٢) اثنى عشر يرمز إلى نظرياتهم – فالسموات السبع والأرضون السبع ، والكواكب السيارة السبع – وهكذا – كما أن ما يحدث فى كل دور من أمور – يحدث ما يشبهه فى الدور الذى يأتى بعده كذلك – ومن ناحية أخرى حاولوا المطابقة بين عالم الإبداع الروحانى وبين عالم الدين ، مستمدين أصول فكرتهم من نظريات الفلسفة الأفلوطنية المحدثة ، فالعقل الكلى (السابق) يطابقه فى عالم الدين النبى الناطق ، والنفس الكلية (التالى) يطابقه الأساس أو الإمام ، كما أن الروحانيات السبع يقابلها عالم الدين الأئمة السبعة ودليلهم فى ذلك قوله تعالى " وبنينا فوقكم سبعا شدادا " سورة النبأ / ١٢ كذلك كلمة (كن) الواردة فى القرآن تتكون من حرفين (الكاف) و (النون) – يقابلهما الخلق والدين (والتنزيل والتأويل) – أو السابق (العقل الكلى) والتالى (النفس الكلية أو القلم واللوح المحفوظ أو النبى الناطق والإمام الوصى .. وهكذا ثم ينتهى هذا التصوير الباطنى لنظرية الأدوار السباعية بظهور الإمام القائم – أو الإنسان الكامل فى آخر الزمان حيث تعلو كلمته ويملك أهل كل شريعة بالقهر والغلبة وهو الإمام الفاطمى ، كذلك من النتائج الحاسمة التى خرجنا بها أن دعاة وفلاسفة المذهب الإسماعيلى جعلوا مرتبة الإمام تقترب من مرتبة الناطق بل قد تعلو

عليه حيث أنه المختص بالتأويل الباطن للشريعة ويتقلد منصب الناطق بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وفى هذا الاعتقاد تجاوز كبير على مرتبة النبوة – كذلك يؤولون الصلاة على النبى – بأن المقصود بها تأكيد ولاية الأساس للنبى – واتصال الوصية بالنبوة والإمامة لا فرق بينهما .

أما الاتجاه الثالث : فهو التأويل التمثيلى فى الإمامة وحيث يعتقد الإسماعيلية طبقاً لنظرية الباطن فى الإمامة أن ما يحدث من أحداث فى الإمامة الباطنية فى الأدوار ، السابقة يحدث كذلك فى دور الإمامة فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم وقد استندوا فى ذلك على التأويل الباطنى للحديث المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " كائن فيكم ما كان فى الأمم السابقة حذوا القزة بالقزة " وقد تأثروا فى ذلك بالفلسفة الدينية اليهودية والمسيحية – فى نظرية التأويل التمثيلى للتوفيق بين العهدين القديم والحديث – إذ أنه من الحقائق الثابتة تاريخياً أن إبراهيم كان مستعداً للتضحية بإسحاق فى معتقدات اليهودية لكن المعنى الأول لهذا هو أنه يمثل سابق التضحية الله تعالى بالمسيح عليه السلام – وعلى ذلك وجدنا فلاسفة الدعوة يؤولون قصص الأنبياء ونصوص القرآن الكريم على هذه النظرية من أجل تدعيم عقيدتهم فى الإمامة الباطنية فمثلاً قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام وابنه " سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء " سورة هود / ٤٣ تعنى فى التأويل الباطن التمثيلى أنه لم يكن أبنه من صلبه بل كان رجلاً دنياوياً طمع فى رئاسة قومه – وهو يمثل الضد فى دور محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا فى أمثلة كثيرة متعددة لا ينال الباحث منها إلا العجب .

اثنا عشر : لقد ثبت أن هناك صلة قوية بين المنهج الشيعى الباطنى وبين منهج الفلاسفة الصوفية حيث أن المنهج يقوم على قاعدة أساسية مشتركة بين الجانبين وهى أن القرآن ظاهراً وباطناً واستخدام كل منهما للمنهج

الرمزى فى التأويل كذلك الاستعمال الحرفى والعددى للألفاظ القرآنية بهدف الكشف عن المحتوى الباطنى للدلالات ، اللفظية بما يخدم مذاهبهم – وهذا من ناحية المنهج كذلك الفلاسفة مع تسليمنا بوجود اختلافات واضحة فى الموضوعات التى تشكل دعائم هذه المذاهب وأهدافها كما وضحنا خلال البحث ويضاف إلى ذلك تشابه واضح وتأثر كبير بالتراث اليهودى " فنجد أصلاً من أصول الباطنية عند فرقة " المقاربة واليوذعانية " – فقد كان " يوذعان أويهوذا يطلب تعظيم أمر الداعى وكان يذهب إلى أن التوراة ظاهرا وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً وحاول تفسير التشبيه الذى ساد فى التوراة[1] وقد وجدنا كذلك وجود صلة قوية بين منهج التأويل الرمزى عند فيلون Philon وبين منهج الباطنية فقد ذهب فيلون إلى أبعد حد فى التفسير الرمزى بحيث تكاد تنقطع صلته بالتوراة – انه يقرر أن كل تشبيه ورد فى التوراة يجب أن يؤول وقد وجدنا عنده نوع من التأويل الباطنى الرمزى من حيث إنزال مدلولات الألفاظ والأسماء على معانى الأشياء فإبراهيم عليه السلام عنده يرمز إلى العلم ويعقوب يرمز إلى الطبيعة واسحق يرمز إلى الزهد . وأن هذه الأسماء الثلاثة ترمز إلى معرفتنا بالله تعالى ثم نجده يستخدم نظرية المثل الأفلاطونية بطريقة الشيعة الباطنية[2] ويمكن أن أشير إلى نتيجة هامة وهى أنه إذا كانت اللغة لغة الدين وللدين أسرار ينبغى أن تضمّنها اللغة باعتبارها أداة التعبير عن معانيه وربما كان الصوفية من

---

(١) دكتور النشار ، عباس احمد الشربينى ، الفكر اليهودى وتأثيره بالفلسفية الإسلامية – ص ٣٠ ، ص ٣١ ط منشاة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٩ – وللمزيد يرجع إلى – أميل بريهة – الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندرى ترجمة دكتور محمد يوسف موسى دكتور عبد الحليم النجار – ط الحلبى – ١٩٥٤

أشد الناس تعلقاً بهذه الأسرار رغبة فى الوصول إليها وكانت هذه محاولة مبكرة لتحديد العلاقة بين الأسرار الدينية وبين اللغة [١] إلا أن الشيعة الباطنية استغلوا التأويل أسوأ استغلال فوضعوا تعاليمهم تحت ستار الباطنية أو التأويل تحت الظروف العقائدية الذى يعتبر أقرب إلى العقل منه إلى اللغة[٢] ويعتمد أساساً على الخلقيات والتراث الفكرى لهم وقد كان هذا التراث الفكرى والعقائدى كما رأينا خليطاً ممتزجاً من الثقافات والنظريات الدينية والفلسفية الخارجية والبعيدة عن منهج الإسلام وعقيدته الصحيحة .

ثالث عشر : يقول الشيعة الباطنية بالله واحد لا شريك له ويأخذون بظواهر الشريعة الإسلامية من قضايا أصولية وفقهية ولهم فى ذلك مؤلفات كثيرة – ولكنهم طبقا للمنهج الباطنى يؤولونها على عقائدهم لذلك وجدنا علمائهم وفلاسفتهم يؤولون الصفات الإلهية تأويلاً عقلياً مجازياً يقتربون إلى حد ما من منهج المعتزلة والفلاسفة فى نفى الصفات وحملها على معان ومفاهيم عقلية – هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يقومون بحمل هذه الصفات الإلهية على مبادئ عقلية فلسفية مستمدة من الفلسفة الأفلاطونية – فالعلم والقدرة والسمع والبصر – وأسماء الله الحسنى تحمل على العقل الكلى والنفس الكلية– أو السابق – والتالى – وهذه المبادئ الروحانية فى عالم الوجود الإلهى الأعلى التى تحمل عليها الصفات والأسماء الإلهية

---

(١) دكتور السيد احمد خليل ، التصوير اللغوى عند العرب ، مقال منشور بمجلة كلية الآداب، مجلد ١٤ ص ٨٧ ط جامعة الاسكندرية ١٩٦٠ .

(٢)لسيد عبد الغفار ، ظاهرة التأويل وحملتها باللغة ص ، رسالة كتوراة (مخطوط) مكتبة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، إشراف الدكتور السيد خليل .

تقابل الناطق أو الأساس أو الإمام فى عالم الدين.

وبذلك يتضح أن هدف الإسماعيلية هو محاولة المزج بين المبادئ الدينية والنظريات الفلسفية ومحاولة تأويل النصوص والقضايا العقائدية فى ضوء نظريات الفلسفة الباطنية كما أن هذا المنهج جعلهم يرتفعون بصفات الأئمة إلى مرتبة التقديس الإلهى باعتبارهم ممثولات للمثل الروحانية العلوية - غير أن مثل هذه الاعتقادات الغالية لا يعرفها إلا الخاصة منهم الذين يتلقون تعاليم الفلسفة الباطنية فى مجالسهم الخاصة فقط وكانوا يتعمدون إخفائها عن عامة المسلمين فى البلاد التى فتحوها وكانوا يظهرون التقرب من المذاهب الفقهية والأصولية التى كانت سائدة فى هذه البلاد مثل مصر أو المغرب خاصة مذهب الإمام مالك والشافعى.

رابع عشر : استطاع فلاسفة الدعوة الإسماعيلية أن يأتوا بنظرية فى الكلمة من خلال تأويلهم الباطنى لعالم الإبداع الإلهى تشبه بنظرية الكلمة أو اللوجس Logos عند فلاسفة اليونان واليهود والمسيحيين - فتأولوا كلمة " كن " على نظرية العقول الأفلاطونية - فالكاف ترمز إلى العقل الكلى - أو القلم - والنون ترمز إلى النفس الكلية أو اللوح المحفوظ - وبذلك أولوا قوله تعالى " نون والقلم وما يسطرون " سورة القلم /١ أى أن الله تعالى أقسم بأعز مخلوقين عنده هى اللوح والقلم أو العقل الكلى والنفس الكلية - غير أن ما يميز الإسماعيلية أنهم لم يصرحوا بنظرية الفيض تصريحاً مباشراً فقالوا بفكرة الخلق - أى أو الله تعالى خلق المبدع الثانى - العقل الكلى ، وفاض عنه المبدع الأول - أو النفس الكلية - وقد نجد أنفسنا أمام نظرية أشبه بنظرية الأمر الإلهى التى نجد لها مكاناً عند الإمام الغزالى وفى قوله بنظرية المطاع حيث يشير أحد

فلاسفتهم إلى وجود الأمر الإلهى – وهو السر المصون بين الكاف والنون أو هو علة السابق والتالى – وقد وجدنا أن هناك خلط بين فلاسفة الإسماعيلية حول التحديد الدقيق " للكلمة " فمنهم من يرى أن المقصود بها العقل الكلى ويرى آخرون أن المراد بها الأمر الإلهى ويرى بعضهم أن الله تعالى هو صاحب الأمر والنهى والخلق والتخليق وأن هذه الكلمة المقصود بها المبدع الأول – العقل الكلى وقد شرح الإسماعيلية اثر هذين الموجودين فى عالم الوجود الإلهى العلوى والسفلى.

خامس عشر : استخدم فلاسفة الدعوة منهج التأويل الباطنى الرمزى فى تأويل العبادات وأمور الحياة الأخرة استخداماً سيئاً فمع إيمانهم بظواهر الشريعة وأركان العبادات من نحو الصلاة والصوم وغير ذلك إلا أنهم طبقاً لعقيدتهم فى الإمامة يؤولون مدلول النصوص والقضايا الدينية على المبادئ الفلسفية الباطنية وقولهم فى الإمامة فكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله تدل على العقل الأول (الكلى) والعقل الثانى النفس الكلية أو على السابق والتالى – أو القلم أو اللوح – وندل كذلك على ما يقابلها فى العالم الدينى الأرض الإمام الناطق – والإمام الصامت أو النبى ، والإمام أما أركان الشريعة مثل الصلاة أو الزكاة أو الحج وغير ذلك تدل فى تأويلهم على الإمام ومواصلة دعوته وكتمان أسراه .. الخ .

أما تأويلهم فى أمور الحياة الأخرة فقد تأولوها طبقاً لمنهج الباطن فأنكروا ما ورد ، فى ظواهر الشريعة وانزلوا مدلولاتها على عقائدهم – كذلك كان لديهم استعداد للقول بعقيدة التناسخ وان كان بعضهم يشدد فى إنكار ذلك وقد تأثروا فى

ذلك بنظريات الفلسفة الأفلاطونية والفيثاغورية كذلك فلاسفة الإسلام كابن سينا فـى نفى العذاب الجسمانى وإنكار الحشر والنشر للأجسام .

سادس عشر : على الرغم من هذه الاتجاهات الغالية فى مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية إلا أننا لا يمكن أن نغفل عن حقيقة هامـة واضحـة – وهـى وجود مذاهب معتدلة فـى أوساط الشيعة وقـد تمثـل هـذا الجـانب المعتدل عند الشيعة الزيدية – وعلماء المذهب الاثنـى عشـرى – مـن الناحية السياسية والعقائدية – فقهياً وأصوليـاً فـالمذهب الزيـدى لا ينكر خلافة أبى بكر وعمر كما هو عند أهل السنة – كذلك لا يوجد لدى علمائه هذا المنهج فى التأويل الباطنى أو الرمـزى الـذى يخـرج بالنصوص عن مرادها الحقيقى – بل أن مذهبهم فى الأصول والفروع قريب من مذهب أئمة أهل السنة وعلمائه – وقـد ثبـت تلمـذة كثـير من فقهائهم على المذهب الزيـدى والأخـذ منـه – أمـا المعتدلـين مـن الأثنا عشرية فانهم مع إيمانهم بأحقيـة علـى وأبنائـه فـى الخلافـة وقولهم بالعصمة – إلا أنهم قد تأولوا النصوص على العقـل والمجـاز اللغوى على منهج المتكلمين ويقـتربون مـن مذهـب أهـل السـنة فـى بعض المسائل الفرعيـة وقـد ظـهرت نزعـة التوفيـق والتقريـب بـين مذاهبهم وبين مذهـب أهـل السـنة فـى العصـور الحديثـة بمحاولـة تنقية تراثهم مما علق به من آثار وعنـاصر أجنبيـة وغاليـة وحـاول علمائهم المحدثين التخفيف من غلـواء قدمائـهم خاصـة فـى مسـالة الإمامة – ويرجع الفضل فى ذلك إلى نخبة من علمائهم أمثال حسين آل كاشف الغطاء ، والإمام موسى الصدر ، ومحمـد جـواد مغنيـة – والقمى والعاملى وكثيرون غيرهم حاولوا أيضاً تنقية الكتب الشيعية

القديمة مما احتوته من أساطير وقصص عن الأئمة والتى توحى بعضها باتجاهات باطنية خطيرة كذلك ظهر العديد من الاتجاهات العقلية التى تميل إلى استخدام القياس فى مسائل الفروع والأصول - والرجوع بالمذهب إلى أصوله الأولى التى كان يمثلها أئمة آل البيت العظام الذين عاصروا وجاهدوا فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية وتبرؤا من مذاهب غلاة التشيع ودعاتهم كما عرضنا لهم وهم الإمام على زين العابدين ، والإمام محمد الباقر ، والإمام جعفر الصادق ، قد علمنا انهم لا يخرجون عن نطاق تعاليم أهل السنة والجماعة ، بل أن هؤلاء الأئمة كانوا علماء ومعلمين لأئمة الفقه والأصول من أهل السنة أو السلف الصالح رضوان الله عليهم.

سابع عشر : وقف أهل السنة وعلماء العصر الحديث موقفاً حازماً وقوياً ضد هذه التيارات الشيعية الباطنية والغالية فى تأويل النصوص والقضايا الدينية ورفضوها رفضاً مطلقاً وقد ألقوا الكثير من الكتب والمقالات فى الرد عليهم ونقد مناهجهم وتحليلها وإظهار ما فيها من أخطاء دخيلة على أصول العقيدة وتوضيحها أمام جمهور المسلمين حتى لا يلتبس عليهم أمرهم ولا تتسلل العناصر والثقافات الغربية عن الإسلام إلى داخله فتفسد على الناس عقيدتهم وقد ساهم علماء الزيدية فى هذا الاتجاه المضاد لمذهب أهل السنة والإمام الغزالى قام بالرد عليهم فى كتابة فضائح الباطنية - وفى العديد من كتبه الأخرى وقد كان يستنكر تلك الأخطاء والاضطرابات الواضحة فى مناهج التعليمية الباطنية واعتبر أن مثل هذه المحاولات فاسدة ولا

تعبر عن عمل صحيح[1] وعلى الرغم من أن الإمام الغزالى كان صوفيـاً يميل إلى التذوق الكشفى لبواطن النصوص • غير أن هدفه كان تنقيـة النصوص مما علق به من شوائب وانحرافات " فحاول إعادة العقيـدة المحمدية المعتدلة إلى عصرها السابق فقد كان ينقص صرفية الإسـلام التقاء فـى البحـث والدراسـة[2]. أمـا الإمـام السـلفى شـيخنا وشـيخ الإسلام ابن تيميـة فقـد هـاجم الشـيعة الباطنيـة والصوفيـة هجومـا عنيفاً ونقدهم وحلـل مذاهبـهم فـى التـأويل تحليـلاً دقيقـاً فـى كـل مؤلفاته الأصولية والفكرية والفقهية وأظهر ما كانوا عليه من ضـلال وفساد فى الاعتقاد وقد قامت مجموعة العلماء الباحثين فـى الـتراث الشيعى بدراسات واسعة دقيقة فى العصر الحديث وقـامت المدرسـة المصرية الحديثـة وعلـى رأسـها الإمـام محمـد عبـده بإظـهار فسـاد مذهـب الشـيعة الباطنيـة وتأويلـهم المنحـرف للنصـوص والقضايـا الدينية .

- والخلاصة أن ما خرجنا من نتائج سابقة خلال البحـث يوضـح لنـا مـدى مـا أحاط ويحيط بالعقيدة الإسلامية مـن أخطـار جسـيمة تريـد تحطيـم معـالم العقيـدة وإحلال عقائد وتيارات فلسفية غريبـة محلـها ، تحـت دعـاوى التجديـد والتطـور والعالمية وكانت قبل هذه المحاولات تبدوا سـافرة اتخـذت طـابع العنـف السياسـى الدينى أحياناً وخفية مستترة تغذيها عناصر أجنبية تريد الكيد للإسلام والمسـلمين من جانب المستشرقين والمستفسرين والشيعة والاستعمار الحديث وقد تبلورت هـذه المحاولات أما برفض الأحاديث النبوية المعتمدة عنـد أهـل السـنة ، وبذلـك يصبـح

(1)Ali' Assa otman' the Concept of Man in Islam (in Writtings of Al' Ghzali - Dar maaref Cairo "1960" .
(2) Nicholson' the Mystics of islam 'P' 24 – london' 1966

هناك تفرقة بين المذاهب ، وأما بالتأويل المنحرف للنصوص طبقاً لمنهج الباطن وكذلك رفض منهج العقل والقياس والإجماع والأخذ بالتعاليم التى يمليها الأمام صاحب العلم الباطن أو العلم الإلهى الذى يضمن للأئمة صفات التقديس أو التألية .

وعلى ضوء ذلك فأننى أرى

١- يجب أن تتوفر مجموعة من العلماء والباحثين فى التراث الإسلامى من أجل تنقية الفكر والعقيدة الإسلامية مما علق بها من أفكار الحادية وحشوية غريبة عن منهج أهل السنة والجماعة ومن ناحية أخرى تنقية التراث الشيعى من التأويلات المنحرفة والاعتقادات الغالية والرجوع إلى منهج أئمة آل البيت العظام.

٢- يجب أن يكون هناك رسائل ودراسات علمية دقيقة تكشف أباطيل وفساد العقائد الشيعية الغالية والتى استشرى خطرها على العقيدة الإسلامية - وفضح المؤامرات الاستعمارية التى تحاول الدس والوقيعة بين المسلمين من هذا الاتجاه الباطنى - إما بالتحريف للمفاهيم العقائدية ، وإما بإيجاد التفرقة بين المسلمين وإثارة الفتن والحروب بين أبناء الدين الواحد .

٣- لابد من التقريب بين دعائم المذهب الإسلامية المختلفة على منهج الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم - على أساس القاعدة الإسلامية التى وضعها لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى أن الدين الواحد - والعقيدة الواحدة ليس هناك فرق بين السنة أو الشيعة - ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والإيمان الصادق والإخلاص فى خدمة ورعاية دين الله تعالى وصالح المسلمين فى جميع أقطار الدنيا وحتى منتهاه - حتى نسير فى ركب الحضارة والتقدم وأن ننفض عنا غبار الماضى والاختلاف حول أمور مضى زمانها وأنتهى أوانها . فما زلنا نختلف حتى

أكلتنا الحروب وفتكت بنا الفتن والأحقاد .

٤- علينا أن ندعم منهج أهل السنة والسلف الصالح - ونجتهد ونختلف في ضوء الإسلام القائم على الكتاب والسنة والعقل والإجماع وأن نظهر مذهب التأويل الصحيح القائم على المصادر والأسس العلمية - والقرائن العقلية والاشتقاقات اللغوية دون إسراف أو تحريف لمضامين النصوص أو سعياً إلى تأكيد نظرية علمية أو فلسفية أو سياسية أو اجتماعية دون ما سند من القرآن والسنة وإجماع السلف - والإسلام واضح وصريح - والقرآن الكريم أنزله الله تعالى قانوناً ودستوراً للعامة وللخاصة فلا داعي لتحميل النصوص أكثر مما تحتمل تحت دعاوى التجديد أو التطوير وسوف يظل هذا الدين قائما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مهما طمع الطامعون والذين في قلوبهم مرض مصداقاً لقوله تعالى :

" أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون " .

صدق الله العظيم

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً المصادر والمراجع العربية :

القرآن الكريم

١- ابن الأثير (مجد الدين): النهاية في غريب الحديث والأثر - جـ٢ تحقيق طاهر الزواوى - ط مصر ، ١٩٦٣م.

٢- ابن الاثير (مجد الدين): الكامل في التاريخ - جـ٧، جـ٩ ط دار الصادر ببيروت، ١٩٦٦م .

٣- ابن تيمية (تقى الدين) :الأكليل في المتشابه والتأويل ط المطبعة السلفية ١٣٩٤هـ.

٤- ابن تيميه (تقى الدين) :الرسالة التدمرية ضمن كتاب نفائس تحقيق محمد حامد الفقى - ط مكتبة السنة المحمدية بدون تاريخ .

٥- ابن تيميه (تقى الدين) :الفتوى الحموية الكبرى ضمن كتاب نفائس تحقيق محمد حامد الفقى ط مكتبة السنة المحمدية بدون تاريخ .

٦- ابن تيمية (تقى الدين) :الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان تحقيق محمد فايد ، ط صبيح ، ١٩٥٨م.

٧- ابن تيمية (تقى الدين) : مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق جميل الشطبى ط مطبعة الترقى بدمشق ، ١٩٣٦م.

٨- ابن تيميه (تقى الدين): مناهج السنة ، تحقيق دكتور محمد رشا سالم ط المدنى القاهرة ، ١٩٦٢ .

٩- ابن الجوزى (الإمام الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن) :نقد العلم العلماء (تلبيس إبليس) ط دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر بالإسكندرية بدون تاريخ .

١٠- ابن حديد : شرح نهج البلاغة ، جـ١،جـ٤ ، ط دار الاستمامة بمصر .

١١- ابن حزم (الظاهرى الأندلسى) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ٤ ط مكتبة السلام العالمية بدون تاريخ .

١٢- ابن حوقل : المسالك والممالك ، ط ليدن ، ١٩٣٨م.

١٣- ابن حيون (الداعى الإسماعيلى) : أساس التأويل ، تحقيق عارف تامر ؟؟؟؟ ط بيروت ، ١٩٦٠م.

١٤- ابن حيون التميمى (الداعى الإسماعيلى القاضى النعمان بن محمد) : تأويل الدعائم ، جـ٢ ،جـ٣ تحقيق محمد حسن الاعظمى ط دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢م.

١٥- ابن حيون التميمى (الداعى الاسماعيلى القاضى النعمان بن محمد): دعائم الإسلام ، تحقيق محمد حسن الاعظمى ، كذلك أضف تنظى ط ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

١٦- ابن حيون التميمى (الداعى الإسماعيلى القاضى النعمان بن محمد): رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق دكتورة وداد القاضى ط دار الثقافة ببيروت ، لندن، ١٩٧٠م.

١٧- ابن حيون التميمى (الداعى الاسماعيلى القاضى النعمان بن محمد):الرسالة المذهبية (ضمن كتاب الخمس رسائل)إسماعيلية ، تحقيق عارف تامر ، ط دار الأنصاف سليمة ، سوريا ١٩٥٦م.

١٨- ابن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة ط الكتبة التجارية بدون تاريخ

١٩- ابن رشد (ابو الوليد) فصل المقام وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من اتصال تحقيق البيصر نصرى نادر ، ط دار الشروق بيروت ١٩٧٦م.

٢٠- ابن زهرة (الداعى الإسماعيلى ابو المعالى حاتم بن عمران) : رسالة الاصول والأحكام (ضمن إسماعيلية تحقيق عارف تامر ط دار الانصاف سليمة ، سوريا ١٩٥٦م .

٢١- ابن سعد : الطبقات الكبيرة جـ٥ ط لندن ١٣٣٣م .

٢٢- ابن سينا (أبو على الشيخ الرئيس) : تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ، ط أمين هندية، ١٩٨٠م.

٢٣- ابن عربى (محى الدين) : الفتوحات الملكية ط دار أحياء الكتب العربية بدون تاريخ .

٢٤- ابن عربى (محى الدين) : فصوص الحكم ، تحقيق دكتور ابو العلا عفيفى ، ط دار الكتب العربية ببيروت ١٩٤٦م.

٢٥- ابن فارس (أبو الحسن أحمد): مقاييس اللغة ، جـ٣ تحقيق عبد السلام هارون، ط مصر ، ١٣٦٩هـ.

٢٦- ابن قتيبة (الدينورى) : تأويل مختلف الحديث ، ط مكتبة زيدان بمصر ، ١٩٢٠م.

٢٧- ابن منظور (ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصرى) : لسان العرب ، جـ٩،ط بولاق ١٣٠١ .

٢٨- ابن النديم : الفهرست ط لبيك ، ١٨٧١م.

٢٩- ابن الوليد (الداعى الإسماعيلى اليمنى علـى بـن محمـد): تـاج العقـائد ومعـدن الفوائد ، تحقيق عارف تامر ، ط المطبعة الكاثوليكية ، ببيروت ١٩٧٦م.

٣٠- ابن الوليد (الداعى الاسماعيلى الحسن بن على): رسالة المبـدأ والميعـاد (ضمـن ثلاث رسائل إسماعيلية) تحقيق عـارف تـامر مـن منشـورات المعـهد الفرنسـى للدراسات الايرانية الإسلامية بطهران بدون تاريخ .

٣١- أبو الحسن بن محمد (الشريف الرضى) : نهج البلاغة ، جـ١ ، تحقيـق محمـد محى الدين عبد الحميد ، ط الاستقامة بدون تاريخ .

٣٢- أبو الحسن بن محمد (الشريف الرضـى) : أمـالى المرتضـى غـرر الفوائـد ودرر القلائد جـ١ ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الأحيـاء الكتـب العربيـة ، ١٩٥٤م.

٣٣- أبو ريان (دكتور محمد على) : أصول الفلسفة الاشـراقية عنـد السـهروردى ط دار الطلبة العرب ، بيروت ١٩٦٩م.

٣٤- أبو ريـان (دكتـور محمـد علـى): تـاريخ الفكـر الفلسـفى فـى الإسـلام ، ط دار المعارف ، ١٩٨٠م.

٣٥- أبو زهرة (الشيخ محمد) : الإمام جعفـر الصـادق (حياتـه وفقهـه وآراؤه) ط دال الفكر العربى بدون تاريخ .

٣٦- أبو زهرة (الشيخ محمد) : الإمام زيد - (حياتـه - وفقهـه وآراؤه ط ، تـاريخ الفكر العربى ، بدون تاريخ .

٣٧- أبى فراس (الداعى الإسمـاعيلى شـهاب الديـن) : الايضـاح ، تحقيـق عـارف تامر ط المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٥م.

٣٨- أبى فراس (الداعى الإسماعيلى شهاب الدين): رسالة مطالع الشموس فى معرفة النفوس ، (ضمن أربع رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر ط دار الكشاف بيروت ١٩٥٣م.

٣٩- إبراهيم بسيونى (دكتور): البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٢م.

٤٠- أحمد أمين : ضحى الإسلام ، جـ٣، ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨م.

٤١- أحمد امين : ظهر الإسلام ،جـ٢،ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٢م.

٤٢- أحمد أمين : فجر الإسلام ، ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٩م.

٤٣- أحمد شلبى (دكتور) : التاريخ الاسلامى والحضارة الإسلامية جـ٥ ،ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦م.

٤٤- أحمد شلبى (دكتور) : مقارنة الاديان (اليهودية) ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م.

٤٥- أحمد محمود صبحى (دكتور) فى علم الكلام ط دار الكتب الجامعية ، ١٩٦٩م.

٤٦- أحمد محمود صبحى : نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ، ط دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م.

٤٧- أخوان الصفاء : الرسائل ، تحقيق خير الدين الزركلى ، ط المطبعة العربية بمصر ١٩٢٨م ، كذلك ط بيروت بتحقيق بطرس البستانى ،دار صادر بيروت ١٩٥٧م.

٤٨- الأزهرى (أبو منصور محمد ابن أحمد) : تهذيب اللغة ، جـ١٥ تحقيق إبراهيم الابيارى ، ط دار القومية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦م.

٤٩- الأشعرى (ابـو الحسـن) : الابانـة فـى اصـول الديانـة ، تحقيـق محـب الديـن الخطيب ، ط المطبعة السلفية ١٣٩٧م.

٥٠- الأشعرى (ابو الحسن) : مقالات الإسلاميين ، جـ١ تحقيق محمد محـى الديـن عبد الحميد ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠م .

٥١- البتانى : حاشية اليتانى على جمع الجوامع للإمام السـبكى ،جـ٢ ، ط المطبعـة الأزهرية بمصر ١٣٠٩م .

٥٢- البخارى : الصحيح حـ٢ ،جـ٤ ، ط الشعب بدون تاريخ .

٥٣- بدوى (دكتور عبد الرحمن) : الانسان الكامل فى الإسلام (دراسات ونصوصـث غير منشورة) ط مكتبة النهضة المصرية ،١٩٥٠م.

٥٤- برتارد لويس(دكتور) أصول الإسماعيلية (بحـث تـاريخى فـى نشـاة الخلافـة الفاطمية) ترجمة جلو ، جاسم الرجب ، ط دار الكتاب العربى بدون تاريخ .

٥٥- البغدادى : الفرق بين الفرق ، ط القاهرة ، ١٩١٠م.

٥٦- بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسـلامية ، ترجمـة نبيـه امـين فـارس ، ومنـير اليعليكى ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨م.

٥٧- بريهية (أميل) : الاراء الدينية والفلسفية لفيلـون الاسـكندرى ترجمـة دكتـور محمد يوسف موسى ، دكتور عبد الحليم النجار ، ط الحلبى ١٩٥٤م.

٥٨- بطرس البستانى : محيط المحيط ، المجلد الأول ١٨٦٧م.

٥٩- بكر (كارلْ هنرش) : تراث الاوائل فى الشرق والغـرب (مقـال ملحـق بكتـاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسـلامية) ترجمـة دكتـور عبـد الرحمـن بـدوى بدون تاريخ ،ط مكتبة النهضة المصرية ،١٩٤٠م.

٦٠- البهى (دكتور محمد) : الجانب الالهى فى التفكير الإسلامى ، ط دار الكاتب العربى ، القاهرة ،١٩٦٧م .

٦١- البهى (دكتور محمد) الفكر الإسلامى الحديث ، ط دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٠م.

٦٢- البيهقى (ابو الفضل) : تاريخ البيهقى ، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، ط مكتبة الانجلوا المصرية بدون تاريخ .

٦٣- البيرنصرى نادر (دكتور) : أهم الفرق الإسلامية (السياسية والكلامية ، ط المطبعة الكاثوليكية ، بدون تاريخ .

٦٤- ثقة الإمام علم الإسلام (الداعى الاسماعيلى) : المجالس المستنصرية تحقيق دكتور محمد كامل حسين ، ط دار الفكر العربى ، بدون تاريخ .

٦٥- جبور عبد النور (دكتور): أخوان الصفاء ، ط دار المعارف ١٩٥٤م .

٦٦- جعفر (دكتور محمد كمال) : التصوف (طريقا وتجربة ومذهباً) ط دار المعرفة الجامعية ،١٩٨٠م.

٦٧- جعفر (دكتور محمد كمال) : فى الدين المقارن ، ط مكتبة كلمة دار العلوم ١٩٧٠م.

٦٨- جعفر (دكتور محمد كمال) : من مؤلفات ابن مسرة المفقودة (مقال منشور بمجلة كلية التربية الجامعية الليبية عدد ٢٣ ،ط ١٩٧٢م.

٦٩- جولد تسيهر (أجناتس) : العقيدة والشريعة فى الإسلام ترجمة دكتور عبد الحليم النجار ، ط المكتبة العربية ، ١٩٥٥م .

٧٠- جولد تسيهر (أجناتس) : مذاهب التفسير الإسلامى ، ترجمة دكتور عبد الحليم النجار ، ط مكتبة الخانجى بمصر ، ١٩٥٥م.

٧١- جولد تسهير (أجناتس) : العناصر الأفلاطونية والغنوصية فى الحديث (مقال ملحق بكتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين ، ترجمة دكتور عبد الرحمن بدوى ، ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٠م.

٧٢- الجيلى (عبد الكريم) : الإنسان الكامل فى معرفة الأوائل والأواخر ،جـ١ ،جـ٢ ، ط الحلبى ، ١٩٧٠م.

٧٣- الجيلى (عبد الكريم) : الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم الله الرحمن الرحيم (ملحق بكتاب البسملة) تحقيق دكتور ابراهيم بسيونى ، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢م.

٧٤- حسن إبراهيم (دكتور) : عبيد الله المهدى (إمام الشريعة الاسماعيلية) ط مكتبة النهضة المصرية ،١٩٤٧م.

٧٥- حسن إبراهيم (دكتور): المعز لدين الله الفاطمى (إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى مصر ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧م.

٧٦- حسن إبراهيم (دكتور) : تاريخ الإسلام السياسى والدينى الثقافى جـ٣، ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠م.

٧٧- الحلى (ابن المطهر) منهاج الكرامة ،(ملحق بكتاب منهاج السنة لأبن تيميه تحقيق دكتور رشاد سالم ،ط المدنى ،١٩٦٢م).

٧٨- الحمادى (محمد بن مالك) : كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ، تحقيق عزت العطار ،ط الأنوار ١٩٣٩م.

٧٩- حنا فاخورى ، خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، جـ١ دار المعارف بيروت ، ١٩٥٧م.

٨٠- الداديخى (الداعى الإسماعيلى قيس بن منصور) : رسالة الاسابيع (ضمن خمس رسائل إسماعيلية تحقيق عارف تامر ، ط دار الانصاف ، سليمه سوريا،١٩٥٦م.

٨١- الدورى (دكتور عبد العزيز): مقدمة كتاب أصول الاسماعيلية ،(برنارد لويس) ط دالر الكتاب العربى بدون تاريخ .

٨٢- دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة دكتور محمد عبد الهادى أبو ريده ط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤م.

٨٣- الديملى (محمد بن الحسن) : بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، تحقيق د شدوطمان ، ط استانبول ، ١٩٣٨م .

٨٤- الذهبى (دكتور محمد حسين) : الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم (دوافعها ودفعها) ط دار الاعتصام ، ١٩٧٨م.

٨٥- الذهبى (دكتور محمد حسين): التفسير والمفسرين ، جـ٣ ، ط دار أحياء الكتب العربية الحديثة ، ١٩٦٢م .

٨٦- رضا (الشيخ محمد رشيد) : تفسير المنار ، جـ٣،ط المنار ١٣٢٥هـ.

٨٧- رضا (الشيخ محمد رشيد): تاريخ لاستاذ الإمام محمد عبده ، جـ١ ،ط المنار بمصر ،١٩٣١م.

٨٨- الرازى (فخر الدين) : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخرون ، ط المكتبة الأزهرية ، ١٩٧٨م.

٨٩- الزركش (محمد بن عبد الله) : اعلام المساجد باحكام الساجد (الكتاب الخامس، تحقيق ابو الوفا مصطفى المراغى ،ط القاهرة ١٣٨٤هـ).

٩٠- زغلول (دكتور الشحات السيد) : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م.

٩١- الزغبى (محمد على) : الدروز ظاهرهم وباطنهم ، ط مكتبة العرفات ،١٩٥٦م.

٩٢- السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ط المتبره بدون تاريخ .

٩٣- السجستانى (الداعى الإسماعيلى أبو يعقوب اسحاق): رسالة تحفة المستجيبين (ضمنت كتاب خمس إسماعيلية) تحقيق عارف تامر ، ط دار الانصاف ، سليمة سوريا ،١٩٥٦م.

٩٤- سليمان دنيا (دكتور) :محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ،جـ١ ،ط دار أحياء الكتب العربية ،١٩٥٨م.

٩٥- السيد احمد خليل (دكتور) : التصوير اللغوى عند العرب (مقال منشور بمجلة كلية الأداب جامعة الاسكندرية – مجلد ط ١٩٦٠م).

٩٦- السيد احمد خليل (دكتور) : نشأة التفسير فى الكتب المقدسة والقرآن ، ط الوكالة الشرقية للآثار والثقافة بالإسكندرية ، ١٩٥٤م.

٩٧- السيد عبد الرازق الحسينى : تعريف الشيعة (ملحق بكتاب أهم الفرق الإسلامية) تحقيق دكتور البيرنصرى نادر ،ط المطبعة الكاثوليكية بدون تاريخ.

٩٨- شرف الدين (الامام عبد الحسين الموسوى العلوى) : كتاب المراجعات ، ط دار الأندلس ، بيروت بدون تاريخ .

٩٩- شرف (دكتور محمد جلال): الله والعالم والانسان ، ط دار المعارف بمصر،١٩٧٥م.

١٠٠- الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ١ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، ط الحلبى بالقاهرة بدون تاريخ .

١٠١- الشيبى (دكتور كامل مصطفى): الصلة بين التصوف والتشيع ، ط دار المعارف،١٩٦٩م.

١٠٢- الشيبى (دكتور كامل مصطفى): الفكر الشيعى والنزعات الصوفية (حتى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى) ، ط دار النهضة بغداد ١٩٦٦م.

١٠٣- الشيبى (دكتور كامل مصطفى) : كلمة شيعة فى اللغة والتاريخ (مقال بمجلة كلية التربية الجامعية الليبية عدد (٣) ط ١٩٧٢م.

١٠٤- شيدر (هانزهينرش) : نظرية الانسان الكامل عند المسلمين (ملحق بكتاب الانسان الكامل فى الاسلام ، ترجمة دكتور عبد الرحمن بدوى ط مكتبة النهضة المصرية) ،١٩٥٠م.

١٠٥- الشيرازى (المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى) : سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، تحقيق دكتور محمد كامل حسين ، ط دار الكاتب العربى ، ١٩٤٩.

١٠٦- الشيرازى (المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى): المجالس المؤيديه (ملحق بكتاب المجالس المستنصرية) تحقيق دكتور محمد كامل حسين ، ط دار الكاتب العربى بدون تاريخ .

١٠٧- الصادق (الإمام جعفر): رسالة مجالس المؤمنين (ملحق بكتاب الحكم الجعفرية) تحقيق عارف تامر ،ط المكتبة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٧م.

١٠٨- الصالح (دكتور صبحى) : مباحث فى علوم القرآن ، ط بيروت ، ١٩٥٨م .

١٠٩- طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، جـ٢ تحقيق كامل بكرى وآخرون ، ط دار أحياء الكتب العربية الحديثة بدون تاريخ.

١١٠- طه حسين (دكتور) : الفتنة الكبرى فى عهد عثمان ط دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٧٢م.

١١١- طه حسين (دكتور) : مقدمة كتاب رسائل أخوان الصفاء ط المطبعة العربية بمصر ، ١٩٢٨م.

١١٢- الطالبى (يحيى بن حمزة) الافحام لأفئدة الباطنية الطغاة ، الافحام تحقيق دكتور على سامى النشار ، وفيصل بدير عون ، ط منشأة المعارف بالاسكندرية بدون تاريخ .

١١٣- الطيبى (الداعى الاسماعيلى شمس الدين بن احمد بن يعقوب) : رسالة الدستور ودعوة المؤمنين إلى الحضور (اربع رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر ، ط دار الكشاف بيروت ،١٩٥٣م.

١١٤- عبد الغفار عبد الكريم (دكتور): الإمام محمد عبده ومنهجه فى التفسير ، ط الحلى بالقاهرة ،١٩٨٠م.

١١٥- عبد المنعم ماجد (دكتور) :السجلات المستنصريه (مسجلات وتوقيعات امير المؤمنين إلى دعاة المستنصر بالله وكتب لمولانا ط دار الفكر العربى ،١٩٥٤م.

١١٦- عبد المنعم ماجد (دكتور):ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياسى ، ط دار المعارف بمصر ،١٩٦٨م.

١١٧- عبده (الاستاذ محمد) ، رسالة التوحيد ، تحقيق محمود أبو ريه ، ط دار المعارف ،١٩٧٧م.

١١٨- عثمان أمين (دكتور) رائد الفكر العربى محمد عبده ، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٥٥م.

١١٩- عارف تامر : أربع رسائل إسماعيلية ، تحقيق وتقديم ط دار الكشاف ، بيروت،١٩٥٣م.

١٢٠- عارف تامر : حقيقة أخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ط المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،١٩٥٧م.

١٢١- عارف تامر : كتاب الحكم الجعفرية (المقدمةى) ط المكتبة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٦م .

١٢٢- عارف تامر : مقدمة كتاب أساس التأويل للقاضى النعمان بن حيون ، ط بيروت،١٩٦٠م.

١٢٣- العراقى (ابو الفضل): المغنى عن حمل الأسفار فى تخرج ما فى الأحياء من أخبار (هامش كتاب أحياء علوم الدين للغزالى ط الشعب دار أحياء الكتب العربية .

١٢٤- عفيفى (دكتور أبو العلا): ابن عربى فى دراساتى مقال ملحق بالكتاب التذكارى محى الدين بن عربى ، ط الهيئة المصرية العامة للتأليف ، دار الكاتب العربى ،١٩٦٩م.

١٢٥- عفيفى دكتور (أبو العلا) : مقدمة مشكاة الأنوار (تحليل نقدى للرسالة ط الدار القومية للطباعة والنشر ،١٩٦٤م.

١٢٦- عفيفى (دكتور ابو العلا): نظريات الاسلاميين فى الكلمة بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب ومجلد (٢) عدد(١) ،ط المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ،ط القاهرة بدون تاريخ .

١٢٧- عارف البصرى (شاعر اسماعيلى) قصيدة التائية (ضمن كتاب اربع رسائل اسماعيلية تحقيق عارف تامر ، ط دار الكشاف بدون تاريخ ١٩٥٣.

١٢٨- العاملى (محمد الامين الحسينى) أعيان الشيعة ،جـ١،مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٣٥م.

١٢٩- الغزالى (الإمام ابو حامد) :أحياء علوم الدين ،جـ١ ،ط احياء الكتب العربية ط الشعب .

١٣٠- الغزالى (الإمام أبو حامد) :الأدب فى الدين ضمن مجموعة رسائل أخرى تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ط الجندى ،١٩٧٣م.

١٣١- الغزالى (الإمام أبو حامد) :الاقتصاد فى الاعتقاد ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، ط الجندى ،١٩٧٣م .

١٣٢- الغزالى (الإمام أبو حامد) : فضائح الباطنية ، تحقيق دكتور عبد الرحمن بدوى،ط دار القومية للطباعة والنشر ،١٩٦٤م.

١٣٣- الغزالى (الإمام أبو حامد) : القسطاس المستقيم ، (ضمن مجموعة القصور العوالى) تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ،ط الجندى ، ١٩٧٠م.

١٣٤- الغزالى (الإمام أبو حامد): كيمياء السعادة ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، ط الجندى ،١٩٧٦م.

١٣٥- الغزالى (الإمام أبو حامد): المستصفى فى علم الأصول ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، ط الجندى ١٩٧١م.

١٣٦- الغزالى (الإمام أبو حامد): مشكاة الأنوار ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، ط الجندى ، ١٩٧٠م.

١٣٧- الغزالى (الإمام أبو حامد): معارج القدس ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، ط الجندى ،١٩٦٨.

١٣٨- الغزالى (الإمام أبو حامد): المنقذ من الضلال ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، ط الجندى ١٩٧٦.

١٣٩- الفيروزى أبادى (مجد الدين): القاموس المحيط ،جـ٣،ط دار المعارف،١٩٣٨م.

١٤٠- الفيومى (الامام احمد بن محمد بن على المقر) المصباح المنير جـ١ ، ط الخشاب، ١٣٠٠هـ.

١٤١- الكرمانى (الداعى الإسماعيلى حجـة العراقيـين احمـد حميـد الديـن): رسـالة أسبوع دور الستر ضمن أربع رسـائل إسماعيليـة تحقيـق عـارف تـامر ، ط دار الكشاف ، بيروت ،١٩٥٣م.

١٤٢- الكرمانى (الداعى الإسمـاعيلى حجـة العراقيـين احمـد حميـد الديـن): راحـة العقل ، تحقيق دكتور محمد كامل حسين ودكتور محمد مصفى حلمـى ، طـ دار الفكر العربى ،١٩٥٢م.

١٤٣- الكرمانى (الداعى الإسمـاعيلى حجـة العراقيـين احمـد حميـد الديـن): كتـاب الرياض فى الحكم بين الصادين كتاب الإصلاح والنصرة تحقيق عـارف تـامر ، ط بيروت ، ١٩٦٠م.

١٤٤- آل كاشف الغطاء (محمد الحسين) أصل الشيعة وأصولها ط مكتبة العرفان بـدون تاريخ ، ط مكتبة عرفان .

١٤٥- الكلينى (محمد بن يعقوب): أصول الكافى ، جـ١ ،ط فارس ١٢٨١هـ.

١٤٦- الكوثرى (الشـيخ محمـد بـن زاهـر): مقدمـة كتـاب كشـف الاسـرار الباطنيـة للحمادى ، ط الانوار ،١٩٣٩م.

١٤٧- الكوثرى (الشيخ محمد بن زاهر): مقدمة كتاب النصير فـى الديـن تعليـق رقـم (٣)، ط الخانجى بمصر ١٩٥٥م.

١٤٨- محمـد امـــين غـالب الطويـل : تـاريخ العلويـين ، ط الـترقى بدمشـق ،ى اللاذيقية،١٩٢٤م.

١٤٩- محمد سعد بن داوود الرفنه (الداعى الاسماعيلى) : الرسالة الكافية ضمن خمس رسائل إسماعيلية ، تحقيق عارف تامر ، ط دار الانصاف سليمه سوريا، ١٩٥٦م.

١٥٠- محمد جواد مغنية : الشيعة فى الميزان ، ط دار التعاون للمطبوعات ، ١٩٧٩م.

١٥١- محمد محمد حسين (دكتور): المتنبى والقرامطة ،(مقال منشور) بمجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ،مجلد (١٨)، ١٩٦٤م.

١٥٢- محمد السيد الجليند (دكتور) : الإمام ابن تيميه وموقفه من قضية التاويل ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣م.

١٥٣- محمد عمارة : الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ، ط دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

١٥٤- محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم الفهرسى لالفاظ القران الكريم ،ط مؤسسة جمال للنشر ،بيروت ، بدون تاريخ .

١٥٥- محمد كامل حسين (دكتور): طائفة الاسماعيلية (عقائدها وتاريخها)، ط مكتبة النهضة المصرية ،١٩٥٩م.

١٥٦- محمد كامل حسين (دكتور):طائفة الدروز ، تاريخها وعقائدها ،ط دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م.

١٥٧- محمد كامل حسين (دكتور): مقدمة كتاب المجالس المستصرية ، ط دار الفكر العربى ، بدون تاريخ .

١٥٨- محمد كامل حسين (دكتور): مقدمة كتاب راحة العقل للكرمانى ، ط دار الفكر العربى ، ١٩٥٢م.

١٥٩- السعودى (ابى الحسن على بن الحسن بن على): مروج الذهب ومعدن الجوهر،جـ٢، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ،ط مكتبة الرجاء ،بدون تاريخ

١٦٠- مصطفى حلمى (دكتور): قواعد المنهج السلفى ، ط دار الانصار ،١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م .

١٦١- مصطفى حلمى (دكتور):نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى ، ط دار الانصار ١٣٩٧هـ،١٩٧٧م.

١٦٢- المقدس (المطهر بن طاهر) : البدء والتاريخ ، جـ٥ ، ط طهران ١٩٦٢.

١٦٣- المقريزى : إمتاع الاسماع جـ١، تحقيق محمود شاكر ط لجنة التاليف والترجمة بالقاهرة ،١٩٤١.

١٦٤- المقريزى : الخطط والاثار ،جـ٤ ط النبيل بمصر ١٣٢٦هـ ، كذلك ط الشياح بلبنان .

١٦٥- محمود قاسم (دكتور): نقد مدارس علم الكلام (مقدمة مناهج الأدلة سفى عقائد الله لأبن رشد ط مكتبة الانجلوا المصرية ،١٩٥٥م.

١٦٦- النشار (دكتور على سامى) نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ٢، نشأة التشيع وتطوره ، ط دار المعارف .

١٦٧- النشار (دكتور على سامى)و(فيضل عون): مقدمة كتاب الإفحام لافئدة الباطنية الطغام ليحى بن حمزة العلوى ، ط منشأة المعارف ، بدون تاريخ .

١٦٨- النشار (دكتور عباس الشربينى : الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ،ط منشأة المعارف بالاسكندرية ،١٩٧٢م.

١٦٩- نيكلسون (رينولد): فى التصوف الاسلامى وتاريخه ، ترجمة الدكتور ابو العلا عفيفى ، ط لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٦م.

١٧٠- هنرى لاووست : نظريات شيخ الاسلام ابن تيميه فى السياسة والاجتماع ، ترجمة محمد عبد العظيم ، ومراجعة دكتور مصطفى حلمى ، دار الانصار ، القاهرة ، ١٩٧٩م، جـ١.

١٧١- وداد القاضى (دكتورة) : الكيسانية فى التاريخ والادب ، ط داغر الثقافة ببيروت ، ١٩٧٤م.

١٧٢- اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ،جت٣ ،جـ٤ ، ط النجف ،١٣٥٨هـ.

المخطوطات :-

١٧٣- محمد محمد أبو قحف : قضية التأويل عند الإمام الغزالى رسالة ماجستير غير منشورة ، باشراف استاذى دكتور محمد جلال شرف ، مكتبة كلية الاداب جامعة الاسكندرية ،١٩٧٩م.

١٧٤- السيد عبد الغفار : ظاهرة التاويل وصلتها باللغة ، رسالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية الاداب ،جامعة الإسكندرية ، اشراف أ.د. السيد خليل ، ١٩٧٥م.

١٧٥- دائرة المعارف الإسلامية : جـ٣،جـ٦، ترجمة ابراهيم زكى خورشيد وآخرون،ط دار الشعب ، حديث بدون تاريخ .

ثانياً المراجع الأجنبية :-

176- Enoyclopeadia Of Islam V. II Laden; London,, 1927.

177- Encyclopeadia Religion And Ethics; N;11; (See Art Of Shiahs) Edinburgh; New York; 1921.

178- Ali Issa Othman; The Concept Of Man In Islam "In" Wrttings Of Al Ghazali; Dar Elmaaref -Cairo, 1960.

179- Nicholson, The Mystics Of Islam London; 1966.

180- Charles C- Adams, Islam, And Modernism In Egypt, Oxford Universty Press Humphery Milfard. London; 1933.

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٢/١٦٥٢
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977-244-054-7